

يقدم ناي ممتازاً للنظر إلى دور الولايات المتحدة في القرن  
الحادي والعشرين ولا سيما في أعقاب أحداث 11 إيلول / سبتمبر  
- مادلين أولبرايت



# مفارقة القوة الأمريكية

جوزيف س. ناي

تعريب : د. محمد توفيق البجيرمي

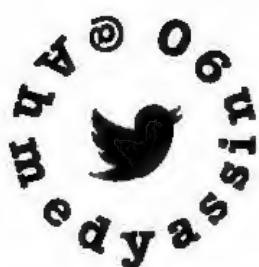
لماذا لا تستطيع القوة العظمى الوحيدة في العالم اليوم أن تنفرد في ممارسة قوتها ؟

نصوير

أحمد ياسين

مكتبة العبيكان

## مفارقة القوة الأمريكية



لتطوير  
أحمد ياسين

Original title:

## THE PARADOX OF AMERICAN POWER

This translation of *The Paradox of American Power*, originally published in English in 2002, is published by arrangement with Oxford University Press, Inc.

Copyright © 2002 by Joseph S. Nye Jr.

All rights reserved

حقوق الطبعة العربية محفوظة للبيكان بالتعاقد مع اكسفورد يونيفرسيتي برس

© البيكان 1424 هـ - 2003م

الرياض 11452، المملكة العربية السعودية، شمال طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة، ص.ب. 6672  
Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P.O.Box 6672, Riyadh 11452, Saudi Arabia

الطبعة العربية الأولى 1424 هـ - 2003م

ISBN 9960-40-263-0

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ناي، جوزيف س. (الابن)

مفارقة القوة الأمريكية

320 ص، 17 × 24 سم

ردمك: ISBN 9960-40-263-0

1 - الولايات المتحدة - فلسفة العلاقات الدولية 2 - القوة (علوم الاجتماع) - الولايات المتحدة

3 - التعاون الدولي 4 - العولمة

أ - البجيرمي، محمد توفيق (تعريب) ب - العنوان

ديوي 355,033573 5885 - 1423 رقم الإيداع: 5885 - 1423

ردمك: ISBN 9960-40-263-0

الطبعة الأولى 10 9 8 7 6 5 4 3 2 1

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission of the publishers.

إلى مولي



نصوير

أحمد ياسين

نوينر

@Ahmedyassin90



## المحتوى

9	توطئة
23	إرشادات
25	1. العملاق الأمريكي الضخم
91	2. ثورة المعلومات
149	3. العولمة
203	4. الجبهة الداخلية
247	5. إعادة تحديد المصلحة الوطنية



نصوير  
أحمد ياسين  
نوينر  
[@Ahmedyassin90](https://twitter.com/Ahmedyassin90)

---

## توطئة

كانت مأساة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر صرخة إيقاظ للأمريكيين . فقد أصبنا بالرضا عن الذات في عقد التسعينيات من القرن العشرين . ذلك أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، لم يعد أي بلد قادراً على مضاهاتنا أو التوازن معنا . إذ صار لدينا قوة عسكرية واقتصادية وثقافية عالمية لا يفوقها شيء . فكانت حرب الخليج في بداية ذلك العقد نصراً سهلاً؛ وعند نهايته قصفنا الصرب دون أن نخسر ضحية واحدة . ونما الاقتصاد وازدهرت سوق الأوراق المالية بسرعة . فصرنا مثل بريطانيا في ذروة مجدها في عصر فكتوريا، ولكن بامتداد عالمي أعظم من نفوذها آنذاك .

غير أن الأمريكيين كانوا غير مباليين ولا متأكدين إلى حد كبير بشأن كيفية صياغة سياستهم الخارجية لقيادة هذه القوة . وأظهرت استطلاعات الرأي أن الأمريكيين راحوا يركزون على القضايا المحلية ولا يبدون اهتماماً يُذكر ببقية العالم . ففيما بين سنتي 1989 و2000 راحت شبكات التلفزة تغلق مكاتبها الخارجية وتخفف محتويات أخبارها الأجنبية بنسبة الثلثين . فقد اكتشف المسؤولون عن التلفزيونات أن «البالغين الشباب يهتمون بنظام التغذية المؤدي إلى النحافة أكثر من اهتمامهم بالخفايا المعقدة لدبلوماسية الشرق الأوسط» . ورأى رئيس شبكة تلفزيون MSNBC أن اللوم في ذلك يقع على «غشاوة وطنية



من ضباب المادية، وعدم الاهتمام، والميل إلى الانطواء»<sup>(1)</sup>. كما أن كثيراً من الأمريكيين الذين أظهروا اهتماماً فعلياً بالسياسة الخارجية قد أصابتهم قوتنا بالغطرسة، فراحوا يجادلون بأننا لسنا بحاجة إلى الاهتمام بالأمم الأخرى. فقد كنا نبدو قوة لا تقهر، وليست مكشوفة أو معرضة للعطب.

ولقد تغير هذا كله في 11 أيلول/ سبتمبر [2001]. وكان من الممكن التنبؤ باتجاه التغيير، إن لم يكن بتوقيته. ففي وقت مبكر من تلك السنة ورد تحذير في التقرير النهائي للجنة خاصة بالأمن القومي كان يرأسها كل من غاري هارت، ووارن ردمان، عضوي مجلس الشيوخ السابقين من أن تفوق أمريكا العسكري لن يحمينا من هجمات معادية على وطننا: «إن من المحتمل أن يموت الأمريكيون على التراب الأمريكي، ربما بأعداد كبيرة»<sup>(2)</sup>. ولكن ذلك التقرير تم تجاهله إلى حد كبير. وفي سنة 1997 كتبت أنا وجيمي وولزي أن أولى الأولويات في سياسة الأمن القومي ينبغي إعطاؤها للإرهاب الكارثي. ولكننا كنا نخشى أن «طبيعة المجتمع الأمريكي نفسها تجعل التهيؤ لهذه المشكلة صعباً. فنظراً «لعقلية بيرل هاربر» السائدة بيننا، فإن من غير المحتمل أن نبني دفاعاً كافياً إلى أن نتعرض للهجوم»<sup>(3)</sup>.

وكان الهجوم الإرهابي من الأعراض الرهيبة للتغيرات الأعمق الآخذة

(1) جيم روتنبرغ، «الشبكات تتحرك لإحياء الأخبار الأجنبية»، النيويورك تايمز، عدد 24 أيلول/ سبتمبر، 2001، القسم ج، ص 10.

(2) غاري هارت، ووارن ردمان، الرئيسان المشتركان للجنة الأمريكية الخاصة بالأمن القومي في القرن الحادي والعشرين: عالم جديد قادم: الأمن الأمريكي في القرن الحادي والعشرين، تقرير المرحلة الأولى (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: اللجنة الأمريكية الخاصة بالأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، 1999)، ص 4.

(3) جوزيف س. ناي الأصغر ور. جيمس وولزي، «منظور على الإرهاب»، لوس أنجيلوس تايمز، عدد 1 حزيران/ يونيو، 1997، القسم م، ص 5.

بالحدوث في العالم. وكما سأوضح في الفصل الثاني، فإن الثورة التقنية في المعلومات والاتصالات قد أدت إلى تشتيت القوة بعيداً عن الحكومات، ومكنت الأفراد والجماعات من لعب أدوار في السياسة الدولية بما في ذلك إلحاق دمار شامل، كانت في السابق أدواراً مقتصرة على حكومات الدول. ذلك أن الخصخصة راحت تتزايد، والإرهاب هو خصخصة الحرب. وعلاوة على ذلك فإن عمليات العولمة راحت تقلص المسافات. فصار للحوادث في أماكن نائية - مثل أفغانستان - تأثير أكبر على حياة الناس في أمريكا. فالعالم أخذ في التغير من فترة الحرب الباردة إلى عصر المعلومات المعولم، ولكن المواقف الأمريكية، حتى عهد قريب جداً، لم تكن تواكب هذا التغير.

فإلى أين ننتقل من هنا؟ إن الأمريكيين لا يزالون يصارعون لإيجاد أفضل السبل للجمع بين قوتنا ومثلنا وقيمنا وتقليص نقاط ضعفنا وانكشافنا. وباعتبارنا أكبر قوة في العالم، فإننا نشير في الوقت نفسه تلهفاً وكراهية بين بعض الأمم، ولا سيما في العالم الإسلامي. وكما عبّر عن ذلك طبيب وزعيم ديني باكستاني: «إنكم عميان عن رؤية أي شخص آخر في ما وراء حدودكم... فأمريكا هي أكبر متنمر مستكبر في العالم. فهل هناك من عجب في أن كثيرين يسرهم أن يدمى أنف هذا المتنمر أخيراً؟»<sup>(4)</sup> وفي الوقت ذاته فإن المأساة قد أنتجت تدفقاً هائلاً للتعاطف مع الولايات المتحدة في معظم أنحاء العالم.

وهناك ما يغري بعض الأمريكيين بالاعتقاد أننا نستطيع تقليص هذه الكراهية وهذا الانكشاف للعطب إذا سحبنا قواتنا، وقلصنا تحالفاتنا، واتبعنا سياسة خارجية أكثر انعزالاً. ولكن نزعة الانعزال لن تزيل انكشافنا. فالإرهابيون الذين سدّدوا ضربتهم في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ليسوا مصممين على الانتقام من القوة الأمريكية فحسب، بل إنهم يريدون أيضاً،

(4) أنوار الحق، مقتبساً عنه في مقالة كولن نيكرسون: «بعضهم في المنطقة يرى قصة

(روبن هود)، بوسطن غلوب، عدد 24 أيلول/سبتمبر، 2001، ص1.

كما قال عبد الله ملك الأردن «أن يحطموا نسيج الولايات المتحدة. إنهم عازمون على تهشيم ما تمثله أمريكا»<sup>(5)</sup>. وحتى لو كانت لدينا سياسة خارجية أضعف، فإن مثل هذه المجموعات سوف تغيظها قوة الاقتصاد الأمريكي، التي ستستمر في الوصول إلى ما هو أبعد من شواطئنا بكثير. فالشركات الأمريكية والمواطنون الأمريكيون يمثلون رأس المال العالمي، الذي هو موضع كراهية البعض.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الثقافة الشعبية الأمريكية لها امتداد عالمي بغض النظر عما نفعله. فليس هناك مهرب من تأثير هوليوود، ومحطة CNN والشبكة الدولية (الإنترنت). فالأفلام الأمريكية والتلفزيون فيهما تعبير عن الحرية، والنزعة الفردية، والتغيير (والجنس والعنف كذلك) وعلى وجه العموم، فإن الامتداد العالمي للثقافة الأمريكية يساعد على توسيع قوتنا الطرية الناعمة - جاذبيتنا الثقافية والعقائدية الإيديولوجية. ولكن ليس للجميع؛ إذ إن النزعة الفردية والحريات تجذب الكثير من الناس ولكنها بغیضة لدى بعضهم، ولا سيما الأصوليين. فنزعة المساواة بين الجنسين، والانفتاح الجنسي، والخيارات الفردية في أمريكا تحدث تخريباً عميقاً في المجتمعات ذات النظام الأبوي. فقد قيل إن أحد الربابة الإرهابيين قال إنه لا يحب الولايات المتحدة لأنها «متراخية أكثر من اللازم. فأنا أستطيع الذهاب إلى أي مكان دون أن يستطيعوا إيقافني»<sup>(6)</sup>. وسيظل بعض الطغاة والأصوليين يكرهوننا دائماً بسبب قيّمنا وانفتاحنا وفُرصنا. ولن يكون لنا أي خيار سوى التعامل معهم من خلال سياسات أكثر فاعلية في مكافحة الإرهاب. وليس من المحتمل أن تساعد تلك

(5) الملك عبد الله، مقتبساً عنه في مقالة توماس فريدمان: «الرهيب الكبير»، النيويورك تايمز، عدد 18 أيلول/ سبتمبر، 2001، ص 31.

(6) جيم ياردلي: «استجاب موقع التدريب عن علاقاته بالخاطفين»، النيويورك تايمز عدد 13 أيلول/ سبتمبر، 2001، القسم ألف، ص 4.

الكتل الصلبة من الكراهية على تكوين كراهية أوسع إلا إذا تخلينا عن قيمنا واتبعنا سياسات طغيانية مستبدة تجعل المتطرفين يحظون بإعجاب الغالبية التي في الوسط.

فما هي السياسات التي ينبغي أن تقود قوتنا؟ وهل نستطيع الحفاظ على هذه القوة؟ لقد فُورنت الولايات المتحدة بالإمبراطورية الرومانية. ولكن حتى روما انهارت في نهاية الأمر. وقبل عقد من الزمن كان الرأي التقليدي السائد يندب أمريكا الآخذة بالانحطاط. وتصدرت قائمة الكتب الأكثر مبيعاً كتب تصف سقوطنا. وظهرت على غلاف إحدى المجلات الشعبية صورة لتمثال الحرية وقد سالت على خده دمعة. وكانت اليابان تأكل غداءنا وتوشك على الحلول محلنا باعتبارها الدولة الأولى. وكان ذلك الرأي خاطئاً في حينه، وقد قلت ذلك. وعندما ألقت كتابي ملزمون بالقيادة، سنة 1989 تنبأت باستمرار صعود القوة الأمريكية. ولكن للقوة مخاطرها.

ولقد قال الرئيس جورج ووكر بوش في حملته الانتخابية: «إذ كنا أمة متغطسة، فسينظرون إلينا على أننا كذلك. أما إذا كنا أمة متواضعة فسوف يحترمونا». وكان على حق. ولكن لسوء الحظ فإن كثيراً من الأجانب رأوا أن الولايات المتحدة في سنة 2001 لا تهتم في عجزتها إلا بالمصالح الأمريكية الضيقة على حساب باقي أنحاء العالم. فقد رأونا نركز على القوة القاسية الصلدة لجبروتنا العسكري بدلاً من قوتنا الطرية الناعمة حالما أدركنا ظهورنا لكثير من المعاهدات والمعايير ومتابر التفارض الدوليّة. فكانت الولايات المتحدة في نظرهم تستخدم المشاورات كي تملّي على الآخرين وليس لكي تستمع إليهم. ومع ذلك فإن لقيادة المؤثرة بحاجة إلى الحوار مع أتباعها. وسوف تكون للقيادة الأمريكية ديمومة أكثر إذا استطعنا إقناع شركائنا بأننا نتحسّس همومهم. ولقد كان أيلول/ سبتمبر سنة 2001 بداية نحو إظهار مثل هذا الإحساس. ولكنه ليس سوى البداية.

والمشكلة أكبر من ظاهرة حزبية. فقد أعلن الرئيس بوش أنه ليس نزعاً إلى التصرف الفردي من جانب واحد. وكان الرئيس كليتون يعرض في الأصل «توكيد النزعة المتعددة الأطراف» ولكنه تراجع فيما بعد عن جهود الأمم المتحدة لتحقيق السلام. كما أنه لم يستطع متابعة كثير من مبادراته المتعددة الأطراف. وكان أحد أسباب ذلك هو انشغال الأمريكيين باهتماماتهم الداخلية وعدم مبالاتهم النسبية بدورنا الاستثنائي الخارق للعادة في الخارج. فكان الجمهوريون والديمقراطيون في الكونغرس يستجيبون على حد سواء للمصالح المحلية الخاصة، وكثيراً ما كانوا يعاملون السياسة الخارجية على أنها مجرد امتداد للسياسات المحلية. بل لقد حاول الكونغرس أن يشرع لبقية العالم، وفرض عقوبات عندما رفض الآخرون اتباع القانون الأمريكي - كالعقوبات التجارية على إيران وكوبا مثلاً. ولم يكتفِ الكونغرس برفض المصادقة على أكثر من دزينة من المعاهدات والاتفاقيات على مدى العقد المنصرم، بل إنه خفض المساعدات الأجنبية، وأوقف دفع المبالغ المستحقة للأمم المتحدة والوكالات الدولية الأخرى. وشطب جزءاً كبيراً من نفقات وزارة الخارجية، وألغى وكالة الاستعلامات الأمريكية. إن علينا أن نفعل أفضل من ذلك.

ولست وحيداً في تحذيري من مخاطر سياسة خارجية تجمع بين مواقف أحادية الجانب، وغطرسة، وضيق أفق. فلقد عبر عن القلق على بقاء القوة الأمريكية عددٌ من الأمريكيين الملتزمين بالنظرية الواقعية في العلاقات الدولية. فطوال عصور التاريخ كانت تنشأ ائتلافات من بلدان للتوازن مع القوى السائدة، كما أن البحث مستمرٌ عن دول مُتَحَدِّية جديدة. فالبعض يرى في الصين عدواً جديداً؛ بينما يتصور آخرون أن التهديد كان في ائتلاف روسي - صيني - هندي. ويرى غيرهم أن أوروبا الموحدة قد تصبح أمة - دولة تتحدانا وتنافسنا على المركز الأول. ولكن - كما سأوضح - فإنه رغم أن الواقعيين لديهم نقطة صحيحة، فإنهم يركزون الانتباه على الهدف الخاطئ.

والحق أن التحديات الفعلية لقوتنا تأتي متسللة كالقنوط في الليل. ومن سخرية الأقدار أن رغبنا في المضي وحدثنا هي التي قد تضعفنا في آخر الأمر. فتورة المعلومات المعاصرة ونوعية العولمة المرافقة لها الآخذة في تقليص عالمنا. فعند بداية هذا القرن الجديد زادت هاتان القوتان من القوة الأمريكية، بما في ذلك قدرتنا على التأثير في الآخرين عن طريق قوتنا «الطرية الناعمة» الجذابة. ولكن التكنولوجيا تتقل بمرور الزمن إلى بلدان وشعوب أخرى وبذلك يتناقص تفوقنا النسبي. وعلى سبيل المثال فإننا - ونحن جزء من عشرين من سكان العالم - نحتل أكثر من نصف الإنترنت. ويعتقد كثيرون أن الصينية ستكون هي اللغة السائدة في الإنترنت في غضون عقد أو عقدين من الزمن. وهي لن تزيح الإنكليزية عن عرشها كلغة مشتركة. ولكن البعض يشيرون إلى أن السوق الآسيوية سوف تلوح في الأفق باعتبارها أكبر من السوق الأمريكية. وإذا أخذنا أمثلة أخرى في التجارة الدولية وقضايا مكافحة الاحتكار، فسنجد أن الاتحاد الأوروبي متوازن مع القوة الأمريكية منذ الآن، ومن المحتمل أن تزيد قوة أوروبا الاقتصادية والطرية الناعمة في السنوات المقبلة.

غير أن الأهم من ذلك هو أن ثورة المعلومات تكون تجمعات وشبكات فعلية تتعدى الحدود الوطنية. فالشركات متعددة الجنسيات واللاعبون غير الحكوميين (بما في ذلك الإرهابيون) سيقومون بأدوار أكبر. وسيكون للكثير من هذه المنظمات قوتها الطرية الناعمة الخاصة بها عندما تجتذب مواطنينا إلى ائتلافات تتجاهل الحدود الوطنية. وكما لاحظ أحد كبار الدبلوماسيين الأمريكيين، فإن المنظمات غير الحكومية «قوة هائلة وهامة... إذ إنها هي القوة الدافعة بالفعل في كثير من قضايا السياسة الأمريكية، من حقوق الإنسان إلى مسائل البيئة»<sup>(7)</sup>. وحسب المقاييس التقليدية للقوة المادية الصلدة، فإن

(7) توماس بيكرينغ، مقتبساً عنه في «مقابلة السياسة الخارجية»، في مجلة فورين بوليسي، عدد تموز/ يوليو - آب / أغسطس، 2001، ص 38.

الولايات المتحدة ستظل هي الأولى بالمقارنة مع الأمم الأخرى. غير أن المقام الأول لن يبقى كما كان عليه الحال في السابق.

فالعولمة - بصفتها تنامي الشبكات والاعتماد المتبادل على صعيد العالم كله - تضع بنوداً جديدة على جدول أعمالنا الوطني والدولي. سواء أحببنا ذلك أم لا. وكثير من هذه القضايا لا نستطيع حلها بأنفسنا. فالاستقرار المالي الدولي حيوي لازدهار الأمريكيين ولكننا نحتاج إلى تعاون الآخرين كي نضمنه. كما أن التغير المناخي العالمي سيؤثر على نوعية الحياة الأمريكية. ولكننا لا نستطيع تدبر أمر هذه المشكلة وحدنا. وفي عالم آخذة حدوده باكتساب صفة المسامية التي ينفذ عبرها كل شيء، من المخدرات إلى الأمراض المعدية إلى الإرهاب، فإننا مرغمون على العمل مع بلدان أخرى وراء حدودهم وداخل حدودنا. وبإعادة صياغة عنوان كتابي السابق، فإننا لسنا مرغمين على القيادة فحسب، بل إننا ملزمون بالتعاون كذلك.

كيف ينبغي أن نقود سياستنا الخارجية في عصر المعلومات المعولمة؟ في المناقشات الحالية حول السياسة الخارجية ينظر البعض إلى رجحان وزن قوتنا فيرى إمبراطورية حديثة. وعلى سبيل المثال، فإن الذين يسمون أنفسهم ريغانيين محدثين يدعمون سياسة خارجية من «الهيمنة الأمريكية الحميدة اللطيفة». فما دامت المثل الأمريكية جيدة، ولدينا القوة العسكرية، فيجب أن لا يجعلنا الآخرون نشعر بأية قيود. وهم يرون أن «على الأمريكيين أن يفهموا أن تأييدهم للتفوق الأمريكي هو تعزيز للعدالة الدولية يعادل ما يستطيع أي شعب أن يقدمه. كما أنه نعمة للمصالح الأمريكية ولما يمكن تسميته بالروح الأمريكية»<sup>(8)</sup>.

(8) روبرت كاغان ووليام كريستول، «الخطر الحالي»، مجلة ذا ناشنال انترست، ربيع سنة

ولكن كثيراً من الواقعيين المحافظين والليبراليين كذلك يعتقدون أن مثل هذه الآراء تفوح منها رائحة عجرفة وغطرسة كفيلتين بتنفيذ أصدقائنا. فقد ظل الأمريكيون يرون دائماً أن أمتنا استثنائية. ولكن حتى إعلان استقلالنا عبر عن «احترام نزيه لآراء الإنسانية». فإذا كنا نعمل حقاً لمصلحة الآخرين ومصلحتنا أيضاً فإن من المفروض أن نعطي الآخرين صوتاً هاماً. وأن ينتهي بنا الأمر بعد ذلك إلى تبني نوع من تعددية الأطراف<sup>(9)</sup>. وكما يلاحظ حلفاؤنا فإنه حتى الأمريكيين ذوي النوايا الطيبة لا يملكون مناعة ضد تحذير اللورد آكتون من كون السلطة قادرة على الإفساد. وكما سنرى في الفصل الخامس، فإن تعلم تحديد مصلحتنا الوطنية، بحيث تشمل المصالح العالمية، سيكون ذا أهمية حساسة لطول عمر قوتنا، وما إذا كان الآخرون سيرون هيمنتنا حميدة لطيفة أم لا.

والأمريكيون منقسمون حول كيفية صياغة علاقتهم ببقية أنحاء العالم. فعند نهاية الحرب الباردة سيطر على كثير من المراقبين هاجس عودة أمريكا إلى نزعة العزلة. غير أن النقاش الدائر اليوم لا يقتصر على الانعزاليين والدوليين، بل هو يدور ضمن معسكر الدوليين، المنقسم بين نزعتي الطرف الأحادي والأطراف المتعددة. فالبعض يحثون على تفرد نرفض فيه تأدية دور المواطن الدولي المطيع، بل نتابع بدلاً من ذلك سعينا لتحقيق غاياتنا الخاصة بلا خجل. وهم يتحدثون عن عالم بقطب واحد بسبب قوتنا التي لا تُضاهى. ولكن القوة العسكرية وحدها - كما سنرى في الصفحات التالية - لا تستطيع أن تعطي النتائج المتوخاة في كثير من القضايا التي تهم الأمريكيين.

وبصفتي مساعداً سابقاً لوزير الدفاع، فإنني سأكون آخر من ينكر الأهمية المستمرة للقوة العسكرية. فدورنا العسكري جوهري للاستقرار العالمي. والرد

(9) روبرت و. تاكر: «القوة الأمريكية - من أجل ماذا؟» (ندوة)، في مجلة كومنتري عدد

كانون الثاني/يناير، 2000، ص 46.



العسكري هو جزء من ردنا على الإرهاب. ولكننا ينبغي أن لا ندع الصورة المجازية للحرب تعمينا عن حقيقة أن قمع الإرهاب سوف يستغرق سنوات من العمل الدؤوب الصبور غير البارز، بما في ذلك التعاون المدني الوثيق مع بلدان أخرى. ففي كثير من القضايا الهامة اليوم، مثل الاستقرار المالي الدولي، أو تهريب المخدرات، أو تغيير مناخ العالم، لا تستطيع القوة العسكرية - ببساطة - أن تنتج نجاحاً. بل إن استخدامها قد يأتي أحياناً بنتائج عكسية. وكما قال والد الرئيس بوش بعد مأساة أيلول/سبتمبر: «تماماً مثلما أيقظت بيرل هاربر هذا البلد من فكرة أننا نستطيع - بطريقة ما - أن نتجنب نداء الواجب والدفاع عن الحرية في أوروبا وآسيا في الحرب العالمية الثانية، فإن هذا الهجوم المفاجئ الأخير يجب أن يزيل المفهوم السائد لدى البعض بأن أمريكا تستطيع - بطريقة ما - أن تمضي وحدها في القتال ضد الإرهاب، بل في أي شيء آخر على الإطلاق»<sup>(10)</sup>.

ولقد اتبع الرد الأمريكي المبدئي هذه النصيحة. فوافق الكونغرس فجأة على دفع المبالغ المستحقة علينا للأمم المتحدة، وقام بتثبيت سفيرنا فيها. وسعى الرئيس للحصول على تأييد الأمم المتحدة، وشدد على إقامة تحالف. أما وزارة الخزانة والبيت الأبيض، اللذان كانا قد خفضا التعاون الدولي ضد ملاذات تبييض الأموال المتهربة من الضرائب، فقد أصبحا داعمين للتعاون بسرعة. ولكن النزعة للتصرف الأحادي لا تزال بعيدة عن الإلغاء. «ففي البداية، كان البنتاغون غير راغب حتى في جعل منظمة حلف شمال الأطلسي تنفذ مادة الدفاع المشترك. وكان الحلفاء يحاولون يائسين إعطاءنا غطاءً أساسياً،

(10) باتريك تايلر وجين بيرليز: «زعماء العالم يُدرجُون شروطهم للانضمام إلى الولايات المتحدة في ائتلاف ويحثون على التعددية»، النيويورك تايمز، عدد 19 أيلول/سبتمبر، 2001، ص1.

وكان البنتاغون يقاوم ذلك . وفي آخر الأمر فهم وزير الدفاع رامسفيلد أن ذلك شيء إضافي موجب، وليس عبثاً سالباً، فاستطاع أن يتقبله<sup>(11)</sup>. غير أن مسؤولين آخرين كانوا يخشون أن التحالفات ستقيد الولايات المتحدة، وأن الاستناد إلى سلطة الأمم المتحدة أو حلف شمال الأطلسي قد يسجل سابقة سيئة. كما أن المناقشات الداخلية حول كيفية تنفيذ مبدأ بوش الخاص بإزالة بلاء الإرهاب أثارت هموماً مقنعة في بلدان أخرى حول كون الولايات المتحدة هي القاضي الوحيد الذي يحكم على كون بلد ما مؤيداً للإرهاب، وعلى الأساليب الملائمة للرد على ذلك<sup>(12)</sup>. وفي الكونغرس، بينما كانت حليفتنا بريطانيا تصادق على معاهدة إيجاد محكمة جزاء دولية، كان السناتور جيسي هيلمز يضغط لتمرير تشريع يخول حكومة أمريكا «أن تتخذ أي إجراء لتحرير جنود أمريكيين تم تسليمهم بطريقة غير لائقة إلى المحكمة، فكان ذلك نصاً أطلقت عليه بعض الوفود «مادة غزو اتفاقية لاهاي»<sup>(13)</sup>. أما كم ستستمر النزعة الجديدة لعددية الأطراف، وما هو مدى العمق الذي تصل إليه، فهذا ما يبقى سؤالاً مفتوحاً.

إن أي تراجع للتوقع وراء تركيز سياسي تقليدي على أحادية القطب، والهيمنة، والسيادة، ونزعة الانفراد باتخاذ قرارات من جانب واحد سوف يفشل في إعطاء المحصلات والنتائج الصحيحة. كما أن الغطرسة المرافقة لهذا

(11) إيلين سيولينو وستيفن لي ميترز، «الولايات المتحدة، تستعد للعمل وحدها وتحذر الطالبان بأن الوقت آخذ في النفاد»، النيويورك تايمز، عدد 7 تشرين الأول/ أكتوبر، سنة 2001، القسم أelf، ص1.

(12) كارين دي يونغ، «الحلفاء حذرون بشأن مذهب بوش»، الواشنطن بوست، عدد 16 تشرين الأول/ أكتوبر، 2001، ص1.

(13) وكالة أسوشيتد برس، «بريطانيا تصادق على معاهدة إيجاد محكمة الجنايات»، الأترناشال هيرالد تريبيون، عدد 5 تشرين الأول/ أكتوبر، 2001.

التفوق ستؤدي إلى تآكل القوة الناعمة الطرية التي هي جزء من الحل على الغالب. إن علينا أن لا ندع وهم الإمبراطورية يعمينا عن الأهمية المتزايدة لقوتنا الطرية الناعمة.

كيف ينبغي أن نتصرف في هذا الزمن من القوة والخطر اللذين لا يضاهيهما شيء؟ وهل نستطيع أن نتعلم كيف نستخدم قوتنا القاسية الصلدة والناعمة والطرية في مزيج مثمر، ليس لدحر الإرهاب فقط، بل للتعامل أيضاً مع القضايا الأخرى في عصر المعلومات العالمية؟ وهل نستطيع أن نستخدم قيادتنا بحكمة أثناء هذه السنوات المبكرة من القرن الجديد لبناء إطار يصمد على المدى البعيد؟ وهل نستطيع أن نروج ونضمن قيمنا الأساسية من الحرية والديمقراطية؟ وهل ترتفع مواقفنا ومؤسساتنا المحلية إلى مستوى التحدي؟ أم هل نبعث ميزتنا بخطرستنا وعدم اهتمامنا؟ ولماذا نعاني مثل هذه الصعوبات في تحديد مصلحتنا الوطنية في عصر المعلومات العالمي هذا؟

كان مخططاً لهذا الكتاب في الأصل أن يكون صرخة إيقاظ للأمريكيين واقتراح بشأن كيفية استخدام قوتنا التي لم يسبق لها مثيل. أما الآن فقد انطلق صوت المذير المنبه بصورة أكثر فاعلية بكثير مما يستطيع تحقيقه أي قلم. ولكننا ما نزال بحاجة إلى أن نقرر كيف نستخدم العقود الحالية لتفوقنا من أجل تنمية مصالحنا القومية والعالمية على المدى البعيد. وسيكون اختبارنا التاريخي هو قدرتنا على تطوير توافق في الآراء حول المبادئ والمعايير التي ستتيح لنا العمل مع الآخرين لتكوين استقرار سياسي، ونمو اقتصادي، وقيم ديمقراطية. فالقوة الأمريكية ليست أبدية. فإذا بعثرنا قوتنا الطرية الناعمة بمزيج من الغطرسة واللامبالاة، فإننا سوف نزيد من انكشافنا وتعرضنا للعطب، ونبيع قيمنا بأبخس الأثمان، ونعجل في تآكل تفوقنا.

وأريد أن أؤكد في ختام هذه التوطئة أن لا تتم قراءة هذا الكتاب بالدرجة الأولى كرد على الهجمات الإرهابية على بلدنا، رغم أن لديه بالفعل شيئاً كثيراً

يقوله عن هذا الموضوع . فاهتمامي أعمق من الهجمات الإرهابية ، رغم فظاعتها . إنه في الحقيقة كتاب عن مستقبل أمريكا - عن كيفية زيادة ميزة القوة التي تنبعث من أعماق قيمنا ، وكيفية الاستفادة منها ، وكيف ينبغي علينا أن نواجه التحديات الرئيسية التي تقابلنا في عصر المعلومات العالمي! ؟ .



نصير  
أحمد ياسين  
لوينر

@Ahmedyassin90

---

## إرشادات

ليس هناك كتاب هو جزيرة منعزلة، وديوني كبيرة. لقد نما هذا الكتاب كحصىلة لمشروع الرؤى الخاصة بحسن الإدارة في القرن الحادي والعشرين في مدرسة جون ف. كيندي للحكم في جامعة هارفارد. وأنا ممتن لشركة كارنيجي، ومؤسسة زيروكس، وروي آش، ودانييل روز، وغيرها لدعمها المشروع، وكذلك للأساتذة والطلبة المشاركين في مجموعاته ومنشوراته الدراسية. وقد تلقى بعضُ العمل المبكر في هذه الصفحات دعماً من مؤسسة سانتشري، فأنا ممتن للمؤسسة ورئيسها، ريتشارد ليون. ولقد كتبت المسودة الأولى لهذا الكتاب بينما كنت في إجازة كأستاذ زائر لكلية أول سولز في أوكسفورد. وأنا ممتن لكلية لدعمها، ونوعية المحادثات الجيدة التي أجريتها فيها، ومطبخها ومائدتها الجيدين.

وقام زملاء كثيرون بقراءة المسودات المبكرة وعلّقوا عليها. وقبل كل شيء، أنا مدينٌ لروبرت و. كيوهين. إذ إنه لم يكن قارئاً وناقداً صبوراً فحسب، ولكنني متأكد أنه هو مصدر كثير من الأفكار في الفصلين الثاني والثالث، وهي تعتمد على بعض الأعمال المبكرة التي قمنا بها معاً. وبعد هذه السنوات الكثيرة من التعاون، لم أعد قادراً على تمييز أصول بعض أفكارنا المشتركة. وهكذا فإنني أعطيه براءة عامة لفضله الشامل، مع امتناني العميق لصداقته القيّمة عبر السنين. وقد خدمني نيل م. روزندورف، ليس فقط

كمساعد باحث لا يتعب، بل كذلك كمؤرخ ثقافي وناقد مقيم وقدم لي عدداً من الأفكار. وقد حلت محله أليكساندرا ساكو بعد مغادرته فأدت عملها باقتدار. وساعد كل من نيل وكورت كامبيل في تقديم اقتراح بأن أولف هذا الكتاب.

وسيكون من المستحيل ذكر جميع الذين نشأت أفكارهم من إلهامهم العقلي، رغم أنني حاولت جهد استطاعتي أن أتذكرهم في بعض الحواشي. غير أنني أستطيع تحديد الذين قرأوا المسودات الأولى وعلقوا عليها كي أشكرهم؛ وهم: كورت كامبيل، روبرت دارنتون، وجون دوناهيو، وجيف فرانكل، وستانلي هوفمان، وأن هوليك، وكارل كايزر، وروبرت لورانس، ودان ناي، ومولي هاردينغ باي، وروبرت أونيل، وإقبال قدیر، وداني رودريك، وجون رگی، وستيفن والت.

وأود أن أشكر تيم بارتليت ومساعدته فرحناز معروف، في مطبعة جامعة أوكسفورد لقيامهما ببعض التحرير الذي قدم لي مساعدة كبيرة تدل على عمق التفكير لديهما، من أفضل ما لقيته خلال حياتي العملية الطويلة. وكنت محظوظاً لكون هيلين ميولز محررة للإنتاج، وسو وارغا كمحررة للنسخ، وقد أسهمتا كثيراً في المنتج النهائي. وقدم رافي ساغالين مشورة عامة جيدة حول وضع الكتاب. وكانت جين ماراسكا صبورة في تحملها لي عبر مسودات كثيرة.

ومنذ ذهابنا إلى أفريقيا معاً قبل أربعين عاماً عاشت معي مولي هاردينغ ناي كل كتي وشاطرني إياها. وليس هناك دين أعظم من الدين الذي أحمله لها في عنقي. وهذا يفسر سبب الإهداء الذي يتصدر الكتاب.

# 1

## العملاق الأمريكي الضخم

لم يحدث منذ أيام روما أن لاحت أمة واحدة متطاوله فوق الآخرين؛ وحسبما قالت مجلة الإيكونوميست، فإن «الولايات المتحدة تتخطى العالم كتمثال هائل. فهي تسيطر على الأعمال، والتجارة، والاتصالات؛ واقتصادها هو الأنجح في العلم كله، وجبروتها لعسكري لا يطاقوله أحد»<sup>(1)</sup>. وفي سنة 1999 جادل وزير الخارجية الفرنسي هيوبير فيدرين بأن الولايات المتحدة قد تجاوزت مكانتها كقوة عظمى للقرن الحادي والعشرين. «إن تفرق الولايات المتحدة يمتد اليوم إلى الاقتصاد، والعملية، والمجالات العسكرية، وطراز الحياة، واللغة، والمنتجات الثقافية الكبرى التي تفرق العالم، وتشكل الفكر، وتفتن حتى أعداء الولايات المتحدة بجاذبية أسرة»<sup>(2)</sup>. أو كما قال أمريكيان

---

(1) «عالم أميركا»، الإيكونوميست، عدد 23 تشرين الأول/ أكتوبر، 1999، ص 15.

(2) لارا مارلو، «وزير فرنسي بحث على دور أكبر للأمم المتحدة لمواجهة القوة المفرطة للولايات المتحدة»، ذي أبريش تايمز، عدد 4 تشرين الثاني/ نوفمبر 1999، ص 14. وكان فيدرين قد نحت عبارة «القوة المفرطة في سنة 1998 ليصف بها الولايات المتحدة، لأن «كلمة القوة العظمى تبدو لي مرتبطة بالحرب الباردة والقضايا =



يتفاخران بانتصار: «إن النظام الدولي اليوم ليس مبنياً على توازن القوى، بل إنه يدور في فلك الهيمنة الأمريكية»<sup>(3)</sup>. فمع تزايد الاعتماد المتبادل على نطاق العالم، جادل كثيرون بأن العولمة هي - ببساطة - قناع للاستعمار الأمريكي. وذكرت المجلة الإخبارية الألمانية ديرشبيغل أن «الأصنام والأيقونات الأمريكية أخذت في تشكيل العالم، من كاتماندو إلى كينشاسا، ومن القاهرة إلى كراكاس. فالعولمة ترتدي لافتة كُتب عليها «صُنع في الولايات المتحدة»<sup>(4)</sup>.

ولا شك في أن الولايات المتحدة هي القوة رقم واحد في العالم. ولكن إلى متى يستمر هذا الوضع، وما الذي ينبغي أن نعمله به؟ يجادل بعض العلماء والباحثين بأن تفوقنا هو - ببساطة - نتيجة انهيار الاتحاد السوفياتي وأن «لحظة القطب الواحد» ستكون قصيرة<sup>(5)</sup>. فينبغي أن تكون استراتيجيتنا هي توفير قوتنا وحسن استخدامها بالاتصال مع العالم بشكل انتقائي فقط. بينما يجادل آخرون بأن قوة أمريكا هي من الضخامة بحيث تستمر عشرات السنين، وأن لحظة القطب الواحد يمكن أن تمتد حتى تصير فترة القطب الواحد<sup>(6)</sup>. وفي أوائل سنة

- 
- العسكرية أكثر من اللازم». هيوبير فيدرين، مع دومينيك موزاي، فرنسا في عصر العولمة (واشنطن - مقاطعة كولومبيا: مطبعة مؤسسة بروكينغز، 2001)، ص 2.
- (3) روبرت كاغان ووليام كريستول، «المخطر الراهن»، مجلة ذي ناشنال إنترست، عدد فصل الربيع لسنة 2000.
- (4) وليام دزوردياك، «حتى الحلقات تُسَخِّطُهُمْ سيطرة الولايات المتحدة»، واشنطن بوست، عدد 4 تشرين الثاني/ نوفمبر، 1997، ص 1.
- (5) انظر تشارلس كرونامر، «مرحلة القطب الواحد» مجلة فورين أفيرز، شتاء 1990 - 1991، ص 23 - 33؛ وكريستوفر لين، «وهم القطب الواحد: لماذا ستظهر قوى عظمى جديدة»، مجلة إنترناشنال سبيكيوري، ربيع 1993، ص 5 - 51؛ وتشارلس كوينشان، «بعد السلام على الطريقة الأمريكية: قوة حميدة، التكامل الإقليمي ومصادر تعدد الأقطاب المستقر»، مجلة إنترناشنال سبيكيوري، خريف سنة 1998.
- (6) وليام وهلفورث، «استقرار العالم ذي القطب الواحد» في كتاب مايكل براون وشركاه، خيارات أمريكا الاستراتيجية، الطبعة المتفحة (كامبريدج، ماساشوسيتس: مطبعة =

2001 جادل شارلس كروثامر بأنه «بعد عقد من قيام برومبيوس العملاق بلعب دور القزم، فإن المهمة الأولى للإدارة الجديدة هي إعادة تأكيد حرية أمريكا في التصرف». فينبغي علينا أن نرفض تأدية دور «المواطن الدولي المطواع... فالنزعة الجديدة للطرف الواحد تدرك الحالة الفردية لعالم القطب الواحد الذي نعيش فيه الآن، وهي بذلك ترسم البداية الحقيقية لسياسة أمريكا الخارجية في عصر ما بعد الحرب الباردة»<sup>(7)</sup>.

وحتى قبل أيلول/ سبتمبر سنة 2001 قام كثيرون بتحديث هذا التوصيف، سواء من الليبراليين أم من المحافظين الذين يعتبرون أنفسهم واقعيين، والذين يعتبرون أنه يكاد يكون هناك قانون طبيعي في السياسة الدولية يقضي بأنه عندما تصبح إحدى الأمم أقوى من اللازم، فإن الآخرين سوف يتكتلون لموازنة قوتها. كانوا يعتقدون أن تفوق أمريكا الراهن شيء زائل ومؤقت<sup>(8)</sup>. وكدليل على ذلك يستشهدون بصحفي هندي بحث على تشكيل مثلث يربط بين روسيا والهند والصين «لتقديم وزن مقابل ما يبدو الآن على نحو خطير أنه عالم ذو قطب واحد»<sup>(9)</sup> أو رئيس فنزويلا عندما أخبر مؤتمراً لمنتجي النفط أن «القرن الحادي والعشرين يجب أن يكون متعدد الأقطاب، وينبغي علينا جميعاً أن ندفع نحو تطوير مثل هذا العالم»<sup>(10)</sup>. وحتى المصادر الصديقة مثل الإيكونوميست

= معهد ميتشغان للتكنولوجيا، (2000)، ص 305، 309؛ وكذلك من منظور ليبرالي، ج. جون إيكينيري «المؤسسات، والقيود الاستراتيجية، واستمرار بقاء النظام الأمريكي فيما بعد الحرب»، مجلة إنترناشنال سيكيوريتي، شتاء 1998 - 99، ص 43 - 78.

(7) شارلس كروثامر، «الأحادية الجديدة» الواشنطن بوست، عدد 8 حزيران/ يونيو، 2001، ص 29.

(8) كينيث والتز، «العولمة وحسن الإدارة»، مجلة بوليتيكال ساينس آند بوليتكس، عدد كانون الأول/ ديسمبر 1999، ص 700.

(9) صوناندا ك. داتا - راي، «هل تتحول شراكة الحلم إلى حقيقة؟»، ذي ستريتس نايمز (سنغافورة)، عدد 25 كانون الأول/ ديسمبر 1998، ص 46.

(10) هيوغو شافيز، مقتبساً عنه في مقال لاري روهتر، «رجل ذو أفكار كبيرة، -

تتفق على أن «عالم القوة العظمى الوحيدة لن يستمر. ففي غضون العقدين المقبلين يكاد يكون من المؤكد أن الصين، بسكانها الذين يصل عددهم إلى مليار ونصف مليار نسمة، واقتصادها المتنامي بقوة، وحكومتها التي يحتمل أن تبقى سلطوية سوف تحاول أن تنمي مصالحها... وعاجلاً أم آجلاً سيقوم رجال أقوياء وشرفاء بلملمة روسيا وتعزيزها، فتعود إلى الظهور كمنافس على النفوذ العالمي»<sup>(11)</sup>. ومن وجهة نظري، فعلى الرغم من الإرهاب سوف يستمر تفوق أمريكا زمنياً طويلاً في هذا القرن، ولكن شريطة أن نتعلم كيف نستخدم قوتنا بحكمة.

إن التنبؤ بصعود الأمم وسقوطها صعب بشكل فظيع. ففي شباط/ فبراير 1941 أعلن الناشر البارز هنري لوس بشجاعة وجرأة عما أسماه «القرن الأمريكي». ومع ذلك فقد اعتقد كثير من المحللين عند حلول ثمانينيات القرن العشرين أن رؤية لوس هذه قد أنهت شوطها، وسقطت ضحية عوامل مثل فيتنام، والاقتصاد الآخذ في التباطؤ، والتمدد الاستعماري الزائد عن اللازم. وفي سنة 1985 تساءل الاقتصادي ليستر ثورو لماذا استمرت روما ألف سنة كجمهورية وإمبراطورية، بينما رحنا نحن ننزلق إلى الانحطاط بعد خمسين سنة فقط<sup>(12)</sup>. وأظهرت استطلاعات الرأي أن نصف الجمهور متفق على أن أمريكا آخذة بالتقلص في قوتها ونفوذها<sup>(13)</sup>.

= وبلد صغير... ونفط، النيويورك تايمز، عدد 24 أيلول/ سبتمبر 2000، «قسم مراجعات الأسبوع»، ص 3.

(11) «عندما ينتهي الهرير النزق»، الإيكونوميست، عدد 13 آذار/ مارس 1999، ص 17.

(12) بول كيندي: صعود القوى العظمى وسقوطها: التفجير الاقتصادي والصراع العسكري من سنة 1500 إلى 2000 (نيويورك: راندوم هاوس، 1987)؛ ليستر ثورو، حل المحصلة صفر (نيويورك: سيمون وشوستر، 1995).

(13) شركة مارتيللا وكيللي (بوسطن، ماساشوسيتس)، أمريكيون يتحدثون عن الأمن، رقم 6، أيار/ مايو 1988، ورقم 8، آب/ أغسطس 1988.

غير أن الانحطاطيين الذين ملأت أسماؤهم قوائم أكثر الكتب مبيعاً قبل عقد من الزمن لم يكونوا أول من أخطأ. فبعد أن خسرت بريطانيا مستعمراتها الأمريكية في القرن الثامن عشر، قام هوارس والبول بنعي بريطانيا التي تقلصت إلى «جزيرة صغيرة تعيسة بائسة» ضئيلة الأهمية مثل الدانمرك وسردينيا<sup>(14)</sup>. وكان تنبؤه متأثراً بالرأي السائد آنذاك حول التجارة الاستعمارية، ففشل في التنبؤ بالثورة الصناعية المقبلة التي سيكون من شأنها إعطاء بريطانيا قرناً آخر من تفوق أعظم حتى مما سبق. وبالمثل فشل الانحطاطيون الأمريكيون في فهم وجود «ثورة صناعية ثالثة» كانت على وشك أن تعطي الولايات المتحدة «قرباً ثانياً»<sup>(15)</sup>. إذ من المؤكد أن الولايات المتحدة هي القائد لثورة المعلومات العالمية.

ومن جهة أخرى، لا شيء يدوم إلى الأبد في السياسة العالمية. فقبل قرن مضى، كانت العولمة الاقتصادية قد وصلت إلى مرحلة عليا تشبه من بعض الجوانب ما هي عليه حالها اليوم. فكان لتمويل العالمي يركز على مقياس الذهب. وكانت الهجرة على مستويات لم يسبق لها مثيل، والتجارة آخذة في التزايد، وكان لبريطانيا إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس أبداً. وكما قال المؤلف وليام بفاف، فإن «الباحثين السياسيين والاقتصاديين المسؤولين في سنة 1900 كانوا سيصفون آفاق القرن العشرين بلا شك أنها ستشهد استمرار المنافسة الاستعمارية ضمن عالم تسيطر عليه أوروبا، مع استمرار الأوروبيين في استعبادهم الأبوي لمستعمراتهم الآسيوية والإفريقية، واستمرار الحكم الدستوري الصلب في أوروبا الغربية، والازدهار المتنامي باطراد، وازدياد

(14) منقول عنه في كتاب بريارا توتشمان، مسيرة الحمقى: من طروادة إلى فيتنام (نيويورك: نوبف، 1984)، ص 221.

(15) دانييل بيل: مجيء مجتمع ما بعد التصنيع: مغامرة في التنبؤ الاجتماعي (نيويورك: بيسك بوكس، 1999 [1973])، مقدمة جديدة، فكرة ترد في مواطن كثيرة مبثوثة في هذا الكتاب.

المعرفة العلمية المستخدمة لفائدة الإنسانية، إلخ. وكانوا على خطأ في تلك النبوءات كلها»<sup>(16)</sup>. لأن ما تلا سنة 1900 بالطبع كان حربين عالميتين والأمراض الاجتماعية الكبرى من الأنظمة الشموية، والفاشية، والشيوعية، ونهاية الإمبراطوريات الأوروبية، ونهاية دور أوروبا كحكم في موازين القوى العالمية. وقد انقلب اتجاه العولمة الاقتصادية، فلم يصل إلى مستوياته التي كان عليها في سنة 1914 إلا في سبعينيات القرن العشرين. ولذا فإن من المتصور أن ذلك يمكن أن يحدث مرة أخرى.

فهل نستطيع أن نفعل أفضل ونحن ندخل القرن الحادي والعشرين؟ إن أسطورة يوغى بيررا (شخص يعتبر من أفضل الممسكين بالكرة في لعبة البيسبول، وقد ظل يلعب لمصلحة فريق اليانكي بنيويورك من سنة 1946 إلى سنة 1963: المترجم) تحذّرنا من القيام بتنبؤات، ولا سيما حول المستقبل. ومع ذلك فلا خيار لنا. إذ إننا نتحرك وصور المستقبل تتراءى في أذهاننا كشرط لازم لتخطيط أعمالنا. ونحن محتاجون إلى هذه الصور على المستوى الوطني كي توجه سياستنا وتخبرنا كيف نستخدم قوتنا التي لم يسبق لها مثيل. وليس هناك بالطبع مستقبل وحيد؛ بل هناك مستقبلات كثيرة ممكنة. وتستطيع نوعية سياستنا الخارجية أن تجعل بعضها أكثر احتمالاً من البعض الآخر. فعندما تنطوي الأنظمة على ردود فعل وتغذيات راجعة معقدة، فإن أسباباً صغيرة قد تكون لها آثار كبيرة. وعندما يشترك الناس في الأمر، فإن رد الفعل الإنساني على النبوءة نفسها قد يجعلها تعجز عن التحقق.

إننا لا نستطيع أن نأمل في التنبؤ بالمستقبل، ولكننا نستطيع أن نرسم تصوراتنا بعناية كي نتجنب بعض الأخطاء الشائعة<sup>(17)</sup>. فقبل عقد من الزمن،

(16) وليام بفاف: عواطف همجية: أمريكا في القرن الجديد، طبعة منقحة، (نيويورك: هيل آند وانغ، 2000)، ص 280.

(17) حول تعقيدات التنبؤات، انظر جوزيف س. ناي الأصغر، «التحديق في المستقبل»، في مجلة فورين آفيرز، عدد تموز/ يوليو - آب/ أغسطس 1994، وانظر أيضاً =

كان يمكن لتحليل أكثر دقة وحرصاً أن ينقذنا من التصوير الخاطئ للانحطاط الأمريكي. وفي وقت أحدث فإن التنبؤات الدقيقة بإرهاب كارثي قد عجزت عن تجنب مأساة قد تؤدي البعض إلى العودة إلى التنبؤ بالانحطاط. ومن المهم منع أخطاء النزوع إلى الانحطاط والنزوع إلى التبجح بالانتصار. فالنزعة الانحطاطية تميل إلى إنتاج سلوك شديد الحذر أكثر من اللازم يمكن أن يقلص نفوذنا؛ أما النزعة الانتصارية فقد تولد غياباً يحتمل أن يكون خطيراً للحفاظ والحرص، كما يولد غطرسة تؤدي أيضاً إلى تضييع نفوذنا. وعن طريق التحليل الدقيق نستطيع أن نتخذ قرارات أفضل حول كيفية حماية شعبنا، ونشر قيمنا، والقيادة إلى عالم أفضل على مدى العقود القليلة المقبلة. ويمكننا أن نبدأ هذا التحليل بتمحيص مصادر قوتنا.

### مصادر القوة الأمريكية

إننا نسمع كثيراً عن مدى ما صارت إليه أمريكا من القوة في السنوات الأخيرة، ولكن ما الذي نقصده بالقوة؟ إنها - ببساطة - قدرتك على التأثير في المحصلات التي تريدها، وأن تغير سلوك الآخرين عند الضرورة لجعل ذلك يحدث. وعلى سبيل المثال فإن القوة العسكرية لحلف شمال الأطلسي قد ردعت سلوبودان ميلوسوفيتش وعكست سياسته في التطهير العرقي في كوسوفو. كما أن وعد صربيا بمساعدة اقتصادية لاقتصادها المدمر قد قلبت ميلها المبدئي لعدم تسليم ميلوسوفيتش لمحكمة لاهاي.

إن قدرة المرء على الحصول على النتائج المرغوبة كثيراً ما ترتبط بامتلاكه موارد معينة. وهكذا فإننا نستخدم عند تعريف القوة تعبيراً مختصراً هو امتلاك كميات كثيرة نسبياً من عناصر كالسكان، والإقليم الجغرافي، والموارد

= روبرت حيرفيز، «مستقبل السياسة العالمية: هل شبه الماضي؟»، مجلة إنترناشنال سيكيوريتي، شتاء 1991 - 92.

الطبيعية، والقوة الاقتصادية، والقوة العسكرية، والاستقرار السياسي. فالقوة بهذا المفهوم تعني الإمساك بالأوراق الرابحة في لعبة البوكر الدولية. فإذا أظهرت أوراقاً قوية، فإن من المحتمل أن يطوي الآخرون ما بأيديهم من أوراق. وبالطبع فإنك إذا أسأت اللعب بأوراقك، أو وقعت ضحية الغش والخداع، تخسر رغم قوتك، أو تفشل على الأقل في الحصول على النتيجة التي تريدها. وعلى سبيل المثال، فقد كانت الولايات المتحدة هي أكبر قوة بعد الحرب العالمية الأولى، ولكنها فشلت في منع صعود هتلر، وفي منع الهجوم الياباني على بيرل هاربر. إن تحويل موارد قوة أمريكا المحتملة إلى قوة متحققة يتطلب سياسة جيدة التصميم وقيادة بارعة. غير أن من المفيد أن يبدأ المرء بالإمساك بالأوراق عالية القيمة.

من الناحية التقليدية، كان اختبار القوة العظمى هو «قوتها على الحرب»<sup>(18)</sup>. فقد كانت الحرب هي اللعبة النهائية التي تمارس على مائدة السياسة الدولية، وبها كان يتم إثبات التخمينات عن القوة النسبية. وعلى مرّ القرون، ومع تطور التكنولوجيا، تغيرت مصادر القوة. ففي الاقتصادات الزراعية في أوروبا القرنين السابع عشر والثامن عشر، كان السكان مصدراً حاسماً الأهمية من مصادر القوة، لأنهم كانوا يقدمون قاعدة للضرائب ولتجنيد المشاة (الذين كانوا في غالبيتهم من المرتزقة)، وقد أعطى هذا المزيج من الرجال والمال ميزة تفوق لفرنسا. غير أن تنامي أهمية الصناعة في القرن التاسع عشر قد أفاد في أول الأمر بريطانيا، التي كانت تحكم الأمواج بأسطول ليس له نظير. ثم كانت الفائدة بعد ذلك لألمانيا، التي استغلت الإدارة الكفوءة وسكك الحديد لنقل الجيوش وتحقيق انتصارات سريعة على القارة (رغم أن روسيا كانت تملك سكاناً أكثر وجيشاً أكبر). وبحلول منتصف القرن العشرين، وبدء

(18) آ. ج. تايلر، الصراع على السيطرة في أوروبا، 1848 - 1918 (أكسفورد: مطبعة

جامعة أكسفورد، 1954)، ص XXIX.

العصر النووي، لم يعد لدى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي قوة صناعية جبارة فحسب، بل ترسانات نووية وقذائف عابرة للقارات كذلك.

أما اليوم فإن أساس القوة آخذ في الابتعاد عن التأكيد على القوة العسكرية والغزو. ومن المفارقات أن الأسلحة النووية كانت من بين أسباب هذا الابتعاد. وكما نعلم من تاريخ الحرب الباردة، فقد ثبت أن الأسلحة النووية مدمرة وفتاكة بشكل رهيب إلى درجة أنها صارت جامدة، ومكلفة أكثر من اللازم بحيث لا يمكن استخدامها، نظرياً، إلا في الحالات القصوى<sup>(19)</sup>. وكان هناك تغيير هام ثانٍ هو صعود التيار القومي، الذي جعل من الصعب على الإمبراطوريات أن تحكم شعوباً استيفظت. ففي القرن التاسع عشر غزت حفنة من المغامرين معظم أفريقيا بحفنة من الحنود، وحكمت بريطانيا الهند بقوة استعمارية تعدادها كسر ضئيل من عدد السكان الأصليين. أما اليوم فإن الحكم الاستعماري ليس عرضة للشجب على نطاق واسع فحسب، بل إنه باهظ الكلفة أيضاً إلى حد لا يطاق، كما اكتشفت القوات العظميان أثناء الحرب الباردة في فيتنام وأفغانستان، فأنهارت الإمبراطورية السوفياتية بعد بضعة عقود فقط من انتهاء الإمبراطورية الأوروبية.

وكان السبب الهام الثالث هو التغير الاجتماعي داخل القوى العظمى. فمجتمعات ما بعد الثورة الصناعية راحت تركز على الرفاه الاجتماعي وليس على المجد. وهي تكره ارتفاع عدد ضحاياها وإصاباتاتها إلا عندما يكون بقاؤها نفسه معرضاً للخطر. غير أن هذا لا يعني أنها لن تستخدم القوة، حتى عندما يكون حدوث الإصابات في صفوفها متوقعاً، كما حدث في

(19) يدور نقاش ساخن بين المنظرين حول ما إذا كان ذلك سوف يتغير مع انتشار الأسلحة النووية إلى دول أخرى. فيجب أن يعمل الردع مع معظم الدول، ولكن احتمالات الحوادث المفاجئة وفقدان السيطرة سوف تزداد. وللإطلاع على آرائي، انظر جوزيف س. ناي الأصغر، الأخلاق النووية (نيويورك: فري برس، 1986).



حرب الخليج سنة 1991 ويحدث في أفغانستان اليوم. ولكن غياب أخلاقيات المحاربين في الديمقراطيات الحديثة يعني أن استخدام القوة يتطلب تبريراً أخلاقياً معقداً التفاصيل لضمان التأييد الشعبي (إلا في الحالات التي يتعرض فيها البقاء للتهديد). وبصورة عامة، هناك ثلاثة أنواع من البلدان في العالم اليوم: الدول الفقيرة الضعيفة التي لم يصلها التصنيع بعد، وهي غالباً البقايا الفوضوية للإمبراطوريات المنهارة، والدول التي تقوم بالتحديث والتصنيع، كالهند أو الصين؛ ومجتمعات ما بعد التصنيع السائدة في أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان. واستعمال القوة مألوف شائع في النوع الأول من البلدان، ولا يزال مقبولاً في النوع الثاني، ولكن التسامح معه أقل في النوع الثالث. وكما قال الدبلوماسي البريطاني روبرت كوبر، فإن «عددًا كبيراً من أقوى الدول لم يعد يريد القتال أو الغزو»<sup>(20)</sup>. فالحرب لا تزال ممكنة. ولكن القبول بها اليوم أقل بكثير مما كان عليه الحال قبل قرن مضى، أو حتى نصف قرن<sup>(21)</sup>.

وأخيراً، فبالنسبة إلى معظم القوى الكبرى اليوم، فإن استخدام القوة يعرض أهدافها الاقتصادية للخطر. وحتى البلدان غير الديمقراطية، التي تشعر بقيود شعبية أخلاقية أقل على استخدام القوة، مضطرة إلى النظر في آثارها على أهدافها الاقتصادية. وكما قال توماس فريدمان فإن البلدان يتحكم فيها ويضبط حركتها «قطاع إلكتروني» من المستثمرين المسيطرين على وصولها إلى رأس المال في اقتصاد معلوم<sup>(22)</sup>. وقد كتب ريتشارد روزكرانس يقول: «في

(20) روبرت كوبر: دولة ما بعد الحداثة والنظام العالمي (لندن: ديموس، 2000)، ص 22.

(21) جون مويلر، التراجع عن يوم القيامة: أفول الحرب الكبرى (نيويورك: بيسك بوكس، 1989).

(22) توماس فريدمان، اللغة وشجرة الزيتون: فهم المعلومة (نيويورك: فرار، وشترأوس وجيروكس، 1999)، الفصل السادس.

الماضي، كان الاستيلاء على أراضي دولة أخرى أرخص من تطوير الجهاز الاقتصادي والتجاري المعقد المطلوب لاستجلاب الفوائد من التبادل التجاري معها<sup>(23)</sup>. فقد استخدمت اليابان الإمبراطورية النهج الأول عندما أوجدت منطقة آسيا الشرقية العظمى للازدهار المتبادل والمشارك في ثلاثينيات القرن العشرين. ولكن اتضح أن دور يابان ما بعد الحرب العالمية الثانية أنجح من ذلك بكثير، مما جعل اقتصادها ثاني أكبر اقتصاد وطني في العالم. ومن الصعب أن يتصور المرء الآن مشهداً تحاول فيه اليابان استعمار جيرانها أو أن تنجح في ذلك.

وكما ذكرنا أعلاه، فإن هذا كله لا يوحي بأن القوة العسكرية لم يعد لها دور توديه في السياسة الدولية اليوم. فمن جهة لم يتم بعد تحويل الجزء الأكبر من العالم بفعل ثورة تدفق المعلومات. ذلك أن كثيراً من الدول لا تقيد حركتها قوى ديمقراطية أو مجتمعية، كما تعلمت الكويت من جارها العراق. ولا تأبه المجموعات الإرهابية بالقيود العادية التي تحد من حركة المجتمعات الليبرالية الحرة. ومن جهة أخرى تنتشر الحروب الأهلية في كثير من أجزاء العالم حيث تركت الإمبراطوريات المنهارة مساحات فارغة من القوة. وعلاوة على ذلك، فإن صعود قوى كبرى جديدة ظل طيلة عصور التاريخ مصحوباً بحالات من القلق، وكان يعجل أحياناً بنشوء أزمات عسكرية. ففي الوصف الخالد للمؤرخ الإغريقي ثيوديديس فإن الحروب الهيلوبونيزية في اليونان القديمة نشأت عن صعود قوة أثينا والمخاوف التي نجمت عنها في إسبارطة<sup>(24)</sup>. ويعود الكثير من أسباب اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى صعود ألمانيا القيصرية، والمخاوف

(23) ريتشارد ن. روزكرانس، صعود الدولة التجارية (نيويورك: بيسك بوكس، 1989)، ص 16، 160.

(24) ثيوديديس، تاريخ الحرب الهيلوبونيزية، ترجمة ركس وارنر (لندن: بنغوين، 1972)، الكتاب الأول، الفصل الأول.

التي نجمت عن ذلك في بريطانيا<sup>(25)</sup>. ويتنبأ البعض بآلية حركية مماثلة في هذا القرن ستنتج عن صعود الصين، والمخاوف التي تكونها في الولايات المتحدة.

ولم تحل الجغرافيا الاقتصادية محل الجغرافيا السياسية رغم أن مطلع القرن الحادي والعشرين قد شهد بوضوح امحاء الحدود التقليدية بين الاثنين. ذلك أن تجاهل دور القوة ومركزية الشؤون الأمنية سيكون كتجاهل الأوكسجين. ففي ظل الظروف العادية، يتواجد الأوكسجين بكثرة فلا نعيه اهتماماً يذكر. ولكن ما إن تتغير هذه الظروف ونبدأ في افتقاد الأوكسجين، حتى نعجز عن التركيز على أي شيء آخر<sup>(26)</sup>. وحتى في الميادين التي يسقط فيها استخدام القوة المباشر - كما هي الحال مثلاً ضمن أوروبا الغربية أو بين الولايات المتحدة واليابان - فإن العناصر الفاعلة من غير الدول، كالمنظمات الإرهابية، قد تستخدم القوة. وبالإضافة إلى ذلك فإن القوة العسكرية ما تزال قادرة على القيام بدور سياسي هام بين الأمم المتقدمة. وعلى سبيل المثال، فإن معظم بلدان آسيا الشرقية ترخب بوجود القوات الأمريكية كبوليصة تأمين ضد جيران هم موضع شك لا يقين فيه. وعلاوة على ذلك فإن ردع التهديدات، أو ضمان الوصول إلى مورد حساس الأهمية كالنفط في الخليج الفارسي، يزيد من تأثير أمريكا على حلفائها. وقد تكون العلاقات مباشرة أحياناً؛ ولكنها على الأغلب موجودة في خلفية أذهان رجال السياسة. وحسب وصف وزارة الدفاع فإن إحدى مهمات القوات الأمريكية المتواجدة في الخارج هي «تشكيل البيئة».

(25) أما ألمانيا بدورها، فإنها، مع تقدّم التصنيع وبناء السكك الحديد، راحت تخشى صعود روسيا.

(26) يصور هنري كيسنجر أربعة أنظمة دولية تتواجد جنباً إلى جنب، وهي: الغرب (ونصف الكرة الغربي)، ويتميز بالسلام الديمقراطي؛ وآسيا، حيث الصراع الاستراتيجي ممكن؛ والشرق الأوسط، الذي يتميز بصراع ديني؛ وأفريقيا، حيث تهدد الحروب الأهلية دول ما بعد الاستعمار، «أمريكا على القمة»، مجلة ذي فاشنال إنترست، صيف سنة 2001، ص 14.

وبعد هذا كله، فإن القوة الاقتصادية صارت فعلاً أهم مما كانت عليه في الماضي. بسبب الزيادة النسبية في تكاليف القوة وبسبب التواجد الكبير للأهداف الاقتصادية في قِيَم مجتمعات ما بعد التصنيع<sup>(27)</sup>. وفي عالم من العولمة الاقتصادية، فإن جميع البلدان تعتمد إلى حد ما على قوى سوق خارجة عن سيطرتها المباشرة. وعندما كان الرئيس كلينتون يكافح لموازنة الميزانية الاتحادية في سنة 1993، قال أحد مساعديه إنه لو قَدَّر له أن يولد من جديد فإنه يحب أن يعود تحت اسم «السوق»، لأن من الواضح أن هذا هو أقوى العناصر الفاعلة<sup>(28)</sup>. ولكن الأسواق تقيد حركة البلدان المختلفة بدرجات مختلفة. وبما أن الولايات المتحدة تشكّل مثل هذا الجزء الكبير من السوق في التجارة والمال، فإنها في وضع أفضل من الأرجنتين أو تايلند لفرض شروطها. وإذا كانت البلدان الصغيرة راغبة في دفع ثمن اختيار البقاء خارج السوق، فإنها تستطيع أن تقلل من قدرة البلدان الأخيرة عليها. وهكذا فإن العقوبات الاقتصادية الأمريكية لم يكن لها أثر يُذكر مثلاً في تحسين حقوق الإنسان في ميانمار [بورما] المنعزلة. ثم إن تفضيل صدام حسين لبقائه الذاتي على رفاهية الشعب العراقي قد جعل العقوبات الكاسحة على مدى عشر سنوات تفشل في إسقاط حكمه. كما أن العقوبات الاقتصادية قد تشوّش على الإرهابيين من غير الدول ولكنها لا تردعهم. وتظل القوة العسكرية هامة في ظروف معينة، ولكن من الخطأ التركيز على نحو أضيّق من اللازم على الأبعاد العسكرية للقوة الأمريكية.

(27) روبرت كيوهين وجوزيف س. ناي الأصغر، القوة والاعتماد المتبادل، الطبعة الثالثة (نيويورك: لونغمان، 2000)، الفصل الأول.

(28) جيمي كارفيل، مقتبساً عنه في كتاب بوب وودوارد: جدول الأعمال: داخل بيت كلينتون الأبيض (نيويورك: سيمون وشوستر، 1994)، ص 302.

### القوة الطرية الناعمة

في رأيي أن الولايات المتحدة إذا أرادت أن تظل قوية، فإن الأمريكيين بحاجة أيضاً إلى الاهتمام بقوتنا الطرية الناعمة. فما هو المقصود بالضبط بالقوة الطرية الناعمة؟ إن القوة العسكرية والقوة الاقتصادية معاً مثالان على القوة الصلبة الآمرة التي يمكن استخدامها لإقناع الآخرين بتغيير موقفهم. فالقوة الصلبة يمكن أن تستند إلى محاولات الإقناع (الجزر) وإلى التهديدات (العصي). غير أن هناك طريقة غير مباشرة لممارسة القوة. فقد يحصل بلد ما على النتائج التي يريدها في السياسة العالمية لأن بلداناً أخرى تريد أن تتبعه، معجبة بقيمه، تحذو حذوه وتقتدي بمثاله، متطلعة إلى مستواه من الازدهار والانفتاح. وبهذا المعنى فإن وضع جدول الأعمال في السياسة العالمية واجتذاب الآخرين إليه له أهمية تعادل تماماً أهمية إجبارهم على التغيير باستخدام الأسلحة العسكرية أو الاقتصادية، أو التهديد باستخدامها. وهذا الجانب من القوة - أي جعل الآخرين يريدون ما تريده أنت - أسميه القوة الناعمة الطرية<sup>(29)</sup>. فهي تختار الناس بدلاً من إجبارهم.

فالقوة الناعمة الطرية تركز على وضع جدول الأعمال السياسي بطريقة تشكل تفضيلات الآخرين. ومن الجانب الشخصي، فإن الوالدين الحكيمين يعرفان أنهما إذا ربّيا أطفالهما على المعتقدات والقيم الصحيحة، فإن سلطتهما ستكون أكبر وتستمر أطول مما لو اعتمدا على الضرب وحجب المصروف وحرمانهم من مفاتيح السيارة. وبالمثل فإن الزعماء والمفكرين السياسيين مثل

(29) للاطلاع على مناقشة أكثر تفصيلاً، انظر جوزيف س. ناي الأصغر، مُلزمون بالقيادة: الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية (نيويورك: بيسك بوكس، 1990)، الفصل الثاني. وهذا ينسب على ما أسماه كل من بيتر باشراس ومورتون بارانز «الوجه الثاني للسلطة» في مقالهما المعنون «القرار والقرار: إطار تحليلي»، في مجلة أميركان بوليتيكال ساينس ريفيو، عدد أيلول/سبتمبر، 1963، ص 632 - 642.

أنطونيو غرامسكي قد فهموا منذ زمن طويل القوة التي تأتي من وضع جدول الأعمال والبت في إطار المناقشة. أما القدرة على إثبات التفضيلات فتميل إلى الارتباط بمصادر القوة غير الملموسة، كالثقافة، والعقيدة، والمؤسسات ذات الجاذبية. فإذا استطعت أن أجعلك تريد أن تفعل ما أريده، فإنني لن أضطر إلى إرغامك على عمل ما لا تريد. فإذا كانت الولايات المتحدة تمثل قِيماً يريد الآخرون أن يتبعوها، فستقل كلفة اضطلاعنا بالقيادة. وليست القوة الطرية الناعمة كالنفوذ، رغم أنها من مصادر النفوذ. فبعد كل شيء، أستطيع أن أوثر عليك بالتهديدات والمكافآت. كما أن القوة الناعمة الطرية أكثر من الإقناع أو القدرة على التأثير على الناس بالحجة. إنها القدرة على الإغراء والجذب. وكثيراً ما يؤدي الجذب إلى الموافقة أو التقليد بالاقتراء.

وتنشأ القوة الطرية الناعمة من قِيَمنا إلى حد كبير. وهي قِيَم تعتبر عنها ثقافتنا، والسياسات التي نتبعها داخل بلدنا، والطريقة التي نتصرف بها ونتدبر أمورنا دولياً. وكما سنرى في الفصل التالي، فإن الحكومة قد يصعب عليها أحياناً أن تسيطر على القوة الطرية الناعمة وتستخدمها. إذ إنها مثل الحب، يصعب قياسها وتداولها، كما أنها لا تمس الجميع. ولكن ذلك لا يقلل من أهميتها. وكما قال هيوبير فيدرين متحسراً، فإن الأمريكيين أقوياء إلى هذه الدرجة لأنهم يستطيعون أن «يلهموا أحلام الآخرين ورغباتهم بفضل إتقانهم للصور العالمية عن طريق الأفلام والتلفزيون، ولهذه الأسباب نفسها، فإن أعداداً كبيرة من طلبة البلدان الأخرى يأتون إلى الولايات المتحدة لإكمال دراساتهم»<sup>(30)</sup>. إن القوة الطرية الناعمة حقيقة هامة.

وبالطبع، فإن القوة الصلبة والقوة الناعمة الطرية تتصل كل منهما بالأخرى ويمكن أن تقويها. فكلتاها من جوانب القدرة على تحقيق أغراضنا

(30) فيدرين: فرنسا في عصر العولمة، ص3.

بالتأثير على سلوك الآخرين . وتستطيع مصادر القوة نفسها أحياناً أن تؤثر على طيف السلوك كله من القسر إلى الاجتذاب<sup>(31)</sup> . فالبلد الذي يعاني من انحطاط اقتصادي وعسكري يحتمل أن يفقد قدرته على تشكيل جدول الأعمال العالمي وكذلك جاذبيته . وقد تنشُد بعض البلدان إلى بلدان أخرى ذات قوة صلبة عن طريق أسطورة كون تلك البلدان الأخرى لا تُقهر أو عن طريق الحتمية . وقد حاول كل من هتلر وستالين تطوير مثل هذه الأساطير . كما يمكن استخدام القوة الصلبة لإقامة إمبراطوريات ومؤسسات تضع جدول الأعمال للدول الأصغر - كما يشهد على ذلك حكم الاتحاد السوفياتي لبلدان أوروبا الشرقية ولكن القوة الناعمة الطرية ليست مجرد انعكاس للقوة الصلبة . فالقائمان لم يفقد قوته الناعمة الطرية عندما فقد ولاياته البابوية في إيطاليا في القرن التاسع عشر . وعلى عكس ذلك ، فقد الاتحاد السوفياتي كثيراً من قوته الناعمة الطرية عندما غزا هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، رغم أن موارده الاقتصادية والعسكرية استمرت

(31) إن التمييز بين القوتين الصلبة ، والناعمة الطرية ، يتعلق بالدرجة الأولى في الطبيعة وفي لسلوك معاً وفي كون المصادر مادية ملموسة . فكل منهما تشكل جانباً من قدرة المرء على تحقيق أغراضه من خلال التأثير على سلوك الآخرين . فالقوة الآمرة - أي القدرة على تغيير ما يفعله الآخرون - يمكن أن تستند إلى الإرغام أو الإغراء . أما القوة الانتقائية - أي القدرة على تشكيل ما يريده الآخرون - فيمكن أن تسند على جاذبية ثقافة المرء أو عقيدته الإيديولوجية أو قدرته على التلاعب بجدول أعمال الخيارات السياسية لأنها تبدو بعيدة عن الواقعية أكثر من اللازم . وتراوح أشكال السلوك بين القوة الآمرة والقوة الانتقائية على امتداد سلسلة متصلة من القوة الآمرة ، إلى الإرغام ، فالإغراء ، فوضع جدول الأعمال ، فالاجتذاب ، فالقوة الانتقائية . وتميل مصادر القوة الناعمة الطرية عادة إلى الارتباط مع سلوك القوة الانتقائية ، بينما ترتبط مصادر القوة الصلبة عادة بالقوة الآمرة . ولكن العلاقة غير كاملة . فمثلاً قد تنجذب بلدان إلى بلدان أخرى مالكة للقوة الآمرة بفعل أسطورة كونها لا تُقهر . وقد تُستخدم القوة الآمرة أحياناً لإقامة مؤسسات يُصار إلى اعتبارها شرعية فيما بعد . ولكن الارتباط العام فيه من القوة ما يكفي للسماح باستخدام الإشارة المختزلة إلى القوة الصلبة والقوة الناعمة الطرية .

في النمو. فالسياسات الاستبدادية التي استخدمت القوة السوقية الصلبة انتقصت من قوتها الناعمة الطرية في الحقيقة. كما أن بعض البلدان، مثل كندا، وهولندا، والدول الإسكندنافية لها قوة سياسية أكبر من وزنها العسكري والاقتصادي، لأنها دمجت فيها أسباباً جذابة مثل المساعدة الاقتصادية أو حفظ السلام ضمن تحديداتها للمصلحة الوطنية. وهذه دروس لا يلوم أصحاب المواقف الأحادية إلا أنفسهم إذا نسوها.

لقد قامت بريطانيا في القرن التاسع عشر وأمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين بتوسيع قواهما بتكوين قواعد ومؤسسات لاقتصاد دولي ليبرالي كانت منسجمة مع الهياكل الليبرالية والديمقراطية للرأسمالية البريطانية والأمريكية، التجارة الحرة ومقياس الذهب في حالة بريطانيا، وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية ومؤسسات أخرى في حالة الولايات المتحدة. وإذا استطاع بلد ما أن يجعل قوته مشروعة في أعين الآخرين، فإنه سيلقى مقاومة أقل لرغباته. فإذا كانت ثقافته وعقيدته جذابتين، فإن الآخرين سيتبعونه باستعداد أكثر. فإذا استطاع أن يقيم قواعد منسجمة مع مجتمعه فإن احتمال اضطرابه إلى التغيير سيكون أقل. وإذا استطاع المساعدة في دعم مؤسسات تشجع البلدان الأخرى على توجيه فعالياته أو تحديدها بالطرق التي يفضلها ذلك البلد، فقد لا يحتاج إلى كثير من الجزرات والعصي باهظة الكلفة.

وباختصار، فإن عالمية ثقافة بلد ما وقدرته على إرساء مجموعة من القيم والمؤسسات المفضلة التي تحكم مجالات من النشاط الدولي هي كلها من المصادر الهامة للقوة. إن قيم الديمقراطية، والحرية الشخصية، والحركة الصاعدة إلى الأعلى، والانفتاح، التي كثيراً ما تعبر عنها الثقافة الشعبية الأمريكية، والتعليم العالي، والسياسة الخارجية، تسهم في القوة الأمريكية في ميادين كثيرة. ويرى الصحافي الألماني جوزيف جوف أن قوة أمريكا الناعمة الطرية «تلوح أكبر حتى من أرصدها الاقتصادية والعسكرية، فالثقافة الأمريكية،



سواء الضحل منها أم الرفيع المستوى، تشع إلى الخارج بشدة لم يُرَ مثلها من قَبْلُ إلا في أيام الإمبراطورية الرومانية، ولكن مع انعطاف جديد. فقد كانت ثقافة روما، وثقافة روسيا السوفياتية تتوقف سطوتها بالضبط عند الحدود العسكرية لكل منهما. غير أن قوة أمريكا الطرية الناعمة تحكم إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس.

وبالطبع، فإن القوة الناعمة الطرية ليست قوة ثقافية فقط، بل إن القيم التي تدافع عنها حكومتنا في سلوكها في الداخل (كالديمقراطية مثلاً) وفي المؤسسات الدولية (الإنصات إلى الآخرين) وفي السياسة الخارجية (تدعيم السلام وحقوق الإنسان) تؤثر كذلك على تفضيلات الآخرين. ذلك أننا نستطيع أن نجذب الآخرين (أو ننقرهم) بتأثير المثل الذي نقدمه لهم. ولكن القوة الناعمة الطرية لا تعود إلى الحكومة بالدرجة نفسها التي تعود فيها إليها القوة الصلبة. إذ إن بعض أرصدة القوة الصلبة وموجوداتها (كالقوات المسلحة) هي حكومية على نحو صارم التشدد، وبعضها الآخر وطني متأصل (مثل احتياطاتنا من النفط والغاز، وكثير منها يمكن تحويله إلى سيطرة جماعية) كالموجودات الصناعية التي يمكن حشدها في حالة الطوارئ). وعلى عكس ذلك فإن كثيراً من مصادر القوة الطرية الناعمة منفصلة عن الحكومة الأمريكية، فلا تستجيب لأغراضها إلا جزئياً. ففي فترة الحرب الفيتنامية، على سبيل المثال كانت أغراض سياسة الحكومة الأمريكية والثقافة الشعبية تعملان لأغراض متناقضة. أما اليوم فإن المؤسسات الشعبية والمجموعات غير الحكومية الأمريكية تطور قوة ناعمة طرية قد تتوافق، أو تتعارض، مع أهداف السياسة الخارجية الرسمية. وهذا سبب أدعى إلى جعل حكومتنا تتأكد من أن أعمالها تعزز القوة الأمريكية الطرية الناعمة بدلاً من أن تنتقص منها. وكما سأوضح في الفصل التالي، فإن كل مصادر القوة الناعمة الطرية هذه يحتمل أن تأخذ أهميتها في التزايد في عصر المعلومات العالمية في هذا القرن الجديد. وفي الوقت نفسه فإن الغطرسة،

وعدم المبالاة بآراء الآخرين، والنهج الضيق في تحقيق مصالحنا الوطنية، مما يدافع عنه أصحاب المواقف الأحادية الطرف الجدد، إنما هي الطريق الأكيد لتقويض قوتنا الناعمة الطرية<sup>(32)</sup>.

فالقوة في عصر المعلومات المعولم آخذة في التحول إلى أشياء أقل تجسداً وأقل إرغاماً، وخصوصاً بين البلدان المتقدمة، ولكن معظم العالم ليس مكوناً من مجتمعات ما بعد التصنيع، وهذا يحد من تحول القوة. فهناك أجزاء كبيرة من إفريقيا والشرق الأوسط لا تزال حبيسة في مجتمعات زراعية في مرحلة ما قبل التصنيع، ومؤسستها ضعيفة وحكامها متسلطون. وهناك بلدان أخرى، كالصين والهند والبرازيل، ذات اقتصادات صناعية شبيهة بأجزاء من الغرب عند منتصف القرن العشرين<sup>(33)</sup>. وفي مثل هذا العالم المتنوع، فإن مصادر القوة الثلاثة كلها - العسكرية، والاقتصادية، والناعمة الطرية - تظل واردة وذات صلة، ولو بدرجات مختلفة في علاقات مختلفة. غير أنه إذا استمرت الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية الحالية، فسوف تزداد أهمية القيادة في ثورة المعلومات والقوة الطرية الناعمة في هذا المزيج. ويقدم الجدول 1 - 1 وصفاً مبسطاً لتطور مصادر القوة على مدى القرون القليلة الماضية.

فالقوة في القرن الحادي والعشرين سوف تركز على خليط من المصادر الطرية والناعمة. وليس هناك بلد تتوفر فيه أبعاد القوة الثلاثة كلها - العسكرية، والاقتصادية والناعمة الطرية - أكثر من الولايات المتحدة. وإن أكبر خطأ لنا في مثل هذا العالم هو الوقوع في تحليل أحادي البعد، والاعتقاد أن الاستثمار في القوة العسكرية وحدها كفيلاً بضمان قوتنا.

(32) جوزيف جوف، «من يخاف من السيد الكبير؟» ذي ناشنال إنترست، صيف 2001، ص 43.

(33) انظر كوبر، دولة ما بعد الحداثة؛ بيل، مجيء مجتمع ما بعد التصنيع.

## توازن أم هيمنة؟

إن قوة أمريكا - الصلبة والناعمة الطرية - ليست سوى جزء من القصة. ذلك أن كيفية رد فعل الآخرين على القوة الأمريكية لها أهمية مماثلة في مسألة الاستقرار وحسن الإدارة في هذا العصر العالمي من المعلومات. فكثير من الواقعيين يفرطون في امتداح فضائل توازن القوى الأوروبي التقليدي في القرن التاسع عشر حيث كانت الائتلافات المتغيرة باستمرار قادرة على احتواء طموحات أية قوة عدوانية التوجه على نحو خاص. فهم يحثون الولايات المتحدة على إعادة اكتشاف فضائل توازن القوى على المستوى العالمي اليوم. ففي سبعينيات القرن العشرين، كان ريتشارد نيكسون يجادل بأن «الزمن الوحيد الذي تمتعنا فيه بفترات مديدة من السلام في تاريخ العالم هو الذي ساد فيه توازن للقوى. فخطر الحرب إنما ينشأ عندما تصبح إحدى الأمم أقوى من منافسيها المحتملين بدرجة غير محدودة»<sup>(34)</sup>. أما كون تعدد الأقطاب هذا جيداً أم رديئاً للولايات المتحدة فإنه أمر قابل للجدل. وأنا مرتاب فيه ومتشكك.

الجدول 1 - 1 الدول القيادية ومصادر قوتها، 1500 - 2000

الفترة	الدولة	المصادر الكبرى
القرن السادس عشر	إسبانيا	سبائك الذهب، التجارة الاستعمارية، جيوش المرتزقة، علاقات الأسر الحاكمة
القرن السابع عشر	هولندا	التجارة، أسواق رأس المال، الأسطول
القرن الثامن عشر	فرنسا	السكان، الصناعة الريفية، لإدارة العامة، الجيش، الثقافة (القوة الطرية الناعمة)

(34) نقلاً عن نيكسون في جيمس تشيس ونيقولا إس إكس - ريزوبولوس، «نحو تناغم جديد للأمم: منظور أمريكي» في المجلة الفصلية وورلد بوليسي جورنال، خريف 1999، ص 9.

الفترة	الدولة	المصادر الكبرى
القرن التاسع عشر	بريطانيا	الصناعة، التماسك السياسي، التمويل والائتمان، الأسطول، الأعراف الليبرالية (قوة ناعمة طرية) موقع الجزيرة (يسهل الدفاع عنه)
القرن العشرون	الولايات المتحدة	حجم الاقتصاد، القيادة العلمية والتكنولوجيا، الموقع، القوى والتحالفات العسكرية، الثقافة العالمية الانتشار والأنظمة الليبرالية الدولية (قوة طرية ناعمة)
القرن الحادي والعشرون	الولايات المتحدة	القيادة التكنولوجية، الحجم العسكري والاقتصادي، القوة الناعمة الطرية، محور الاتصالات العابرة للحدود الوطنية في العالم

لقد كانت الحرب هي المرافق الثابت والعنصر الحساس الأهمية لتوازن القوى المتعدد الأقطاب. فقد أعطى التوازن الأوروبي التقليدي استقراراً بمعنى الحفاظ على استقلال معظم البلدان. ولكن كانت هناك حروب بين القوى الكبرى على امتداد ستين بالمئة من السنوات منذ سنة 1500<sup>(35)</sup>. إن الالتزام الروتيني الأعمى بتوازن القوى وتعدد الأقطاب قد يشبث أنه نهج خطر على حسن الإدارة على نطاق عالمي في عالم يمكن أن تتحول الحرب فيه إلى حرب نووية.

لقد شهدت مناطق كثيرة في العالم، وفترات من التاريخ استقراراً تحت الهيمنة، عندما كانت قوة واحدة متفوقة. وقد حذرت مارغريت تاتشر من الانزلاق نحو «مستقبل أوروبي لكل من أوقيانيا وأوراسيا وإيستاشيا - ثلاث

(35) جاك س. ليفي، الحرب في نظام القوى العظمى الحديث، 1495 - 1975

(ليكسينغتون: مطبعة جامعة كتيكي، 1983)، ص 97.

إمبراطوريات تجارية احتكارية عالمية على عداء متزايد مع بعضها بعضاً... .  
وبعبارات أخرى، فإن سنة 2095 قد تبدو مثل سنة 1914، ولكن مُثَلًّا على  
مسرح أوسع نوعاً ما<sup>(36)</sup>. [نسبة إلى المؤلف الإنكليزي جورج أورويل (1903 -  
1950) الذي كتب قصصاً سياسية خيالية تصور كوابيس الحكم الدكتاتوري  
الشمولي وأخطارها على مستقبل الإنسانية: المعرّب] وكانت آراء نيكسون  
وتاتشر كليهما ميكانيكية أكثر من اللازم لأنهما يتجاهلان القوة الناعمة الطرية.  
ويقول جوزيف جوف إن أمريكا استثناء «لأن القوة المفرطة هي أيضاً أكثر  
المجتمعات جاذبية وإغراء في التاريخ. فقد اضطر نابليون إلى الاعتماد على  
الحراب لنشر عقيدة فرنسا الثورية. أما في الحالة الأمريكية فإن الميونيكين  
والموسكوفيين معاً يريدون ما تقدمه الحداثة المفرطة المعبودة»<sup>(37)</sup>.

ويستخدم اصطلاح «توارن القوى» بطرق متناقضة أحياناً. غير أن أكثر  
استعمالاته إثارة للاهتمام هي استعماله كمؤشر للتنبؤ بكيفية سلوك الدول؛ أي:  
هل تتبع سياسات تمنع أي بلد آخر من تنمية قوة يمكن أن تهدد استقلالها؟  
ويعتقد كثيرون استناداً إلى أدلة التاريخ أن تفوق الولايات المتحدة سوف  
يستدعي تحالفاً مضاداً لكفتها الراجحة يؤدي في آخر الأمر إلى الحد من القوة  
الأمريكية. وحسب تعبير كينيث والتز، العالم السياسي الذي يصف نفسه  
بالواقعي فإن «الأصدقاء والأعداء على حد سواء سوف يتصرفون كما تصرف  
البلدان دائماً إزاء تعرضها لتفوق أحدها أو التهديد بتفوقه: أي أنهم سيعملون  
معاً على تصحيح الميزان. فالحالة الراهنة للسياسة الدولية غير طبيعية»<sup>(38)</sup>.

(36) مارغريت تاتشر، «لماذا يجب أن تبقى أمريكا رقم واحد»، مجلة ناشنال ريفيو، عدد  
31 تموز/ يوليو، 1995، ص25.

(37) جوزيف جوف، «الحسد»، ذي نيوريبابليك، عدد 17 كانون الثاني/ يناير، 2000،  
ص6.

(38) كينيث والتز، «العولمة والقوة الأمريكية»، ذي ناشنال إنترست، ربيع سنة 2000،  
ص55 - 56.

وفي رأيي أن مثل هذا التنبؤ الآلي الميكانيكي يخطئ الهدف. فمن جهة نجد أن رد فعل البلدان على صعود قوة وحيدة يكون أحياناً «بركوب الموجة»، أي الانضمام إلى الجانب الذي يبدو قوياً، بدلاً من الجانب الضعيف - تماماً كما فعل موسوليني بالتحالف مع هتلر بعد تردد دام بضع سنوات. كما أن القرب من مصدر التهديد وإحساس به يؤثر على الطريقة التي تتصرف بها لدول<sup>(39)</sup>. فالولايات المتحدة تستفيد من انفصالها الجغرافي عن أوروبا وآسيا في أنها كثيراً ما تظهر كتهديد أقل من البلدان الواقعة في لجوار داخل تلك الأقاليم. ففي سنة 1945 كانت الولايات المتحدة هي الأمة الأقوى على وجه الأرض. وكان التطبيق الآلي الميكانيكي لنظرية التوازن آنئذٍ من شأنه التنبؤ بظهور تحالف ضدها. وبدلاً من ذلك تحالفت أوروبا واليابان مع الأمريكيين لأن الاتحاد السوفياتي، رغم أنه كان الأضعف من حيث القوة الكلية، كان يشكل تهديداً عسكرياً أكبر، بسبب قربه الجغرافي، وأطماعه الثورية المتبقية. واليوم فإن العراق وإيران يكرهان الولايات المتحدة، ويمكن التوقع بأنهما سيعملان معاً للموازنة مع القوة الأمريكية في الخليج، ولكن كلا منهما يقلق من الآخر أكثر. كما أن النزعات القومية قد تعقد التنبؤات. وعلى سبيل المثال، إذا أُعيد توحيد الكوريتين الشمالية والجنوبية، فسيكون لديهما حافز قوي للحفاظ على تحالف مع قوة بعيدة كالولايات المتحدة للتوازن مع جاريهما العملاقين، الصين واليابان. غير أن الشعور القومي الشديد المؤدي إلى معارضة وجود أمريكي يمكن أن يغير هذا إذا كانت الدبلوماسية الأمريكية ثقيلة الوطء. كما أن العناصر الفاعلة من غير الدول قد يكون لها تأثير، كما شهدت على ذلك الطريقة التي غير بها التحالف ضد الإرهاب سلوك بعض الدول بعد أيلول/ سبتمبر سنة 2001.

ويمكن الاحتجاج لكون حالة عدم المساواة في القوة قد تكون مصدراً للسلام والاستقرار. ومهما تكن الطريقة التي تُقاس بها القوة، كما يجادل بعض

(39) ستيفن والت، «تشكيل الأحلاف وميزان القوى»، إنترناشنال سيكيوريتي، ربيع سنة 1985.

المنظرين، فإن توزيع القوى بشكل متساوٍ بين الدول الكبرى كان شيئاً نادراً نسبياً في التاريخ. وكثيراً ما كانت الجهود المبذولة للحفاظ على التوازن تؤدي إلى الحرب. ومن جهة أخرى، فإن عدم المساواة في القوة كثيراً ما كان يؤدي إلى السلام والاستقرار، لأنه لا معنى لإعلان الحرب على دولة مسيطرة. ولقد جادل العالم السياسي روبرت جيلبيس «بأن «السلام البريطاني» و«السلام الأمريكي»، مثل «سلام روما» الإمبراطورية القديمة، يضمن نظاماً دولياً من السلم والأمن النسبيين». كما أن الاقتصادي شارلز كيندلبرغر زعم أنه «لكي يستقر الاقتصاد العالمي يجب أن يكون هناك مثبت، مثبت واحد»<sup>(40)</sup>. ذلك أن حسن إدارة العالم يتطلب دولة كبيرة تأخذ بزمام القيادة. ولكن، ما هي الكمية الضرورية (أو التي يمكن تحملها) من عدم المساواة وإلى متى؟ فإذا كان البلد القائد يملك قوة ناعمة طرية ويتصرف بطريقة تفيد الآخرين، فقد لا تنشأ التحالفات المضادة الفعالة إلا ببطء. ومن جهة أخرى فإنه إذا حدّد البلد القائد مصالحه على نحو ضيق، واستخدم وزنه بخطرسة، فإنه يزيد الحافز لقيام الآخرين بالتنسيق ضده ليتخلصوا من هيمنته.

إن بعض البلدان تغلي بالغيظ تحت وطأة القوة الأمريكية أكثر من غيرها. فكلمة الهيمنة يستخدمها القادة السياسيون في روسيا، والصين، والشرق الأوسط، وفرنسا وغيرها للدلالة على شيء بغض مقيت. ولكنها تستخدم بتواتر أقل وبسلبية أقل في البلدان التي تكون فيها قوة أمريكا الناعمة الطرية فعالة. فإذا كانت الهيمنة تعني القدرة على الإملاء، أو على السيطرة على الأقل، فإن القواعد والترتيبات التي تُدار بموجبها العلاقات الدولية، كما يجادل جو شواغولدشتاين، تشير إلى أن الولايات المتحدة لا تكاد تكون مهيمنة

(40) روبرت جيلبيس، الحرب والتغيير في السياسة العالمية (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 1981)، 144 - 145؛ وتشارلس كيندلبرغر، العالم وقت الكساد، 1929 - 1939 (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 1973)، ص 305.

اليوم<sup>(41)</sup>. صحيح أن لها بالفعل صوتاً وتصويماً مسيطرين في صندوق النقد الدولي، ولكنها لا تستطيع وحدها أن تختار مديره. كما أنها لم تستطع أن تتحكم في أوروبا واليابان في منظمة التجارة العالمية. واعتضت على معاهدة الألغام الأرضية، ولكنها لم تستطع أن تمنع ظهورها إلى حيز الوجود. وبقي صدام حسين في الحكم أكثر من عشر سنوات، رغم المحاولات الأمريكية لطرده. وعارضت الولايات المتحدة حرب روسيا في الشيشان، والحرب الأهلية في كولومبيا، ولكن بلا جدوى. ولو تم تعريف الهيمنة على نحو أكثر تواضعاً بأنها الحالة التي يكون فيها لأحد البلدان مصادر أو قدرات قوة أكثر من غيره بكثير، لكان ذلك رمزاً للتفوق الأمريكي، وليس للهيمنة أو السيطرة بالضرورة<sup>(42)</sup>. وحتى بعد الحرب العالمية الثانية، عندما كانت الولايات المتحدة تسيطر على نصف الإنتاج الاقتصادي في العالم (لأن كل البلدان الأخرى دمرتها الحرب) لم تستطع أن تفوز بالحصول على كل أغراضها<sup>(43)</sup>.

(41) جوشوا س. غولدشتاين، الدوائر الطويلة: الازدهار والحرب في العصر الحديث (نيوهافن، مطبعة جامعة ييل، 1988)، ص 281.

(42) انظر روبرت و. كيوهين، بعد الهيمنة: التعاون والتنافر في الاقتصاد السياسي العالمي (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1984)، ص 235.

(43) على مدى سنوات، حاول عدد من الباحثين أن يتنبأوا بصعود الأمم وسقوطها بتطوير نظرية تاريخية عامة عن التحول إلى الهيمنة. فحاول بعضهم التعميم من تجربة البرتغال، وأسبانيا، وهولندا، وفرنسا، وبريطانيا، وركز آخرون بشكل لصيق أكثر على اضمحلال بريطانيا في القرن العشرين كمؤشر ينمى بمصير لولايات المتحدة، ولكن لم ينجح أي من هذين النهجين. فقد تنأت معظم النظريات بأن أمريكا سوف تضمحل قبل وقت طويل من الآن. ثم إن التعاريف الغامضة والتخطيطات العشوائية تنبها إلى النواقص في مثل هذه النظريات الفضفاضة الكبرى. إذ أن معظمها يحاول أن يحشر التاريخ في أبرة بروكروستيس النظرية، بالتركيز على مصادر معينة للقوة وتجاهل أخرى لها الأهمية نفسها [إشارة إلى بروكروستيس، لص الأساطير الإغريقية الذي قبل إنه كان يخطف الناس، ويضع المخطوف في سرير، فإن كانت ساقاه أطول من أن يتسع لهما السرير قطعهما بلا مبالاة. وإن كان السرير أطول من المخطوف =



وكثيراً ما يتم الاستشهاد بالسَّلام البريطاني في القرن التاسع عشر كمثال على الهيمنة الناجحة، رغم أنها كانت تأتي بعد الولايات المتحدة وروسيا من حيث إجمالي الناتج القومي. ولم تكن بريطانيا متفوّقة أبداً في إنتاجيتها على باقي العالم كما كانت الولايات المتحدة منذ سنة 1945، ولكن - كما سنرى في الفصل الخامس - كان لبريطانيا شيء من القوّة الطرية الناعمة. فقد كانت ثقافة العصر الفكتوري ذات نفوذ وتأثير حول العالم. واكتسبت بريطانيا سمعة عندما حدّدت مصالحتها بطرق أفادت أمماً أخرى (مثل فتح أسواقها للواردات واستئصالها للقرصنة. وأمريكا تنقصها إمبراطورية إقليمية كالتي كانت تملكها بريطانيا، غير أنها تملك عوضاً عن ذلك اقتصاداً وطنياً كبيراً على نطاق قارّي، وقوة طرية ناعمة أكبر، وتشير هذه الفوارق بين بريطانيا وأمريكا إلى قوة باقية أعظم للهيمنة الأمريكيّة. ويجادل العالم السياسي وليام وولفورث بأن الولايات المتحدة متقدمة على منافسيها المحتملين إلى درجة أنهم يجدون أن من الخطر كسب عداوتها المركّزة، بينما تستطيع الدول الحليفة أن تشعر بأن في وسعها الاعتماد على الحماية الأمريكيّة<sup>(44)</sup>. وهكذا يتم إضعاف قوى التوازن.

ومع ذلك، فإذا كانت الدبلوماسية الأمريكيّة أحادية الجانب ومتغترسة،

= مدّهما بالقوة حتى تملأ ذلك السرير: المعزّب]. فالهيمنة يمكن استعمالها كاصطلاح وصفي (رغم أنها محمّلة أحياناً بشحاح وظلال عاطفية)، ولكن نظريات الهيمنة الكبرى ضعيفة في التنوّع بالأحداث المستقبلية. انظر كتاب إيمانويل والرشتاين، سياسات الاقتصاد العالمي: الدول، والحركات، والحضارات: مقالات (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 1984)، ص 38، 41؛ ومقالة جورج مودلسكي: «الدورة الطويلة للسياسة العالمية والأمة: الدولة»، في مجلة دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ (كومبارانيّف سنديز إن سوسيتي آند هيستوري)، عدد نيسان/ إبريل 1978؛ وكتاب جورج مودلسكي، الدورات الطويلة في السياسة العالمية (سياتل: مطبعة جامعة واشنطن، 1987). وللإطلاع على دراسة مفصلة، انظر ناي، ملزومون بالقيادة، الفصل الثاني.

(44) وهلفورث، «استقرار عالم بقطب واحد».

فإن تفوقنا لن يمنع دولاً أخرى وعناصر فاعلة من غير الدول من اتخاذ إجراءات تعقد الحسابات الأمريكية وتقيّد حريتنا في العمل<sup>(45)</sup>. وعلى سبيل المثال، إن بعض الحلفاء قد ينحازون إلى النموذج الأمريكي في أكبر القضايا الأمنية، ولكنهم يشكّلون تحالفات للتوازن مع السلوك الأمريكي في مجالات أخرى، كالتجارة والبيئة. كما أن المناورات الدبلوماسية التي لا تصل إلى درجة التحالف يمكن أن تكون لها تأثيرات سياسية. وكما لاحظ وليام سافاير عندما التقى الرئيسان فلاديمير بوتين وجورج ووكر بوش لأول مرة: «إن بوتين يعي جيداً ضعف الأوراق التي في يده، ولذا فإنه يقلّد نيكسون بلعب ورقة الصين. ففي حركة ذات مغزى، وقبيل الاجتماع مع بوش، سافر بوتين إلى شنغهاي لإقامة شبه تحالف تعاوني مع جيانغ زيمين وبعض زملائه المسافرين الآسيويين»<sup>(46)</sup>. وحسب رأي أحد الصحفيين، فإن تكتيكات بوتين قد «جعلت السيد بوش يتخذ موقف الدفاع، فبذل جهداً كبيراً للتأكيد لضيفه أن أمريكا لم تكن تنوي اتخاذ مواقف أحادية الجانب في الشؤون الدولية»<sup>(47)</sup>.

إن من المحتمل أن يدوم السّلام الأمريكي، لا بسبب قوة أمريكا الصلبة التي لا تُضاهى فحسب، ولكن طيلة بقاء الولايات المتحدة «قادرة بصورة فريدة على ممارسة «ضبط النفس الاستراتيجي»، وطمأنة شركائها وتسهيلها للتعاون»<sup>(48)</sup>. فالطريقة المفتوحة والتعددية التي تُصنّع بها سياستنا الخارجية

(45) ستيفن والت، «إبقاء العالم مضطرب التوازن»: ضبط النفس والسياسة الخارجية الأمريكية، سلسلة أوراق العمل في مدرسة كيندي للبحوث 00-013، تشرين الأول/أكتوبر 2000.

(46) وليام سافاير، «ورقة الصين في يد بوتين»، النيويورك تايمز، عدد 18 حزيران/يونيو، 2001، القسم 8، ص 29.

(47) باتريث تايلر، «بوش وبوتين ينظر كل منهما في عين الآخر»، النيويورك تايمز، عدد 17 حزيران، 2001، القسم 8، ص 10.

(48) إيكينري، «المؤسسات وضبط النفس الاستراتيجي»، ص 47؛ وكذلك إيكينري، -

تستطيع في أغلب الأحيان أن تقلل من المفاجآت، فتسمح للآخرين بأن يكون لهم صوت وتسهم في قوتنا الناعمة الطرية. وعلاوة على ذلك فإن تفوق أمريكا تخف وطأته عندما يتجسد في شبكة من المؤسسات المتعددة الأطراف التي تتيح للآخرين أن يشاركوا في القرارات، وتعمل كنوع من الدستور العالمي الذي يحد من التقلبات المزاجية للقوة الأمريكية. فقد كان ذلك هو الدرس الذي تعلمناه عندما كنا نكافح لإيجاد تحالف مضاد للإرهاب في أعقاب هجمات أيلول/سبتمبر سنة 2001. فعندما يكون مجتمع المهيمن وثقافته جذابين، يتناقص الإحساس بالتهديد وبالحاجة إلى موازنته<sup>(49)</sup>. أما إن كانت البلدان الأخرى مستتحد للنوازن مع القوة الأمريكية فإن ذلك سوف يعتمد على كيفية سلوك الولايات المتحدة، وكذلك على مصادر القوة لدى أصحاب مثل هذا التحدي المحتمل.

### مُتَّخِذُونَ جُلْد؟

إن فترات القوة التي لا نظير لها يمكن أن تنتج استقراراً. أما إذا شعرت البلدان الصاعدة بالغيظ من السياسات التي تفرضها الدولة الأكبر، فإنها قد تتحدى الدولة القائدة وتشكل تحالفات للتغلب على قوتها. وإذن فمن هم المرشحون المحتملون الذين قد يَتَحَدُّون الولايات المتحدة، وما مدى الخطر الذي يمثلونه؟

### الصين

يرى كثيرون أن الصين، أكثر بلدان العالم سكاناً، هي المرشح

- «فهم الهيمنة بشكل صحيح»، مجلة ذي ناشنال إنترست، ربيع سنة 2001، ص 17 - 24.

(49) جوزيف جوف، «كيف تفعلها أمريكا»، مجلة فورين أفيرز، عدد أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر، 1997.

الأبرز<sup>(50)</sup>. فلقد دأب جميع المعلقين تقريباً وعلى مدى سنوات على اعتبار الصين أقوى احتمال مشكوك به في السعي إلى مكانة «النذ المنافس» في المستقبل<sup>(51)</sup>. وأظهرت استطلاعات الرأي أن نصف الجمهور الأمريكي يعتقد أن الصين ستمثل أكبر تحدٍّ لمكانة أمريكا كقوة عالمية في السنوات المئة المقبلة (بالمقارنة مع ثمانية بالمئة لليابان وستة بالمئة لروسيا وأوروبا)<sup>(52)</sup>. ويقارن بعض المراقبين صعود الصين السلطوية بصعود ألمانيا القيصريّة في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى. وعلى سبيل المثال فإن المختص بدراسة شؤون الصين، آرثر والدرون يجادل بأنّه «إذا استمرت الاتجاهات الراهنة، فستصبح الحرب في آسيا محتملة عاجلاً أم آجلاً... فالصين اليوم تسعى بشكل حثيث لإخافة الولايات المتحدة كي تبتعد عن آسيا الشرقية، بطريقة تشبه إلى حدٍّ ما سعي ألمانيا لإخافة بريطانيا قبل الحرب العالمية الأولى». وبالمثل يزعم كاتب العمود الصحفي روبرت كانمان أن «القيادة الصينية تنظر إلى العالم بالطريقة نفسها التي كانت تميز نظرة القيصر غليوم الثاني قبل قرن مضى... فالزعماء الصينيون ساخطون على القيود التي تحد من حركتهم وهم قلقون لأنهم يعتقدون أن عليهم أن يغيروا قواعد النظام الدولي قبل أن يغيّرهم النظام الدولي<sup>(53)</sup>. ولطالما تدمّر الزعماء الصينيون من اتباع أمريكا «السياسة القوارب المسلّحة»، ودعوا روسيا، وفرنسا وغيرهما للانضمام إلى الصين في مقاومة

(50) مايكل براون وشركاه، صعود الصين (كمبريدج - ماساشوسيتس: مطبعة معهد ميتشعان للتكنولوجيا، 2000).

(51) كورال بيل، «TK»، مجلة ذي ناشنال إنترست، خريف 1999، ص 56.

(52) «الرأي الأمريكي»، وول ستريت جورنال، عدد 16 أيلول/ سبتمبر 1999، القسم 8، ص 9.

(53) آرثر والدرون، «كيفية عدم التعامل مع الصين»، كومنثري، آذار/ مارس، 1997؛ روبرت كينغ، «ما تعرفه الصين ولا نعرفه»، ذي ويكلي ستاندارد، 20 كانون الثاني/ يناير، 1997.

«نزعة الهيمنة» الأمريكية<sup>(54)</sup>. وعلاوة على ذلك فإن الصينيين يصوّرون الولايات المتحدة بشكل روتيني على أنها «العدو رقم 1» في البيانات الحكومية، والتقارير الإخبارية في الصحف التي تديرها الدولة، وفي الكتب والمقابلات<sup>(55)</sup>. وكما قال اثنان من المحللين الجادين: «ليس من المحتم أن تشكّل الصين تهديداً للمصالح الأمريكية، ولكن هناك احتمالاً بخوض الولايات المتحدة حرباً ضد الصين أكثر من احتمال خوضها مع أية قوة كبرى غيرها»<sup>(56)</sup>.

غير أننا ينبغي أن نتشكك في الخروج باستنتاجات لا تقوم إلا على أساس الخطاب الحالي، وخطط الطوارئ العسكرية الجاهزة، والقياسات المعيبة على حالات تاريخية. ففي كل من الصين والولايات المتحدة، نجد أن إدراك كل من البلدين للآخر يعطي صورة شديدة التأثير بالصراعات السياسية المحلية فيهما، وهناك أناس في البلدين كليهما يريدون أن يعتبروا الطرف الآخر عدواً. وحتى بدون مثل هذه التشويهات المحرّفة، فإن العسكريين على الجانبين سوف يعتبرهم أبناء بلدهم مقصّرين في واجباتهم إذا لم يخططوا لكل الحالات. أما بالنسبة للتاريخ، فإن من المهم أن نتذكر أنه بحلول سنة 1900 كانت ألمانيا قد تفوّقت على بريطانيا في القوة الصناعية، وكان القيصر يتبع سياسة خارجية مغامرة موجهة عالمياً على نحو يحتم حدوث صدام مع القوى الكبرى الأخرى. وعلى عكس ذلك فإن الصين متخلّفة اقتصادياً وراء الولايات المتحدة. وقد ركّزت سياساتها على منطقتها بالدرجة الأولى وعلى تنميتها الاقتصادية. أما عقيدتها الرسمية الشيوعية فليس فيها ما يثير الإعجاب. ومع ذلك فإن صعود

(54) «الصين تضرب الولايات المتحدة: «دبلوماسية السفن المسلّحة»»، صحيفة الفاينانشال تايمز (لندن)، عدد 4 أيلول/ سبتمبر، 1999، ص4.

(55) جون بومفيرت، «الولايات المتحدة الآن «تهديد» في أعين الصينيين»، الواشنطن بوست، عدد 15 تشرين الثاني/ نوفمبر، 2000، ص1.

(56) ريتشارد ك. بيتش وتوماس ج. كريستنسن، «الصين: فهم المسائل بصورة صحيحة»، ذي ناشنال إنترست، شتاء 2000 - 2001، ص17.

الصين يذكّرنا بتحذير ثيوديديس من أن الإيمان بحتمية الصراع قد يصبح أحد أسبابه الرئيسية<sup>(57)</sup>. إذ أن كل جانب يعتقد أن الأمر سينتهي به إلى حرب مع الجانب الآخر، فيتخذ استعدادات عسكرية معقولة، فيقرأ الجانب الآخر هذه الاستعدادات على أنها تأكيد لأسوأ مخاوفه.

والواقع أن عبارة صعود الصين اسم على غير مسمى، إذ إن عبارة «عودة الظهور» ستكون أدق، بما أن المملكة الوسطى كانت من حيث الحجم والتاريخ لفترة طويلة، قوة كبرى في شرق آسيا. فقد كانت الصين فنياً واقتصادياً قائدة للعالم (ولو بدون امتداد عالمي) من سنة 500 إلى سنة 1500. فلم تتفوق عليها أوروبا وأمريكا إلا في نصف الألفية الأخيرة. ولقد قدّرت حسابات بنك آسيا للتنمية أنه في سنة 1820، عند بداية العصر الصناعي، كانت آسيا تنتج ما يُقدر بثلاثة أخماس إنتاج العالم. وبحلول سنة 1940 كان هذا قد انخفض إلى الخمس، رغم أن المنطقة المنتجة له موطن لثلاثة أخماس سكان العالم. وأدّى النمو الاقتصادي إلى إعادة ذلك إلى الخمسين اليوم. ويتكهن البنك المذكور بأن آسيا قد تعود إلى مستواها التاريخي بحلول سنة 2025<sup>(58)</sup>. وتشمل آسيا بالطبع اليابان، والهند، وكوريا وغيرها. ولكن الصين ستلعب أكبر دور في آخر الأمر. فقد أدّى معدل نموها السنوي العالي (من 8 إلى 9 بالمئة) إلى مضاعفة ناتجها القومي الإجمالي ثلاث مرّات في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. وقد أدّى هذا الأداء الاقتصادي المفاجئ الكبير، مع الثقافة الكونفوشية، إلى تعزيز قوة الصين الناعمة الطرية في المنطقة.

ومع ذلك، فلا يزان أمام الصين شوط طويل، وهي تواجه عقبات كثيرة في وجه تنميتها. ففي بداية القرن العشرين، يعادل الاقتصاد الأمريكي ضعف

(57) ثيوسيديديس، تاريخ الحرب البيلوبونيسية، ص 62.

(58) المصرف الآسيوي للتنمية، آسيا الآخذة في البروز (مانيل: المصرف الآسيوي للتنمية، 1997)، ص 11.

الاقتصاد الصيني تقريباً. فإذا أخذ الاقتصاد الأمريكي يمو بمعدل اثنين بالمئة، بينما ينمو الاقتصاد الصيني بمعدل ستة بالمئة، فسوف يصبح حجمهما متعادلاً في نحو سنة 2020. ومع ذلك فسيكونان متعادلين عندئذ في لحجم، وليس في التركيب، إذ سوف يبقى لدى الصين ريفٌ متخلف شاسع المساحة، والواقع أنه مع افتراض نمو صيني بمعدل ستة بالمئة، و نمو أمريكي بمعدل اثنين بالمئة فقط، فلن تتعادل الصين مع الولايات المتحدة في معدل الدخل لكل شخص إلا في وقتٍ ما بين سنتي 2065 و 2095 (حسب مقاييس المقارنة)<sup>(59)</sup>. فبلغة القوة السياسية، يعطي دخل الفرد مقياساً أدق لتعقيدات تركيب اقتصادٍ ما. وتقول تنبؤات البنك الآسيوي للتنمية إن دخل الفرد في الصين سيصل إلى 38 بالمئة من دخل الفرد في الولايات المتحدة بحلول سنة 2025. وهذه نسبة وصل إليها دخل الفرد الكوري بالنسبة إلى الولايات المتحدة في سنة 1990<sup>(60)</sup>. وهذا نمو مثير للإعجاب، ولكنه يبعد كثيراً عن المساواة. وبما أن من غير المحتمل أن تظل الولايات المتحدة واقفة ساكنة أثناء تلك الفترة، فإن الصين بعيدة من أن تشكل تحدياً للتفوق الأمريكي من النوع الذي نجم عن

(59) تم حساب الأرقام باستخدام بيانات من وكالة المخابرات المركزية: كتاب حقائق عن العالم سنة 2000

(<http://www.cia.gov/cia/publications/factbook/>)

(لمعادلات القوة الشرائية) والبنك الدولي

(<http://www.worldbank.org/data/wdi2001/pdfs/tab1-1.1.pdf>)

من أجل الأسعار الرسمية لصرف العملات. وتم قياس الحجم بحسب معادلات القوة الشرائية التي تصحح تكاليف السلع بالعملات المختلفة؛ ولن يحدث التعادل في الحجم حتى سنة 2056 إذا تم قياسه بأسعار الصرف الرسمية. فإذا حدث النمو في الولايات المتحدة بمعدل 3 بالمئة في السنة، فقد يحدث التلاقي بين سنتي 2022 و 2075 (بحسب القياس). وأقدم الشكر لخريجي مدرسة كيندي - إبراهيم عصفه وفرانيسكو بلانش، لتقديمهما مهارتهما الحسابية التخمينية.

(60) المصدر السابق نفسه.

تفوق ألمانيا القيصرية على بريطانيا في مطلع القرن العشرين.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن إسقاطات النمو الاقتصادي التي تنبأ باتجاهاتها الخطوط البيانية قد تكون مضللة. إذ إن البلدان تميل إلى التقاط الثمرة المتدلية قريباً منها عندما تستفيد من التكنولوجيا المستوردة في المراحل المبكرة من الانطلاق الاقتصادي. ومعدلات النمو تتباطأ على وجه العموم عندما يصل الاقتصاد إلى مستوى أعلى من التنمية. يضاف إلى ذلك أن الاقتصاد الصيني يواجه عقبات خطيرة عند الانتقال من المشاريع غير الكفوءة التي تملكها الدولة، ويعاني من نظام مالي مهزوز، وبنية تحتية غير كافية. ثم إن تنامي عدم المساواة، والهجرة الجماعية الداخلية الكثيفة، وشبكة الضمان الاجتماعي غير الكافية، والفساد، والمؤسسات غير المناسبة يمكن أن تغذي عدم الاستقرار السياسي. كما أن التعامل مع تدفق المعلومات المتزايد بشكل كبير، في وقت يمكن أن تعيق فيه القيود النمو الاقتصادي سوف يشكل مأزقاً حاداً للقادة الصينيين. وكما يشير دوايت بيركينز، الاقتصادي من جامعة هارفارد، فإن «كثيراً من النجاح المبكر في إصلاحات السوق... قد نجم عن البساطة الأساسية لهذه المهمة». ذلك أن عملية تكوين حكم القانون والمؤسسات المناسبة الكافية في المجال الاقتصادي سوف «تُقاس بالعقود، وليس بالسنوات والأشهر»<sup>(61)</sup>. بل إن بعض المراقبين يخشون عدم الاستقرار الذي سينجم عن الصين المنهارة وليس عن الصين الصاعدة<sup>(62)</sup>. فالصين العاجزة عن ضبط نموها السكاني، أو السيطرة على تدفق الهجرة، أو التأثيرات البيئية على المناخ العالمي، والنزاع الداخلي، إنما تواجه مجموعة أخرى من المشاكل. فللسياسة طريقها في تعقيد التنبؤات الاقتصادية.

(61) دوايت بيركينز، «التحديات المؤسسية للانتقال الاقتصادي في آسيا»، ورقة مقدمة في الجامعة الوطنية الأسترالية، أيلول/سبتمبر 2000، ص 48.

(62) انظر ميرل غولدمان، ورجامينون وريشارد إيلينغز، «رسائل من القراء»، كومنترى، شباط/فبراير 2001، ص 13، 19.



وما دام اقتصاد الصين آخذاً في النمو فعلاً، ضمن المحتمل أن تتزايد قوتها العسكرية، مما يجعلها تبدو خطيرة على جيرانها، ويعقد التزامات أمريكا في المنطقة. وتنبأ دراسة أعدتها مؤسسة راند RAND أنه بحلول سنة 2015 ستكون نفقات الصين العسكرية ستة أضعاف نفقات اليابان، كما أن رأسمالها العسكري المتراكم سيصل إلى خمسة أضعاف ما لدى اليابان (بحسب قياس تعادل القوة الشرائية)<sup>(63)</sup>. ذلك أن حرب الخليج سنة 1991 قد أظهرت للقادة الصينيين مدى تخلف الصين في مجال القدرات العسكرية الحديثة، ونتيجة لذلك فقد ضاعفوا نفقاتهم العسكرية تقريباً في غضون عقد التسعينيات من القرن العشرين. ومع ذلك فإن الميزانية العسكرية الإجمالية للصين قد انخفضت من 2,5 بالمئة إلى 2 بالمئة من إجمالي ناتجها المحلي في العقد الأخير من القرن العشرين، وإن ضعف نظامها السياسي يجعلها غير كفوءة في تحويل المصادر الاقتصادية إلى قدرة عسكرية<sup>(64)</sup>. ويعتقد بعض المراقبين أن الصين قد تحقق بحلول سنة 2005 طاقة عسكرية شبيهة بما كان لدى بلد أوروبي في أوائل ثمانينيات القرن العشرين. بينما يشعر آخرون بقلق أكبر، مستشهدين بالتكنولوجيا المستوردة من روسيا<sup>(65)</sup>. وعلى أية حال فإن القدرة العسكرية الصينية المتنامية سوف تعني أن الدور العسكري لأمريكا في المنطقة يحتاج إلى المزيد من الموارد.

(63) تشارلس وولف الأصغر، أنيل باميزاي، ك. س. ياه، وبنيامين زيشر، الإتجاهات الاقتصادية الآسيوية وآثارها الأمنية (سانتا مونيكا: راند RAND، 2000)، ص 19 - 22.

(64) دافيد م. لامبتون وغريغوري س. ماي، جدول أعمال للقوى العظمى لآسيا الشرقية: أمريكا، والصين واليابان (واشنطن، مقاطعة كولومبيا. مركز نيكسون، 2000)، ص 13. وتستخدم هذه الحسابات الدولارات بتجانس مطرد حسب أسعار الصرف في الأسواق، وأعلى من الأرقام الرسمية الصينية.

(65) دافيد شاموه، «احتواء أم اشتباك في الصين؟ حساب ردود الفعل الصينية»، إنترناشنال سيكيوريتي، خريف 1996، ص 21.

ومهما كان مدى دقة هذه التقديرات لنمو الصين العسكري فإن أكثر الأدوات فائدة لأغراضنا هي التقييم المقارن. وهذا يعتمد على ما ستفعله الولايات المتحدة (وغيرها من البلدان) على امتداد العقود المقبلة. فالقوة العسكرية في عصر المعلومات يعتمد مفتاحها على القدرة على جمع البيانات، ومعالجتها، ونشرها وإدماجها من أنظمة معقدة لعمليات المسح الفضائي، وأجهزة الكمبيوتر العالية السرعة، والأسلحة «الذكية». وستقوم الصين (وآخرون) بتطوير بعض هذه القدرات، ولكن حسب رأي المحلل الأسترالي بول ديب فإن الثورة في الشؤون العسكرية «سوف تستمر في إعطاء الميزة بشكل ثقيل للتفوق العسكري الأمريكي. وليس من المحتمل أن تسد الصين فجوة هذه الثورة بينها وبين أمريكا بأية طريقة ذات معنى»<sup>(66)</sup>.

ويعتقد روبرت كانمان أن الصين تهدف «في المدى القريب إلى الحلول محل الولايات المتحدة كقوة مهيمنة في آسيا الشرقية، كما تهدف في المدى المتوسط إلى تحدي مركز أمريكا باعتبارها القوة المسيطرة في العالم»<sup>(67)</sup>. وحتى لو كان هذا التقدير لنوايا الصين دقيقاً (وهو موضع أخذ ورد بين الخبراء)، فإن من المشكوك فيه أن الصين ستمتلك القدرة والإمكانية. فلكل بلد قائمة بالرغبات التي تبدو كقائمة بالمأكولات بدون أسعار إلى جانبها. ولو تركت الصين وشأنها فقد ترغب في إرغام تاوان على العودة إليها بالقوة، وفي السيطرة على بحر الصين الجنوبي، وفي أن يتم الاعتراف بها باعتبارها الدولة الأولى في منطقة آسيا الشرقية. ولكن يتعين على القادة الصينيين أن يضعوا في الحسبان الثمن الذي تفرضه البلدان الأخرى، وكذلك القيود التي تكونها أهدافها

(66) بول ديب، د. د. هيل، وب، باريس، «انعدام أمن آسيا»، مجلة سرفايفر، خريف 1999، ص 5-20.

(67) روبرت كاغان، «ما الذي تعرفه الصين ولا نعرفه نحن»، ذي ويكلي ستاندارد، عدد 20 كانون الثاني/يناير، 1997.

ذاتها في النمو الاقتصادي والحاجة إلى أسواق وموارد خارجية. وعلاوة على ذلك فإن أي موقف صيني هجومي أو عدواني أكثر من اللازم يمكن أن يَنْجُمَ عنه تحالف بين جيرانها للتوازن معها في المنطقة يكون من شأنه إضعاف قوتها بنوعيتها الصلب والطري الناعم.

على أن عدم احتمال تحوّل الصين إلى نُد منافس للولايات المتحدة لا يعني أنّها لا تستطيع أن تتحدّى الولايات المتحدة في شرق آسيا، أو أن الحرب بسبب تايوان ليست ممكنة. إذ إن البلدان الأضعف تهاجم أحياناً إذا شعرت أنّها قد حُشِرَتْ في زاوية، كما فعلت اليابان في بيرل هاربر، وكما فعلت الصين عندما دخلت الحرب الكورية في سنة 1950. ففي ظل ظروف معينة فإن من المحتمل أن لا يكون هناك ما يردع بكين على الإطلاق. فإذا أعلنت تايوان استقلالها، على سبيل المثال، فإن من الصعب أن يتصوّر المرء أن الصين ستتخلّى عن استخدام القوة ضد تايوان، مهما كانت التكاليف الاقتصادية والعسكرية، ومهما كان طول زمن التدخل الأمريكي المحتمل ومدى شدته، وبغضّ النظر عن توازن القوى في المنطقة<sup>(68)</sup>. ولكن لن يكون من المحتمل أن تكسب الصين مثل هذه الحرب.

ومن المعوقات الهامة للطموحات الصينية: التحالف الأمريكي - الياباني، الذي أعاد توكيده إعلان كلينتون - هاشيموتو سنة 1996 باعتباره أساساً للاستقرار في شرق آسيا فيما بعد الحرب الباردة. وهذا يعني أنه في السياسات المثلثة في المنطقة، لا تستطيع الصين أن تجعل اليابان تواجه الولايات المتحدة، أو تحاول أن تطرد الأمريكيين من المنطقة. ومن موقع القوة هذا، تستطيع الولايات المتحدة واليابان أن تعمل على إشغال الصين أثناء تزايد

(68) توماس ج. كريستسين، «طرح مشاكل بدون متابعة: صعود الصين وتحدياتها لسياسة

الولايات المتحدة الأمنية»، إترناشنال سيكيوريتي، ربيع 2001، ص 36.

قوتها، وتقدما لها حافزاً لأداء دور مسؤول. أما كيف ستتصرف الصين عند تزايد قوتها فهذه مسألة مفتوحة، ولكن طالما بقيت الولايات المتحدة موجودة في المنطقة، ومحافظة على علاقتها مع اليابان، ولا تدعم الاستقلال لتايوان، وتمارس قوتها بطريقة معقولة، فليس من المحتمل أن يقوم أي بلد أو حلف بتحدي دورها في المنطقة، فما بالك على الصعيد العالمي. وإذا انزلت أو تعثرت الولايات المتحدة والصين في حرب أو حرب باردة في شرق آسيا، فإنها ستنجم على الأرجح من سياسة خرقاء تنص باستقلال تايوان، وليس من نجاح الصين كمتحدية على صعيد عالمي.

### اليابان

لقد عانى الاقتصاد الياباني مؤخراً من الركود بسبب القرارات السياسية السيئة. ولكن الانخفاض من قيمة اليابان سلفاً سيكون عملاً خاطئاً. فهي تملك ثاني أكبر اقتصاد وطني في العالم، وصناعة عالية التعقيد والتقدم، وأكبر عدد من مستعملي الشبكة الدولية (الإنترنت) بعد الولايات المتحدة، وأحدث قوة عسكرية في آسيا. ورغم أن لدى الصين أسلحة نووية وعدداً أكبر من الرجال تحت السلاح، فإن العسكريين اليابانيين أفضل تجهيزاً وتدريباً. كما أن لديها القدرة التكنولوجية على تطوير الأسلحة النووية بسرعة إذا شاءت.

وقبل عشرة سنوات فقط كان الأمريكيون يخشون أن يتفوق عليهم اليابانيون. وقد ورد وصف بليغ الإيجاز في مقال لمجلة نيوزويك في سنة 1989: «إن السؤال المقلق في عرف الاجتماعات والمكاتب الحكومية حول العالم هو ما إذا كانت اليابان على وشك أن تصبح قوة عظمى تحل محل الولايات المتحدة كعملاق المحيط الهادي وربما حتى الأمة رقم 1 في العالم كله»<sup>(69)</sup>. وتنبأت بعض الكتب بنشوء كتلة في المحيط الهادي بقيادة اليابان

(69) «ساعة القوة؟» مجلة نيوزويك، عدد 27 شباط / فبراير 1989، ص 15.

تستبعد الولايات المتحدة، وحتى بنشوب حرب في آخر الأمر بين اليابان والولايات المتحدة<sup>(70)</sup>. وكان عالم المستقبل هيرمان كاهن قد تنبأ بأن اليابان ستصبح قوة نووية عظمى، وبأن الانتقال في دور اليابان سيكون مثل «التغيير الذي حدث في الشؤون الأوروبية والعالمية في سبعينيات القرن التاسع عشر، مع صعود بروسيا»<sup>(71)</sup>. وقد استمدت هذه الآراء الاستقرائية من سجل ياباني مشير للإعجاب<sup>(72)</sup>.

كانت اليابان عشية الحرب العالمية الثانية تمثل خمسة بالمئة من الإنتاج الصناعي في العالم. وعندما دمرتها الحرب، لم تعد إلى ذلك المستوى حتى سنة 1964. ومن سنة 1950 إلى سنة 1974 كان معدل النمو في اليابان مذهلاً وقدره 10 بالمئة سنوياً. وبحلول الثمانينيات كانت قد أصبحت صاحبة ثاني أكبر اقتصاد في العالم، يشكل 15 بالمئة من إنتاج العالم<sup>(73)</sup>. وصارت أكبر مقدم للقروض وأكبر متبرع بالمساعدة الخارجية في العالم. وكانت تكنولوجياتها تعادل تكنولوجيات الولايات المتحدة، بل متقدمة عليها قليلاً في بعض مجالات الصناعة. ولم تتسلح اليابان إلا بشكل خفيف، (فحدّدت مبيعاتها العسكرية بنحو واحد بالمئة من إجمالي الناتج القومي) وركزت على النمو الاقتصادي كاستراتيجية ناجحة للغاية. ومع ذلك، وكما هو مذكور أعلاه، فقد أوجدت أحدث قوة عسكرية تقليدية، وأفضلها تجهيزاً في شرق آسيا.

(70) جاك أتالي، خطوط الأفق (باريس: فايار، 1990)؛ جورج وميريديث لوبارد، الحرب المقبلة مع اليابان (نيويورك: سان مارتن، 1992).

(71) هيرمان كان وب. بروس - بيغز، الأشياء المقبلة (نيويورك: مكملان، 1972)، ص ١٩.

(72) لقد استجوبهم البعض، انظر على سبيل المثال، بيل إيموت، وتغيب الشمس أيضاً (نيويورك: سيمون وشوستر، 1989).

(73) پول سيروخ، «مستويات التصنيع من 1750 إلى 1980»، جورنال أوف يوروبيان إيكونوميك هيستوري، ربيع 1982، ص 14 الحاشية.

ولليابان سجل مثير للإعجاب في مجال إعادة اكتشاف نفسها. فقبل قرن ونصف، أصبحت اليابان أول بلد غير أوروبي يتكيف بنجاح مع العولمة الحديثة<sup>(74)</sup>. فبعد قرون من العزلة، تحولت اليابان من دولة إقطاعية إلى دولة دستورية حديثة بإشراف الإمبراطور موتسوهيتو (المعروف باسم مييجي) في القرن التاسع عشر، ثم راحت تأخذ من باقي أنحاء العالم بشكل انتقائي. وفي غضون نصف قرن بلغت من القوة ما جعلها تدحر قوة أوروبية كبرى في الحرب الروسية اليابانية. ونهضت من رماد الحرب العالمية الثانية بعد سنة 1945. وفي الآونة الأخيرة طالبت لجنة شكلها رئيس الوزراء حول أهداف اليابان في القرن الحادي والعشرين، بأن تعيد اليابان اكتشاف نفسها من جديد<sup>(75)</sup>. ونظراً لضعف العملية السياسية، والحاجة إلى إزالة القيود الحكومية، والسكان الزاحفين إلى الشيخوخة، ومقاومة الهجرة، فإن مثل هذا التغير لن يكون سهلاً، وقد يستغرق استكمالها عشرة سنوات أو أكثر<sup>(76)</sup>. ولكن بالنظر لاستمرار مهارات شعب اليابان، واستقرار مجتمعها، واضطلاعها بالقيادة في بعض مجالات التكنولوجيا (مثل تطبيقات الإنترنت المتنقلة)، وامتلاكها المهارات الصناعية، فإن التقديرات الحالية لليابان قد تكون متشائمة منخفضة أكثر مما ينبغي.

فهل يمكن أن تنهض اليابان بعد عقد أو عقدين من الزمن لتصبح متحدة عالمية للولايات المتحدة، اقتصادياً أو عسكرياً، كما تنبأ لها البعض منذ عقد مضى؟ يبدو ذلك غير محتمل. فهي بحجم كاليفورنيا تقريباً، فلن يكون لها النطاق الجغرافي أو السكاني المشابه للولايات المتحدة. إن سجل اليابان من

(74) جوزيف س. ناي الأصغر، «الأداة الأولى لعولمة آسيا»، فصلية ذي واشنطن كوارترلي، خريف 2000.

(75) لجنة رئيس الوزراء، الحدود الداخلية (صوكيو، أمانة سر مجلس الوزراء، 2000).

(76) هيساشي أودا، «تشكيل النظام العالمي العام ودور اليابان»، جاپان ريفيو أوف إنترناشنال آفيرز، ربيع 2001، ص 11.

النجاح السياسي وثقافتها الشعبية يزودانها بقوة ناعمة طرية . ولكن مواقفها وسياساتها التي تؤكد على مركزيتها العرقية تنتقص من هذه القوة . فلليابان طموح واضح فعلاً لتحسين مكانتها كقوة عالمية . فهي تسعى للحصول على مقعد دائم في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . وتبين استطلاعات الرأي أن كثيراً من اليابانيين الشباب مهتمون بأن يصير «بلدهم طبيعياً» أكثر في قضايا الدفاع . وقد بدأ بعض الساسة حركة لعكس اتجاه المادة 9 من دستور البلاد ، التي تجعل عمل القوات اليابانية قاصراً على الدفاع عن النفس . ولو قدر للولايات المتحدة أن ترمي بتحالفها مع اليابان ، وتتبع نصيحة الذين يريدوننا أن نبقي «على مبعدة من الساحل» وننقل ولاءنا جيئة وذهاباً لموازنة الصين واليابان ، فقد ننتج شعوراً بانعدام الأمن يدفع اليابان إلى أن تقرر تطوير قدرتها النووية الخاصة بها<sup>(77)</sup> .

ومن جهة أخرى ، إذا قُدر لليابان أن تتحالف مع الصين ، فإن موارد البلدين مجتمعة قد تجعل هذا الائتلاف كفوءاً . ورغم أن مثل هذا التحالف ليس مستحيلاً ، فإنه يبدو غير محتمل إلا إذا ارتكبت الولايات المتحدة خطأً دبلوماسياً أو عسكرياً خطيراً . فليس الأمر قاصراً على كون جراح الثلاثينيات من القرن العشرين قد فشلت في الاندمال بشكل كامل ، ولكن الصين واليابان لهما رؤيتان متضادتان لمكان اليابان المناسب في آسيا وفي العالم<sup>(78)</sup> . فالصين تريد أن تقيد اليابان ، ولكن اليابان قد لا تريد أن تلعب دوراً ثانوياً . ولو انسحبت أمريكا من منطقة شرق آسيا ، وهذا احتمال بعيد جداً ، فقد تنضم اليابان إلى الجانب الصيني . ولكن بالنظر لمخاوف اليابان بشأن صعود القوة الصينية فإن النتيجة الأرجح هي استمرار تحالفها مع الولايات المتحدة . إن تحالفاً من آسيا الشرقية ليس مرشحاً معقولاً يتحدى الولايات المتحدة ويحل محلها .

(77) كريستوفر لاين ، «من التفوق إلى التوازن على مبعدة من السواحل» ، إنترناشنال سيكيوريتي ، صيف 1997 ، ص 86 - 124 .

(78) لامبتون وماي ، جدول أعمال القوى العظمى لآسيا ، ص 51 .

## روسيا

إذا كانت اليابان حليفاً غير محتمل للصين، فماذا عن روسيا؟ إن سياسة التوازن في القوى قد تتنبأ بمثل هذا التحالف كرد فعل على إعادة تأكيد معاهدة الأمن الأمريكية - اليابانية سنة 1996. وهناك سابقة تاريخية لمثل هذا التوحد: ففي خمسينيات القرن العشرين كانت الصين والاتحاد السوفياتي حليفين ضد الولايات المتحدة. وبعد انفتاح نيكسون على الصين في سنة 1972، راح هذا المثلث يعمل بطريقة أخرى، بحيث تعاونت الولايات المتحدة والصين للحد مما تريانه معاً على أنه قوة سوفياتية تهددهما. وقد انتهى هذا التحالف مع انهيار الاتحاد السوفياتي. وفي سنة 1992 أعلنت روسيا والصين أن علاقتهما «شراكة بناءة»؛ وفي تموز/ يوليو سنة 2001 وقّعتا معاهدة «صداقة وتعاون» بعد أن كانتا قد أعلنتا عن «شراكة استراتيجية» سنة 1996. ومن مواضيع هذه الشراكة معارضتهما المشتركة للعالم «ذي القطب الواحد» (الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة)<sup>(79)</sup>. وقد أيدت كل من الصين وروسيا حملة أمريكا ضد الإرهاب بعد أيلول/ سبتمبر، ولكنهما ظلّتا تنظران إلى القوة الأمريكية بحذر.

ورغم الخطابات الطمّانة، فإن هناك عقبات كأداء أمام تحالف بين الصين وروسيا. فالوضع السكاني في الشرق الأقصى، حيث يقطن على الجانب الروسي من الحدود عدد يراوح بين ستة ملايين وثمانية ملايين نسمة، يقابلهم على الجانب الصيني عدد يصل إلى 120 مليوناً، يكون درجة من القلق في موسكو<sup>(80)</sup>. وقد أدّى هبوط روسيا العسكري والاقتصادي إلى زيادة قلقها بشأن

(79) لي جينغجي، «أعمدة الشراكة الصينية - الروسية»، مجلة أوربيس، شتاء 2000، ص 530.

(80) ميخائيل نوسوف، تحديات للتوازن الاستراتيجي في شرق آسيا على عتبة القرن الحادي والعشرين: المشهد كما يبدو من روسيا (الإسكندرية، فرجينيا: مركز التحليل الأسطوري، 1997)، ص 32.



صعود القوة الصينية. كما أن التجارة والاستثمار بين البلدين شيء ثانوي. فكلاهما يعتمد أكثر على الوصول إلى الأسواق الغربية (بما فيها الأمريكية) في البضائع والتمويل. إن التغلب على هذه العقبات دفع للصين وروسيا إلى عناق كامل يقتضي سلوكاً شديداً الحمق (ولكنه غير مستحيل) من جانب أمريكا. وكما علّق أحد المراقبين، فإن «الطريقة التي تمكّن الولايات المتحدة من المحافظة على نفوذها الشامل في كل مكان هي أن تمارس قوتها بأسلوب منضبط، يمكن التنبؤ به بحيث ينفي عنها تهمة النزوع إلى الهيمنة»<sup>(81)</sup>. فكلما زادت وطأة يدنا ثقلاً، زادت مساعدتنا لروسيا والصين على التغلب على خلافتهما.

ورغم أن هذا قد لا يؤدي إلى تحالف عسكري كامل قائم بذاته بينهما كما حدث في خمسينيات القرن العشرين، فإنه يمكن أن يؤدي إلى درجة عالية من التنسيق السياسي مصقمة لإحباط الخطط الأمريكية.

ولا تزال روسيا وحدها تشكل خطراً على الولايات المتحدة. وسبب ذلك إلى حد كبير يكمن في كونها البلد الوحيد الذي يملك قذائف ورؤوساً حربية نووية كافية لتدمير الولايات المتحدة. كما أن هبوطها النسبي قد جعلها أكثر إحجاماً عن التخلي عن مكانتها النووية. ثم إن لروسيا نطاقاً جغرافياً هائلاً، وشعباً مثقفاً، وعلماء ومهندسين مهرة، وموارد طبيعية شاسعة. ورغم أن تحوّلها إلى نظام قمعي وطني النزعة قد يجعلها تشكل تهديداً مرة أخرى، فإنها لن تشكل النوع ذاته من التحدي الذي كان يشكّله الاتحاد السوفياتي لأمريكا في العقود الأربعة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.

ففي خمسينيات القرن العشرين، كان كثير من الناس في الغرب يخشون أن يتفوق الاتحاد السوفياتي على الولايات المتحدة باعتباره القوة القيادية في

(81) جيلبرت رورمان، «مثلث صيني - روسي أمريكي جديد؟»، مجلة أوربيس، خريف

العالم. فقد كان لديه أوسع إقليم جغرافي في العالم، وثالث أكبر عدد من السكّان، وثاني أكبر اقتصاد. وكان ينتج نفطاً وغازاً أكثر من العربية السعودية. وكان يملك نصف أسلحة العالم النووية، وعدداً من الرجال تحت السلاح أكثر من الولايات المتحدة، وأكبر عدد من الناس المُستخدَمين في البحوث والتنمية. وقد فجّر قنبلة هيدروجينية في سنة 1953، أي بعد الولايات المتحدة بسنة واحدة فقط. وكان الأول في إطلاق قمر صناعي إلى الفضاء، في سنة 1957. ومن حيث القوّة الناعمة الطرية، ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية كسبت العقيدة الشيوعية للاتحاد السوفياتي وكذلك تنظيماته العابرة للقوميات نفوذاً في أوروبا بمقاومة هتلر. كما أن تلازم الشيوعية مع الحركة الشعبية لتصفية الاستعمار في العالم الثالث قد جعلها جذابة. بل إنها تبثت وغذت بشكر فعّال أسطورة حتمية انتصار الشيوعية.

ولقد اشتهر عن نيكيتا خروشييف تبجحه في سنة 1959 بأن الاتحاد السوفياتي سوف يسبق أمريكا في سنة 1970 أو 1980 كآخر موعد. وفي سنة 1976، قال ليونيد بريجنيف للرئيس الفرنسي إن الشيوعية سوف تسيطر على العالم بحلول سنة 1995. وكانت تدعم مثل هذه التنبؤات معدلات نمو اقتصادي سنوي تراوح بين 5 و6 بالمئة، وزيادة في حصة السوفيات من الإنتاج العالمي من 11 بالمئة إلى 12,3 بالمئة في ما بين سنتي 1950 و1970. غير أن معدل النمو السوفياتي والحصة السوفياتية من الإنتاج العالمي شرعا في هبوط استغرق فترة طويلة. ففي سنة 1986 وصف ميخائيل غورباتشوف الاقتصاد السوفياتي بأنه «مشوّش جداً. فنحن متخلّفون بحسب كل المؤشرات»<sup>(82)</sup>. وبعد ذلك بسنة قال وزير الخارجية إدوارد شيفاردناдзе لموظفيه «أنتم وأنا نمثّل بلداً عظيماً ظل

(82) ميخائيل غورباتشوف، خطاب إلى الكتاب السوفيات، مقتبس في «غورباتشوف يتحدث عن المستقبل: «لن نستسلم»، النيويورك تايمز، عدد 22 كانون الأول/ديسمبر 1986، القسم A، ص 20.

طيلة السنوات الخمسة عشر الماضية يخسر أكثر فأكثر موقعه كإحدى الأمم الصناعية المتقدمة الرائدة<sup>(83)</sup>.

وأدى انهيار الاتحاد السوفياتي سنة 1991 إلى إحداث تقليص كبير في روسيا إقليمياً (76 بالمئة من مساحة الاتحاد السوفياتي)، وسكانياً (50 بالمئة من الاتحاد السوفياتي)، واقتصادياً (45 بالمئة من اقتصاد الاتحاد السوفياتي) وعسكرياً (33 بالمئة من عسكري الاتحاد السوفياتي). وبالإضافة إلى ذلك، اختفت عملياً القوة الطرية الناعمة للعقيدة الشيوعية. والإحصاءات الروسية، شأنها شأن السوفياتية من قبلها، غير دقيقة بشكل شائن. ولكن عند نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين ظهر أن الاقتصاد الأمريكي أكبر من اقتصاد روسيا بنحو سبعة وعشرين ضعفاً، ونفقاته على البحث والتنمية أكبر مما تنفقه روسيا بأكثر من ستين مرة، والنفقات العسكرية أكبر مما تنفقه روسيا بأكثر من تسع مرات<sup>(84)</sup>. أما في ما يتعلق بالكومبيوترات الشخصية ومضيفي الإنترنت فقد كانت النسب هي 11 : 1 و 150 : 1.

ولا يبدو أن روسيا ستلحق بأمريكا حتى بعد وقت طويل. صحيح أن هناك علامات على حدوث تحسن منذ سقوط الاتحاد السوفياتي. فلم تعد روسيا مكتبة بالإيديولوجية الشيوعية ولا بنظام تخطيط مركزي ثقيل بطيء. وهناك شيء من الديمقراطية وحرية التعبير، رغم أن نظام فلاديمير بوتين قد اتخذ إجراءات تهدف إلى خنق المعارضة وإعادة ترسيخ السيطرة السياسية المركزية. وقد تناقص احتمال التجزئة العرقية، رغم أن تهديده ما يزال قائماً

(83) مقتبساً عنه في مقالة ستيفن سيستانوفيتش، «سياسة غورباشوف الخارجية: دبلوماسية الاضمحلال»، مشاكل الشيوعية، عدد كانون الثاني/يناير - شباط/فبراير 1988، ص 2-3.

(84) بيانات البنك الدولي من

(كما أظهرت حروب الشيشان) وبينما كان العرق الروسي يمثل نصف الاتحاد السوفياتي السابق فقط، فإنه يمثل الآن 81 بالمئة من الاتحاد الروسي. ويبقى النظام السياسي هشاً، ولا تزال المؤسسات اللازمة لاقتصاد سوق فعال مفقودة إلى حد كبير. كما أن رأسمالية أقطاب الخصوصية في روسيا ينقصها نوع التنظيم الفعال الذي يكون الثقة في علاقات السوق، «وحتى النمو بنسبة 5 بالمئة سوف لن يجعل مداخل روسيا تصل إلى مستوى مداخل إسبانيا والبرتغال على مدى عشرات السنين»<sup>(85)</sup>. ونظام الصحة العامة في حالة من الفوضى، وقد زادت معدلات الوفيات وتناقصت معدلات الولادات. وتوحي تقديرات خبراء الإسكان التابعين للأمم المتحدة على المدى المتوسط بأن سكان روسيا قد يتناقص تعدادهم من 145 مليوناً اليوم إلى 121 مليوناً بحلول أواسط القرن<sup>(86)</sup>.

وهناك إمكانية لأنواع كثيرة من المستقبل في انتظار روسيا، وحسب رأي مجلس الاستخبارات القومي التابع للحكومة الأمريكية فإن الإمكانيات تراوح من النهوض السياسي إلى الانحلال «والمحصلة الأرجح احتمالاً هي بقاء روسيا ضعيفة داخلياً، ومرتبطة مؤسسياً بالنظام العالمي، بالدرجة الأولى من خلال مقعدها الدائم في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة... وحتى في ظل أفضل مشهد لحالة النمو السنوي بنسبة خمسة بالمئة، فسوف تحصل روسيا على اقتصاد يعادل في حجمه خمس الاقتصاد الأمريكي» عند حلول سنة 2015<sup>(87)</sup>. وبسبب بقية قوتها النووية، وقربها من أوروبا، وإمكانية قيام تحالف

(85) بيتر سيملر، «الاقتصاد الروسي: التقدم والتحدى»، ذي آنلانتيك كاونسل بوليتين، كانون الثاني/ يناير 2001، ص3.

(86) مايكل واينز، «بالنسبة لروسيا كلها، الساعة الحيوية آخذة في الانتهاء»، النيويورك تايمز، 28 كانون الأول/ ديسمبر 2000، القسم 8، ص1.

(87) مجلس المحادثات الوطني: الاتجاهات العالمية 2015: حوار عن المستقبل مع خبراء غير حكوميين (لانغلي، فيرجينيا: وكالة المخابرات المركزية، سنة 2000)، ص17،

بينها وبين الصين أو الهند، فإن في وسع روسيا أن تختار إما أن تتعاون مع الولايات المتحدة، أو أن تسبّب لها المشاكل، ولكنها لن تستطيع أن تكون متحدياً لأمريكا على مستوى عالمي.

### الهند

وتُذكر الهند أحياناً كذلك باعتبارها قوة عظمى في المستقبل. فسكانها البالغ تعدادهم مليار سمة هم أربعة أضعاف عدد سكان الولايات المتحدة. وقد ظلت الهند عقوداً من الزمن تعاني مما أسماه بعضهم «المعدل الهندي للنمو الاقتصادي»، أي واحد أو اثنين بالمئة غير أن ذلك قد تغير في العقد الماضي، فراجحت معدلات النمو تقترب من خمسة بالمئة أو ستة بالمئة. وفي الهند طبقة وسطى آخذة في البروز تتألف من عدة مئات من ملايين الناس. والإنكليزية لغة رسمية يتحدث بها عدد يراوح بين 50 مليوناً ومئة مليوناً من الناس. وبالبناء على هذه القاعدة، فإن صناعات المعلومات الهندية آخذة في لعب دور انتقالي. وبالإضافة إلى ذلك فإن الهند قوة عسكرية لديها عدة عشرات من الأسلحة النووية، وقذائف ذات مدى متوسط، و1,2 مليون عسكري، ونفقات عسكرية سنوية تقرب من 11 مليار دولار. وأما في ما يتعلق بالقوة الطرية الناعمة فقد أقامت الهند ديمقراطية، وظلت زمناً طويلاً تعتبر من قادة بلدان عدم الانحياز أثناء الحرب الباردة. وللهند مهاجرون ذوو نفوذ وتأثير في الخارج، وصناعتها السينمائية هي الأكبر في العالم من حيث عدد الأفلام المنتجة سنوياً، بالمقارنة مع هوليوود في أجزاء من آسيا والشرق الأوسط<sup>(88)</sup>.

وفي الوقت نفسه تبقى الهند إلى حد كبير بلداً متخلفاً فيه مئات الملايين

(88) نيل م. روزيندورف، «العولمة الاجتماعية والثقافية: المفاهيم، والتاريخ، ودور أمريكا»، في كتاب من تحرير ناي س. جوزيف الأصغر وجون د. دونايهو، حسن الإدارة في عالم آخذ في التحوّل (واشنطن، مقاطعة كولومبيا، مطبعة بروكينغز. إنستيتوشن، 2000)، ص 122.

من المواطنين الأميين الذين يعيشون في فقر. ورغم النمو الاقتصادي السريع، سيظل أكثر من نصف مليار هندي في فقر مدقع. وسيكون تسخير التكنولوجيا لتحسين الزراعة هو التحدي الرئيسي الذي تواجهه الهند من أجل تخفيف وطأة الفقر بحلول سنة 2015. وعلاوة على ذلك فإن الفجوة الآخذة في الاتساع بين المناطق التي تملك والتي لا تملك، والخلافات حول وتيرة الإصلاحات وطبيعتها يمكن أن تصبح مصدراً للصراع المحلي<sup>(89)</sup>. فإجمالي الناتج المحلي الهندي البالغ 1,7 تريليون دولار هو أقل من نصف إجمالي الناتج المحلي الصيني و20 بالمئة من إجمالي الناتج المحلي الأمريكي. فإذا راحت الولايات المتحدة تنمو بمعدل 3 بالمئة والهند بمعدل 6 بالمئة فإن الهند سوف تستغرق حتى سنة 2077 لتصل إلى الحجم الكلي الشامل للاقتصاد الأمريكي. ثم إن الفجوة في دخل الفرد هي أكبر حتى من ذلك بشكل صاعق، فهذا الدخل في أمريكا هو 33900 دولار، وفي الهند 1800 دولار. ومع فارق 3 بالمئة في معدلات النمو، فإن الهند سوف تستغرق حتى سنة 2133 حتى تصل إلى التساوي مع الاقتصاد الأمريكي<sup>(90)</sup>. أما قدرات الهند العسكرية فهي مؤثرة على صعيد آسيا الجنوبية، ولكن ليس في السياق الآسيوي الأكبر، حيث إن معداتها أقل تعقيداً مما لدى الصين ونفقاتها لا تصل إلا إلى نصف ما هو منسوب إلى الصين<sup>(91)</sup>. وتتنبأ مؤسسة راند RAND بأنه إذا استمر نمو الهند الاقتصادي بمعدل 5,5 بالمئة، واستمرت الهند تنفق 4 بالمئة من إجمالي ناتجها المحلي على الدفاع، فإن أصل رأسمالها العسكري سيصل خلال خمسة عشر سنة إلى

(89) مجلس المخابرات الوطني، الاتجاهات العالمية 2015، ص 66.

(90) مرة أخرى، أشكر إبراهيم عفسة وفرانيسكو بالتش، من طلبة مدرسة كينيدي، لحسابهما وتعاملهما مع الأرقام.

(91) لامبتون وماي، جدول أعمال القوى العظمى لشرق آسيا، مستخدمين بيانات SIPRI التي تصحح نظراً للصعوبات في حساب الميزانيات الصينية بالمصطلحات الغربية، ص 13،

314 مليار دولار، أي 62 بالمئة من رأسمال الصين العسكري (بالمقارنة مع 48 بالمئة منه اليوم)<sup>(92)</sup>.

وليس من المحتمل أن تصبح الهند وحدها متحدياً عالمياً للولايات المتحدة خلال هذا القرن. ولكن لديها أصولاً وموجودات كبيرة يمكن أن تُضاف إلى كفة ميزان تحالف صيني - روسي - هندي. ومع ذلك فإن الاحتمال صغير في أن يصبح مثل هذا الائتلاف تحالفاً مضاداً لأمريكا بصورة جدية أو خصرية. فمثلما توجد بقايا شكوك في العلاقة الصينية - الروسية، يوجد تنافس شبيه بذلك بين الهند والصين. فعلى الرغم من أن البلدين وقعا في سنة 1993 وفي سنة 1996 اتفاقيتين وعدتا بحل سلمي للنزاع الحدودي الذي كان قد أدى بهما إلى الحرب في سنة 1962، فإن من الجدير بالملاحظة أيضاً أن وزير دفاع الهند كان قد دمغ الصين بلقب «عدو الهند المحتمل رقم واحد» قبيل تجارب الهند النووية في آذار/ مارس سنة 1998. وبدلاً من أن تصبح الهند حليفة للصين، فإن الاحتمال الأرجح هو أنها ستصبح جزءاً من مجموعة من الدول الآسيوية التي ستميل إلى التوازن مع الصين.

## أوروبا

إن أقرب شيء إلى النذ تواجهه الولايات المتحدة في بداية القرن الحادي والعشرين هو الاتحاد الأوروبي. فعلى الرغم من أن الاقتصاد الأمريكي أكبر بأربع مرات من اقتصاد ألمانيا، التي هي أكبر بلد أوروبي، فإن اقتصاد الاتحاد الأوروبي يكاد يعادل في حجمه اقتصاد الولايات المتحدة؛ أما سكان الاتحاد المذكور فإنهم أكثر عدداً من سكان الولايات المتحدة بكثير. كما أن حصته من الصادرات العالمية أكبر كذلك. وسوف تتزايد هذه النسب إذا توسع الاتحاد الأوروبي - كما هو مخطط - ليشمل دول أوروبا الوسطى على امتداد العقود

(92) وولف وشركاه، الاتجاهات الاقتصادية الآسيوية، ص 47.

المقبلة. وأوروبا تصرف على الدفاع ثلثي ما تنفقه الولايات المتحدة. ولديها رجال تحت السلاح أكثر من أمريكا، وفيها بلدان لديهما ترسانتان نوويتان. وفي ما يتصل بالقوة الناعمة الطرية، فإن الثقافات الأوروبية كانت لها جاذبية واسعة على مدى طويل في باقي أنحاء العالم، كما أن فكرة اتحاد أوروبا حول بروكسل جذابة جداً لأوروبا الشرقية ولتركيا. وقد بدأت حكومات هذه الدول وشعوبها تكثف سياساتها لتصبح متناسبة مع بروكسل. ولقد كان الأوروبيون رؤاداً هامين لعبوا أدواراً مركزية في المؤسسات الدولية. وكما جادل صاموئيل هانتغتون قبل عقد من الزمن، فإن أوروبا متماسكة «سيكون لديها من الموارد البشرية، والقوة الاقتصادية، والتكنولوجيا، والقوة العسكرية الحقيقية والممكنة ما يجعلها القوة المتفوقة في القرن الحادي والعشرين»<sup>(93)</sup>. ويرى البعض اليوم أن أمريكا وأوروبا تسيران على طريق النزاع السياسي. ويعطي مقال نشرته مجلة الناشنال ريفيو سنة 1995 مثلاً على ذلك، فيجادل بأن «هناك كتلة سياسية آخذة في البروز على شكل الاتحاد الأوروبي الذي يحب أن يرى نفسه تحدياً لأمريكا»<sup>(94)</sup>.

والمسألة الهامة في تقييم التحدي الذي يشكّله الاتحاد الأوروبي هي ما إذا كان سيطور تلاحماً سياسياً واجتماعياً - ثقافياً كافياً لجعله يتصرف كوحدة واحدة حيال سلسلة واسعة من القضايا الدولية، أم أنه سيظل تجمّعاً محدوداً لبلدان ذات نزعات قومية وسياسات خارجية شديدة الاختلاف. لقد كان توحيد أوروبا عملية بطيئة ولكنها مطردة على امتداد نصف قرن، وقد أضافت ضغوط العولمة إلى الحوافز لتقوية مؤسسات أوروبية إقليمية.

(93) صاموئيل هانتغتون، «الولايات المتحدة - اضمحلال أم تحدّد؟»، مجلة فورين آفيرز، شتاء 1988 - 1989، ص 93.

(94) دابشيد برايس - جونز، «الموز هو البداية: الحرب التي تلوح بين أمريكا وأوروبا»، ناشنال ريفيو، عدد 5 نيسان/ أبريل، 1999.



ولقد اسنطاع الاتحاد الأوروبي فعلاً أن يحدّ من القوّة الأمريكيّة. وفي مسائل التجارة والنفوذ داخل منظمة التجارة العالمية، تقف أوروبا نداءً مساوياً للولايات المتحدة. وقد نجحت البلدان الأوروبية في تحدي العقوبات التجارية الأمريكيّة ضد كوبا وإيران. وقد حثّا عددٌ من المراقبين تكوينَ الاتحاد النقدي الأوروبي وندشين عملة اليورو في مطلع سنة 1999 باعتباره من التحديات الكبرى للولايات المتحدة ولدور الدولار بوصفه العملة الاحتياطية المسيطرة<sup>(95)</sup>. ورغم أن مثل هذه الآراء قد بالغت في الانتفاص من العمق والاتساع الفريدين للأسواق الرأسمالية الأمريكيّة، مما يجعل البلدان راغبة في اقتناء الدولارات، فإن الدور الأوروبي في الشؤون لمالية وصندوق النقد الدولي يعادل دور الولايات المتحدة تقريباً. ولقد كان حجم السوق الأوروبية وجاذبيتها يعنين أن الشركات الأمريكيّة الساعية إلى الاندماج يتعيّن عليها أن تسعى للحصول على الموافقة من المفوضية الأوروبية وكذلك من وزارة العدل الأمريكيّة - كما اكتشفت شركة جنرال إلكتريك، لذعرها الشديد، في سنة 2001 عندما رفض الاتحاد الأوروبي استيلاءها المقترح على شركة هانيويل. وفي عصر الإنترنت، يهتم صنّاع السياسة الأمريكيون بالتأكد من كون الممارسات الأمريكيّة لا تخالف التعليمات والتنظيمات الأوروبية حول سرّيّة المعلومات؛ «وسواء أحببت ذلك أم لا، فإن الاتحاد الأوروبي يضع لبقية العالم مقاييس لحماية السريّة»<sup>(96)</sup>. وباختصار، فإن أوروبا قادرة على أن تكون النذ المساوي لأمريكا في القوّة، سواء أكان هذا الأمر يُنبئ بالخير أم بالشر.

وفي الوقت نفسه، تواجه أوروبا قيوداً هامة على درجة وحدتها.

(95) مارتس فيلدشتاين، «EMU والصراع الدولي»، فورين آفيرز عدد تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 1997.

(96) تشيرايز م. فاليز، «وضع الطريق حول خصوصية البيانات»، الإنترنت ناشنال هيرالد تريبيون، عدد 28 أيار/ مايو، 2001، ص 13.

فالهويات القومية تبقى أقوى من الهوية الأوروبية المشتركة، رغم مرور خمسين سنة على الاندماج. كما أن المصالح القومية لا تزال لها أهميتها، رغم أنها ملطّفة ومكبوتة بالمقارنة مع مكانتها في الماضي<sup>(97)</sup>. ولقد ظلّت عمليّة الاندماج تسير على مدى سنوات بفعل آلة التعاون الفرنسي - الألماني. وبالنسبة لألمانيا (على ضوء تاريخها) كانت أوروبا هدفاً وبديلاً لسياسة خارجية أكثر جزمًا وتوكيداً. وبالنسبة لفرنسا لم تكن هناك تناقضات تذكر بين أوروبا والسياسة الفرنسية الخارجية الجازمة ما دمت تملك ألمانيا «في جيبها». وعندما تنامت ألمانيا بإعادة توحيدها طوّرت سياسة «طبيعية عادية» أكثر وراحت تصرّ على الحصول على وزن أكبر في التصويت على القضايا الأوروبية، أصبح الموقف الفرنسي من مؤسسات الاتحاد الأوروبي أكثر حذراً. وكما قال رئيس الوزراء الفرنسي ليونيل جوسبان: «أريد أوروبا، ولكنني أظل مرتبطاً بأمتي. إن إقامة أوروبا دون تفكيك فرنسا أو أية أمة أوروبية أخرى هي خيار سياسي»<sup>(98)</sup>. وبالإضافة إلى ذلك، فإن التوسيع المستمر للاتحاد الأوروبي ليشمل أوروبا الوسطى يعني أن من المحتمل أن تظل المؤسسات الأوروبية نسيج وحدها، غير أنها تميل إلى الجانب الكونفدرالي بدلاً من الجانب الفيدرالي من الطيف. ولعل آفاق قيام اتحاد قوي في أوروبا قد اختفت عندما وافقت البلدان الأصلية الستة على التوسّع لتضم بريطانيا وأجزاء من إسكندنافيا. وحول ما إذا كان الاتحاد الأوروبي آخذاً في التحوّل إلى دولة، هناك تلخيص بليغ جاء به أندرو مورافسيك، العالم السياسي من هارفارد فقال: «يفضل معظم المراقبين المطلعين أن يتحدثوا عن «سياسة عصر ما بعد الحداثة» التي تحكم فيها أوروبا

(97) بيّبا نوريس، «حسن إدارة العولمة والمواطنون العالميون»، في كتاب من تحرير ماي ودوناھيو، حسن الإدارة في عالم آخذ في التعولم، ص 157.

(98) جون فينكور، «جوسبان يتخيل اتحاداً أوروبياً بديلاً»، الإنترناشنال هيرالد تريبيون، عدد 29 أيار/ مايو، 2001، ص 1.

إلى جانب الحكومات الوطنية، وليس كبديل عنها يحل محلها»<sup>(99)</sup>.

ولكن هذا كله لا يتفحص من أهمية المؤسسات الأوروبية أو مما حققته. فالاندماج القانوني أخذ في التزايد، وأحكام المحكمة الأوروبية ترغم البلدان الأعضاء على تغيير ممارساتها. كما أن القضايا المعروضة أمام هذه المحكمة تتزايد بنسبة 10 بالمئة في كل سنة<sup>(100)</sup>. ومن جهة أخرى فقد تأخر اندماج السلطتين التشريعية والتنفيذية. ويلعب البرلمان الأوروبي دوراً مفيداً ولكنه محدود. وإقبال المقترعين على انتخاباته أكبر من إقبالهم على انتخاباتهم الوطنية. وعندما عقدت البلدان الأعضاء مؤتمر قمة في نيس سنة 2000 لتجديد المؤسسات والتحضير لاحتمال دخول اثني عشر بلداً جديداً، أبدى الأعضاء تردداً وإحجاماً عن تقوية اللجنة الأوروبية أو البرلمان الأوروبي. ورغم أن تصويت الأغلبية امتد ليشمل قضايا إضافية في التجارة فإن الضرائب وسياسة الضمان الاجتماعية ظلت خاضعة للقيود الوطنية.

ولقد كان اندماج سياستي الدفاع والخارجية مثيراً للنزاعات بشكل خاص. ففي سنة 1999، أوجد الاتحاد الأوروبي منصباً لموظف عالي المستوى لتنسيق السياسات الخارجية، ووافق على تكوين قوة من ستين ألف جندي للتدخل في الأزمات، مدعومين بضباط الأركان اللازمين للقيادة، والمخابرات، وسلطة اتخاذ القرارات. ولكنه رفض الطموحات الفرنسية لتكوين هيكل مستقل للتخطيط العسكري كان من شأنه أن يصبح تكراراً مزدوجاً لقدرات حلف شمال الأطلسي. فقد أرادت بلدان أوروبية أخرى أن تضمن أن القوة الجديدة لن تفعل شيئاً لإضعاف الحلف المذكور والالتزام الأمريكي بأوروبا. ذلك أن فكرة قوة

(99) أندرو مورافسك، «استبداد في بروكسل؟» فورين آفيرز عدد أيار/ مايو - حزيران/ يونيو 2001، ص 121.

(100) روجر كوهن، «هوية أوروبية: الدولة - الأمة آخذة في التراجع»، النيويورك تايمز، عدد 14 كانون الثاني/ يناير، 2000، ص 3.

أوروبية حديثة قابلة للانفصال عن حلف شمال الأطلسي ولكنها غير منفصلة عنه، كان يمكنها أن تقوي التحالف بالفعل عن طريق السماح بتقاسم الأعباء من خلال تحسين القدرة الأوروبية على معالجة الصراعات الثانوية في ما بين الأوروبيين. وقد تشكك بعض مسؤولي الدفاع الأمريكيين بالقوة الجديدة، ولكن حتى المواقف الفرنسية كانت مزدوجة. وكما لاحظ كارل كايزر، العالم السياسي الألماني: «إن أول من سيصرخ إذا نهضت القوات الأمريكية ورحلت عن ألمانيا هم الفرنسيون، بسبب بقايا الخوف المترسبة لديهم من الهيمنة الألمانية»<sup>(101)</sup>.

أما المفتاح الآخر لمسألة ما إذا كان الاتحاد الأوروبي سيصبح متحدياً عالمياً للولايات المتحدة، فهو يركز على طبيعة الارتباطات عبر المحيط الأطلسي<sup>(102)</sup>. فالبعض يتنبأ بتآكل متواصل للعلاقات. ويستشهد ستيفن والت (من هارفارد) بأسباب جدية لذلك: منها أن عدم وجود تهديد مشترك يقلل من تلاحم التحالف؛ فحجم متاجرة الولايات المتحدة مع آسيا أكثر من متاجرتها مع أوروبا بمرّة ونصف المرّة. وهناك خلافات ثقافية متنامية بين طبقات النخبة على جانبي الأطلسي مع تغيّر الأجيال<sup>(103)</sup>. وكما قال أحد المحررين الإيطاليين، فإن «التخوف الجماعي من الولايات المتحدة يبدو الصمغ الوحيد الذي يلصق الأوروبيين معاً. فالقصص المريرة القاسية عن عقوبة الإعدام في الولايات المتحدة، وإطلاق النار في مدارسها الثانوية، وسوقها التي لا تتسامح مع أحد، وانعدام الرفاهية فيها تنتشر بكثرة في الصحافة الأوروبية. أعبر المحيط وستقرأ

(101) روجر كوهن، «مشاجرات على الموز والوصاية على الأطفال»، النيويورك تايمز، عدد 28 أيار/ مايو، 2000، قسم أخبار الأسبوع، ص1.

(102) جوزيف س. ناي الأصغر، «الولايات المتحدة وأوروبا. انزياح قاري؟»، مجلة إنترناشنال آفيرز، كانون الثاني/ يناير 2000.

(103) ستيفن م. والت، «الروابط التي تهترى»، مجلة ذي ناشنال إنترست، شتاء 1998 - 1999.

عن حكم العجائز المسنين في أوروبا، والبطالة المرتفعة هناك، وميزانيات الدفاع الشديدة الانخفاض. فليس هناك من علامة تدل على تجمع الكيانيين اللذين يصّر العالم على دمغهما معاً باسم الغرب»<sup>(104)</sup>.

ومن جهة أخرى فإن التقارير عن الخلافات عبر الأطلسي كثيراً ما تكون مبالغاً فيها. فقبل عقد من الزمن أعلن بعض الواقعيين أن حلف شمالي الأطلسي قد انتهى. وتنبأوا بأن ألمانيا ستضعف ارتباطها بأوروبا وتتحالف مع روسيا<sup>(105)</sup>. وكان اللورد إيسماي، أول أمين عام للحلف قد قال عبارته الساخرة المختصرة الشهيرة، وهي أن الغرض من حلف شمال الأطلسي هو إبقاء الأمريكيين في الداخل، وإبقاء الروس في الخارج، وإبقاء الألمان خاضعين». واليوم لا يزال حلف شمالي الأطلسي يقدم ضماناً ضد تحول روسيا إلى خطر سلطوي ويضمن اندماج الألمان في مجال دفاعي أوسع يجتذب الألمان أنفسهم، ويبقى ارتباطاً شعبياً مؤسساً مع أوروبا في الولايات المتحدة. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يقدم ضماناً ضد نشوء تهديدات جديدة في البلقان، والأبيض المتوسط، والشرق الأوسط، وهو ضمان لا تقدر عليه القدرات المتواضعة لقوة رد الفعل السريع الأوروبية. وكما تتكهن الإيكونوميست فإن من الممكن «بحلول سنة 2030 أن تعاني أوروبا وأمريكا معاً من المتاعب نفسها مع جزء آخر من العالم». وتذكر روسيا، والصين، وجنوب شرقي آسيا الإسلامية كمشتبه بهم محتملين<sup>(106)</sup>. وفي الوقت نفسه، قد تشوش أو تتعطل مثل هذه الإسقاطات المستقبلية بفعل سياسات أمريكية خرقاء تعجز عن إدارة العلاقة الروسية وتستعدي الأوروبيين في آن واحد. فبعد

(104) جيانا رايبوتا، «حرب الهوية المقبلة» مجلة فورين بوليسي، عدد أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر 2000، ص 87.

(105) جون ج. ميرشيمر، «عودة إلى المستقبل: عدم الاستقرار في أوروبا بعد الحرب الباردة»، إنترناشنال سيكيوريتي، صيف 1990.

(106) «الصمود في وجه العاصفة»، الإيكونوميست، 9 أيلول/ سبتمبر، ص 23.

أيلول/ سبتمبر سنة 2001 تحسّنت العلاقات مع روسيا في سياق الائتلاف لمحاربة الإرهاب: «ورغم أن روسيا سوف تستمر أهميتها للحكومات الأوروبية في الانحسار، فإن هذه الحكومات سوف تستخدم المعالجة الأمريكية لروسيا كمقياس على الجودة أو الرداءة في ممارسة الولايات المتحدة للقيادة والدفاع عن المصالح الأوروبية»<sup>(107)</sup>. كما أن الطلاق الاقتصادي غير وارد. ذلك أن التكنولوجيا الجديدة، والمرونة في أسواق العمل، ورأس المال ذا المشاريع القوية، والثقافة الاستثمارية ستجعل السوق الأمريكية جذابة للمستثمرين لأوروبيين. فالاستثمار المباشر في الاتجاهين أكثر مما هو مع آسيا، وهو يساعد على نسج الاقتصادين معاً. ذلك أن ما يقرب من ثلث التجارة يحدث ضمن الشركات عابرة القومية. وعلاوة على ذلك فعلى الرغم من أن التجارة تنتج حتماً درجة من الاحتكاك في السياسة المحلية للديمقراطيات، فإنها لعبة يمكن أن يربح منها الجانبان إذا كانت لديهما إرادة للتعاون، ثم إن التجارة الأمريكية - الأوروبية أكثر توازناً من تجارة الولايات المتحدة مع آسيا. ورغم أنه ستكون هناك نزاعات حول السياسة الاقتصادية، وحاجة إلى المساومة والتسوية، فليس من المحتمل أن تكون أوروبا في مركز يتيح لها أن تملّي على الولايات المتحدة. ذلك أن بقايا التصلّب والجمود في سوق العمل وقيود الدولة سوف تعيق الخطط الاستراتيجية لإعادة الهيكلة، وإعادة النظر في الآلية، وإعادة الاستثمار. وسوف تتخلف أوروبا وراء أمريكا في روح المغامرة التجارية والتجديد بينما تبحث الحكومات عن طرق لموازنة تشجيع هذه العوامل مع التأثيرات الاجتماعية. وهكذا فإن مجلس المخبرات القومي يتنبأ بأن أوروبا لن تصل إلى التحقيق الكامل «لأحلام التساوي مع الولايات المتحدة كعامل تشكيل للنظام الاقتصادي العالمي»<sup>(108)</sup>. وسوف يستمر التعاون، ولو أن الكثير سوف

(107) مجلس المخبرات الوطنية، الاتجاهات العالمية حتى سنة 2015، ص 75.

(108) المصدر السابق نفسه.

يعتمد على تجنّب سياسات اليد الثقيلة الضاغطة - نقولها مرّة أخرى هنا - .

وعلى الصعيد الثقافي، فإن الأمريكيين والأوروبيين ظلّ كل منهم يطلق الانتقادات على الجانب الآخر ويعجب به طيلة أكثر من قرنين. فعلى الرغم من كل الشكاوى عن مطاعم ماكدونالد، فما من أحد يرغب الفرنسيين (والأوروبيين) على تناول وجباتهم فيها - ومع ذلك فإن الملايين يفعلون كل سنة. ثم إن الاحتكاكات المحتومة تظهر ببعض الطرق تقارباً، وليس تباعداً، بين الجانبين. وكما قال كارستن فويغت، السياسي الألماني الكبير، «لقد صار التمييز بين السياسة الخارجية والمحلية باهتاً مع استمرار مجتمعاتنا في التداخل. ولذلك راحت تصعد إلى السطح قضايا عاطفية كالطعام المهندس وراثياً أو الطريقة التي نعامل بها أبناء حالات الطلاق الدولية. وبشكل ما، فإن السياسة الخارجية كانت أسهل عندما كانت تتعامل مع المصالح بدلاً من العواطف والأخلاق»<sup>(109)</sup>. ومع ذلك فإن من الصحيح أيضاً أن المستهلكين الأمريكيين يستطيعون الإفادة من المحاولات الأوروبية لرفع المستويات في الإجراءات المتخذة لمنع الاحتكار أو لحماية الخصوصية والسريّة على الإنترنت. وبالمعنى الأوسع، فإن الأمريكيين والأوروبيين يتشاركون في قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان على نحو أكمل مع بعضهم البعض منه مع أية منطقة أخرى في العالم. وكما كتب السفير روبرت بلاكويل، فإنه على أعماق المستويات، لا الولايات المتحدة ولا أوروبا تهدّد المصالح الحيوية أو الهامّة للجانب الآخر<sup>(110)</sup>.

أما إن كانت هذه القيم الأعمق هي التي منسود، أم تسود بدلاً منها الاحتكاكات السطحية المرافقة للتغير الثقافي، فإن هذا سوف يعتمد إلى حد كبير على الكيفية التي تلعب بها الولايات المتحدة أوراقها. فعلى الرغم من

(109) روجر كوهن، «مشاجرات على الموز».

(110) روبرت د. بلاكويل، مستقبل العلاقات عبر الأطلسي (نيويورك: المجلس الخاص بالعلاقات الخارجية، 1999).

مشاعر القلق والوحدة التي عبّر عنها كثير من الأوروبيين في أعقاب الهجمات الإرهابية في الولايات المتحدة في أيلول/ سبتمبر سنة 2001، أعلنت صحيفة لوموند الفرنسية - التي غالباً ما تنتقد السياسة الأمريكية -: «إننا جميعاً أمريكيون»، ويستمر كثير من أصدقاء أمريكا الأوروبيين في القلق حول سلوكها مؤخراً. أما هاجس نزعة الانعزال الأمريكية الذي كان يخيف الأوروبيين أثناء الحرب الباردة فقد حلّ محله هاجس انفراد أمريكا بمواقف من جانب واحد «تسود تصورات بأن الولايات المتحدة تتعرض لإغراءات متزايدة لكي تتبع سياسات محدّدة من طرف واحد مع عدم اعتبار مصالح الأمم الأخرى وآرائها. وكأنّها تخلط بين مصلحتها الوطنية والمصلحة العالمية»<sup>(111)</sup>. إن مثل هذه الاحتكاكات يحتمل أن تؤدي إلى التباعد التدريجي أكثر من احتمال حدوث طلاق حاد يكون متحدياً معادياً، ومع ذلك فإن الخسارة ستكون كبيرة، إذ أن الأمر لن يقتصر على زيادة تواتر تأمر الأوروبيين لإفشال الأهداف السياسية الأمريكية، بل إن الولايات المتحدة ستخسر أيضاً فرصاً هامة للتعاون لحل مشاكل عالمية كالإرهاب، كما ستخسر أفضل شريك لتعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان. فأوروبا تظل هي الجزء الأقرب إلينا في القيم الأساسية في هذا العالم. وكما قال صامويل هانتغتون، فإن «التعاون الصحي مع أوروبا هو الترياق الناجع الأول للوحدة الموحشة التي تعاني منها الولايات المتحدة في مكانتها كقوة عظمى»<sup>(112)</sup>. فالانفراد الأمريكي قد لا يكون متحدياً أوروبياً معادياً بالمعنى العسكري، ولكنه بالتأكيد سينتقص من بعض أفضل فرصنا للصداقة والشراكة.

(111) پاسكال بونيفاس، «شبح النزعة الأحادية»، فصلية ذي واشنطن كوارترلي، صيف 2001، ص 158.

(112) صامويل هانتغتون، «القوة العظمى المستوحشة من التوحد»، مجلة فورين أفيرز، عدد آذار/ مارس - نيسان/ أبريل 1999 ص 7 - 48.



## توزيع القوة في عصر المعلومات العالمي

ما هو مدى التباين بين قوتنا وقوة باقي أنحاء العالم؟ من حيث القوة العسكرية، نحن البلد الوحيد الذي يملك في الوقت نفسه قوة نووية، وقوات تقليدية قادرة على الوصول إلى أي مكان في العالم. ونفقاتنا العسكرية أكبر من نفقات الدول الثماني التالية لنا مجتمعة. ونحن نقود في مجال «الثورة في الشؤون العسكرية» القائمة على المعلومات<sup>(113)</sup>. وعلى الصعيد الاقتصادي نملك حصة قدرها 27 بالمئة من الإنتاج العالمي، وهي حصة قيمتها (بأسعار السوق) تعادل حصة البلدان الثلاثة التالية لنا (اليابان، وألمانيا، وفرنسا) مجتمعة. ونحن موطن تسع وخمسين من أكبر مئة شركة في العالم حسب قيمتها بأسعار السوق (بالمقارنة مع إحدى وثلاثين شركة في أوروبا وسبع شركات في اليابان). ومن بين أكبر خمسمئة شركة في العالم أدرجتها الفاياننشال تايمز في قائمة، كانت هناك 219 شركة أمريكية، و158 شركة أوروبية، و77 شركة يابانية<sup>(114)</sup>. وفي مجال الاستثمار الأجنبي المباشر، استثمرنا وتلقينا استثمارات تعادل ضعف ما لدى البلد التالي لنا في المرتبة (بريطانيا) تقريباً كما أن لدينا نصف أكبر عشرة بنوك للاستثمار في العالم. ثم إن التجارة الإلكترونية الأمريكية تعادل ثلاثة أضعاف حجم مثلتها الأوروبية. ونحن موطن سبعة من أكبر عشرة من باعة البرمجيات. ذلك أن اثنتين وأربعين من أكبر العلامات التجارية الخمس والسبعين في العالم هي أمريكية، وكذلك تسع من أكبر

(113) المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، مسح استراتيجي لسنتي 2000 و2001 (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 2000، البنود المدخلة عن الدول المذكورة).

(114) «العمالة العالمية» وول ستريت جورنال، 25 أيلول/ سبتمبر، 2000، القسم R، ص24؛ وروبرت بريستون، «شموس منتصف الليل الصاعدة تشرق بسطوح لامع»، «استطلاع الفاياننشال تايمز»، الفاياننشال تايمز 500، المراجعة السنوية لسنة 2000، 4 أيار/ مايو، 2000، ص3.

مدارس الأعمال<sup>(115)</sup>. أما بالنسبة للقوة النعمة الطرية، فإن الولايات المتحدة هي (بسهولة ومع فرق كبير جداً) المُصدّر رقم واحد للأفلام السينمائية والتلفزيونية في العالم، رغم أن «بوليوود» الهندية تنتج عدداً أكبر من الأفلام في كل سنة<sup>(116)</sup>. كما أننا نجتذب أكبر عدد من الطلبة الأجانب إلى مؤسسات التعليم العالي عندنا في كل سنة، تليها بريطانيا، وأستراليا. وبالإضافة إلى الطلبة، كان هناك نصف مليون باحث أجنبي يقيمون في مؤسسات أمريكا التعليمية في سنة 2000<sup>(117)</sup>. وبعبارة الفاياننشال تايمز، فإن «الولايات المتحدة هي النموذج الاقتصادي المسيطر لبقية أنحاء العالم، المتقدم منها ومعظم النامي»<sup>(118)</sup>.

وكانت الولايات المتحدة قد أصبحت صاحبة أكبر اقتصاد في العالم عند نهاية القرن التاسع عشر<sup>(119)</sup>. ووصلت سيطرة أمريكا الاقتصادية إلى ذروتها

(115) جيمس كوكس، «نجاح الولايات المتحدة يجتذب الحسد والاحتجاجات»، مجلة يو أس إي توداي، عدد 3 آب/ أغسطس، 2000، ص 81.

(116) روزندورف، «العولمة الاجتماعية والثقافية».

(117) «لقطة سريعة من تقرير عن برامج الدراسة في الخارج» كرونيكل أوف هاير إديوكيشن، 17 تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 2000  
(http://chronicle.com/weekly/v47/112/12a07402.htm).

(118) ريتشارد آدمز، «الولايات المتحدة: النموذج الاقتصادي المسيطر»، المسح السنوي للفاينانشال تايمز: الأسواق سنة 2000، 11 كانون الثاني/ يناير، 2000، ص 24.

(119) الأرقام مستقاة من كتاب المخابرات المركزية عن الحقائق العالمية لسنة 2000  
(http://www.cia.gov/cia/publications/factbook)

والبنك الدولي (http://www.worldbank.org/data/wdi2001/pdfs/tab1-1.pdf)

وتقرير الأمم المتحدة عن الإنماء البشري لسنة 2000

(http://www.undp.org/hdr200/english/HDR2000.html)

وكذلك مسح استراتيجي لسنتي 2000 و2001 أجراه المعهد الدولي لدراسات الاستراتيجية.

بُعَيْدَ سنة 1945<sup>(120)</sup> (فيما يراوح بين الثلث والنصف من الإنتاج العالمي، حسب أنواع التقديرات التي تحسب بها هذه الأمور). وفي ربع القرن التالي لتلك السنة، هبطت حصة أمريكا إلى معدلها على المدى الطويل عندما تعافى الآخرون وشرعوا في التنمية<sup>(121)</sup>. وقبل الحرب العالمية الأولى، ومرة أخرى قبل الحرب العالمية الثانية، كانت الولايات المتحدة تمثل نحو ربع إنتاج العالم، وهي باقية اليوم على مستوى أعلى أو أدنى من ذلك بقليل (فذلك يعتمد إما على استخدام أسعار السوق، أو معدلات الأسعار الشرائية في الحساب). فالحصة الأمريكية من إجمالي الناتج المحلي لأكثر سبعة اقتصادات للبلدان التي تعقد قمة اقتصادية سنوية كانت 48,7 بالمئة في سنة 1970 و46,8 بالمئة في سنة 1980، و45,2 بالمئة عند نهاية القرن. «إن ما يبقي الولايات المتحدة على قمة المجموعة على ما يبدو هي نقاط قوتها التقليدية - سوق وحيدة هائلة تغذي المنافسة، وعملة مستقرة، ونظام مالي سليم - مشفوعة بتقدم تكنولوجي سريع في قطاع تكنولوجيا المعلومات لديها»<sup>(122)</sup>.

فهل تستطيع هذه الدرجة من السيطرة الاقتصادية أن تستمر؟ ربما لا. فكما تحرض العولمة النمو الاقتصادي في البلدان الفقيرة القادرة على الاستفادة من التكنولوجيا الجديدة والأسواق العالمية، فإن حصتها من الإنتاج العالمي ينبغي أن تزيد، تماماً كما زاد إنتاج بلدان آسيا الشرقية على مدى العقود القليلة

(120) انظر ناي، ملزمون بالقيادة، الفصل الأول.

(121) هيربرت بلوك، إنتاج الكوكب في سنة 1980: وقفة خلاقة؟ (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب الشؤون العامة، 1981)، ص 18؛ سيمون كوزنيتس، النمو والهيكل الاقتصاديان (نيويورك: و. و. نورتون، 1965)، المجلس الخاص بالتنافس، فهرس أبجدي كشاف بالقدرات التنافسية (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: المجلس الخاص بالتنافس، 1988)، المرفق الثاني.

(122) آدامز، «الولايات المتحدة النموذج الاقتصادي المسيطر»، ص 24.

الماضية . فإذا نمت الولايات المتحدة والدول الغنية الأخرى بمعدل يقرب من 2,5 بالمئة سنوياً، بينما نمت أكبر خمسة عشر بلداً من البلدان المتخلفة بنسبة تراوح بين 4 بالمئة و5,5 بالمئة سنوياً، «فإن نصف إنتاج العالم لإجمالي بعد 30 سنة من الآن سيكون في البلدان التي هي فقيرة اليوم، أما أغنياء تسعينيات القرن العشرين، أعضاء منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي فسيرون حصتهم تهبط من 70 بالمئة من الإجمالي العالمي إلى حوالي 45 بالمئة . وتهبط حصة الولايات المتحدة من نحو 23 بالمئة إلى 15 بالمئة»<sup>(123)</sup> . وستظل الولايات المتحدة تملك أكبر اقتصاد، غير أن زعامتها ستكون أكثر تواضعاً مما هي عليه اليوم . وبالطبع فإن مثل هذه الإسقاطات المستقبلية الجارية على خط مستقيم قد تحبطها التغيرات السياسية والمفاجآت التاريخية، كما أن النمو في البلدان النامية قد لا يكون بهذه السرعة . ومع ذلك فسيكون من العجيب والمدهش أن لا تتقلص حصة الولايات المتحدة في سياق القرن الحادي والعشرين . وكما يستنتج عالم سياسي كندي، فإنه «ما لم تصب الولايات المتحدة بكارثة كبرى (تستثنى من شرّها القوى الكبرى الأخرى)، فإن هناك طريقة واحدة فقط يتغير فيها ميزان إمكانيات القوى بين الولايات المتحدة والقوى الكبرى الأخرى كما هو قائم عند مطلع الألفية: وهي أنه سيجري ببطء شديد وعلى امتداد عقود كثيرة من السنين»<sup>(124)</sup> . ورغم أن مأساة أيلول/ سبتمبر 2001 كانت رهيبه، فإن تقليص زعامة أمريكا تقليصاً حقيقياً يقتضي سلسلة مأس أكبر منها بكثير .

وحتى في الحالة المحتملة لبقاء الولايات المتحدة كأكبر بلد على مدى زمن غير قصير من القرن الحادي والعشرين حسب قياسات مصادر القوى

(123) هاري زوين، «آفاق أمام الولايات المتحدة: عالم غني، وديمقراطي و(ربما) مسالم»، مخطوط غير منشور، حزيران/ يونيو 1993، 29.

(124) كيم نوزال، «قوة عظمى متوحشة، أم قوة مفرطة متحجة؟ تحليل القوة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة». ورقة مقدمة إلى رابطة الدراسات السياسية في جنوب إفريقيا، تموز/ يوليو 1999، ص12.

الجدول 1 - 2 مصادر القوة حوالي العام 2000

المصدر	الصين	روسيا	بريطانيا	فرنسا	ألمانيا	اليابان	الولايات المتحدة	الولايات المتحدة
(الاتحاد الأوروبي) (الاتحاد الأوروبي) (الاتحاد الأوروبي)								
الأساسية								
الإقليم بالرف الكيلومترات المربعة	3288	9597	17075	245	547	357	378	9,269
عدد السكان بالملايين (1999)	1014	1262	146	60	59	83	127	276
معدل المتعلمين	52	81,5	98	99	99	99	99	97
المسكينة								
الرؤوس المربعة	90 - 85	أكثر من 40	22508	192	450	~	-	12070
الميزانية بمليارات الدولارات	10,7	12,6	31	34,6	29,5	24,7	41,1	288,8
عدد المجندين	1,173,000	2,480,000	1,004,100	212400	317300	332800	236300	1,371,500
الاقتصادية								
جمالي الناتج المحلي	1805	4800	620	1290	1373	1864	2950	9255
مليارات الدولارات								
التعامل في القوة الشرائية (1999)	1800	3800	4200	21800	23300	22700	23400	33900
حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي								
موجب التعامل المذكور (1999)								
القيمة الصناعية المضافة	63	309	غير متوفرة	214	290	556	1117	1344
بمليارات الدولارات 1996								
الصناعات التكنولوجية العالمية (1997)	32	183	87	96	69	112	420	637
بمليارات الدولارات								
عدد الكومبيوترات الشخصية	3,3	12,2	37,4	302,5	221,8	297	286,9	570,5
لكل ألف من السكان								

الملخصة في الجدول 1 - 2، فإن هناك تغيرات أخرى تحدث في توزيع القوى. فبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وصف بعضهم العالم الناجم عن ذلك بأنه أحادي القطب، ووصفه البعض الآخر بأنه متعدد الأقطاب. وكلا الوصفين صحيح، ومخطئ في الوقت نفسه، لأن كلا من المجموعتين تشير إلى بُعد مختلف من أبعاد القوة التي لم يعد من الممكن الافتراض بأن الهيمنة العسكرية تجعلها متجانسة. فأحادية القطب صفة مضللة لأنها تبالغ في درجة قدرة الولايات المتحدة على الحصول على النتائج التي تريدها في بعض أبعاد السياسة العالمية. غير أن صفة تعدد الأقطاب مضللة لأنها توحي ضمناً بوجود عدة بلدان متساوية القوة تقريباً.

وبدلاً من ذلك، فإن القوة اليوم موزعة بين البلدان في نمط يشبه لعبة شطرنج معقدة ذات ثلاثة أبعاد<sup>(125)</sup>. فعلى رأس الرقعة القوة العسكرية التي هي أحادية القطب إلى حد كبير. وكما رأينا، فإن الولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي يملك أسلحة نووية عابرة للقارات، وكذلك قوات جوية وبحرية وبرية كبيرة تستخدم أحدث الأسلحة، وهي قادرة على الانتشار على صعيد عالمي في أي مكان. ولكن القوة الاقتصادية في وسط الرقعة متعددة الأقطاب، تمثل فيها الولايات المتحدة، وأوروبا واليابان ثلثي إنتاج العالم، ومن المحتمل أن يؤدي نمو الصين المثير السريع إلى جعلها من اللاعبين الكبار في وقت مبكر من هذا القرن. وكما رأينا على هذه الرقعة الاقتصادية، فإن الولايات المتحدة ليست هي المهيمنة، وكثيراً ما يتعين عليها أن تساوم أوروبا كئيداً مساوٍ لها. وقد أدى ذلك إلى جعل بعض المراقبين يصفون هذا العالم كهجين مركب من عالم أحادي القطب وعالم متعدد الأقطاب<sup>(126)</sup>. ولكن الوضع معقد أكثر حتى من

(125) كان صديقي ستانلي هوفمان هو الذي عرّفني للمرة الأولى على الصورة المجازية لرقاع الشطرنج متعددة الأبعاد (ولو أنها لم تكن ثلاثية الأبعاد). انظر كتابه: «أولية أم نظام عالمي (نيويورك: ماكغرو- هيل، 1978)، ص 119.

(126) صامويل هانتغتون، «الولايات المتحدة - اضمحلال أم تجدد؟».

ذلك، بحيث يصعب وصفه باستخدام المصطلحات التقيدية عن توازن القوى بين الدول. ومما قاع رقعة الشطرنج فإنه مجال العلاقات عابرة القومية التي تتخطى الحدود خارجة عن سيطرة الحكومات. وهو مجال يشمل العناصر الفاعلة من غير الدول، وهي عناصر شتى مختلفة كالفرق بين الصيارفة الذين يحولون عن طريق البريد الإلكتروني مبالغ أكبر من معظم الميزانيات الوطنية من جهة، وبين إرهابيين يشنون هجمات ومفسدين يعبثون بعمليّات الإنترنت من جهة أخرى. وعلى هذا القاع من الرقعة فإن القوة مشتتة على نطاق واسع، فلا يبقى هناك معنى للحديث عن أحادية القطب أو تعدّد الأقطاب أو الهيمنة. فأولئك الذين يوصون باتباع سياسة خارجية أمريكية مهيمنة قائمة على مثل هذه الأوصاف التقليدية للقوة إنما يعتمدون على تحليل غير مناسب إلى حد مخيف. فعندما تنهكم بلعبة ذات ثلاثة أبعاد، فإنك ستخسر إذا ركزت على رقعة العلاقات العسكرية بين الدول فقط، وعجزت عن ملاحظة الأماكن الأخرى من الرقعة والعلاقات العمودية في ما بينها.

ونظراً لميزة أمريكا القيادية المتفوقة في ثورة المعلومات واستثمارها الماضي في مصادر القوة التقليدية، فإن الأخبار الجيدة للأمريكيين هي أن من المحتمل أن تظل الولايات المتحدة هي البلد الأقوى الوحيد حتى شوط كبير من هذا المرون. ورغم أن من الممكن تكوين ائتلافات محتملة لإيقاف القوة الأمريكية، كما رأينا آنفاً، فليس من المحتمل أن تصبح تحالفات صلبة حازمة إلا إذا استخدمت الولايات المتحدة قوتها الصلبة بطريقة ثقيلة الوطأة أحادية الجانب تقوِّض قوتها الناعمة الطرية. وكما كتَبَ جوزيف جيف: «على عكس القرون الماضية، عندما كانت الحرب هي الحَكَم الأعظم، فإن أكثر أنواع القوة إثارة للاهتمام اليوم لا تأتي من فوهة البندقية... إن هناك اليوم ربحاً أكبر بكثير في «جعل الآخرين يريدون ما تريده أنت»، وهذا أمر له صلة بالجاذبية الثقافية، والعقيدة وجدول الأعمال الذي يضع ويعرض جوائز كبيرة للتعاون، كاتساع السوق الأمريكية وتقدمها وتعقيدها. فعلى مائدة القمار هذه، لا تستطيع لصين،

وروسيا، واليابان، وحتى الأوروبيون الغربيون، مضاهاة كومة الأقراص التي يكسدها أمامه اللاعب الأمريكي»<sup>(127)</sup>. وتستطيع الولايات المتحدة أن تبعثر وتهدر هذه القوة الناعمة الطرية بنزعة أحادية منفردة ثقيلة الوطأة. وكما حذر ريتشارد هاس، مدير تخطيط السياسة في وزارة الخارجية في إدارة جورج ووكر بوش، فإن أية محاولة للسيطرة «سينقصها الدعم المحلي وستثير مقاومة دولية تؤدي بدورها إلى جعل كلفة الهيمنة أضخم وفوائدها أصغر»<sup>(128)</sup>. وسوف يعتمد الكثير على تطور الرأي العام الأمريكي، وعلى مواقف الكونغرس، وسياسات الإدارة. وهذا الجزء من الجواب هو في أيدي أمريكية إلى حد كبير.

وأما الأخبار السيئة للأمريكيين في هذا التوزيع الأعقد للقوة في القرن الحادي والعشرين فهي أن هناك أشياء أكثر فأكثر خارج سيطرة حتى أقوى الدول. ولقد كان على 11 أيلول/ سبتمبر أن يوجه نداء استيقاظ. فعلى الرغم من جودة أداء الولايات المتحدة على صعيد الإجراءات التقليدية، فإن هناك أحداثاً جارية تتزايد باستمرار مما لا تستطيع تلك الإجراءات الإمساك به. فتحت تأثير ثورة المعلومات والعولمة، تتغير السياسة الدولية بطريقة تعني أن الأمريكيين لا يستطيعون تحقيق جميع أهدافهم الدولية بالتصرف من جانب واحد منفردين. فالولايات المتحدة تنقصها الشروط المسبقة دولياً ومحلياً لحل صراعات هي من الشؤون الداخلية للمجتمعات الأخرى، ولفرض رقابة وسيطرة على عمليات وصفقات عابرة للقومية تهدد الأمريكيين في بلادهم. إن علينا أن نحشد ائتلافات دولية لمواجهة التهديدات والتحديات المشتركة. وسوف يتعين علينا أن نتعلم كيف نتشارك، وكذلك كيف نقود، بطريقة أفضل. وكما كتب

(127) جوزيف جوف، «أمريكا التي لا مهرب منها» مجلة [الأحد] للنويويورك تايمز، عدد 8 حزيران/ يونيو، 1997، ص38.

(128) ينقل عنه ر. و. آبل الأصغر في مقالته، «عندم يمدُ القرن الأمريكي مضماره»، النيويورك تايمز، عدد 1 كانون الثاني/ يناير، ص3.



مراقب بريطاني : «إن مفارقة القوة الأمريكية عند نهاية هذه الألفية هي أنها أعظم من أن تهددها أية دولة أخرى، ومع ذلك فإنها ليست عظيمة بما يكفي لحل مشاكل مثل الإرهاب العالمي وانتشار الأسلحة النووية. فهي بحاجة إلى مساعدة من الدول الأخرى واحترام من هذه الدول كذلك»<sup>(129)</sup>. وسنقع في المتاعب إن لم نتفهم ذلك. ولأسباب سنراها في الفصلين التاليين، فإن ذلك الجزء من الجواب سيكون في أيدي الآخرين على نحو متزايد.



(129) سباستيان مالابي، «أضحوة في أعين العالم»، الواشنطن بوست، عدد 31 كانون

الثاني / يناير 1999، القسم 8، ص5.

# 2

## ثورة المعلومات

في سنة 1997 فازت جودي وليامز، وهي من النشطاء العاملين على مستوى القواعد الشعبية الدنيا، والمقيمة آنذاك في فيرمونت، بجائزة نوبل لمساعدتها على تكوين معاهدة تحظر استخدام الألغام البرية ضد الأشخاص، رغم معارضة البنتاغون، أقوى بيروقراطية في أقوى بلد في العالم. وقد نظمت حملتها إلى حد كبير على الإنترنت. وفي سنة 1999 اجتمع ألف وخمسمئة شخص ومجموعة في سياتل، وعرفلوا بشغفهم اجتماعاً هاماً لمنظمة التجارة العالمية. ومرة أخرى تم تخطيط الجزء الأكبر من حملتهم على الإنترنت. وفي السنة التالية دشن مخرب شاب من الفلبين فيروساً انتشر حول العالم، مسبباً خسائر لعلها تراوح من أربعة مليارات إلى خمسة عشر ملياراً من الدولارات في الولايات المتحدة وحدها. وسرق مخربون مجهولون معلومات من البنتاغون، ووكالة الفضاء الوطنية الأمريكية، وشركات كبرى مثل مايكروسوفت. وكشفت الحملات المشددة على أجهزة الكمبيوتر المصادرة من الإرهابيين عن وجود شبكات معقدة من الاتصالات. ومن جهة أخرى فإن الشبان الإيرانيين والصينيين يستخدمون الإنترنت سراً كي يتصلوا مع مواقع الشبكات الغربية

ليناقشوا الديمقراطية . إن هناك ثورة من المعلومات تحدث تغييرات درامية مفاجئة في السياسة الخارجية الأمريكية وتجعل إدارتها أصعب من ذي قبل على المسؤولين . وفي الوقت نفسه ، فإن الثورة في المعلومات - من خلال تعزيز الديمقراطية ونزع الصفة المركزية - آخذة في تكوين ظروف منسجمة مع القيم الأمريكية وتخدم مصالحنا على المدى الطويل ، هذا إذا تعلمنا كيف نستفيد منها .

قبل أربعة قرون ، كتب رجل الدولة والفيلسوف الإنكليزي فرانسيس بيكون أن المعلومات قوة . وفي مطلع القرن الحادي والعشرين ، هناك عدد أكبر بكثير من السكّان ضمن البلدان وفي ما بينها قادرون على النفاذ والوصول إلى القوة . ولقد كانت الحكومات قلقة دائماً من تدفق المعلومات وقلقة بشأن السيطرة عليها ، والفترة الحالية ليست هي الأولى المتأثرة تأثراً شديداً بالتغيرات في تكنولوجيا المعلومات . فاختراع غوتنبيرغ لحروف المطبعة المنفصلة المتحركة ، التي سمحت بطبع الإنجيل وإيصاله إلى فئات كبيرة من سكان أوروبا ، كثيراً ما ينسب إليه الفضل في لعب دور كبير عند بداية حركة الإصلاح الديني . أما الثورة الأمريكية فقد تم التمهيد لها بنشر كتيبات ومجموعات من المراسلات . وفي عالم الرقابة الصارمة التشدد في فرنسا القرن الثامن عشر ، فقد راحت الأخبار تنتقل وتتداول عبر طرق وأساليب متعددة خارج القانون - بالنقل الشفوي ، والمخطوطات اليدوية ، والطباعة - مما ساعد على إرساء أسس الثورة الفرنسية . وكما جادل روبرت دارنتون ، المؤرخ من جامعة برينستون ، فإن «كل عصر هو عصر معلومات ، بطريقته الخاصة به»<sup>(1)</sup> . ولكن حتى يكون لم يكن يستطيع أن يتصور ثورة المعلومات في عصرنا الراهن .

إن ثورة المعلومات الحالية تقوم على قفزات التقدم التكنولوجي في

(1) روبرت دارنتون ، «مجتمع معلومات مبكر» (الخطاب الرئاسي) ، مجلة أمريكان

هستوريكال ريفيو ، شباط / فبراير 2000 ، ص 1.

أجهزة الكمبيوتر، والاتصالات، والبرمجيات، التي أدت بدورها إلى انخفاضات كبيرة ومفاجئة في كلفة معالجة المعلومات ونقلها. ذلك أن ثمن الكمبيوتر الجديد راح يتناقص بمقدار الخمس في كل سنة منذ سنة 1954. وارتفعت تكنولوجيات المعلومات من 7 بالمئة إلى نحو 50 بالمئة من الاستثمار الجديد في الولايات المتحدة. كما أن القوة الكومبيوترية راحت تتضاعف مرة كل ثمانية عشر شهراً طيلة السنوات الثلاثين الماضية، بل أسرع من ذلك في الآونة الأخيرة. وهي الآن تكلف أقل من 1 بالمئة من كلفتها في أوائل سبعينيات القرن العشرين. ولو أن أسعار السيارات انخفضت بالسرعة نفسها التي انخفضت فيها أسعار المواد شبه الموصلة لكان سعر السيارة اليوم قد وصل إلى خمسة دولارات.

أما حركة المرور على الإنترنت فقد ظلت تتضاعف مرة كل مئة يوم على مدى السنوات القليلة الماضية. ففي سنة 1993 كان هناك نحو خمسين موقعاً على الشبكة في العالم؛ وبحلول نهاية عقد التسعينيات زاد العدد على خمسة ملايين<sup>(2)</sup>. كما أن عرض حزمات الاتصال أخذ في التوسع بسرعة، بينما تستمر تكاليف الاتصال بالانخفاض بصورة أسرع حتى من القوة الكومبيوترية. فحتى سنة 1980، كانت المكالمات الهاتفية على الأسلاك النحاسية تنقل صفحة واحدة فقط من المعلومات في كل ثانية؛ أما اليوم فإن شريحة رقيقة من الألياف البصرية تستطيع أن تنقل تسعين ألف مجلد في الثانية<sup>(3)</sup>. وحسب أسعار

(2) دوغلاس ماكغري، «أرخيل السيليكون»، فصلية دايدالوس، ربيع سنة 1999، ص 147 - 176.

(3) جيريمي غرينود، الثورة الصناعية الثالثة: التكنولوجيا، والإنتاجية، وتفاوت المداخل (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: AEI Press، 1997، ص 20 - 23)؛ «التجارة الإلكترونية تغدي نمو الولايات المتحدة»، الفاينانشال تايمز (لندن)، 16 إبريل/ نيسان، 1998، ص 5؛ وقد قام غوردون مور، المؤسس المشارك لإنترنت Intel بصياغة قانونه الذي صار مشهوراً الآن باسم قانون مور عن قوة معالجة الوحدات المتناهية الصغر، والكلفة -

دولارات سنة 1990، فإن كلفة نداء هاتفي عبر الأطلسي لمدة ثلاث دقائق قد انخفضت من 250 دولاراً في سنة 1930 إلى أقل بكثير من دولار واحد عند نهاية القرن العشرين<sup>(4)</sup>. وفي سنة 1980 كان تخزين الجيغابايت يحتل فراغاً يعادل مساحة غرفة؛ أما الآن، فيمكن وضعه على جهاز يعادل حجم بطاقة مصرفية تضعها في جيبيك<sup>(5)</sup>.

إن الميزة الهامة لثورة المعلومات ليست هي سرعة الاتصالات بين الأثرياء والأقوياء - فعلى مدى أكثر من 130 سنة كان الاتصال الفوري الفعلي ممكناً بين أوروبا وأمريكا الشمالية. بل إن التغير الحساس الأهمية هو الانخفاض الهائل في كلفة نقل المعلومات. فمن الناحية العملية، صارت تكاليف النقل الفعلية ضئيلة إلى درجة أنها لا تستحق الذكر؛ ومن هنا فإن كمية المعلومات التي يمكن نقلها على صعيد العالم كله صارت من الناحية الفعلية

= في سنة 1965 - كما تلاحظ مقالة إننيل على موقعها على الشبكة عن ملاحظات قانون مور - «لقد انخفض السعر الواسطي لجهاز الترانزستور إلى سدس حجمه بسبب تطوير جهاز معالجة الوحدات المتناهية الصغر. وهذا شيء لا سابقة له في تاريخ لعالم؛ فليست هناك مادة تناقص سعرها إلى هذا الحد، ويمثل هذه السرعة»

([http://developer.intel.com/solutions/archive/issue2\\_focus.htm#OVER](http://developer.intel.com/solutions/archive/issue2_focus.htm#OVER))

وزارة التجارة لأمركية، الاقتصاد الرقمي الآخذ في البروز، الفصل الأول، «الثورة الرقمية»

([www.doc.gov/ecommerce/danc1.htm](http://www.doc.gov/ecommerce/danc1.htm))

ك. ج. كوفمان وأندرو أودليزكو، «حجم الإنترنت وسموها»، الإثني الأول: سجل بير المنفتح على الإنترنت

([www.firstmonday.dk/issues/issue3-10/coffman\\_index.html](http://www.firstmonday.dk/issues/issue3-10/coffman_index.html)).

(4) ريتشارد آدامز، «الولايات المتحدة النموذج الاقتصادي المسيطر»، المسح السنوي للفاينانشال تايمز: الأسواق سنة 2000، 11 كانون الثاني/يناير، سنة 2000، ص 26.

(5) بيبانوريس، الهوية الرقمية: العمل المدني، وفق المعلومات والإنترنت على صعيد العالم كله (نيويورك: مطبعة جامعة كمبريدج، 2001)، ص 8.

غير محدودة. والنتيجة هي انفجار في المعلومات تشكّل الوثائق جزءاً ضئيلاً منه. وحسب أحد التقديرات هناك 1,5 مليار جيجابايت من المعلومات الرقمية المخزونة مغناطيسياً (أي 250 ميغابايت لكل واحد من سكان العالم)، وتتضاعف عمليات شحن هذه المعلومات مرة كل سنة. وعند مطلع القرن الحادي والعشرين كان هناك 610 مليارات رسالة إلكترونية و2,1 ملياري صفحة ساكنة على الشبكة العالمية (World Wide Web) وينمو عدد الصفحات بمعدل 100 بالمئة سنوياً<sup>(6)</sup>. وهذا التغير الصاعق المفاجئ في التكنولوجيا المترابطة من اتصالات الكمبيوتر، الذي يدعى أحياناً الثورة الصناعية الثالثة، آخذ في طبيعة الحكومات والسيادة، وزيادة دور العناصر الفاعلة من غير الدول، وتعزيز أهمية القوة الناعمة الطرية في السياسة الخارجية<sup>(7)</sup>.

### دروس من الماضي

يمكننا الحصول على فكرة عما نحن متجهون إليه، إذا ألقينا نظرة على الماضي. ففي الثورة الصناعية الأولى، نحو مطلع القرن التاسع عشر، كان لتطبيق البخار على الطواحين ووسائل النقل تأثير قوي على الاقتصاد، والمجتمع، والحكومة. فقد تحولت أنماط الإنتاج، والعمل، وظروف المعيشة، والطبقات الاجتماعية، والسلطة السياسية. ونشأت التربية العامة لتلبية

(6) هال فاربان، «ما هي كمية المعلومات الموجودة؟»

(<http://www.sims.berkeley.edu/how-much-info/summary.html>).

(7) انظر مثلاً بيتر دزاكر، «ثورة المعلومات المقبلة»، مجلة فوربس، عدد 24 آب/أغسطس، 1998، ص 46 - 58؛ وكذلك ألفين توفلر وهايدي توفلر: سياسة الموجة الثالثة (مدينة كانساس، ميسوري: أندروز ومكميل، 1995)؛ ودون تابسكوت، الاقتصاد الرقمي: الوعد والخطر في عصر المخابرات المختزنة في الشبكات (نيويورك: مكعرو - هيل، 1996)؛ وكذلك ريتشارد روزكرانس، صعود الدولة الافتراضية (نيويورك: بيبك بوكس، 1999).

الحاجة إلى عمال متعلمين مدربين للعمل في مصانع متزايدة التعقيد وفيها إمكانيات خطرة. وتم إيجاد قوى الشرطة، كما في لندن، للتعامل مع تضخم الحواضر في المدن. وقدمت معونات مالية لإقامة البنى التحتية اللازمة، كالقنوات وسكك الحديد<sup>(8)</sup>.

أما الثورة الصناعية، في نحو مطلع القرن العشرين، فقد أدخلت الكهرباء، والمواد التركيبية، وماكينات الاحتراق الداخلي، فأحدثت تغييرات اقتصادية واجتماعية مماثلة. وتحولت الولايات المتحدة من أمة يغلب عليها الطابع الزراعي إلى أمة صناعية حضرية مدنيّة بالدرجة الأولى. ففي تسعينيات القرن التاسع عشر كان معظم الأمريكيين ما يزالون يشتغلون في المزارع أو كخدم. وبعد ذلك ببضعة عقود، كانت غالبيتهم تسكن في المدن وتشتغل في المصانع<sup>(9)</sup>. فتغيرت الطبقات الاجتماعية والانقسامات السياسية عندما اكتسب العمل في المدن، ونقابات العمال، مزيداً من الأهمية. ومرة أخرى، تغير دور الحكومة، بعد بعض التأخيرات. وأدخلت الحركة التقدمية، التي ضمت أعضاء من الحزبين، تشريعاً مضاداً لسيطرة الاحتكارات؛ وتم تطبيق تعليمات لحماية المستهلك في وقت مبكر على يد الجهاز السابق لإدارة الأغذية والأدوية واتخذ مجلس احتياطي النقد الاتحادي خطوات لتحقيق استقرار الاقتصاد<sup>(10)</sup>.

(8) دافيد س. لاندز، برومبوس التطبيق: التغير التكنولوجي والتنمية الصناعية في أوروبا الغربية من سنة 1750 حتى الآن (كمبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1969)، الفصلان الثاني والثالث؛ دافيد طومسون، إنكلترا في القرن التاسع عشر، 1815 - 1914 (نيويورك: فايكنغ بنعوين، 1978 [1950])، ص 63 - 68؛ ألفريد شاندلر الأصغر، اليد المرئية: الثورة الإدارية في التجارة الأمريكية (كمبريدج، ماساشوسيتس: بيلكناب، 1977)، ص 90 - 91.

(9) زين ل. ميلر، تمدين أمريكا الحديثة: تاريخ مختصر، الطبعة الثانية (سان دييغو: هاركورت پريس جوفانوفيتش، 1987)، وهذا الموضوع وارد في أماكن كثيرة من هذا الكتاب المذكور أعلاه.

(10) ستيوارت، و. بروتشي، نمو الاقتصاد الأمريكي الحديث (نيويورك: دود -

ونَهضت الولايات المتحدة إلى مكانة دولة عظمى في السياسة الدولية. ويتوقع البعض أن تحدث الثورة الصناعية الثالثة تغييرات مماثلة في الاقتصاد والمجتمع، والحكومة، والسياسة العالمية<sup>(11)</sup>.

إن هذه القياسات التاريخية تساعدنا على فهم بعض القوى التي ستشكل السياسة العالمية في القرن الحادي والعشرين. لقد تغيرت الاقتصادات وشبكات المعلومات بسرعة أكثر من سرعة تغير الحكومات. وقد تنامت أحجامها بأسرع من تنامي السيادة والسلطة. «إذا كانت هناك مشكلة اجتماعية داهمة في المجتمع ما بعد الصناعي - ولا سيما في إدارة التحويل والانتقال - فهي إدارة الحجم»<sup>(12)</sup>. وبعبارة أبسط فإن التكنولوجيا الجديدة تحول كتل بناء السياسة العالمية، وسوف يتعين على سياستنا أن تتكيف لذلك بطريقة مناسبة. فإذا ركزنا على القوة الصلبة للدول الأمم فقط، فسوف تفوتنا الحقيقة الجديدة، ونفشل في إحراز تقدم لمصالحنا ومثلنا وقيمنا.

ميد، (1975)؛ توماس ماكرو، المتنبئون بالقيود: شارلس فرانسيس آدمز، ولويس د. برانديز، وجيمس م. لانديس، والفريد دي. كاهن (كمبريدج، ماساشوسيتس: بيلكناب، 1984)، الفصول الخمسة الأولى.

(11) وفي الوقت نفسه، يجب أن يكون المرء حذراً في القياسات التشبيهية الكسرى. فالثورة، المعرفة بأنها انفصال في القوة، كثيراً ما يصعب تمييزها إلا بالعودة إلى التفكير فيها بعد مدة من حدوثها. وعلاوة على ذلك، فإن المؤرخين يختلفون في تحديد تواريخ الثورات الصناعية المبكرة الأولى والمدى الزمني الذي استغرقته. فاصطلاح «الثورة الصناعية» لم يتم تعريفه حتى سنة 1886، أي بعد قرن من بدئها. وعلى الرغم من وجود حالات تقطع في التقدم التكنولوجي، حيث تبوأ القيادة قطاعات مختلفة في كل فترة، فقد كان من الصعب إيجاد تحديد دقيق زمنياً لموجات أو دورات طويلة من النمو الاقتصادي. انظر دانييل بيل، مجيء مجتمع ما بعد التصنيع: مغامرة في التنبؤ الاجتماعي (نيويورك: بيسك بوكس، 1999 [1973])، ص 5. وكذلك ناثان روزنبرغ: استطلاع الصندوق الأسود: التكنولوجيا والاقتصاد، والتاريخ (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 1994)، الفصل الرابع.

(12) بيل، مجيء مجتمع ما بعد التصنيع، ص 94، 97.



### المركزية أم الانتشار؟

قبل ستة عقود مضت تنبأ عالم الاجتماع البارز وليام أوغبيرن بأن التكنولوجيا الجديدة سوف تؤدي إلى مركزية سياسية أكبر وإلى تقوية الدول في القرن لعشرين. ففي سنة 1937 جادل أوغبيرن بأن «حكومة الولايات المتحدة ربما تميل إلى تشديد النزعة المركزية بسبب الطائرة، والحافلة، والشاحنة، وماكينات الديزل، والمذياع، والهاتف، والاستخدامات المختلفة للجهازين السلبي واللاسلكي. والمخترعات نفسها تعمل في التأثير على الصناعات وتنتشر عبر حدود الدول والولايات... فنزعة الحكومة نحو المركزية تبدو منتشرة في جميع أنحاء العالم، حيثما تواجدت وسائط المواصلات الحديثة»<sup>(13)</sup>. وعلى وجه العموم فقد كان أوغبيرن محقاً بشأن القرن العشرين، ولكن من المحتمل أن ينقلب هذا التوجه إلى العكس في القرن الحادي والعشرين.

إن الأسئلة عن الدرجات المناسبة من مركزية الحكومة ليست جديدة. فكما أشار الاقتصادي شارلي كندلبرغر، فإن مسألة «الكيفية التي سيتغير بها الخط، في اتجاه المركز أو بعيداً عنه ربما تظل غير محلولة فترات طويلة، وهي فترات ستكون مشحونة بالتوتر»<sup>(14)</sup>. فإذا كانت الدولة - الأمة قد أصبحت أصغر من أن تطبق التعامل مع المشاكل الكبرى في الحياة، وأكبر من أن تنهك في المشاكل الصغرى»<sup>(15)</sup>، فقد لا نجد مركزية أو لا مركزية، بل انتشار مشّت

(13) وليام فيلدينغ أوغبورن، «تأثير المخترعات على المؤسسات الاجتماعية الأمريكية في المستقبل»، ذي أمريكان جورنال أوف سوشيلوجي، عدد تشرين الثاني / نوفمبر 1937، ص 370.

(14) تشارلس كيندلبرغر، المركزية ضد التعددية (كوپنهاغن: مطبعة مدرسة كوپنهاغن التجارية، 1996)، ص 13. وانظر أيضاً غاري ماركس وليزييت هوغ، «الحالة الفضلى والسلطة: نقد للنظرية الكلاسيكية لمُحدّثة»، جورنال أوف كومون ماركيت سنديز، عدد كانون الأول / ديسمبر 2000، ص 795 - 816.

(15) بيل، مجيء مجتمع ما بعد التصنيع، ص 94.

لأنشطة إدارة الحكم في اتجاهات كثيرة في الوقت نفسه. ويوضح الجدول التالي إمكانية انتشار للأنشطة بعيداً عن الحكومات المركزية، عمودياً إلى مستويات أخرى من الحكم، وأفقياً نحو عناصر السوق وعناصر فاعلة خاصة لا علاقة لها بالسوق، أي ما يسمى القطاع الثالث. فقد نمت المؤسسات غير الهادفة إلى الربح نمواً سريعاً في الولايات المتحدة حتى صارت تمثل 7 بالمئة من الوظائف المدفوعة الأجر (أكثر من الموظفين الاتحاديين وموظفي الولايات الحكوميين)، كما أن المنظمات الدولية غير الحكومية التي تتواجد مقراتها في الولايات المتحدة قد توسعت إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه في ما بين سنة 1970 ومطلع التسعينيات من القرن العشرين<sup>(16)</sup>. وإذا كان القرن العشرون قد شهد سيادة القوى الجاذبة إلى المراكز كما تنبأ أوغبيرن، فقد يشهد القرن الحادي والعشرون دوراً أكبر للقوى النابذة الطاردة عن المركز.

كان أوج المركزية في القرن العشرين الدولة الشمولية التي أكملها جوزيف ستالين في الاتحاد السوفياتي<sup>(17)</sup>. فكانت متطابقة بشكل مناسب مع المجتمع الصناعي - بل كان المجتمع الصناعي هو الذي جعلها ممكنة -، ثم تقوضت أسسها في آخر الأمر على يد ثورة المعلومات. وكان نموذج ستالين الاقتصادي قائماً على التخطيط المركزي، الذي جعل الكمية، لا الأرباح، هي المعيار الرئيسي لنجاح أي مدير. فكان المخططون، لا الأسواق، هم الذين يضعون

(16) ليستر سالامون، «صعود القطاع غير الهادف للربح: ثورة ترابطية عالمية» مجلة فورين آفيرز، عدد تموز/ يوليو 1994، ص 109 - 122؛ وجسيكات. ماثيوز، «انتقال القوة». فورين آفيرز، عدد كانون لثاني/ يناير 1997، ص 50 - 66؛ وكذلك كتاب القوة الثالثة، من تحرير آن فلوريني (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: منحة كارنيجي، 2000)؛ تقويم عدم استهداف الربح لسنتي 1996 - 1997 (سان فرانسيسكو: جوزيه باس، 1996)، ص 29.

(17) كارل ف. فريدريك وزبغنيو بريجنسكي، الدكتاتورية الشمولية والتسلط الفردي، الطبعة الثانية (كمبريدج، ماساشوسيتس، مطبعة جامعة هارفارد، 1965).

الأسعار. أما المستهلكون فلم يلعبوا دوراً يُذكر كزبائن. وقد نجح الاقتصاد الستاليني في استيعاب التكنولوجيا غير المعقدة نسبياً، وفي إنتاج السلع الأساسية كال فولاذ والكهرباء على نطاق واسع وكثيف، وكان فعالاً في استخراج رأسمال من القطاع الزراعي في ثلاثينيات القرن العشرين، واستخدامه لبناء صناعة ثقيلة. كما كان فعالاً في إعادة الإعمار بعد الحرب، عندما كانت العمالة متوفرة بكثرة. غير أن قوة الاندفاع نفدت لدى هذا النموذج الستاليني من التخطيط المركزي<sup>(18)</sup>.

الجدول 2 - 1: انتشار إدارة الحكم في القرن الحادي والعشرين

	القطاع الخاص	القطاع العام	القطاع الثالث
العابرة للوطنية	الشركات العابرة للقومية مثل IBM وشل	المنظمات الدولية الحكومية (مثل الأمم المتحدة، ومنظمة التجارة العالمية)	المنظمات غير الحكومية (مثل أوكسفام، والسلام الأخضر)
الوطنية	الشركات الوطنية (مثل الخطوط الجوية الأمريكية)	الحكومة المركزية في القرن العشرين	المؤسسات الوطنية غير اهادفة للربح (مثل الصليب الأحمر الأمريكي)
ثبته الوطنية	الأعمال التجارية المحلية	الحكومة المحلية	المجموعات المحلية

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المخططين المركزيين كانت تنقصهم المرونة اللازمة لمواكبة الإيقاع المتسارع للتغير التكنولوجي في الاقتصاد العالمي القائم بشكل متزايد على المعلومات؛ فلم يتواءموا مع الثورة الصناعية الثالثة. وكما

(18) مارشال إ. غولدمان، تحدي غورباشوف: الإصلاح الاقتصادي في عصر التكنولوجيا العليا (نيويورك: و. و. نورتون، 1987)، الفصل الثاني.

قال مارشال غولدمان، المتخصص بشؤون روسيا، ذات مرة: «في آخر الأمر، أصبح نموذج النمو الستاليني قيداً بدلاً من أن يكون سهلاً»<sup>(19)</sup>. وعندما صارت أجهزة الكمبيوتر والرقائق المجهرية أجزاءً منفردة في تركيب المنتجات وليس مجرد أدوات للإنتاج، قصرت دورة حياة هذه المنتجات، على نحو مفاجئ وسريع أحياناً. وعندئذ أخذت منتجات كثيرة تصبح عتيقة الطراز ومهملة بعد بضع سنوات فقط، بل وأقل من ذلك، حتى ولو كان نظام التخطيط الجامد قد يستغرق وقتاً أطول بكثير كي يستجيب، أو أنه يستمر في التوجه نحو أهداف عتيقة مهجورة. فكانت البيروقراطية الروسية أقل مرونة من الأسواق بكثير في الاستجابة للتغير السريع. وقد ظلت كلمة السوق نفسها محرمة على مدى سنوات طويلة<sup>(20)</sup>.

وكان إرث ستالين السياسي عقبة أخرى في وجه الاتحاد السوفياتي. فالمجتمع القائم على المعلومات كان يتطلب معلومات فيها مشاركة واسعة ولها تدفق حرٌّ ليتمَّ حصاد أقصى قدر من المكاسب. وقد أصبح الاتصال الأفقي بين أجهزة الكمبيوتر أهم من الاتصال العمودي من الأعلى إلى الأسفل. ولكن الاتصال الأفقي كان ينطوي على مخاطر سياسية لأن أجهزة الكمبيوتر يمكن أن تصبح معادلة للمطابع. وعلاوة على ذلك، كانت أجهزة الهاتف تضاعف هذه المخاطر بتقديم اتصال فوري بين الكمبيوترات. ولأسباب سياسية كان القادة السوفيات يحجمون عن تبني الاستعمال الحر لأجهزة الكمبيوتر على نطاق واسع. وتوضح إحصائيتان بسيطتان الخسارة السوفياتية في اقتصاد المعلومات الآخذة في التوسع في ثمانينيات القرن العشرين. وبحلول منتصف ذلك العقد لم يكن في الاتحاد السوفياتي سوى خمسين ألف كومبيوتر شخصي (بالمقارنة

(19) المصدر السابق نفسه، ص 15.

(20) إيبيل أغابعيان، «الأداء الاقتصادي» في كتاب من تحريره عوانه اليرسترويك (إعادة الهيكلة) 1989 (نيويورك: سكريتر، 1988)، ص 101.

مع ثلاثين مليوناً في الولايات المتحدة) ولم تكن هناك أجهزة هاتف إلا في 23 بالمئة من بيوت المدن و7 بالمئة من البيوت الريفية<sup>(21)</sup>. ورغم أن هذا الوضع جعل السيطرة السياسية أسهل، فقد كانت له آثار اقتصادية كارثية. ففي منتصف الثمانينيات عجز الاتحاد السوفياتي عن إنتاج أجهزة الكمبيوتر على نطاق واسع. وعند نهاية ذلك العقد، اعترف المسؤولون السوفيات بأن تكنولوجيا كومبيوتراتهم كانت متأخرة عن تكنولوجيا كومبيوترات الغرب. وإضافة إلى ذلك، فإن نقص الحرية للمخربين والمجددين غير الرسميين الآخرين قد عرقل تطوير البرمجيات. وهكذا دفع الروس ثمناً باهظاً للسيطرة المركزية<sup>(22)</sup>.

وسوف تجد حكومات من جميع الأنواع أن السيطرة تفلت منزقة من بين أيديها أثناء القرن الحادي والعشرين مع انتشار تكنولوجيا المعلومات تدريجياً إلى الغالبية الكبرى التي لا تملك أجهزة هاتف ولا كومبيوتر ولا كهرباء في هذا العالم. وحتى الحكومة الأمريكية ستجد أن بعض الضرائب يصعب تحصيلها، وبعض التعليمات (الخاصة بالقمار أو الأدوية التي لا تُصرف إلا بموجب وصفة طبية) يصعب تنفيذها. فهناك حكومات كثيرة اليوم تتحكم في نفاذ مواطنيها إلى الإنترنت عن طريق السيطرة على مقدمي خدمة الإنترنت. ومن الممكن أن يلتفت بعض الأفراد البارعين حول تلك القيود، ولكن ذلك باهظ الكلفة. وليس من الضروري أن تكون السيطرة كاملة لكي تكون فعالة لأغراض سياسية. ولكن مع تطور المجتمعات، فإنها تواجه مأزق محاولة حماية سيطرة سيادتها على المعلومات. وعندما تصل إلى مستويات من التنمية التي تجعل العاملين في مجال المعرفة فيها يريدون وصولاً حراً إلى الإنترنت، فإنها تتعرض لخطر

(21) «الحياة في ما وراء الكرملين»، النيويورك تايمز، عدد 30 أيار/ مايو 1988، ص 7-8.

(22) «السوفيات يبدئون حملة لمحو الأمية الكومبيوترية»، مجلة ساينس، عدد 10 كانون الثاني/ يناير، 1986، ص 109-110؛ «الغلاسنوست (الانفتاح) التخلف السوفياتي في مجال الكومبيوترات»، مجلة ساينس، عدد 26 آب/ أغسطس، 1988، ص 1034.

فقدان أندر مورد للمنافسة في اقتصاد المعلومات. وهكذا فإن سنغافورة تتصارع اليوم مع مأزق إعادة تشكيل نظامها التعليمي لتشجيع الابتكار الفردي الخلاق الذي يتطلبه اقتصاد المعلومات، مع المحافظة في الوقت نفسه على الضوابط الاجتماعية القائمة على تدفق المعلومات. وكما قال غوه شوك تونغ، رئيس وزراء سنغافورة: «إن علينا أن نعيد اختراع أنفسنا. وعلينا أن نتجاوز كوننا أكفاء ومنتجين من أجل أن نكون ونجتذب مشاريع جديدة»<sup>(23)</sup>. وعند طرح سؤال عن كيفية ضبط سنغافورة للإنترنت بعد أن قامت مدارسها بتعليم جيل جديد كيفية الالتفاف على الضوابط، أجاب لي كوان يو، أحد كبار الوزراء، أن ذلك لن تكون له أية أهمية في تلك المرحلة<sup>(24)</sup>. فالأنظمة المغلقة باهظة الكلفة، بينما يصبح الانفتاح مستحقاً لثمنه.

أما الصين فهي حالة أكثر تعقيداً من سنغافورة، بسبب حجمها ومستوى تطورها الاقتصادي الأقل. وقد كانت الحكومة الصينية تقليدياً تعطي المعلومات حسب الموقع البيروقراطي لمتلقيها ولا تشجع تدفق المعلومات بين الأفراد. وهذا وضع وصفه طوني سيش، المختص بدراسة شؤون الصين، بقوله: «في ظل مثل هذا النظام فإن الأساس الحقيقي لتبادل المعلومات هو الأسرار ووصول المتنفذين والمتميزين فقط إلى المعلومات»<sup>(25)</sup>. وتحاول الحكومة الصينية الآن أن تكسب من المزايا الاقتصادية للإنترنت بدون السماح لها بفتح مغاليق نظامهم من السيطرة السياسية. وهم يفعلون ذلك بالسماح لأربع شبكات فقط بالحصول على نفاذ دولي، وإغلاق المواقع على الشبكة، ومنع المواقع

(23) شبل ماكنولتي، «تسليح أمة من أجل الاقتصاد الجديد»، افباينانشال تايمز (لندن)، عدد 15 أيلول/ سبتمبر 2000، ص12.

(24) حديث للمؤلف مع لي كوان يو، في سنغافورة، كانون الثاني/ يناير 1999.

(25) طوني ساينغ، «العولمة، وحسن الإدارة، والدولة المستبدة: الصين» في كتاب من تحرير كل من جوزيف س. ناي الأصغر وجون دوناھيو بعنوان: «حُسن الإدارة في عالم أخذ في التعولم» (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مطبعة مؤسسة بروكينغز)، ص222.

الصينية من استخدام أخبار المواقع على الشبكات خارج البلد. فالإنترنت خاضعة للرقابة عن طريق مقدمي الخدمة والبوابات التي تستضيف لوحات النشر.

وقد تنامي استخدام الإنترنت في الصين على نحو سريع ومفاجئ من مليون شخص في سنة 1998 إلى نحو عشرين مليوناً بعد ذلك بسنتين. ومع ذلك فإن هؤلاء لا يمثلون سوى 1,3 من السكان، ومعظمهم من سكان المدن الأغنياء، وليسوا من غالبية السكان الريفيين. وبعض المواقع والمواضيع يتم قمعها بسرعة، ولكن الانتقادات العامة للقادة الشيوعيين واحتكار حزبهم للسلطة شائعة، وكذلك قواعد البيانات عن الانقسام بين الأغنياء والفقراء في الصين<sup>(26)</sup>. والصحف السريّة المنشقة ترسل إلى مئات الألوف من حسابات البريد الإلكتروني الصينية من أماكن آمنة خارج البلد. وقد ذكرت النيويورك تايمز مؤخراً أن تأثير «وسائط إعلام الظل آخذ في التنامي بمعدلات المتواليات الهندسية، جنباً إلى جنب مع الإنترنت. فالمقالات حتى من الصحف المغمورة جداً سرعان ما تجد طريقها إلى المواقع على الشبكات وغرف الحديث و«الدردشة»<sup>(27)</sup>».

وبعض المقالات متشددة وشوفينية، وليست ليبرالية متحررة ولا ديمقراطية. وأثناء الأزمة التي أعقبت الاصطدام في الجو بين طائرة الاستطلاع الأمريكية والطائرة المقاتلة الصينية في ربيع سنة 2001، شددت حكومة الصين

(26) وانغ جيسي، «شبكة الإنترنت في الصين: وهم خيالي جديد؟» فصلية نيو بيرسبيكتيف كوارترلي، شتاء سنة 2000، ص22؛ وريتشارد ماكريغور، «غرف لدردشة على الإنترنت»، الفاينانشال تايمز (لندن)، عدد 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2000، صviii.

(27) إليرابيث روزنتال، «الصين تكافح للسيطرة على أجهزة الإعلام المنحرفة عن لحدادة باطراد»، النيويورك تايمز، عدد 17 آذار/ مارس، 2001.

موقفها العلني بعد أن راقبت ردود الفعل الوطنية على الإنترنت<sup>(28)</sup>. وليست الإنترنت بالضرورة طريقاً سريعاً إلى الديمقراطية الليبرالية. وتدرك القيادة الصينية أنها لا تستطيع ممارسة سيطرة كاملة على تدفق المعلومات، ولا على وصول مواطنيها إلى المواقع الأجنبية على الشبكة. وهدفها هو وضع تحذيرات حول القيود<sup>(29)</sup>. فالقادة الصينيون، بمعنى ما، يراهنون على أن بإمكانهم الحصول على الإنترنت على نحو انتقائي على هواهم بحيث يلتقطون الحلوى الاقتصادية ويتجنبون دفع الثمن السياسي الذي يأتي مع الوجبة الكاملة. ولعلمهم على حق في مراهناتهم على المدى القريب. أما المدى البعيد فيظل أمراً مشكوكاً فيه. وفي رأي المسؤول السنغافوري لي كوان يو، فإنه «سيحدث على مدى السنوات الثلاثين أو الأربعين المقبلة زحف إلى جميع المدن، وستصبح البلدات الصغيرة مدناً كبيرة، ولها كلها نفاذ يصل إلى الإنترنت وإلى المعلومات. وليست هناك طريقة تجعلك قادراً على التحكم ببطقة إدارية/ محترفة كبيرة دون أن تأخذ آراءها في الحسبان»<sup>(30)</sup>.

ومن الآثار السياسية لزيادة تدفق المعلومات عبر وسائط جديدة أثر واضح من الآن: لقد فقدت الحكومات بعض سيطرتها التقليدية على المعلومات عن علمائها أنفسهم. ففي سنة 2001، على سبيل المثال، فقدت الحكومة الهندية عدة وزراء وكادت تنهار بعد أن ظهرت تقارير عن الفساد على موقع أخبار على الإنترنت. واتضح أن الفضائح التي كان يمكن احتواؤها ذات يوم في نيودلهي صارت السيطرة عليها مستحيلة. «لم يقتصر الأمر على قيام

(28) سوران لورانس ود يفيد مورفي، «كيف تبدأ حرباً باردة»، مجلة فار إيسترن إيكونوميك ريفيو، عدد 12 نيسان/ أبريل، 2001، ص15.

(29) ساينغ، «العولمة، وحسن الإدارة، والدولة المستبدة»، ص 223.

(30) مقابلة لي كوان يو مع جون ثورنهيل وشيلا ماكنولتي، الفاينانشال تايمز (لندن)، عدد 11 نيسان/ أبريل، 2001، ص4.



الموقع Tehelka.com يكشف الفساد الباطن في العسكريين الهنود، بل لقد ساعد ذلك الموقع على تأجيج النزاع بالعمل كلوحة نشرات إخبارية للقراء والساسة كي يعبروا عن آرائهم<sup>(31)</sup>. وفي الفلبين، فإن مئات الألوف من المحتجين الذين عملوا بنجاح على إسقاط الرئيس جوزيف إسترادا «قد تمكنوا من الدعوة إلى اجتماعات في وقت قصير بإرسال الرسائل عن طريق هواتفهم النقّالة»<sup>(32)</sup>. فالفساد يبقى مشكلة في بلدان كثيرة. ولكنه لم يعد شأنًا محلياً فقط. فالمنظمات غير الحكومية الآن تنشر على الإنترنت علناً مراتب البلدان في مدى انتشار الفساد فيها. والبلدان الساعية إلى التنمية تحتاج إلى رأس المال الأجنبي والتكنولوجيا والتنظيم المرافق له. ورأس المال الأجنبي يطالب بالشفافية على نحو متزايد. والحكومات غير الشفافة هي أقل مصداقية، ما دام الآخرون يرون أن المعلومات التي تقدمها متحيزة وانتقائية. وعلاوة على ذلك، فمع تقدم التنمية الاقتصادية وتطور مجتمعات الطبقة الوسطى تصبح الإجراءات القمعية أبهظ كلفة، ليس في الداخل فحسب، بل وعلى صعيد السمعة الدولية كذلك. ففي أواخر ثمانينيات القرن العشرين، اكتشفت كل من تاوان وكوريا الجنوبية أن كبت المطالب المتزايدة بالديمقراطية سيكون باهظ الكلفة أكثر من اللازم على صعيد سمعتهما وقوتهما الناعمة الطرية.

وتختلف البلدان في مدى الدفع باتجاه نزع الصفة المركزية وسرعة هذا الدفع الناجم عن ثورة المعلومات. فبعض الدول أضعف من القطاع الخاص الموجود ضمنها، وبعضها الآخر ليس كذلك. فالجيوش الخاصة من المرتزقة لعبت دوراً هاماً في سيراليون؛ واحتكارات المخدرات قوة كبرى في كولومبيا. وتملك الإكوادور وهايتي أجهزة بيرقراطية أضعف بكثير من أجهزة جنوب

(31) جون ثورنهيل، «نظام آسيا القديم يسقط في الشبكة»، الفاياننشال تايمز (لندن)، عدد 17 آذار/ مارس 2001، ص7.

(32) المصدر السابق نفسه.

أفريقيا وسنغافورة. وحتى في العالم ما بعد الصناعي، فإن معظم البلدان الأوروبية لديها نموذج من حكوماتها المركزية الأقوى أكثر مما لدى الولايات المتحدة. فالنفقة الحكومية الإجمالية هي نحو نصف إجمالي الناتج القومي في أوروبا، بينما ظلت هذه النفقة ثابتة عند نحو ثلث الاقتصاد في الولايات المتحدة واليابان، وهبطت في نيوزيلندا<sup>(33)</sup>.

وهناك اتجاهان آخران لهما علاقة وثيقة بثورة المعلومات، ويعززان التكهن بأن هذا القرن سيشهد تحولاً في موقع الأنشطة الجماعية بعيداً عن الحكومات المركزية. وكما سنرى في الفصل التالي، فإن العولمة قد سبقت ثورة المعلومات، ولكن ثورة المعلومات قد وسّعت العولمة كثيراً، فأتاحت فرصاً لعناصر فاعلة خاصة عابرة للقومية كالشركات والمؤسسات غير الهادفة للربح، لإقامة مقاييس ووضع خطط استراتيجية تؤثر بشدة على السياسة العامة التي كانت ذات يوم مجال نشاط الحكومات المركزية. وبالمثل، فإن ثورة المعلومات قد وسّعت دور الأسواق. أما التوازن بين الدول والأسواق فقد تحول بعد سبعينيات القرن العشرين بطريقة جعلت الدولة مصدراً واحداً للسلطة من بين عدة مصادر<sup>(34)</sup>. فحتى في السويد وفرنسا، دون حاجة لذكر أوروبا الشرقية والبلدان ذات التقدم الاقتصادي الأقل، أدّت عمليات الخصخصة الهامة إلى توسيع قوى السوق في العقدين الماضيين. وكانت أسباب هذه النزعة إلى سيطرة مفاهيم السوق تنطوي على ما هو أكثر من ثورة المعلومات. فهي تشمل فشل الاقتصادات المخططة في التكيف مع ثورة المعلومات، كما تشمل

(33) منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، «الحضور الحكومي في الاقتصادات الوطنية»، الجدول 1، «إجمالي النفقات الحكومية العامة»

(www.oecd.org/puma/stats/window/index.htm#)

(34) سوزان سترينج، تراجع الدولة (كمبريدج، المملكة المتحدة، مطبعة جامعة كامبريدج، 1996)، ص 14.

التضخم الذي تلا أزمة النفط في السبعينيات، والنجاح المبكر لاقتصادات آسيا الشرقية، والتغير في الائتلافات السياسية والعقائدية الإيديولوجية (ثورة تاتشر - ريغان) داخل الديمقراطيات ذات الصحة الجيدة. غير أن النتيجة الصافية كانت التعجيل بانتشار السلطة بعيداً عن الحكومات المركزية وباتجاه العناصر الفاعلة الخاصة، وهذا بدوره يقدم تحديات وفرصاً جديدة للسياسة الخارجية الأمريكية.

### بينما تتقدم الثورة

إننا لا نزال في مرحلة مبكرة من ثورة المعلومات الحالية، وتأثيراتها على الاقتصاد والسياسة متفاوتة. وكما كان الحال في البخار في أواخر القرن الثامن عشر، والكهرباء في أواخر القرن التاسع عشر، فإن نمو الإنتاجية قد تلكأ متأخراً بينما كان على المجتمع أن يتعلم كيف يستخدم التكنولوجيات الجديدة استخداماً كاملاً<sup>(35)</sup>. ذلك أن المؤسسات الاجتماعية تتغير على نحو أبطأ من التكنولوجيا. وعلى سبيل المثال فإن المحرك الكهربائي قد اخترع سنة 1881. ولكن لم يحدث إلا بعد ذلك التاريخ بأربعة عقود تقريباً أن أخذ هنري فورد زمام الريادة في إعادة تنظيم المصانع لتحصل على الفائدة الكاملة من القوة الكهربائية. وتمثل أجهزة الكمبيوتر اليوم اثنين بالمئة من إجمالي حصص رأس المال الأمريكي، ولكن «أضف إليها كل الأجهزة المستخدمة لتجميع المعلومات، ومعالجتها، ونقلها، فيصبح الإجمالي ممثلاً لـ 12 بالمئة من حصص رأس المال الأمريكي، أي ما يعادل بالضبط حصة سكك الحديد في

(35) دوغلاس نورث، الهيكل والتغير في التاريخ الاقتصادي (نيويورك: و. و. نورتون)، ص 163 - 164. وانظر أيضاً بول أ. دايفيد، «فهم تطور التكنولوجيا الرقمية وطريق نمو الإنتاجية القابل للقياس: الحاضر والمستقبل في مرآة الماضي»، في كتاب من تحرير إيريك برينجولفسون وإرييان كهين عنوانه: فهم الاقتصاد الرقمي (كمبريدج، ماساشوسيتس: مطبعة معهد ميتشغان للتكنولوجيا، 2000)، ص 50 - 92.

أوج تطورها في أواخر القرن التاسع عشر . . . إن ثلاثة أرباع أجهزة الكمبيوتر كلها تُستخدَم في قطاع الخدمات كالتحويل والصحة، حيث المحصول شيء يصعب قياسه جداً<sup>(36)</sup>. وكما سنرى في الفصل الرابع، فإن ازدياد الإنتاجية في الاقتصاد الأمريكي لم يبرز إلا في وقت متأخر، عند منتصف تسعينيات القرن العشرين<sup>(37)</sup>.

إن دخول الاتصالات الجماعية والإذاعة قبل قرن مضى، والذي سهّله الكهرباء التي كانت قد صارت رخيصة منذ وقت قصير آنذاك، يقدم بعض الدروس بشأن الآثار الاجتماعية والسياسية اليوم. لقد مهّدت الطريق لعصر الثقافة الشعبية الجماعية الواسعة<sup>(38)</sup>. وكانت آثار وسائل الاتصال الجماعي والإذاعة، ولكن ليس الهاتف، تميل إلى إعطاء نتائج مركزية سياسية. ورغم أن المعلومات راحت تنتشر على نطاق واسع، فإنها كانت أكثر تأثيراً بالمركز، حتى في البلدان الديمقراطية، منها في عصر الصحافة المحلية. فاستخدام روزفلت للمذيع في الثلاثينيات أحدث تغييراً مفاجئاً وكبيراً في السياسة الأمريكية. ولقد كانت هذه التأثيرات بارزة على نحو خاص في البلدان التي ارتبطت فيها بنشوء الحكومات الشمولية المتسلطة التي استطاعت أن تقمع مصادر المعلومات المتنافسة. والحق أن بعض الدارسين يعتقدون أن الحكم الشمولي ما كان ليصير ممكناً بدون أجهزة الاتصالات الجماعية الكثيفة التي رافقت الثورة الصناعية الثانية<sup>(39)</sup>.

(36) «الإنتاجية: مفقودة في المجال السيبري»، الإيكونوميست، عدد 13 أيلول/ سبتمبر، 1997، ص 72.

(37) وزارة التجارة الأمريكية، «الاقتصاد الرقمي سنة 2000»

(<http://www.esa.doc.gov/de2000.pdf>)

(38) دراكر، «ثورة المعلومات المقبلة».

(39) فردريث وبريجنسكي، الدكتاتورية الشمولية والتسلط الفردي. ومن جهة أخرى فإنه مع انتشار الأفلام، وعلب الكاسيت الصغيرة والفاكسات فإن التكنولوجيات اللاحقة من =

وفي منتصف القرن العشرين، كان الناس يخشون من أن أجهزة الكمبيوتر واتصالات ثورة المعلومات المعاصرة سوف تكون السيطرة الحكومية المركزية التي أبرزتها رؤية جورج أورويل على نحو مخيف في قصته المعنونة 1984. فلقد بدا أن أجهزة الكمبيوتر الرئيسية الكبرى جاهزة لتعزيز التخطيط المركزي وتوسيع قدرات الاستطلاع والرقابة للقابعين على رأس هرم السيطرة. فتلفزيون الحكومة من شأنه أن يهيمن على الأخبار. وعن طريق قواعد البيانات المركزية، تستطيع أجهزة الكمبيوتر أن تجعل مهمة الحكومة في التشخيص والتجسس أسهل. وكانت سيطرة النزعة التحارية قد غيرت الثقافة المتحررة والشفرة الرمزية للإنترنت<sup>(40)</sup>. ومع ذلك، فإن تكنولوجيا التشفير تتطور. وهناك برامج مثل غنوتيللا Gnutella وفرينيت Freenet تمكن مستعمليها من تبادل المعلومات الرقمية مع إبقاء هوياتهم مجهولة<sup>(41)</sup>. فهي تعدّ بمجال للأفراد أوسع مما كان المتشائمون الأوائل يتخيلون. كما أن سيطرة الحكومات على الإنترنت أصعب من سيطرتها على تكنولوجيا ثورة المعلومات الثانية. وفي المحصلة فإن مُنظر الاتصالات إيثيل دي سولا بول كان على صواب في تشخيصه لما أسماه «تكنولوجيات الحرية»<sup>(42)</sup>.

= ثورة المعلومات الثانية قد ساعدت على تقويض الجهود الحكومية لتحقيق الاكتفاء الذاتي في المعلومات ويشهد على ذلك الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية. ولم تكن التأثيرات الشاملة ككل مساعدة على نشر الديمقراطية دائماً. ففي بعض الحالات، مثل إيران، لم تفعل تكنولوجيات ثورة المعلومات الثانية شيئاً سوى تغيير طبيعة حكم الفرد. (40) لورنس ليسيف، مدونة المجال السيبري والقوانين الأخرى (نيويورك: بيسك بوكس، 2000).

(41) وعلى سبيل المثال، فإن إيان كلارك، المخترع الإيرلندي الشاب من فرينيت يقول إنه مؤيد لحرية الكلام تأييداً مطلقاً، ولا يستثني حتى دعاة الأطفال والإرهاب. «لا يحمل معظم الناس وجهة نظري، ولكن التكنولوجيا قد أعطتني القدرة على عمل ما أظنه صحيحاً دون الاضطرار إلى إقناع أي أحد». «صناعة الإمتاع تتعهد بالقتال ضد القرصنة الإلكترونية»، بوسطن غلوب، 31 أيار/ مايو 2000، ص 1.

(42) إيثيل دي سولا بول، الحرية التكنولوجية (كمبريدج، ماساشوسيتس: بيلكناب، 1983).

وبينما تناقصت كلفة قوة العمل بالكمبيوتر وتقلص حجم أجهزة الكمبيوتر وتزايد انتشاره اتساعاً، فقد رجحت كفة نزع المركزية على كفة المركزية في آثاره. ذلك أن الإنترنت تكون نظاماً تتوزع فيه السلطة على المعلومات على نحو أوسع بكثير. وبالمقارنة مع المذيع والتلفزيون والصحف التي يسيطر عليها المحررون والمذيعون، فإن الإنترنت تكون اتصالاً غير محدود بين شخص وشخص (عن طريق البريد الإلكتروني مثلاً)، وشخص - مع - كثيرين (عن طريق الصفحة المنزلية الشخصية أو المؤتمر الإلكتروني مثلاً)، واتصالاً من كثيرين - مع - واحد (عن طريق الإذاعة الإلكترونية مثلاً)، ثم - ولعل ذلك هو الأهم - اتصال الكثيرين مع الكثيرين (مثل غرفة المحادثة على الخط بلا كلفة). «إن رسائل الإنترنت لها قدرة على التدفق أبعد، وأسرع، وبوسطاء أقل»<sup>(43)</sup>.

إن الاستطلاع المركزي ممكن، ولكن الحكومات التي تطمح إلى السيطرة على تدفق المعلومات من خلال السيطرة على الإنترنت تواجه تكاليف عالية، مع الإحباط وخيبة الأمل في آخر الأمر. وبدلاً من تعزيز المركزية والبيروقراطية، فإن التكنولوجيا الجديدة للمعلومات تميل إلى تغذية التنظيمات الشبكية، وأنماط جديدة من المجتمع، والمطالبة بأدوار مختلفة للحكومة<sup>(44)</sup>.

وما يعنيه هذا هو أن السياسة الخارجية لن تكون هي المجال الوحيد للحكومات. بل إن الأفراد والمنظمات الخاصة، هنا وفي الخارج، سوف تتمكن من لعب أدوار مباشرة في السياسة العالمية. فانتشار المعلومات سوف يعني أن السلطة ستتوزع على نحو أوسع، والشبكات غير الرسمية، مثل تلك

(43) نوريس، الهوة الرقمية، ص 232.

(44) للتكهن حول كيفية تأثير الإنترنت على الحكومة، انظر إيلين كامارك وجوزيف س. ناي الأصغر كمحررين Democracy.com (هوليس، نيوهافن: دار هوليس للنشر، 1999)، الفصل الأول.

المذكورة في بداية هذا الفصل، سوف تنتقص من احتكار البيروقراطية التقليدية. ثم إن سرعة وقت الإنترنت تعني أن جميع الحكومات، هنا وعبر البحار على حد سواء، ستكون لها سيطرة أقل على جدول أعمالها. كما أن القادة السياسيين سيتمتعون بدرجات من الحرية أقل قبل أن يتعين عليهم أن يستجيبوا للأحداث، وعندئذ سيضطرون إلى تقاسم المسرح مع ممثلين آخرين. وستزداد الخصخصة والملكية المشتركة بين القطاعين الخاص والعام. وبينما نnhemك في تشكيل سياستنا الخارجية في عصر المعلومات، سوف يتعين علينا أن نتجنب لتجمّد عند اصطلاحات مثل أحادية القطب والهيمنة، أو بمقاييس قوة تقتصر على مقارنة القوة الصلبة للدول التي تديرها حكومات مركزية. ذلك أن الصور القديمة لدول مستقلة تتوازن وتقفز كل منها بعيداً عن الأخرى مثل كرات البليارد سوف تعمينا عن التعقيد الجديد في السياسة العالمية.

### سياسة عالمية جديدة

إن آثار الثورة الصناعية الثالثة على الحكومات المركزية لا تزال في مراحلها الأولى. ويحتج خبير الإدارة بيتر دراكر، وعالم المستقبل هيدي توفلر وآلفيس توفلر بأن ثورة المعلومات آخذة في إنهاء المنظمات البيروقراطية المتسلسلة في مراتب، والتي ميّزت عصر الثورتين الصناعيتين الأولى والثانية<sup>(45)</sup>. ففي المجتمعات المدنية، مع تطور منظمات لامركزية، ومجتمعات فعلية على الإنترنت، فإنها تتجاوز الصلاحيات القانونية والسيادات الإقليمية، وتطور أنظمة إدارتها الخاصة بها. وتشير خبيرة الإنترنت العليمة إستر دايسون إلى «نزع صفة الوسيط عن الحكومة»، وتصور المجتمع العالمي للمتواصلين بأنه موضوع فوق المجتمعات الجغرافية المحلية<sup>(46)</sup>.

(45) انظر توفلر وتوفلر، سياسة الموجة الثالثة؛ دراكر، «ثورة المعلومات التالية».

(46) إستر دايسون، التصريح 2 - 1: مخطط للعيش في العصر الرقمي (نيويورك: برودواي بوكس، 1998).

فإذا كان هؤلاء المتنبتون مصيبين، فستكون النتيجة نزعة إقطاعية جديدة للضبط والتحكم فيها مجتمعات وصلاحيات قانونية متداخلة تطالب بطبقات كثيرة متراكبة من هويات المواطنين وولاءاتهم. وباختصار، فإن هذه التحولات تشير إلى إبطال مفعول الدولة المركزية الحديثة التي كانت تسيطر على السياسة العالمية طيلة القرون ونصف القرن الماضية. فالأوروبي في العصور الوسطى كان يدين بولاء متساوٍ للسيد المحلي مالك الأرض، وللدوق، وللملك، وللبابا. وفي المستقبل قد يدين الأوروبي بالولاء لبريطانيا، وباريس وبروكسل، وكذلك لعدة مجتمعات ضطية تعنى بالدين، والعمل، والهويات المختلفة.

ورغم أن نظام الدول ذات السيادة لا يزال هو النمط المسيطر في العلاقات الدولية، فإن المرء يستطيع البدء بتمييز نمط من المجتمعات المتداخلة ونوع من الإدارة يحملان شيئاً من الشبه بالوضع الذي كان سائداً قبل أن يصبح نظام الدول ذا طابع رسمي بمعاهدة سلام ويستفالبا سنة 1648. فالاتصالات العابرة للقومية عبر الحدود السياسية كانت نماذج مألوفة في عهد الإقطاع، ولكنها صارت مقيدة على نحو متزايد بنشوء الدول - الأمم المركزية. أما الآن فإن السيادة آخذة في التغير. فقبل ثلاثة عقود كانت الاتصالات العابرة القومية آخذة في التنامي. ولكن المشتركين فيها كانوا أعداداً قليلة نسبياً من الفئات النخبوية المنهمكة في أعمال الشركات متعددة الجنسيات، والمجموعات العلمية، والمؤسسات التربوية الأكاديمية<sup>(47)</sup>. أما الآن فإن الإنترنت بسبب كلفتها المنخفضة آخذة بفتح باب الاتصالات العابرة للقومية أمام ملايين كثيرة من الناس.

إن موضوع السيادة يثير جدلاً وخلافات ساخنة في السياسة الخارجية الأمريكية اليوم. فالسياديون، المتحالفون بشكل وثيق مع المؤيدين الجدد

(47) دوبرت و. كيوهين وجوزيف س. ناي الأصغر، العلاقات العابرة القومية والسياسة الدولية (كمبريدج، ماساشوسيتس: مطبعة جامعة هارفارد، 1997).



للاتفراد بالتصرف الأحادي، يقاومون أي شيء يبدو أنه ينتقص من الاستقلال الأمريكي<sup>(48)</sup>. فهم قلقون بشأن الدور السياسي للأمم المتحدة في الحد من استخدام القوة، والقرارات الاقتصادية المعتمدة والنازلة من منظمة التجارة العالمية، وجهود تطوير المؤسسات والمعاهدات البيئية. فهم يرون أن فكرة مجتمع دولي ذي رأي عام موحد هي شيء وهمي.

ولكن حتى مع استبعاد المجموعات الهامشية التي تؤمن بأن الأمم المتحدة عندها طائرات مروحية سوداء جاهزة للانقضاض إلى داخل الإقليم الأمريكي، فإن الجدل حول مصير الدولة المستقلة قد وُضع في إطار سيئ. وكما قال مسؤول سابق في الأمم المتحدة: «إن تركيبة الذهن العامل هنا فقيرة بشكل استثنائي، فهي قادرة على تصوّر كيانات تستطيع الدول أن تستبدل بها مؤسسات»<sup>(49)</sup>. وهناك قياس تاريخي أفضل، هو تطور الأسواق وحياة المدن في أوائل عصر الإقطاع. فلم تكن المعارض التجارية في العصور الوسطى بديلة عن مؤسسات السلطة الإقطاعية. فلم تهدم جدران القلاع، ولم تزحزح السيد الإقطاعي. ولكنها جاءت بثروة جديدة فعلية، وائتلافات جديدة، ومواقف جديدة تلخصها القاعدة الأساسية: «هواء المدن يجلب الحرية».

ولقد طوّر تجار العصور الوسطى القانون التجاري، الذي كان يحكم علاقاتهم، كمجموعة من القواعد الخاصة لتنظيم إدارتهم لأعمالهم إلى حد كبير<sup>(50)</sup>. وبالمثال تقوم اليوم سلسلة من الأشخاص والكيانات، من المخربين

(48) بيتر سبيرو، «السياديون الجدد»، فورين آفيرز، عدد تشرين الثاني / نوفمبر - كانون الأول / ديسمبر 2000.

(49) جون غ. راغي، «الأقلية وما وراءها: تحويل العُصْرَةِ إلى مشكلة في العلاقات الدولية»، مجلة إنترناشنال أورغانايزاشن، شتاء 1993، ص 143، 155.

(50) هنري ه. بيريت الأصغر، «الإنترنت كتهديد للسيادة؟»، مجلة إنديانا جورنال أوف غلوبال ليفال ستديز، ربيع 1998، ص 426.

إلى الشركات الكبيرة، بتطوير قانون الإنترنت ومعاييرها على أن تكون جزئياً خارج سيطرة المؤسسات السياسية الرسمية. إن تطوير اتصالات شبكية بين الشركات عابرة القومية خلف جدران نارية وعمليات التشغيل «يمثل حالات استيلاء خاصة على مساحة عامة»<sup>(51)</sup>. فالأنظمة الخاصة، مثل العلاقات الشبكية بين الشركات أو مجموعات الأخبار التي تغطي العالم كله، والمتخصصة بقضايا محددة، كاليئة، لا تواجه تحدياً مباشراً وجهاً لوجه للدول ذات السيادة، بل إنها تضيف، ببساطة، طبقة من العلاقات التي لا تسيطر عليها الدول ذات السيادة بشكل فعال. فسوف يشترك الأمريكيون في مجموعات الإنترنت العابرة للقومية دون أن يتوقفوا عن كونهم موالين لأمريكا، ولكن منظورهم سيكون أوسع من منظور الأمريكيين النموذجيين الموالين قبل أن تظهر الإنترنت إلى حيز الوجود.

أو لاحظ شكل الاقتصاد العالمي الذي تُقاس فيه قوة الأمة عادة بوارداتها وصادراتها من الأمم الأخرى ذات السيادة وإليها. فمثل هذه التدفقات والتوازنات التجارية لا تزال لها أهمية، ولكن قرارات البت في ما ينبغي إنتاجه، وهل يتم إنتاجه في الداخل أم في الخارج، إنما تتخذ بشكل متزايد في مجالات صلاحيات الشركات عابرة القومية. فبعض الشركات الأمريكية، مثل نايك، لا تنتج أيّاً من منتجاتها داخل هذا البلد عملياً، رغم أن العمل في التصميم والتسويق، وهو عمل غير ملموس (ولكنه ثمين) يتم هنا. وفي تسعينيات القرن العشرين أدى انخفاض كلفة المعلومات والاتصالات إلى تمكين المؤسسات من توسيع انتشارها الجغرافي وعملياتها. وهكذا فإن الواردات والصادرات تقدّم صورة شديدة النقص للروابط الاقتصادية العالمية. وعلى سبيل المثال، فإن المنتجات التي صنعتها الشركات الأمريكية عابرة القومية في الخارج كانت

(51) سانسكي ساسين، «حول الإنترنت والسيادة»، إنديانا جورنال أوف غلوبال ليغال

ستديز، ربيع 1998، ص 551.

قيمتها تعادل ضعف قيمة الصادرات الأمريكية؛ وكانت مبيعات الشركات الأجنبية في داخل الولايات المتحدة تكاد تعادل ضعف قيمة الواردات<sup>(52)</sup>. فالعلاقات الاقتصادية الجزئية «كُوت» «منطقة» غير إقليمية في الاقتصاد العالمي، وهي مجال من التدفقات غير مركزي ولكنه متكامل، يعمل في الزمن الحقيقي، المتواجد إلى جانب مجالات الأماكن التي نسميها بالاقتصادات الوطنية<sup>(53)</sup>. فإذا حصرنا صورنا في دول ككرات البليارد، فإننا سنفقد هذه الطبقة من الحقيقة.

وحتى في عصر الإنترنت، فإن تغير أدوار المؤسسات السياسية يحتمل أن يكون عملية تدريجية. فبعد نشوء الدولة الإقليمية، ظل هناك ورثة آخرون لحكم العصور الوسطى، مثل المدن - الدول الإيطالية وعصبة هانسيا Hanseatic League، كبدايات ذات جدوى، قادرة على فرض الضرائب وعلى القتال لمدة قرنين تقريباً<sup>(54)</sup>. [عصبة هانسيا اتحاد اقتصادي ودفاعي فضفاض بين مدن حرة في شمال ألمانيا والمناطق المجاورة بدأ في سنة 1241 بين لوبيك وهامبورغ، وبلغ أوج اتساعه في القرن الرابع عشر، وعقد آخر اجتماع له سنة 1669: المعرب] أما اليوم، فإن الإنترنت تركز على مخدمين لهم مواقع في أمم محدّدة، وتؤثر قوانين مختلف الحكومات على مقدمي النفاذ والوصول. وليست القضية الحقيقية هي استمرار وجود الدولة ذات السيادة، بل هي كيفية تغير مركزيتها ووظائفها. «لقد ازداد انتشار الدولة في بعض المجالات وتقلص في مجالات أخرى. وأدرك الحكام أن تأثيرهم الفعّال يمكن توسيعه بالابتعاد

(52) جوزيف كونيلان ومارك تشاندلر، «العجز التجاري الأمريكي: وهم خطير»، فورين آفيرز، أيار/ مايو - حزيران/ يونيو 2001 الصين 92، 95.

(53) راغي، «الأقلمة وما وراءها»، ص 172.

(54) هندريك شبرويت، الدولة ذات السيادة ومنافسوها (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1994).

عن بعض القضايا التي يعجزون عن حلها»<sup>(55)</sup>. ذلك أن جميع البلدان، بما فيها الولايات المتحدة، تواجه قائمة متنامية من لمشاكل التي تصعب السيطرة عليها ضمن الحدود ذات السيادة - مثل التدفقات المالية، وتجارة المخدرات، وتغير المناخ، ومرض الإيدز، واللاجئين، والإرهاب، والاختراقات الثقافية - وغيرها. فتعقيد مهمة حسن الإدارة الوطنية لا يشبه تفويض السيادة، لأن الحكومات تتكيف. غير أنها في غمرة عملية التكيف تغير معنى السلطة السيادية في التشريع والقضاء والسيطرة ودور العناصر الفاعلة الخاصة.

وخذ - مثلاً - مسألة ضبط حدود الولايات المتحدة. ففي سنة واحدة يدخل البلد 475 مليون شخص و125 مليون سيارة و21 مليون شحنة مستوردة من 3700 محطة مواصلات و301 ميناء دخول. وتستغرق عملية تفتيش حارية شحن مليئة طولها 40 قدماً خمس ساعات، وتدخل 5 ملايين من هذه الحاويات كل سنة. وبالإضافة إلى ذلك، دخل في السنوات الأخيرة 2,7 مليون مهاجر بلا وثائق، بل عبروا ببساطة ركوباً أو مشياً على الأقدام من المكسيك وكندا. وكما رأينا، يتسلل الإرهابيون بسهولة؛ كما أن جلب بضعة كيلوغرامات من مادة حيوية أو كيميائية قاتلة أسهل من تهريب أطنان من الهيروين والكوكايين التي تصل بطرق غير قانونية كل سنة. والطريقة الوحيدة لتمكين مصلحة الجمارك وإدارة الهجرة والجنسية من كبح مثل هذا التدفق هي أن تمد يدها إلى ما وراء الحدود عن طريق تعاون المخابرات داخل اختصاص سيادة الدول الأخرى، والاعتماد على التعاون الخاص لتطوير أنظمة شفافة لمتابعة التدفقات التجارية الدولية بحيث يستطيع موظفو تطبيق القوانين أن يجرؤوا تدقيقاً عملياً في

(55) ستيفن كراسنر، «السيادة، فورين پوليسي، عدد كانون الثاني/يناير - شباط فبراير 2001، ص24؛ وانظر أيضاً ليندا ويس، أسطورة الدولة التي لا قوة لها (إيتاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، 1998). وانظر كذلك «الجغرافيا والشبكة»، في الإيكونوميست، عدد 11 آب/أغسطس، 2001، ص18 - 20.

كل الشحنات المتجهة إلى الداخل قبل وصولها. وهكذا يعمل ضباط الجمارك في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية لمساعدة الأعمال التجارية في تنفيذ البرامج الأمنية لتقليص مخاطر التعرض للاستغلال على أيدي مهربي المخدرات، ويجري تطوير آلية للتعاون الدولي لتمكين الشرطة من مراقبة التدفقات التجارية<sup>(56)</sup>. فتتكيف الدولة ذات السيادة، ولكنها أثناء تكيفها تحوّل معنى الصلاحية القانونية الحكومية وصفتها الحصرية. ذلك أن الحدود القانونية لا تتغير، ولكنها تبهت مع كثرة الممارسة العملية.

إن الأمن القومي - أي غياب التهديد لقيَمنا الكبرى - أخذ في التغير. فالضرر الناجم عن تغير المناخ أو الفيروسات الآتية من الخارج يمكن أن يكون - من حيث الخسائر في المال والأرواح - أكبر من آثار بعض الحروب. ولكن حتى إذا وضع المرء تعريف الأمن القومي ضمن نطاق أضيق، فإن طبيعة الأمن العسكري آخذة في التغير. وكما أشارت اللجنة الأمريكية للأمن القومي في القرن الحادي والعشرين، فإن البلد لم يتعرض لغزو جيوش أجنبية منذ سنة 1814. فسياسته العسكرية مصممة لعرض القوة وخوض الحروب بعيداً عن سواحننا. ولكن قوانا العسكرية ليست جيدة التجهيز لحمايتنا من هجوم على وطننا يشنه إرهابيون يلوحون بأسلحة دمار شامل أو تخريب كثيف كبير أو حتى طائرة مدنية مخطوفة<sup>(57)</sup>. وهكذا ففي تموز/ يوليو سنة 2001، قام وزير الدفاع، دونالد رامسفيلد بإسقاط القدرة على خوض نزاعين إقليميين كبيرين في الوقت نفسه من أولويات خطط البنتاغون، ورفع الدفاع الوطني الداخلي إلى

(56) ستيفن ي. فلين، «ما وراء ضبط الحدود»، فورين آفيرز، عدد تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر، 200، ص 57 - 68.

(57) اللجنة الأمريكية الخاصة بالأمن الوطني في القرن الحادي والعشرين، خريطة طرق للأمن الوطني: ضرورة التغير

(http://www.nssg.gov/PhaseIIIFR.pdf)، الفصل الأول.

درجة أولوية أعلى. ولكن الإجراءات العسكرية ليست حلاً كافياً لنقاط ضعفنا المكشوفة، كما اكتشفنا بعد ذلك ببضعة أشهر فقط.

وقد يكون المهاجمون اليوم حكومات، أو مجموعات، أو أفراداً أو خليطاً من نوع ما. وقد يكونون مجهولين، بل قد لا يقتربون حتى من البلد. ففي سنة 1998، عندما اشتكت واشنطن على سبعة عناوين موسكوفية على الإنترنت متورطة في سرقة أسرار من البنتاغون ووكالة الفضاء الوطنية الأمريكية، ردت الحكومة الروسية بأن أرقام الهواتف التي جاءت منها الهجمات كانت غير شغالة. فلم تكن لدينا أية طريقة لمعرفة ما إذا كانت الحكومة متورطة في هذا الأمر أم لا. وهناك أكثر من ثلاثين أمة طورت برامج كومبيوتر عدوانية حربية. ولكن كما يعرف أي شخص يملك جهاز كومبيوتر، فإن في وسع أي شخص أن يدخل هذه اللعبة أيضاً. فمن خلال بضع ضربات على المفاتيح يقوم بها مصدر مجهول في أي مكان من العالم، يمكن الدخول إلى شبكات القوة (الخاصة) التي تغذي المدن الأمريكية، وممارسة التخريب والتشويش عليها، أو إلى الأنظمة (العامة) للاستجابة لحالات الطوارئ<sup>(58)</sup>. والجدران النارية التي تقيمها الحكومة الأمريكية ليست كافية. ففي كل ليلة تقوم شركات البرمجيات الأمريكية بإرسال أعمال إلى الهند بطرق إلكترونية، حيث يستطيع مهندسو البرمجيات أن يعملوا بينما الأمريكيون نائمون، ثم يرسلون عملهم راجعاً في صباح اليوم التالي. ويستطيع شخص ما من خارج حدودنا أن يغرس أبواب فخ في أعماق شيفرة كومبيوتر كي يستخدمها في تاريخ لاحق. أما الرادع النووي، ودوريات الحدود، ومرابطة القوات في الخارج لتشكيل موازين القوى الإقليمية سوف تبقى مهمة في عصر المعلومات، ولكنها لن تكون كافية لتزويدنا بالأمن القومي.

(58) جيمس آدمز، «الدفاع الافتراضي»، فورين آفيرز، عدد أيار/ مايو - حزيران/ يونيو

وتنشأ تفسيرات متنافسة للسيادة، حتى في ميدان القانون. فمُنذ سنة 1945 كانت أحكام حقوق الإنسان تتعايش في ميثاق الأمم المتحدة جنباً إلى جنب مع النصوص التي تحمي سيادة الدول. فالفقرة السابعة من المادة الثانية تنص على أنه ليس هناك شيء يخول الأمم المتحدة أن تتدخل في قضايا تقع ضمن اختصاصات قانونية محلية. ومع ذلك فإن تطور معيار عالمي من معاداة النزعة العنصرية والشعور بالمقت إزاء ممارسة جنوب أفريقيا لسياسة الفصل العنصري قد جعلاً أكثر من كبرياء في الأمم المتحدة تختصر هذا المبدأ. وفي وقت أحدث، كان تدخل حلف شمال الأطلسي في كوسوفو موضوعاً لجداول ساخن بين المحامين الدوليين، الذين زعم بعضهم أنه غير قانوني لأن مجلس الأمن الدولي لم يُعط تفويضاً واضحاً به، بينما جادل آخرون بأنه قانوني بموجب كلة أخذة في التطور من القانون الإنساني الدولي<sup>(59)</sup>. وهناك مثال آخر على هذا التعقيد هو اعتقال الجنرال أوغستو بينوشيه في بريطانيا سنة 1998 استجابة لطلب إسباني لاسترداده يقوم على جرائم وانتهاكات لحقوق الإنسان ارتكبها عندما كان رئيساً لتشيلي. وفي سنة 2001 حاول قاضٍ في باريس أن يستدعي وزير الخارجية الأمريكي السابق هنري كيسنجر للشهادة في محاكمة لها علاقة بشيلي.

لقد أذت تكنولوجيا المعلومات، ولا سيما الإنترنت، إلى تسهيل مهام التعاون، وعززت موقف نشطاء حقوق الإنسان، ولكن القادة السياسيين، وخاصة في البلدان المستعمرة سابقاً، يتمسكون بأنواع الحماية التي تقدمها السيادة القانونية ضد التدخلات الخارجية. ومن المحتمل أن يشهد العالم هاتين الكتلتين المتناقضتين جزئياً من القانون الدولي تتعايشان على مدى سنوات مقبلة. وكما سنرى في الفصل الخامس، فإن الأمريكيين سيتعين عليهم أن

(59) آدم روبرتس «ما يسمى «حق» التدخل الإنساني»، حوْلبة الكتاب السنوي للقانون الإنساني الدولي، صيف سنة 2001.

يصارعوا هذه التناقضات ريثما نفرّر كيف نعزّز حقوق الإنسان ومتى نتدخل في النزاعات لأسباب إنسانية.

إن الدولة الوطنية، بالنسبة لأناس كثيرين، تقدّم مصدراً للهوية السياسية له أهميته عندهم. فالناس قابلون للانتماء إلى هويات متعددة - الأسرة، والقرية، والدين، والجنسية، والمجموعة العرقية، والعالمية - وكثيراً ما تعتمد سيادة أي منها على السياق<sup>(60)</sup>. ففي بلدي: أنا من ليكسينغتون؛ وفي واشنطن، أنا من ماساشوسيتس؛ وفي الخارج، أنا أمريكي. وفي بعض البلدان ما قبل الصناعية، تسود الهويات شبه الوطنية (القبيلة أو العشيرة). وفي بعض بلدان ما بعد الثورة الصناعية، بما فيها الولايات المتحدة، بدأت تظهر هويات عالمية مثل «المواطن العالمي» أو «الوصي على الكرة الأرضية». وبما أن الهويات الكبيرة (مثل القومية) لا يشعر بها أحد، فإنها «مجتمعات متخيلة» تعتمد كثيراً على آثار الاتصال<sup>(61)</sup>. ولا يزال الوقت مبكراً جداً لفهم التأثيرات الكاملة للإنترنت، ولكن تشكيل الهويات يمكن أن ينتقل في اتجاهات متناقضة في الوقت نفسه - صعوداً إلى بروكسل، أو نزولاً إلى بريطانيا، أو تثبيتاً في باريس - حسبما تمليه الظروف.

وقد تكون النتيجة قلباً أسرع بدلاً من تحرك متجانس في أي اتجاه واحد بعينه. ثم إن خصائص خطاب الكثيرين - للكثيرين، والواحد - للكثيرين في الإنترنت تبدو «مؤدية بشدة إلى الطابع الوقح، النزوع إلى المساواة، والتحرر لحضارة الضبط» ومن بين الآثار «التحركات السريعة كومض البرق» - موجات الاحتجاج المفاجئة التي تطلقها قضايا أو أحداث معينة، مثل الاحتجاجات

(60) هارولد غوتيزكاو، الولاءات المتعددة: النهج النظري لمعالجة مشكلة في التنظيم الدولي (پرینستون: مطبعة جامعة پرینستون، 1955).

(61) بنيدكت أندرسون، مجتمعات مُتخيلة: تأملات في أصل النزعة القومية وانتشارها (نيويورك: فيرسو، 1991).



المعادية للعولمة أو الصعود المفاجئ للائتلاف المعادي للضريبة المفروضة على الوقود، والذي أمسك بخناق السياسة الأوروبية في خريف سنة 2000<sup>(62)</sup>. وهكذا تصبح السياسة ذات نزعة مسرحية تستهدف جماهير عالمية. فقد اعتمد الثوار من أتباع إميليانو زاباتا بولاية شيباس المكسيكية على الدعاية عابرة القومية أكثر من اعتمادهم على الرصاص. والإرهابيون يعتمدون بالطبع على المؤثرات المسرحية، كما يعتمدون على التدمير كذلك. فأهمية التلفزيون عندهم تعادل أهمية السلاح. وقد حاول العالم السياسي جيمس روزينو أن يلخص مثل هذه الاتجاهات باختراع كلمة جديدة هي «النجزماج» (من التجزئة + الاندماج) للتعبير عن الفكرة القائلة بأن الاندماج المتجه إلى هويات أكبر، والتجزئة إلى تجمعات أصغر يمكن أن يحدثا في الوقت نفسه. ولكن المرء لا يحتاج إلى تغيير اللغة الإنكليزية كي يدرك أن الحركات المتناقضة ظاهرياً يمكن أن تحدث في الآن عينه. فهي لا تؤذنُ بنهاية الدولة ذات السيادة. ولكنها تجعل سياستها أكثر تقلباً وأقل احتباساً ضمن قواقع وطنية.

كما أن المنظمات الخاصة تعبر الحدود الوطنية على نحو متزايد. فالمنظمات الدينية العابرة القومية المعارضة للرق يعود تاريخها إلى سنة 1775. وقد شهد القرن التاسع عشر تأسيس الدولية الاشتراكية، والصليب الأحمر، والحركات السلمية، ومنظمات حق الاقتراع للنساء، ورابطة القانون الدولي، من بين هيئات أخرى. فقبل الحرب العالمية الأولى، كان هناك 176 منظمة دولية غير حكومية. وفي سنة 1956 كان عددها يقرب من ألف؛ وفي سنة 1970 نحو ألفين. وفي الآونة الأخيرة، حدث انفجار في عدد المنظمات غير الحكومية زاد عددها من خمسة آلاف إلى ما يقرب من سبعة وعشرين ألفاً في عقد التسعينيات من القرن العشرين وحده. والأرقام لا تحكي القصة بكاملها،

(62) نوريس، الهوية الرقمية، ص 191.

لأنها لا تمثل سوى المنظمات المشكّلة بصورة رسمية<sup>(63)</sup>. وكثير منها يزعم أنه يعمل «كضمير عالمي» يمثل المصالح العامة العريضة التي تتجاوز نطاق سلطة فرادى الدول، أو مصالح اعتادت الدول على تجاهلها. فهي تطوّر مفاهيم ومعايير جديدة عن طريق الضغط المباشر على الحكومات وزعماء رجال الأعمال لتغيير السياسات، والضغط غير المباشر بتغيير المفاهيم العامة عما يتعين على الحكومات والمؤسسات أن تفعله. وفي ما يتعلق بمصادر القوة، فإن هذه المجموعات الجديدة نادراً ما تملك شيئاً كثيراً من القوة الصلبة، ولكن ثورة المعلومات قد وسعت قوتها الناعمة الطرية<sup>(64)</sup>.

ولا يقتصر الأمر على الزيادة الكبيرة في الاتصالات العابرة للقومية والحكومية. ولكن حدث تغير في النوع. فقد كانت التدفقات العابرة للقومية قبل ذلك خاضعة بشكل ثقيل لمنظمات بيروقراطية كبيرة، مثل الشركات متعددة الجنسية أو الكنيسة الكاثوليكية التي كان بإمكانها أن تربح من الاقتصادات الكبيرة الواسعة النطاق. ومثل هذه المنظمات تظل هامة، ولكن انخفاض كلفة الإتصال في عصر الإنترنت قد أفسح المجال لمنظمات شبكية مركبة تركيباً فضفاضاً ليس لها موظفون قياديون، ولا حتى أفراد. وهذه المنظمات غير الحكومية والشبكات مؤثرة بشكل فعال في اختراق الدول دون أي احترام للحدود. ونظراً لأنها كثيراً ما تشغل مواطنين يحتلون مكانة مرموقة في السياسة

(63) فلوريني، القوة الثالثة، الفصل الأول؛ مارغريت إ. كيك وكاثريك سيكينك، نشطاء وراء الحدود: شبكات الرأي في السياسة الدولية (إيتاكا، نيويورك: مطبعة جامعة كورنيل، 1998)، الفصل الثاني؛ جيمس د. روزينو، الاضطراب في السياسة العالمية (پرينستون: مطبعة جامعة پرينستون، 1990)، ص 409؛ «النظام غير الحكومي»، الإيكونوميست، عدد 11 كانون الأول/ ديسمبر، 1999.

(64) مايكل إدواردز، المنظمات غير الحكومية، حقوقها وواجباتها. (لندن: مركز السياسة الخارجية، 2000؛ فلوريني، القوة الثالثة؛ جسيكا ت. ماثيوز، «انتقال القوة»، فورين أفيرز، كانون الثاني/ يناير 1997.

المحلية لبلدان كثيرة، فإنها قادرة على تركيز اهتمام أجهزة الإعلام والحكومات على مواضيعها المفضلة. فمعاهدة حظر الألغام البرية، المذكورة آنفاً، كانت نتيجة تحالف مثير للاهتمام بين منظمات ذات مواقع على الإنترنت تعمل مع حكومات ذات قوة وسطى، مثل كندا، وبعض فرادى السياسيين والشخصيات الشهيرة، بما في ذلك الأميرة ديانا. كما أن القضايا البيئية مثال آخر. فقد كان دور المنظمات غير الحكومية هاماً كقناة اتصال في ما بين الوفود في المناقشات حول الاحترار العالمي في كيوتو سنة 1997. فقد تنافست الصناعة، والاتحادات، والمنظمات غير الحكومية في كيوتو على كسب اهتمام أجهزة الإعلام من البلدان الكبرى في صراع عابر للقومية على جدول أعمال السياسة العالمية. كما أن المنظمات غير الحكومية تتنافس في ما بينها أحياناً على اهتمام أجهزة الإعلام. فالمنبر الاقتصادي العالمي منظمة غير حكومية تدعو قادة حكوميين وزعماء بارزين من رجال الأعمال إلى دافوس بسويسرا كل شتاء، كان يضم بعض المنظمات غير الحكومية في برامجه لسنة 2001، ولكن ذلك لم يمنع منظمات أخرى غير حكومية من إقامة تظاهرات محلية، ولم يمنع منظمات غيرها من إقامة منبر معاكس في بورتو أليغري بالبرازيل، مصمم لتجميع اهتمام عالمي.

ومن الأشياء الآخذة في البروز أيضاً نوع مختلف من المجتمع العابر للقومية، هو الأسرة العلمية من الخبراء المتشابهي التفكير. فعن طريق تأطير مواضيع مثل تآكل طبقة الأوزون أو تغير المناخ العالمي، تكون للمعلومات العلمية فيها أهميتها، فإن مثل هذه «الأسر أو المجموعات العلمية الإدراكية» تكون معرفة وتوافقاً في الرأي يقدمان الأساس لتعاون فعال<sup>(65)</sup>. ولقد كان بروتوكول مونتريال حول نضوب الأوزون نتيجة لمثل هذا العمل جزئياً. ورغم

(65) بيتر م. هاس، «مقدمة: المجتمعات المعرفية وتنسيق السياسة الدولية»، إنترناشنال أورغانايزشن، شتاء 1992.

أن هذه المجموعات العلمية ليست جديدة كلياً، فإنها راحت تنمو أيضاً كنتيجة لتخفيض تكاليف الاتصالات.

وسوف تستمر المجموعات الجغرافية والدول ذات السيادة بتأدية دور كبير في السياسة العالمية لزمّن طويل مقبل، ولكنها ستكون أقل عزلة وانطواء على نفسها، وأكثر مسامية. وسوف يتعيّن عليها أن تتقاسم المسرح مع عناصر فاعلة قادرة على استخدام المعلومات لتوسيع قوتها الناعمة الطرية والضغط على الحكومات بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق تعبئة الجماهير. فالحكومات الراغبة في رؤية تطور سريع سوف تجد أن عليها أن تتخلّى عن بعض الحواجز المانعة لتدفق المعلومات التي كانت - تاريخياً - تحمي المسؤولين من النظرة الخارجية الفاحصة. فالحكومات التي تريد مستويات عالية من التنمية لم يعد بإمكانها الاطمئنان إلى حفظ أوضاعها المالية والسياسية داخل صندوق أسود، كما فعلت ميانمار (بورما) وكوريا الشمالية. فذلك النوع من السيادة اتضح أنه باهظ الكلفة أكثر من اللازم. فحتى البلدان الكبيرة ذات القوة الصلبة، كالولايات المتحدة، تجد نفسها تتقاسم المسرح مع ممثلين جدد وتعاني مزيداً من المتاعب في ضبط حدودها. فالمجال الضبطي لن يحل محل المجال الجغرافي ولن يلغي سيادة الدول، ولكنه - مثل أسواق المدن في العصور الإقطاعية - سوف يتعايش معها، ويحدث تعقيداً كبيراً في معنى أن تكون الدولة ذات سيادة أو بلداً قوياً. وبينما ينهمك الأمريكيون في تشكيل سياستهم الخارجية لتتلاءم وعصر المعلومات العالمي، يتعيّن علينا أن نصبح أكثر وعياً بالطرق التي تُكوّن بها تكنولوجيا المعلومات اتصالات جديدة، وتمكّن الأفراد والعناصر الفاعلة غير الدول من زمام الأمور، وتزيد دور القوى الناعمة الطرية.

### القوة بين الدول

إن ثورة المعلومات آخذة في جعل السياسة العالمية أكثر تعقيداً من خلال

تمكين العناصر الفاعلة العابرة للقومية، وتقليل سيطرة الحكومات المركزية، ولكنها تؤثر أيضاً على القوة بين الدول. وهنا تستفيد الولايات المتحدة، ويتخلف وراءها كثير من البلدان الأفقر<sup>(66)</sup>. وبينما أحرزت بعض الدول الأفقر تقدماً هاماً في دخول اقتصاد المعلومات، مثل الصين، والهند، وماليزيا، فإن 87 بالمئة من الناس الواقفين على الخط الفاصل يعيشون في مجتمعات ما بعد الثورة الصناعية<sup>(67)</sup>. ويبقى العالم في عصر المعلومات خليطاً من الاقتصادات الزراعية، والصناعية والتي تسودها الخدمات. والمجتمعات والحكومات ما بعد الصناعية الأكثر تأثراً بعصر المعلومات تتعايش وتتفاعل مع بلدان لم تتأثر تأثراً يُذكر بثورة المعلومات حتى الآن.

فهل يستمر هذا الانقسام الرقمي زمنياً طويلاً؟ إن التكاليف المتناقصة قد تتيح للبلدان الفقيرة أن تقفز كالضفادع فتتخطى مراحل معينة من التنمية والتطور. وعلى سبيل المثال فإن الاتصالات اللاسلكية آخذة فعلاً بالحلول محل الخطوط الأرضية الباهظة الكلفة. كما أن تكنولوجيات التعرف على الصوت تستطيع أن تمنح الأميين نفاذاً يوصلهم إلى الاتصالات بواسطة الكمبيوتر. وقد تساعد الإنترنت المزارعين الفقراء على تحقيق تفهم أفضل لأحوال الطقس والسوق قبل أن يزرعوا محاصيلهم، وقد تؤدي المعلومات الأكثر إلى تقليص دور الوسطاء الجشعين. ولعل التعلم عن بُعد وتوصيلات الإنترنت تساعد الأطباء والعلماء المنعزلين في البلدان الفقيرة. ولكن أكثر ما

(66) عند بداية القرن الجديد، كان لدى الولايات المتحدة 159 مليون كومبيوتر قيد الاستعمال؛ بينما لم يكن في أمريكا اللاتينية كلها سوى 18 مليوناً. ومن بين 350 مليون مستخدم للإنترنت كان النصف تقريباً في لولايات المتحدة؛ وأقل من 0,5 بالمئة في أمريكا اللاتينية. فكان في أمريكا الشمالية 493 مستخدم للإنترنت من بين كل ألف من السكان، وفي أوروبا الغربية 221، وفي الشرق الأوسط وأفريقيا 8. «التجديد والتكنولوجيا»، وول ستريت جورنال، عدد 25 أيلول/ سبتمبر، 2000، القسم R ص6.

(67) نوريس، الهوة الرقمية، ص8.

تحتاج إليه البلدان الفقيرة هو التعليم الأساسي والبنية التحتية. وكما قالت إحدى افتتاحيات صحيفة الفار إيست إيكونوميك ريفيو في إيجاز بليغ: «إن سدّ الفجوة الرقمية سيكون شيئاً جيداً، ولكن معظم فقراء آسيا في هذه اللحظة الراهنة لا يزالون يتطلعون إلى وصول الكهرباء إلى منازلهم»<sup>(68)</sup>.

فالتكنولوجيا تنتشر مع مرور الزمن. وكثير من البلدان حريصة على تنمية وتطوير وديان السيليكون الخاصة بها [نسبة إلى اسم منطقة في غرب كاليفورنيا إلى الجنوب شرقي من سان فرانسيسكو معروفة بصناعاتها وتصاميمها التكنولوجية العليا: المعرب]. ولكن التعرف إلى المفاتيح الفعلية لمملكة التكنولوجيا العليا أسهل من فتح البوابات الحقيقية. إن بُنى الاتصالات التحتية الجيدة التطور، وحقوق الملكية الآمنة، والسياسات الحكومية السليمة، والبيئة المشجعة على تشكيل الأعمال التجارية الجديدة، والأسواق الرأسمالية العميقة، والقوة العامة الماهرة التي يفهم كثيرون منها اللغة الإنكليزية (لغة 80 بالمئة من جميع الصفحات على الشبكات) كل هذا سوف يأتي إلى بعض البلدان الفقيرة مع مرور الزمن، ولكن ليس بسرعة. فحتى في الهند، التي تتوفر فيها بعض هذه المقاييس المعيارية، فإن شركات البرمجيات تستخدم 340000 شخص، بينما نصف سكان الهند، المليار نسمة، لا يزالون أميين<sup>(69)</sup>.

ولثورة لمعلومات تأثير ينزع إلى اللامركزية والتسوية بصورة شاملة، ولكن هل تسوي في القوة بين الأمم؟ بما أنها تخفض الكلفة وحواجز الدخول إلى الأسواق، فإنها ينبغي أن تخفض قوة الدول الكبيرة وتوسع قوة الدول الصغيرة والعناصر الفاعلة من غير الدول. ولكن العلاقات الدولية من الناحية العملية أكثر تعقيداً مما توحي به مثل هذه الحتمية التكنولوجية. صحيح أن

(68) المقالة الافتتاحية «الهوة الرقمية»، فار إيسترن إيكونوميك ريفيو، عدد 12 نيسان/ أبريل، 2001، ص.6.

(69) روبرت ليطان، «اقتصاد الإنترنت»، فورين بوليسي، عدد آذار/ مارس - نيسان/ أبريل، 2001، ص.16.

بعض جوانب ثورة المعلومات يساعد الصغار، ولكن بعضها يساعد الذين هم في الأصل كبار وأقوياء. ولذلك عدة أسباب:

**فأولاً:** لا يزال للحجم أهميته. فما يسميه الاقتصاديون حواجز الدول، والاقتصادات ذات الأحجام الكبيرة تظل في بعض جوانب القوة المتصلة بالمعلومات. وعلى سبيل المثال، فإن القوة الناعمة الطرية تتأثر تأثيراً قوياً بالمحتوى الثقافي لما يُذاع أو يظهر في برامج السينما والتلفزيون. فكثيراً ما تتمتع صناعات الإمتاع باقتصادات هامة واسعة النطاق في إنتاج المحتوى وتوزيعه. ومن الأمثلة على ذلك الحصة الأمريكية المسيطرة في سوق الأفلام والبرامج التلفزيونية في العالم. فمن الصعب على القادمين الجدد أن يتنافسوا مع هوليوود. وعلاوة على ذلك فإن اقتصاد المعلومات فيه تأثيرات شبكية، لها عوائد متزايدة على الحجم. فهاتف واحد لا يفيد، ولكن الثاني يعطي قيمة إضافية، وهكذا بينما تتنامى الشبكة. وبكلمات أخرى: «لأولئك الذين يملكون شبكة، سوف يأتي العطاء».

وثانياً فإنه حتى حيث يكون نشر المعلومات الموجودة عملية رخيصة، فإن جمع المعلومات الجديدة وإنتاجها كثيراً ما يتطلب استثماراً كبيراً. ففي كثير من الأوضاع التنافسية تكون المعلومات الجديدة هي الأكثر أهمية. وفي بعض الأبعاد، فإن المعلومات هي مصلحة عامة غير تنافسية: فاستهلاك شخص ما لا ينتقص من استهلاك شخص آخر. وقد استخدم توماس جيفرسون قياس الشمعة، إذا أعطيتك ضوءاً فإن ذلك لا ينتقص من ضوءي. ولكن في وضع تنافسي، فإن الفرق سيكون كبيراً إذا حصلت على الضوء أولاً ورأيت الأشياء قبل ذلك. فجمع معلومات المخابرات مثال جيد. فلدى أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا قدرات على الجمع والإنتاج تقزم ما لدى الأمم الأخرى<sup>(70)</sup>. فالتقارير

(70) انظر سوزان دالي، «المدعي الفرنسي يحقق في نظام التنصت الأميركي العالمي»،

النيويورك تايمز، 5 تموز/ يوليو 2000، القسم 8، ص7.

المنشورة تشير إلى أن الولايات المتحدة تنفق على مخابراتها 30 مليار دولار كل سنة. وفي بعض الأوضاع التجارية، فإن المتابع السريع قد يتفوق على صاحب الحركة الأولى. ومن سخرية القدر، ولكن هذا ليس مصادفة، أنه على الرغم من كل النقاش حول كيفية تقليص الإنترنت للمسافات، فإن مؤسسات تكنولوجيا المعلومات لا تزال متجمعة في منطقة صغيرة مختنقة بالازدحام جنوبي سان فرانسيسكو، بسبب ما يسمى «تأثير حفلة الكوكتيل». ذلك أن ما يوصلها إلى النجاح هو النفاذ إلى المعلومات الجديدة قبل أن تصبح عامة يملكها الجميع. «ففي الصناعة التي تكون فيها التكنولوجيا الجديدة دائماً على حافة الانقراض والزوال، يتعين على الشركات أن تتعرف على الطلب، وتؤمن رأس المال، وتأتي بالمادة المنتجة إلى السوق بسرعة وإلا فستغلب عليها منافس»<sup>(71)</sup>. ثم إن حجم السوق وقربه من المنافسين، والمجهزين والزبائن لا تزال لها أهميتها في اقتصاد المعلومات.

وثالثاً إن أصحاب الحركة الأولى كثيراً ما يكونون خالقي المقاييس وهيكل أنظمة المعلومات. وحسبما هو موصوف في قصيدة روبرت فروست العظيمة، فإنه عندما تفترق الطُرق في الغابة ويختار المرء إحداها يصبح الرجوع عنها إلى الطريق الأخرى صعباً. فهناك أحياناً تكنولوجيات بسيطة وفجة ورخيصة الكلفة تفتح طرقاً مختصرة تجعل من الممكن التفوق على صاحب الحركة الأولى. ولكن في كثير من الحالات فإن التنمية المعتمدة على الطريق لأنظمة المعلومات تعكس الميزة التي يتمتع بها صاحب الحركة الأولى<sup>(72)</sup>. ومن الأمثلة على ذلك استخدام اللغة الإنكليزية ونمط أسماء أعلى المجالات مستوى على الإنترنت. فكثيراً ما كانت الولايات المتحدة هي صاحبة الحركة الأولى، ويعود السبب في

(71) دوغلاس ماكغري، «أرخبيل السيليكون»، ص 167.

(72) كلايتون كريستانسين، «الاضطراب العظيم»، فورين آفيرز، عدد آذار/ مارس - نيسان/ أبريل، 2001.



ذلك جزئياً إلى تحول الاقتصاد الأمريكي في ثمانينيات القرن العشرين، وجزئياً أيضاً إلى الاستثمارات الكبيرة التي كانت تحفزها المنافسة العسكرية أيام الحرب الباردة. ولا تزال الولايات المتحدة تتمتع بمركز قيادي في تطبيق سلسلة واسعة من مختلف تكنولوجيات المعلومات.

ورابعاً، كما هو مناقش في الفصل الأول، فإن القوة العسكرية لا تزال لها أهميتها في مجالات حساسة الأهمية من العلاقات الدولية. ذلك أن تكنولوجيا المعلومات لها بعض التأثيرات على استخدام القوة التي تفيد الصغار، وبعض التأثيرات لصالح الذين هم أقوى في الأصل. فالتكنولوجيات العسكرية التي كانت باهظة الكلفة إذا صارت متوفرة تجارياً وجاهزة للاستعمال الفوري فإن ذلك يفيد الدول الصغيرة، والعناصر الفاعلة من غير الدول ويزيد في انكشاف الدول الكبيرة وتعرضها للعطب. فمثلاً، يستطيع أي شخص اليوم أن يطلب من الشركات التجارية صوراً رخيصة التقطتها الأقمار الصناعية لما يجري في قواعد عسكرية ويكون المميز فيها بمقدار متر واحد. وتستطيع المؤسسات التجارية والأشخاص العاديون (بمن فيهم من الإرهابيين) الذهاب إلى الإنترنت والوصول إلى صور فوتوغرافية التقطتها الأقمار الصناعية وكانت سرية للغاية، وكانت قبل بضع سنوات فقط تكلف الحكومات مليارات الدولارات<sup>(73)</sup>. فعندما شعرت مجموعة غير حكومية قبل بضع سنوات أن السياسة الأمريكية تجاه كوريا الشمالية مثيرة للفرع أكثر من اللازم، طبعت ونشرت صور أقمار صناعية خاصة لمنصات إطلاق الصواريخ الكورية الشمالية. فمن الواضح أن بلداناً أخرى تستطيع شراء صور مماثلة لقواعد أمريكية.

ذلك أن أجهزة تحديد المواقع العالمية التي تقدّم صوراً دقيقة بالضبط لمواقع محدّدة، والتي كانت ذات يوم ملكاً حصرياً للعسكريين وحدهم،

(73) «الحظة كوداك سرية للغاية في الفضاء تهز الأمن العالمي»، كريستيان ساينس مونيتور،

صارت متوفرة وجاهزة في المخازن المحلية التي تباع أجهزة إلكترونية. والأكثر من ذلك هو أن أنظمة المعلومات تكوّن نقاط ضعف للدول الغنية بإضافة أهداف مجدية مربحة للإرهابيين المنهمكين في حرب غير متناظرة. وقد قام نيوت غينغريتش، الناطق السابق باسم مجلس النواب الأمريكي، بإلقاء نظرة عميقة على الموضوع. وهو يعتقد أن «هناك خطراً حقيقياً في أن تعتقد أمة قوية أنها تستطيع تكوين فضاء سيبريّ مساوٍ للهجوم المتسلسل على بيرل هاربور. فمن الممكن الإدراك أنه في السنوات الخمس والعشرين التالية قد يقرّر خصم ذكي متطور (مثل بلد صغير يملك موارد شن حرب سيبرية إلكترونية) أن بوسعه أن يبتز الولايات المتحدة بالتهديد»<sup>(74)</sup>. وهناك أيضاً الآفاق المحتملة لهجمات سيبرية إلكترونية يقوم بها أفراد غير مرتبطين بأحد ويعملون لحسابهم. وعلى سبيل المثال، فبعد الاصطدام بين طائرة التجسس الأمريكية والمقاتلة الصينية، انهمك المخربون الصينيون والأمريكيون على حد سواء في فورة من الهجمات على كلا الحكومتين، والمواقع الخاصة على الشبكة التي لكل منهما في البلد الآخر.

غير أن هناك اتجاهات تقوّي الذين هم أقوياء أصلاً. وكما جادل في الفصل الأول، فإن تكنولوجيا المعلومات قد أنتجت ثورة في الشؤون العسكرية. إذ إن أجهزة الاستشعار المستقرة في الفضاء، والإذاعة المباشرة، وأجهزة الكمبيوتر ذات السرعة العالية، والبرمجيات المعقدة تقدم القدرة على جمع المعلومات، وتصنيفها، وتجهيزها ونقلها ونشرها عن أحداث معقدة تقع على رقعة جغرافية واسعة. وهذا الوعي المسبّط بمعارك الفضاء، مشفوعاً بأسلحة التصويب الدقيق الموجهة تنجم عنه ميزة قوية. وكما أظهرت حرب

(74) نيوت غينغريتش، «تهديدات بالدمار الشامل»، إنفورميشن سيكوري، نيسان/ أبريل

الخليج، فإن التخمينات والتقديرات التقليدية لمنطلقات توازن الأسلحة كالدبابات والطائرات تصبح غير واردة إلا إذا شملت القدرة على دمج المعلومات مع تلك الأسلحة. كانت تلك هي الغلطة التي ارتكبها صدام حسين (وكذلك رجال الكونغرس الذين تنبأوا بخسائر أمريكية كبيرة كثيفة). وكثير من التكنولوجيات ذات الصلة متوفرة في الأسواق التجارية، ومن الممكن التوقع بأن الدول الأضعف ستشتري كثيراً منها. غير أن المفتاح لن يكون في امتلاك العتاديات المبهرجة أو الأنظمة المتقدمة، ولكن في القدرة على دمج «نظام للأنظمة». وفي هذا المجال، فإن من المحتمل أن تحتفظ الولايات المتحدة بقيادتها. ففي حرب المعلومات، يكمن الفرق كله في ميزة صغيرة. فالثورة في الشؤون العسكرية سوف لن تنتقص من قيادة الولايات المتحدة بل إنها في بعض الظروف قد تزيد تفوق أمريكا على البلدان الأخرى<sup>(75)</sup>.

### الأبعاد الثلاثة للمعلومات

في فهم العلاقة بين المعلومات والقوة في السياسة العالمية، فإن مما يساعد المرء هو أن يميز بين ثلاثة أبعاد مختلفة للمعلومات يتم خلطها معاً في بعض الأحيان<sup>(76)</sup>. فالبعد الأول هو تدفقات البيانات، مثل الأخبار والإحصائيات. فقد حدثت زيادة هائلة يمكن قياسها في كمية المعلومات المتدفقة عبر الحدود الدولية. فمعدل كلفة تلك المعلومات آخذ في التناقص، وكثير منها مجاني من الناحية العملية. والتكاليف المتناقصة ونقاط النفاذ الإضافية تساعد الدول الصغيرة والعناصر الفاعلة من غير الدول. ومن جهة

(75) جوزيف س. ندي الأصغر ووليام أ. أوينز، «ميزه أمريكا المعلوماتية»، فورين آفيرز، آذار/ مارس - نيسان/ أبريل 1996.

(76) أنا مدين بهذه التمييزات لروبرت و. كيوهين. انظر مقالته التي كتبها بالاشتراك مع جوريف س. باي الأصغر، بعنوان «القوة والاعتماد المتبادل في عصر المعلومات» المنشور في مجلة فورين آفيرز، خريف 1998.

أخرى، فإن الحجم الكبير للتدفقات المجانية تعطي علاوة لقدرات المحررين ودامجي الأنظمة، وهذه فائدة للكبار والأقوياء.

والبعد الثاني هو المعلومات التي تُستخدم للحصول على ميزة في الأوضاع التنافسية. ومع المعلومات التنافسية، كما ذكرنا أعلاه، فإن أهم التأثيرات كثيراً ما تكون على الهامش. فهنا يكون القيام بالحركة الأولى هو الشيء الأهم، وهذا عادة في مصلحة الأقوى. فكثير من المعلومات التنافسية ترتبط بالتجارة، ولكن - كما هو متفقٌ أعلاه - فإن تأثير المعلومات على القوة العسكرية يمكن التفكير فيه أيضاً على أنه مجموعة فرعية من المعلومات التنافسية (متضمنة في مجموعة أخرى).

أما البعد الثالث فهو المعلومات الاستراتيجية - معرفة خطة منافسك في اللعبة. فالمعلومات الاستراتيجية لا تقدّر بثمن من الناحية العملية. وهي قديمة كقدّم التجسس. فأى بلد أو مجموعة يمكنها استئجار الجواسيس. وبقدر ما تقدّم التكنولوجيات التجارية وأبحاث السوق من طاقات تكنولوجية لم تكن لتتوفر في السابق إلاً باستثمارات كبيرة، فإن هناك تأثيراً مكافئاً. ولكن بقدر ما تنتج الاستثمارات الكبيرة في جمع المعلومات السريّة المخبرية من معلومات أكثر وأفضل، يستفيد الكبار والأقوياء. ورغم أنه صحيح أن كمية الأسرار في الأسئلة المثيرة للاهتمام في مجال المخبرات قد تناقصت عما كانت عليه في عالم الحرب الباردة (وهي أسرار يمكن سرقتها) وهي أقل من الأمور الغامضة (التي لا يعرف أحد جوابها) ومع ذلك فإن القدرات الكبيرة على جمع المعلومات السريّة لا تزال تعطي ميزات استراتيجية هامة.

ومن بين أكثر الجوانب إثارة للاهتمام في القوة وعلاقتها بالتدفق المتزايد للمعلومات هي «مفارقة الوفرة»<sup>(77)</sup>. ذلك أن وفرة المعلومات تؤدي إلى إفقار

(77) هيربرت أ. سيمون، «المعلومات 101: ليس المهم ما تعرف، بل كيف عرفته»، -

في الانتباه. فعندما يفرقنا حجم المعلومات التي تواجهنا، يصبح من الصعب معرفة ما الذي ينبغي أن نركز عليه. وعندئذ يصبح الانتباه هو المصدر النادر، وليس المعلومات. أما الذين يستطيعون تمييز الإشارات الثمينة عن الضجيج الأبيض فهم الذين يكتسبون القوة. فيصبح الطلب أكثر على المحررين، والمرشحين والملقنين؛ وهذا مصدر قوة للقادرين على أن يقول لنا أين نركز انتباهنا. فالقوة لا تتدفق بالضرورة إلى القادرين على إنتاج المعلومات أو حجبتها. فعلى عكس الاعتماد المتبادل غير المتناظر في التجارة، حيث تذهب القوة إلى القادرين على الاحتفاظ بالروابط التجارية أو قطعها، فإن القوة في تدفق المعلومات تذهب إلى القادرين على تحرير المعلومات وإثبات صحتها بشكل موثوق به، بحيث يصنفون ما هو صحيح منها وهام في الوقت نفسه. ونظراً لصحافتنا الحرة، فإن هذا - على وجه العموم - يفيد الولايات المتحدة.

وبين المحررين والملقنين، فإن المصداقية هي المصدر الحساس وهي بدورها مصدر للقوة الناعمة الطرية. وتزداد أهمية السمعة عما كانت عليه في الماضي، بل تحدث صراعات سياسية حول تكوين المصداقية وتدميرها. وتميل المجتمعات إلى التجمع حول الملقنين ذوي المصداقية بينما تميل المصداقية المدركة والمتصورة بدورها إلى تعزيز المجتمعات. ويميل مستخدمو الإنترنت إلى زيارة مواقع الشبكة التي تقدم معلومات يجدونها مثيرة للاهتمام وموثوقاً بصدقها في آن واحد. وتتنافس الحكومات على المصداقية، ليس مع الحكومات الأخرى فحسب، بل مع سلسلة واسعة من البدائل، بما فيها أجهزة الإعلام الإخبارية، والشركات، والمنظمات غير الحكومية، والمنظمات الحكومية المشتركة، وشبكات التجمعات والأسر العلمية.

ولقد فُكر العراق بطريقة معاكسة للحقائق، ولعلّه وجد أن من الأسهل

= ذي جورنال فوركواليتي آند پارتيسيپيشن، عدد تموز/ يوليو - آب/ أغسطس، 1998،

عليه أن يكسب قبولاً لوجهة نظره في أن غزو الكويت عمل له ما يبرره في فترة ما بعد الاستعمار، باعتباره يضاهي استيلاء الهند على غوا سنة 1975، لو أن محطة الأخبار التلفزيونية الأمريكية CNN جعلت إطار القضية بغداد بدلاً من أطلنطا (التي صُوِّرَ منها صدام على أنه شبيه لهتلر في ثلاثينيات القرن العشرين). وقد أتاحَت القوة الناعمة الطرية للولايات المتحدة أن تؤطر القضية. وتستطيع المنظَّمات غير الحكومية أن تشن حملات علاقات كبيرة، كما فعلت جماعة السَّلام الأخضر في حالة تخلص شركة شل الهولندية الملكية من منصَّة برينتسبار للتنقيب عن البترول. كما كان ما لحق بذلك الحدث ذا مغزى أيضاً بطريقة مماثلة، إذ إن جماعة السَّلام الأخضر فقدت مصداقيتها عندما اعترفت بأن بعض بياناتها عن الحقائق لم تكن دقيقة.

وإذن فالسياسة تصبح مباراة في المصداقية. فتتنافس الحكومات مع بعضها بعضاً، ومع منظَّمات أخرى لتعزيز مصداقيتها وإضعاف مصداقية خصومها - كما يشهد على ذلك الصراع بين صربيا ومنظَّمة حلف شمال الأطلسي لتأطير تفسير الأحداث في كوسوفو سنة 1999. ولقد كانت للسمعة أهميتها في السياسة العالمية دائماً، ولكن دور المصداقية يصبح مصدراً للقوة أهم حتى من السمعة، بسبب طوفان المعلومات المجانية و«مفارقة الوفرة» في عصر المعلومات. فقد كانت هيئة الإذاعة البريطانية، على سبيل المثال، مصدراً هاماً من مصادر القوة الناعمة الطرية لبريطانيا في أوروبا الشرقية أثناء الحرب الباردة. أما الآن فإن هناك مزيداً من المنافسين لها (ولغيرها من الإذاعات الحكومية)، ولكن بقدر ما تحتفظ بالمصداقية في عصر الضجيج الأبيض، فقد تزداد قيمتها باعتبارها مصدراً للقوة. وكما سترى في الفصل الخامس، لو أن حكومة الولايات المتحدة فكَّرت بهذه الطريقة فسوف تستثمر في أدوات القوة الناعمة الطرية أكثر بكثير مما تفعل الآن. (مثل برامج المعلومات والتبادل الثقافي) وسيكون من غير المحتمل أن تحاول تقييد صوت أمريكا كما فعلت في

أيلول/ سبتمبر سنة 2001. وسنكون أكثر اهتماماً بالطريقة التي تؤدي بها السياسات التي نتبعها في الداخل وسياساتنا الخارجية الأحادية الجانب إلى تقويض مصداقيتنا.

### القوة الناعمة الطرية في عصر المعلومات العالمي

من بين ما تتضمنه الأهمية المتزايدة للمحررين والملقنين في عصر المعلومات العالمي هذا أن الأهمية النسبية للقوة الطرية الناعمة ستزداد، لأنها تركز على المصداقية. فالبلدان ذات المكانة الجيدة بالنسبة لهذه القوة يتحسن أدائها<sup>(78)</sup>. والبلدان المحتمل أن تكسب قوة ناعمة طرية في عصر المعلومات هي: 1 - البلدان التي تكون ثقافتها وأفكارها المسيطرة أقرب إلى المعايير العالمية السائدة (التي تؤكد الآن على الليبرالية، والتعددية، والاستقلال)، 2 - البلدان التي لديها أكبر نفاذ إلى قنوات الاتصال المتعددة، وبذلك فهي تملك تأثيراً أكبر على كيفية تأطير القضايا، و3 - البلدان التي تتعزز مصداقيتها بأدائها المحلي والدولي. وتشير أبعاد القوة في عصر المعلومات إلى الأهمية المتنامية للقوة الناعمة الطرية في خليط مصادر القوى، وإلى ميزة قوية للولايات المتحدة.

وبالطبع فإن القوة الناعمة الطرية ليست جديدة تماماً، ولم تكن الولايات المتحدة أول حكومة تحاول استخدام الثقافة لتكون قوة ناعمة طرية. فبعد اندحار فرنسا في الحرب الفرنسية - البروسية، حاولت الحكومة الفرنسية أن ترمم نفوذها

(78) وبالطبع، كما جادلت أعلاه، فإن القوة الناعمة الطرية تختلف باختلاف الجمهور المستهدف. وهكذا فإن الفردية الأمريكية قد تكون لها شعبية في أمريكا اللاتينية وفي الوقت نفسه تظهر متحللة بشكل بغض كره في بعض بلدان الشرق الأوسط. وعلاوة على ذلك، تستطيع الحكومات أن تكسب القوة الناعمة الطرية أو تخسرها، حسب أدائها في الداخل.

الممزق بتعزيز انتشار لغتها وأدبها عن طريق التحالف الفرنسي، الذي أوجد في سنة 1883. «وهكذا أصبح إبراز الثقافة الفرنسية في الخارج أحد المكونات الهامة للدبلوماسية الفرنسية»<sup>(79)</sup>. وسرعان ما تبعتها إيطاليا، وألمانيا، وغيرها. كما أن إدخال المذيع في عشرينيات القرن العشرين أوصل بعض الحكومات إلى ميدان الإذاعة بلغات أجنبية. وفي ثلاثينيات ذلك القرن أتقنت ألمانيا النازية صناعة الفيلم الدعائي. وكانت الحكومة الأمريكية قادماً متأخراً إلى فكرة استخدام الثقافة الأمريكية لأغراض الدبلوماسية، فشكّلت لجنة للمعلومات العامة أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكنها ألغتها مع عودة السلام. وبحلول أواخر الثلاثينيات اقتنعت إدارة روزفلت بأن «من أمريكا يعتمد على قدرتها على التحدث إلى الناس في البلدان الأخرى وكسب دعمهم». ومع الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة صارت الحكومة أكثر نشاطاً مع الجهود الرسمية، مثل وكالة الاستعلامات الأمريكية، وصوت أمريكا، وبرنامج فولبرايت، والمكتبات الأمريكية، والمحاضرات، وغيرها من البرامج. ولكن كثيراً من القوة الناعمة الطرية ينشأ من قوى مجتمعية خارج سيطرة الحكومة. وحتى قبل الحرب الباردة، فإن «مسؤولي الشركات ومؤسّست الإعلان الأمريكية، وكذلك رؤساء استديوات هوليوود لم يكونوا يبيعون منتجاتهم فحسب، بل ومعها ثقافة أمريكا وقيمتها وأسرار نجاحها، لباقي أنحاء العالم»<sup>(80)</sup>. فالقوة الناعمة الطرية تُكوّن جزئياً على أيدي الحكومات، وجزئياً على الرغم من الحكومات.

قبل عقد من الزمن، كان بعض المراقبين يعتقدون أن التعاون بين الحكومة والصناعة في اليابان سيعطيها مكانة قيادية في القوة الناعمة الطرية في عصر المعلومات. فقد كان بوسع اليابان أن تطوّر قدرة على التلاعب بالمفاهيم

(79) ريتشارد پيلز، ليس مثلنا (نيويورك: بيسك بوكس 1997)، ص 31 - 32.

(80) المصدر السابق نفسه، ص 33، Xiii.



المحسوسة بشكل فوري وعلى نطاق عالمي وأن «تدمر كل ما يعيق ازدهار اليابان الاقتصادي وقبول الآخرين لها على الصعيد الثقافي»<sup>(81)</sup>. وعندما قامت مؤسسة ماتسوشيتا بشراء شركة MCA، قال رئيسها إنه لن يتم إنتاج أفلام سينمائية تنتقد اليابان<sup>(82)</sup>. وحاولت أجهزة الإعلام اليابانية أن تخترق الأسواق العالمية وبدأت شبكة NHK التي تملكها الحكومة تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية بالإنكليزية. غير أن المشروع فشل لأن تقارير NHK كانت تبدو متخلفة وراء تقارير المنظمات الإخبارية التجارية الأخرى، واضطرت الشبكة إلى الاعتماد على CNN والـ ABC<sup>(83)</sup>. وهذا لا يعني أن اليابان تنقصها القوة الناعمة الطرية. بل على العكس، فإن ثقافتها الشعبية تشير إعجاباً كبيراً بين شباب آسيا المراهقين<sup>(84)</sup>. ولكن ثقافة اليابان تظل موجهة إلى الداخل أكثر بكثير من ثقافة الولايات المتحدة. كما أن عدم رغبة حكومتها في التعامل بصراحة مع تاريخ ثلاثينيات القرن العشرين ينتقص من قوتها الناعمة الطرية.

وبالتأكيد فإن هناك مناطق مثل الشرق الأوسط فيها مواقف ازدواجية إزاء الثقافة الأمريكية تحد من قوتنا الناعمة الطرية. فقد كان البث التلفزيوني كله في العالم العربي يُدار بأيدي الحكومات، حتى سمحت قطر الصغيرة لمحطة

(81) جيروم ك. غلين، «اليابان: القوة الثقافية للمستقبل»، نيكى ويكلي، عدد 7 كانون الأول/ ديسمبر، 1992، ص 7.

(82) الأفلام المتعددة الجنسيات: مسائل في السياسة، النيويورك تايمز، عدد 27 تشرين الثاني/ نوفمبر، 1990، القسم D 7.

(83) «وسائل الأخبار اليابانية تنضم إلى حركة التصدير»، الاثترناشنال هيرالد تريبيون، عدد 10 أيار/ مايو، 1991؛ دايفيد سانغر، «شبكة NHK التلفزيونية اليابانية تنهي خطة الخدمة الإخبارية»، النيويورك تايمز، عدد 9 كانون الأول/ ديسمبر، 1991.

(84) كالفن سيمز، «اليابان تشير، وشباب آسيا اشرقية يقعون في الغرام»، النيويورك تايمز، عدد 5 كانون الأول/ ديسمبر، 1999، القسم 8، ص 3؛ «تقدم الأمازونيسو»، الإيكونوميست، 22 تموز/ يوليو، 2000، ص 61.

جديدة - الجزيرة - بالبت بشكلٍ حَزَفقامت لها شعبية كبيرة في الشرق الأوسط<sup>(85)</sup>. وكان لصورها غير الخاضعة للرقابة، والتي تراوح من أسامة بن لادن إلى طوني بلير، تأثير سياسي قوي بعد أيلول/ سبتمبر سنة 2001. وقد أدت قدرة بن لادن على إبراز صورة له كروبن هود إلى تعزيز قوّته الناعمة الطرية عند بعض المسلمين حول العالم. وكما وصف صحفي عربي الوضع قبل ذلك فإن «الجزيرة كانت بالنسبة لهذه الانتفاضة كما كانت CNN بالنسبة لحرب الخليج»<sup>(86)</sup>. وفي إيران الأصولية للناس موقف مزدوج. فأفلام الشيديو المهرّبة والمسروقة متوفّرة على نطاق واسع ولم ينجم عن حظر الحكومة لها «سوى تعزيز إغواء الحضارة الغربية العلمانية بأفضل ما فيها وأسوأ ما فيها»<sup>(87)</sup>.

وهناك بالطبع توترات حتى في داخل الثقافة الغربية العلمانية تحدّ من القوة الطرية الناعمة الأمريكيّة. ففي منتصف تسعينيات القرن العشرين، كان 61 بالمئة من الفرنسيين، و45 بالمئة من الألمان و32 بالمئة من الإيطاليين يدركون أن الثقافة الأمريكيّة هي تهديد لثقافتهم. وكانت هناك أغليات في إسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ترى أن على شاشات تلفزيوناتها الوطنية أفلاماً وبرامج من صنع أمريكي أكثر مما ينبغي<sup>(88)</sup>. وتضع كل من كندا والاتحاد الأوروبي قيوداً على كمية المحتوى الأمريكي التي يمكن عرضها.

ولكن مثل هذه المواقف تعكس ازدواجيّة، وليس رفضاً. ففي عشرينيات

(85) مارك هوباند، «مصر تحاول إغراء المذيعين للعودة»، الفاياننشال تايمز (لندن)، عدد 7 آذار/ مارس، 2000، ص14.

(86) جون كيفنر، «قصة انتفاضتين»، النيويورك تايمز، عدد 18 تشرين الثاني/ نوفمبر، 2000، القسم A، ص6.

(87) كريس هيندجيز، «إيران غير قادرة على صد غزو الغرب الثقافي»، النيويورك تايمز، 28 آذار/ مارس، 2000، ص14.

(88) مكتب أبحاث الوكالة الأمريكيّة للمعلومات، «تنبيه الرأي الأوروبي»، عدد 16 آذار/ مارس، 1994، و27 أيار/ مايو، 1994.

القرن العشرين كان الألمان أصحاب المبادرة والتوجه في صناعة السينما، كما كان الفرنسيون والإيطاليون في خمسينيات ذلك القرن وستينياته. والهند تنتج أفلاماً أكثر بكثير مما تنتج هوليوود. ولكن كل قنوات التوزيع في العالم لن تستطيع أن تحول الأفلام الهندية إلى انتصارات عالمية باهرة ذات شعبية كبيرة ومستمرة. ومن وجهة نظر الصحافي الألماني جوزيف جوف، فإن التفسير واضح، وهو أن «أمريكا لديها واحدة من أكثر ثقافات العالم انفتاحاً، ولذا فإن العالم يجب أن يفتح لها أكثر من غيرها»<sup>(89)</sup>. أو كما يلاحظ ناقد فرنسي متفهم: «لا شيء يرمز إلى انتصار الثقافة الأمريكية أكثر من شكل الفن الجوهري في القرن العشرين: السينما... فهذا الانتصار للفرد الذي تحرّكه الرحمة أو طموح نبيل هو شيء عام شائع... وتقوم الرسالة على انفتاح أمريكا والنجاح المستمر لمجتمعها المتعدد الثقافات». ولكن الناقد يلاحظ أيضاً أنه «كلما زاد عناق الفرنسيين لأمريكا تزايد سخطهم منها»<sup>(90)</sup>. أو كما لاحظ نرويجي، «إن الثقافة الأمريكية آخذة في التحول إلى الثقافة الثانية لكل شخص. فهي لا تقتلع التقاليد المحلية بالضرورة لتحل محلها، ولكنها تنشط بالفعل ثقافة مزدوجة اللغة»<sup>(91)</sup>. ومثل كثير من اللغات الثانية، فإنها محكية بنواقص ومعانٍ مختلفة. غير أن العجب هو من كونها محكية على الإطلاق.

وبالطبع، فإن الصرب الذين يرتدون سراويل ليثيز الأمريكية ويأكلون وجبات مكدونالد الأمريكية لم يكتفوا بدعم القمع في كوسوفو فحسب، بل

(89) جوزيف جوف، «أمريكا التي لا مهرب منها»، مجلة النيويورك تايمز [الأحد] عدد 8 حزيران/ يونيو، 1997، ص38.

(90) دومينيك موزاي، «أمريكا المنتصرة»، الفابنانشال تايمز (لندن)، عدد 9 شباط/ فبراير، 1998؛ موزاي، «الحجة الصحيحة في الوقت الخطأ»، الفابنانشال تايمز (لندن)، 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1999، ص13.

(91) مقتبساً عنه في مقالة تود غيتلين، «الزعماء العالميون: ميكسي وشركاه»، النيويورك تايمز، 3 أيار/ مايو 1992، قسم الفن وأوقات الفراغ، ص1.

استخدموا فيلماً هوليوودياً عنوانه «هزّ الكلب» للسخرية من الولايات المتحدة أثناء الحرب. وارتكب الأطفال المجتدون في سيراليون فظائع، مثل تقطيع أيدي المدنيين، وهم يرتدون القمصان الرياضية الأمريكية الخفيفة. وقد احتقر أسامة بن لادن الثقافة الأمريكية، كما يفعل بعض الأصوليين المتعاطفين معه. وسواء أكانت الصفات التالية تميل إلى الأفضل أم إلى الأسوأ، فإن الولايات المتحدة «مثيرة، وغريبة، وغنية، وقوية، وراسمة للاتجاهات، والجهة الفاعلة في الحداثة والتجديد»<sup>(92)</sup>. ورغم الفظاظة والابتذال والجنس والعنف فإن «أفلامنا وموسيقانا ترفع من شأن رموز الحرية، وتحتفل بمجتمع يؤدي إلى الحركة صُعداً إلى الأعلى وإلى عدم التقيد بالشكليات الرسمية، ونزوع إلى المساواة لا يبتذل ولا يوقر أحداً، وفيه قوة حياة ملأى بالحيوية. وهذا الإغلاء له جاذبيته في عصر يريد فيه الناس أن يشاركوا في التمتع بالحياة الطيبة على الطراز الأمريكي، حتى ولو كانوا واعين، كمواطنين سياسيين، بالجانب الآخر الهابط للبيئة، وللمجتمع، وللمساواة»<sup>(93)</sup>. وعلى سبيل المثال، عند تفسير الاتجاه نحو استخدام الدعاوى القضائية لتأكيد الحقوق في الصين، أوضح أحد النشطاء الصينيين الشباب: «لقد شهدنا كثيراً من أفلام هوليوود، فهي تصوّر حملات الزفاف، والجنائز، والذهاب إلى المحكمة. وهذا فإننا نعتقد أن الأمر ليس سوى شيء طبيعي إذا ذهبت إلى المحكمة بضع مرّات في حياتك»<sup>(94)</sup>. وفي الوقت نفسه، فإن مثل هذه الصور للمجتمع الليبرالي يمكن أن تكون رد فعل سلبياً بين الأصوليين المحافظين.

(92) نيل م. روزندورف، «العولمة الاجتماعية والثقافية. مفاهيمها، وتاريخها، ودور أمريكا فيها»، في كتاب من تحرير ناي ودونا هيو عنوانه حسن الإدارة في عالم أخذ في التعولم.

(93) تود غيتلين، «الاستيلاء على العالم بالقوة (الثقافية)»، صحيفة ذي ستري تايمز (سنغافورة)، عدد 11 كانون الثاني 1999، ص2.

(94) إليزابيث روزنتال، «الصينيون يجربون سلاحاً جديداً من الغرب: الدعاوى القضائية»، النيويورك تايمز، 16 حزيران/ يونيو 2001.

إن الازدواجية تضع قيوداً على الثقافة الشعبية كمصدر للقوة الأمريكية الناعمة الطرية، كما أن تسويقها على أيدي الشركات الأمريكية يمكن أن يكون انجذاباً ومقاومةً في الوقت نفسه. وكما قال المؤرخ والتر لافبير، فإن «الشركات عابرة القومية لا تغير عادات الشراء في مجتمع ما فحسب، بل إنها تعدّل وتحوّر تركيب المجتمع نفسه. وبالنسبة للمجتمع الذي يتلقّى القوة الناعمة الطرية، فإن هذه القوة يمكن أن تكون لها آثار صلبة»<sup>(95)</sup>. فالاحتجاجات غالباً ما توجه ضد مكدونالد والكوكاكولا. وسواء أكان ذلك جيداً أم رديئاً، فليس هناك الكثير مما تستطيع حكومة الولايات المتحدة أن تفعله إزاء هذه الآثار السلبية للمصادر الثقافية الأمريكية العليا - المكتبات والمعارض - ليست في أفضل الأحوال سوى مسكنات مهدئة مفيدة. فكثير من جوانب القوة الناعمة الطرية هي نتائج عرضية ثانوية للمجتمع الأمريكي أكثر من كونها أعمالاً حكومية متعمدة، وهي قد تزيد قوة الحكومة أو تنقصها. إن الجاذبية الكامنة (والنفور) في خلفية الثقافة الشعبية الأمريكية في مناطق مختلفة وبين مجموعات مختلفة قد تجعل ترويج السياسة أسهل أو أصعب على المسؤولين الأمريكيين. ففي بعض الحالات، مثل إيران، فإن الثقافة الأمريكية قد تنتج رفضاً (على الأقل من قبل الشعب الحاكمة)؛ وفي حالات أخرى، بما فيها الصين، فإن الجاذبية والرفض بين مجموعات مختلفة قد يلغي كل منهما الآخر. وفي حالات أخرى كذلك، مثل الأرجنتين، فإن سياسات حقوق الإنسان التي رفضتها الحكومة العسكرية في سبعينيات القرن العشرين أنتجت قوة ناعمة طرية كبيرة للولايات المتحدة بعد ذلك بعقدين من الزمن عندما وصل إلى السلطة الناس الذين كانوا قد سُجنوا في السابق.

وذكرنا المثل الأرجنتيني بأن لا نبالغ في دور الثقافة الشعبية وبأن القوة

(95) والتر لافبير، مايكل جورودان والرأسمالية العالمية الجديدة (نيويورك: نورتون، 1999)،

الناعمة الطرية أكثر من مجرد القوّة الثقافية. فكما رأينا في الفصل الأول فإن لقوّة الناعمة الطرية تتركز على وضع جدول الأعمال كما على الجاذبية، والثقافة الشعبية ليست سوى جانب واحد من الجاذبية (وهي ليست كذلك على الدوام). إن الأفكار الثقافية العليا التي تصدرها الولايات المتحدة في أذهان نصف مليون طالب أجنبي ممن يدرسون كل سنة في الجامعات الأمريكية، أو في أذهان رجال الأعمال وأصحاب المشاريع المبادرين العائدين إلى أوطانهم بعد نجاحهم في وادي السيليكون، هي أوثق صلة برجال النخبة ذوي القوة والسلطة. فمعظم قادة الصين لهم أبناء وبنات تعلّموا في الولايات المتحدة، وهم يرسمون لها صورة من وجهة نظر واقعية غالباً ما تكون على عكس الصور الكاريكاتورية السّاخرة في الدعاية الصينية الرسمية.

إن سياسات الحكومة في الداخل والخارج يمكن أن تعزّز قوّتنا الناعمة الطرية أو تنتقص منها وتقيدّها. وعلى سبيل المثال فإن الفصل العنصري في الداخل في خمسينيّات القرن العشرين كان ينتقص من قوّتنا الناعمة الطرية في أفريقيا. واليوم، فإن تطبيقنا لعقوبة الإعدام وضعف سيطرتنا على امتلاك الأفراد للأسلحة النارية والمسدسات والبنادق الشخصية ينتقصان من قوّتنا الناعمة الطرية في أوروبا. وسياسات جيمي كارتر حول حقوق الإنسان مثال على ذلك، ولكن من الأمثلة أيضاً جهود الحكومة لتعزيز الديمقراطية أثناء إدارات كلينتون وريغان. وعلى العكس، فإن السياسات الخارجية التي تبدو في أعين الآخرين متغطّسة وأحادية الجانب تقلّل من قوّتنا الناعمة الطرية، كما سنستكشف على نحو مستفيض في الفصل الخامس.

إن القوّة الناعمة الطرية الآخذة أهميتها في الازدياد في عصر المعلومات هي جزئياً ناتج عرضي للعمل الحكومي الرسمي، وليست هي نتيجة الوحيدة. فالمنظّمات غير الحكومية التي لها قوة ناعمة طرية خاصة بها تستطيع أن تعقد وتعزل جهود الحكومة للحصول على النتائج التي ترغب فيها. ومقدّمو الثقافة

الشعبية يعرقلون في بعض الأحيان تحقيق وكلاء الحكومة لأغراضهم. ولكن التوجهات الأطول على المدى البعيد هي لصالحنا. وبقدر انسجام السياسات الرسمية في الداخل والخارج مع الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والانفتاح، واحترام آراء الآخرين، تستفيد الولايات المتحدة من الاتجاهات في عصر المعلومات العالمي هذا، حتى ولو استمرت بعض جيوب رد الفعل والأصولية في الاعتراض والاستجابة بشكل سلبي في بعض الدول. ولكن هناك خطراً في أننا قد نطمس الرسالة الأعمق لقيمنا من خلال الغطرسة والانفراد بمواقف أحادية الجانب. إذ إن ثقافتنا، العليا والدنيا، تساعد في إنتاج قوة طرية ناعمة في عصر المعلومات، ولكن الأعمال الحكومية لها أهميتها أيضاً، ليس فقط من خلال البرامج مثل صوت أمريكا ومنح فولبرايت الدراسية، والأهم حتى من ذلك كله، عندما تتجنب سياساتنا الغطرسة وتقوم بتمثيل المبادئ والقيم التي يُعجَبُ بها الآخرون.

### الخاتمة

قبل قرن مضى، وفي أوج العصر الصناعي، قام عالم الاجتماع الألماني العظيم ماكس فيبر بتعريف احتكار الاستخدام المشروع للقوة بأنه خاصية محدّدة للدولة الحديثة. وهذا التعريف لا يزال صحيحاً. ولكن سيطرة الحكومات على مصادر القوة الكبرى في عصر المعلومات هي أقلّ أمناً وإحكاماً مما كانت عليه في القرن الماضي. فالدول الكبيرة لا تزال تملك مزايا عسكرية ساحقة، ولكن انتشار تكنولوجيات الدمار الشامل يفتح فرصاً للإرهابيين، ويكون نقاط ضعف مكشوفة في مجتمعات ما بعد التصنيع. أما في مجتمعات ما قبل التصنيع، فإن هناك جيوشاً خاصة ومجموعات إجرامية لها قوات تستطيع أن تكتسح الحكومات.

ومن حيث القوة الاقتصادية، فإن الشركات عابرة القومية تعمل على نطاق أوسع مما هو متاح لكثير من البلدان. فهناك دستة من مثل هذه الشركات على

الأقل لديها مبيعات سنوية أكبر من الدخل القومي الإجمالي لنصف دول العالم. وعلى سبيل المثال، فإن مبيعات ميتسوبيشي أكبر من الناتج القومي الإجمالي لقيتنام؛ ومبيعات شل ثلاثة أضعاف الناتج القومي الإجمالي لغواتيمالا، ومبيعات سيمنز ستة أضعاف الناتج القومي الإجمالي لجامايكا<sup>(96)</sup>. أما بالنسبة للقوة الناعمة الطرية، فرغم أن البلدان الكبيرة مثل الولايات المتحدة لها ميزة متقدمة، فإن الحكومة كثيراً ما تعجز عن السيطرة عليها. وعلاوة على ذلك، فمع ازدياد أهمية القوة الناعمة الطرية في عصر المعلومات، يصبح من الجدير بالتذكر أنها هي المجال الذي تستعد فيه المنظّمات غير الحكومية والشبكات للتنافس لأنه هو المصدر الأكبر لقوتها. فالدولة تبقى ذات سيادة. ولكن قواها، حتى بالنسبة للولايات المتحدة، لم تعد كما كانت ذات مرة من قبل. وكما قال مراقبان أجنيان متفهمان: «إذا بقيت الدولة في مركز إدارة الحكم في العالم، فما الذي تغيّر؟ بكلمة واحدة: تغيّر كل شيء». فلم يسبق أن تنافس مثل هذا العدد الكبير من العناصر الفاعلة من غير الدول على السلطة والنفوذ اللذين كانا ذات مرة يعودان للدول وحدها<sup>(97)</sup>.

فما هي الاستنتاجات التي نستطيع أن نستخلصها في هذه المرحلة المبكرة من عصر المعلومات العالمي؟ تخطى التنبؤات عن التأثير المكافئ لثورات المعلومات والاتصالات على توزيع القوة بين الدول. وسبب ذلك جزئياً هو أن اقتصادات الحجم الكبير وحواجز الدخول تستمر في ما يتعلق بالمعلومات التجارية والاستراتيجية، والسبب الآخر هو أنه في ما يختص بالمعلومات الحرة

(96) بينانات مستقاة من كتاب وكالة المخابرات المركزية عن حقائق العالم سنة 2000

(<http://www.cia.gov/cia/publications/factbook>)

وكذلك كتاب هوفر للتجارة العالمية لسنة 2001 (أوستن: مطبعة رفرنس، 2001).

(97) غوردن سميث ومويزيس نايم، الدول المتغيرة: العولمة، والسيادة وحسن الإدارة (أوتاوا: المركز الدولي لأبحاث التنمية، 2000)، ص 10.



المجانية كثيراً ما تكون الدول الكبيرة في موقع جيد للمنافسة على المصادقية التي تكون قوة ناعمة طرية. وثانياً: إن التدفقات الرخيصة للمعلومات قد كوّنت تغييراً هائلاً في قنوات الاتصال عبر حدود الدول. فالعناصر الفاعلة غير الحكومية والأفراد المشتغلون بطريقة عابرة للقومية لديهم فرص أكبر بكثير لتنظيم آرائهم ونشرها والترويج لها. إذ صار اختراق الدول أسهل لأنها لم تعد كالصناديق السوداء. وسوف يجد قادتنا صعوبة أكثر في الحفاظ على تنظيم متجانس لقضايا السياسة الخارجية.

وثالثاً إن الإنترنت آخذة في تكوين مجال جديد عابر للقومية مفروض على الدول ذات السيادة، كما كانت الأسواق الجديدة المكوّنة في العصور الوسطى قبل قرون كثيرة قد فرضت نفسها. وهذا يعدّ بتطور للمواقف والهويات له أهمية مماثلة. ورابعاً إن ثورة المعلومات آخذة في تغيير العمليات السياسية بطريقة ستجعل المجتمعات الديمقراطية المنفتحة كالولايات المتحدة تتنافس على مصدر هام لقوة المصادقية بطريقة أنجح من الدول السلطوية المستبدّة. ولكن الديمقراطية لن تكون سريعة في جزء كبير من العالم ما قبل الصناعي. وخامساً إن أهمية القوة الناعمة الطرية آخذة في الازدياد بالنسبة للقوة الصلبة الإيجابية عما كانت عليه في الماضي، مع تحوّل المصادقية إلى مصدر هام للقوة للحكومات وللمجموعات غير الحكومية على حد سواء. ورغم أن الولايات المتحدة في موقع أفضل من بلدان أخرى بالنسبة للمصادقية والقوة الناعمة الطرية، فإن من المحتمل أن يتناقص الانسجام والتجانس في سياسات حكومتها. وأخيراً فإن الدول ذات السيادة والموقع الجغرافي سوف تستمر في تركيب سياستها في عصر المعلومات، ولكن عمليات السياسة العالمية ضمن ذلك التركيب تتعرض لتغير عميق. وسوف تبقى لقوة الدولة ذات السيادة أهميتها، ولكنها لن تظل كما كانت عليه في الماضي.

وما يعنيه هذا هو أن كثيراً من المقاييس التقليدية للتفوق الأمريكي التي

رأبناها في الفصل الأول سوف يثبت أنها وهمية . كما أن الحديث عن أحادية القطب والهيمنة سيبدأ في التحول بشكل متزايد إلى كلام أجوف . فلو كان كل ما يتعين علينا عمله في عصر المعلومات هو انقاء المنحذين الجدد عسكرياً، لكانت مهمات السياسة الخارجية الأمريكية بسيطة ومباشرة وتكفي للنهوض بها قوتنا الصلبة .

وحسب المقاييس التقليدية، ليس من المحتمل أن تتفوق علينا دولة ذات سيادة، ولا يستطيع الإرهابيون دحرنا . ولكن ثورة المعلومات تفرض تحدياً أخبث وأخفى بتغيير طبيعة الدول ذاتها، وطبيعة السيادة، والسيطرة كذلك، ودور القوة الطرية الناعمة . وسوف يتناقص عدد القضايا التي تهتمنا والقابلة للحل عن طريق قوتنا العسكرية المسيطرة . وسوف يتعين على صناع السياسة أن يولوا اهتماماً أكثر لسياسة المصادقية ولأهمية القوة الناعمة الطرية . وسوف يضطرون إلى تقاسم المسرح مع عناصر فاعلة غير حكومية وأفراد ممن اكتسبوا القوة حديثاً . وكما سنرى في الفصل التالي، فإن هذا كله سوف يحدث في عالم شديد التنوع تقوم فيه العولمة بتقليص المسافات التي كانت تعطي الحماية فيما مضى .



نصير  
أحمد ياسين  
لوينر

@Ahmedyassin90

---

# 3

## العولمة

يشعر الأمريكيون بأن حياتهم آخذة في التأثر أكثر فأكثر بأحداث ينبع أصلها من خارج بلادهم. فالإرهابيون من أماكن تبعد نصف المسافة حول العالم، أحدثوا خراباً ودماراً وفوضى في نيويورك وواشنطن. أو لناخذ مثلاً اقتصادياً: مَنْ كان يفكر أن الممارسات المصرفية الطائشة في اقتصاد صغير مثل تايلند سنة 1997 سوف تؤدي إلى انهيار الروبل الروسي، أو أن القروض الكثيفة سوف تدرأ أزمة في البرازيل، أو أن تدخل مصرف نيويورك لاحتياطي الاتحاد سيمنع انهيار شركة استثمارات مغامرة من إيذاء الاقتصاد الأمريكي؟ وفي مثال بيئي نشرت الطائرات المروحية في الآونة الأخيرة دخاناً في كثير من المدن الأمريكية في محاولة لاستئصال فيروس غرب النيل، وهو قاتل محتمل لعلّه وصل في دم أحد المسافرين، أو عن طريق طير مهرّب عبر حواجز الجمرك، أو في أحشاء بعوضة تسَلّت إلى متن طائرة نفّاثة<sup>(1)</sup>. وقد أدّت الخشية من «غزو حيوي» إلى جعل بعض الجماعات البيئية تضع إعلاناً من

---

(1) «فيروس بعوضة يكشف عن ثقب في شبكة السلامة»، النيويورك تايمز، عدد 4 تشرين الأول/أكتوبر، 1999، القسم 8، ص1.

صفحة كاملة في النيويورك تايمز تدعو فيه إلى تخفيض في التجارة والأسفار العالمية<sup>(2)</sup>. وعندما بدأ القرن الحادي والعشرون، راح المشاغبون المحتجون على العولمة يملأون شوارع واشنطن، وبراغ، ولوبيك، وجنوى وغيرها من المدن حيثما كان الزعماء يجتمعون.

### مصنوع في أمريكا؟

إن العولمة - أي نمو شبكات من الاعتماد المتبادل على صعيد العالم كله - هي بالفعل قديمة قدم التاريخ الإنساني. والجديد فيها هو أن الشبكات أكتف وأعقد، وتضم أناساً من مناطق وطبقات اجتماعية أكثر<sup>(3)</sup>. فطريق الحرير القديم الذي كان يربط أوروبا العصور الوسطى بآسيا هو مثال على العولمة «الرقيقة» التي كانت تنطوي على كميات قليلة من بضائع الفخفخة، وزبائن من النخبة (رغم أن شرائح أوسع من السكان الأوروبيين كانت تعاني من الفيروسات المستوردة التي كانت ترافق التجار). وقد تزايدت العولمة التجارية بشكل كبير ومفاجئ في القرن التاسع عشر. ففي البيان الشيوعي الصادر سنة 1848، جادل كل من كارل ماركس وفردريك إنغلز بأن «كل الصناعات الوطنية الراسخة منذ القدم قد دمرت أو أنها في طريقها إلى الدمار... وبدلاً من العزلة القديمة المحلية والوطنية والاكتفاء الذاتي، لدينا تفاعل متصل في كل اتجاه، إنه الاعتماد العالمي الشائع بين الأمم»<sup>(4)</sup>.

(2) انظر مثلاً، «تحذير - غزو بسلاح حيوي» (إعلان على صفحة كاملة)، النيويورك تايمز، عدد 20 أيلول/ سبتمبر 1999، القسم 8، ص 11.

(3) دايثيد هيلد وشركاه: تحولات دولية: السياسة، والاقتصاد والثقافة (ستانفورد: مطبعة جامعة ستانفورد، 1999)، ص 21 - 22. وحول العولمة المبكرة، انظر «بؤرة اقتصادية: 1492 وكل ذلك»، الإيكونوميست، عدد 25 آب/ أغسطس، 2001، ص 61.

(4) كارل ماركس وفردريك إنغلز، البيان الشيوعي (أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1992). [أظهر البيان لأول مرة سنة 1848].

إن الفكرة القائلة بأن العولمة تعادل الأمركة شائعة، ولكنها تبسيطية أكثر من اللازم. فالولايات المتحدة نفسها هي نتاج عولمة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. وكما كتب آدم سميث سنة 1776، فإن «اكتشاف أمريكا والطريق إلى جزر الهند الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح هما الحدثان الأعظم والأهم مما سجل في تاريخ البشرية... من خلال توحيدهما، بطريقة ما، بين أبعد أجزاء العالم»<sup>(5)</sup>. ولكن الصحيح أيضاً أن الولايات المتحدة هي عملاق في المرحلة المعاصرة من العولمة. وكما قال وزير الخارجية الفرنسي هيوبير فيدرين، فإن «الولايات المتحدة سمكة كبيرة تسبح بسهولة في مياه العولمة وتحكمها بتفوق لا يُنازع. ويحصل الأمريكيون على فوائد كبيرة من ذلك، لأسباب كثيرة: نظراً لحجمهم الاقتصادي؛ ولأن العولمة تحدث بلغتهم؛ ولأنها منظمة حسب مبادئ اقتصادية ليبرالية - جديدة؛ ولأن الأمريكيين يفرضون ممارساتهم القانونية، والمحاسبية، والتكنولوجية؛ ولأنهم دعاة النزعة الفردية»<sup>(6)</sup>.

ومن المفهوم، ولعلّه من المحتوم أن الساخطين على قوة أمريكا وثقافتها الشعبية سوف يستخدمون القومية في مقاتلتها. ففي أربعينيات القرن العشرين، سعى المسؤولون الفرنسيون إلى منع الكوكاكولا. ولم تتم الموافقة على بيعها في فرنسا في آخر الأمر حتى سنة 1953<sup>(7)</sup>. وفي قضية طارت لها شهرة كبيرة سنة 1999، صار مرتبي الأغنام الفرنسي جوزيه بوفيه (الذي أمضى سنوات حياته الأولى في بيركلي بولاية كاليفورنيا) بطلاً فرنسياً وكسب تغطية صحفية عالمية

(5) آدم سميث، ثروات الأمم (نيويورك: راندوم هاوس، 1985)، الكتاب الرابع، الفصل السادس، القسم الثالث [الطبعة الأولى كانت سنة 1776].

(6) هيوبير فيدرين، مع دومينيك مُوازي، فرنسا في عصر العولمة (واشنطن، مقاطعة كولومبيا، مطبعة مؤسسة بروكينغز، 2000)، ص3.

(7) دارين مكماهون، «فرنسا التي تقول لا»، كورسبونديانس، شتاء 1999 - 2000، ص27.

بحمايته «السيادة المطبخية» عن طريق تدمير مطعم لماكدونالد<sup>(8)</sup>. لا أحد يرغب الجمهور الفرنسي على دخول الأقواس الذهبية، ولكن نجاح بوفيه مع أجهزة الإعلام كان يخاطب الازدواجية الثقافية تجاه كل ما هو أمريكي. وكما تدمر رئيس إيران في سنة 1999، فإن «النظام العالمي الجديد، والعولمة التي تحاول قوى معينة أن تجعلنا نقبلها، والتي يتم فيها تجاهل ثقافة العالم كله، تبدو كأنها نوع من الاستعمار الجديد»<sup>(9)</sup>.

والواقع أن هناك أبعاداً كثيرة للعولمة تسيطر عليها اليوم أنشطة قائمة في وول ستريت [شارع في نيويورك يرمز إلى المصالح المالية الأمريكية المسيطرة، والمصارف وأسواق الأوراق المالية: المعرب] ووادي السيليكون وهوليوود. غير أن انتشار المسيحية عبر القارات قد سبق اكتشاف هوليوود لكيفية تسويق أفلام عن الإنجيل بعدة قرون. كما أن الانتشار العالمي للإسلام، المستمر حتى اليوم، ليس «مصنوعاً في الولايات المتحدة». أما اللغة الإنكليزية، التي يتكلمها نحو 5 بالمئة من سكان العالم، فقد انتشرت في الأصل على يد بريطانيا، لا الولايات المتحدة<sup>(10)</sup> والعلاقات بين اليابان ومهاجريها في أمريكا اللاتينية لا علاقة لها بالولايات المتحدة، والأمر نفسه ينطبق على العلاقات بين البلدان الناطقة بالفرنسية، والإسبانية والبرتغالية، على التوالي. وكذلك لا علاقة للولايات المتحدة بانتشار مرض الإيدز في إفريقيا وآسيا، ولا بالمصارف الأوروبية التي تقدم قروضاً للأسواق الآخذة في البروز في آسيا وأمريكا

(8) روجر كوهن، «خشية على المستقبل، أوروبا تركز على الغذاء»، النيويورك تايمز، عدد 29 آب/ أغسطس، 1999، القسم الرابع، ص 1.

(9) «إيران» في خطاب بياريس، توجه شوكة إلى الولايات المتحدة»، النيويورك تايمز، 29 تشرين الأول/ أكتوبر، 1999، القسم 8، ص 8.

(10) بربارا وولراف، «أي لغة عالمية؟»، ذي أتلانتيك منثلي، تشرين الثاني/ نوفمبر 2000.

اللاتينية. ثم إن أكثر الفرق الرياضية شعبية في العالم ليس أمريكياً؛ بل هو فريق مانشستر يونايتد، الذي له متنا نادٍ من المعجبين في أربعة وعشرين بلداً. كما أن ثلاث من الرقع الملصقة على الموسيقى «الأمريكية» لها مالكون بريطانيون، وألمان، ويابانيون. وبعض أكثر ألعاب الفيديو شعبية تأتي من اليابان وبريطانيا<sup>(11)</sup>. ثم إن صعود البرمجة الواقعية، التي زادت حيوية الإمتاع التلفزيوني أو هبطت بها إلى مستوى متدنٍ في السنوات الأخيرة قد انتشرت من أوروبا إلى الولايات المتحدة. وليس بالعكس.

وكما يلاحظ أنطوني غيدنز، عالم الاجتماع البريطاني، فإن «العولمة ليست فقط سيطرة الغرب على الآخرين؛ بل إنها تؤثر على الولايات المتحدة كما تؤثر على البلدان الأخرى»<sup>(12)</sup>. أو بكلمات الدبلوماسي السنغافوري كيشور محبوباني: «سوف يمتص الغرب العقول الجيدة من الحضارات الأخرى على نحو متزايد، وبينما هو منهمك في ذلك فإنه سيتعرض لتحول كبير. إذ سوف يصبح هو نفسه صورة مصغرة عن العالم الجديد الذي يسوده الاعتماد المتبادل، وفيه ثقافات وأفكار مزدهرة كثيرة»<sup>(13)</sup>. فالعولمة في أصلها ليست أمريكية، حتى ولو كان جزء كبير من محتواها الحالي شديد التأثير بما يحدث في الولايات المتحدة.

إن للولايات المتحدة صفات متميزة تجعلها مؤهلة بشكل فريد من نوعه

(11) مايكل إيليوت، «هدف أجود من أن يقاوم»، نيوزويك، عدد 31 كانون الثاني/ يناير، 2000، ص 27-28.

(12) أنطوني غيدنز، العالم الهارب: كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا (نيويورك: روثليدج، 2000)، ص 22.

(13) كيشور محبوباني، «بقية الغرب؟»، نص المحاضرات العالمية للأكاديمية الملكية الإسكتلندية/ هيئة الإذاعة البريطانية، لندن، 1 حزيران/ يونيو 2000

(<http://www.bbc.co.uk/worldservice/people/features/world-lectures/mahbb-lect.shtml>),



للعمل كمركز للعولمة. فالثقافة الأمريكية منتجة وموجهة نحو مجتمع متعدد الأعراق يتغير تركيبه السكاني باستمرار عن طريق الهجرة. وقد كان لأمريكا على الدوام ثقافة توفيقية، تستعير بحرّية من تقاليد شتى، وهي مفتوحة على باقي العالم باستمرار. كما أن حالات القلق الأوروبي من التأثير الأمريكي ليست جديدة. وقد نشرت أعداد من الكتب حول هذا الموضوع قبل قرن من الزمن. وعلى سبيل المثال فقد كتب المؤلف البريطاني وليام توماس ستيد في سنة 1902 كتاباً بعنوان: **أمركة العالم**. كما أن الولايات المتحدة مختبر كبير للتجارب الثقافية، وأكبر سوق لاختبار ما إذا كان لأي فيلم معين أو أغنية معينة صدى رنان لدى مجموعة فرعية من السكان أو أخرى، أو ربما لدى الناس بصورة عامة. فالأفكار تندفق إلى الولايات المتحدة بحرّية وتخرج منها بسهولة مماثلة وكثيراً ما تكون على شكل تجاري، مدعومة من قبل رجال أعمال مبادرين يعتمدون على تجمعات عميقة لرأس المال والمواهب. إن كوخاً لفطائر البيتزا في آسيا يبدو أمريكياً، رغم أن الطعام فيه من أصل إيطالي بالطبع. ويظهر أن هناك شَبهاً وقرابة بين فرص العولمة وبين خصائص المجتمع الأمريكي هذه<sup>(14)</sup>.

ولا تندفق الثقافة الأمريكية إلى المجتمعات الأخرى دائماً بدون تغيير، وليست لها آثار سياسية على الدوام. فالأفكار والمعلومات التي تدخل الشبكات العالمية «تُفرّغ» في سياق السياسة الوطنية والثقافات المحلية، التي تعمل كأجهزة تصفية وتحوير انتقائية للأشياء الواصلة. فقوائم الوجبات الماكدونالدية

(14) الواقع أن المرء يستطيع أن يتابع سلسلة لا تنقطع من عداوة أوروبا للولايات المتحدة وقلتها منها منذ فترة طويلة في أوائل القرن التاسع عشر حتى الآن. انظر نيل م. روزندورف، «حياة وأوقات صامويل برونستون، باني هوليوود في مدريد: دراسة في الطاق العالمي للثقافة الشعبية الأمريكية وتأثيرها» (أطروحة دكتوراه، جامعة هارفارد، 2000)، «الملحق: قوة ثقافة الموسيقى الشعبية الأمريكية - تطور نقد نخبوي»، ص 402 - 415 وفي أماكن كثيرة متواترة.

مختلفة في الصين، والأفلام الأمريكية تترجم بلهجات صينية مختلفة لتعكس التصورات الصينية للرسالة التي يجري نقلها<sup>(15)</sup>. وكثيراً ما تكون المؤسسات السياسية أكثر من الثقافة الشعبية مقاومة للبث العابر للقومية. ورغم أن الطلبة الصينيين في ساحة تيانانمين في سنة 1989 أقاموا نسخة لتمثال الحرية، فإن من المؤكد أن الصين لم تتبنّ المؤسسات السياسية الأمريكية<sup>(16)</sup>.

إن العولمة اليوم أمريكية المركز، بمعنى أن جزءاً كبيراً من ثورة المعلومات يأتي من الولايات المتحدة، كما أن قسماً كبيراً من محتويات شبكات المعلومات العالمية يتم تكوينه حالياً في الولايات المتحدة، فيعزز القوة الأمريكية الناعمة الطرية. ولقد وجه وزير الثقافة الفرنسي جاك لانغ تحذيراً من كون القوة الناعمة الطرية «تتحرك في الغالب الأعم في اتجاه واحد، لأن الأمريكيين منغلَقو العقول ورفيتون، إن لم يكونوا شديدي الجهل بالثقافات الأخرى»<sup>(17)</sup>. غير أن لانغ يهمل انفتاح المجتمع الأمريكي الذي يتقبل الثقافات من باقي أنحاء العالم ويعيد تدويرها. وعلاوة على ذلك، فإن بعض الممارسات الأمريكية جذابة جداً لبلدان أخرى: مثل الضبط النزيه للمخدرات على يد إدارة لأغذية والأدوية مثلاً؛ والقوانين والممارسات لشقافة التي تحد من الغش والاحتيال في التعامل بالأوراق والسندات المالية، التي تخضع لرقابة لجنة السندات والتبادلات المالية. ويصعب أحياناً تجنّب المقاييس الأمريكية الصنع،

(15) نيل م. روزندورف، «لعولمة الاجتماعية والثقافية: المفاهيم، والتاريخ، ودور أمريكا»، في كتاب من تحرير جوزيف س. ناي الأصغر وكوند دوناهيو، حسن الإدارة في عالم آخذ بالتعولم (واشنطن، مقاطعة كولومبيا، مطبعة مؤسسة بروكينغز (2000)، ص 133، الحاشية 51.

(16) فردريك شويزر، «سياسة إعادة الزرع القانوني وحواجزها»، في كتاب من تحرير ناي ودوناهيو، حسن الإدارة في عالم آخذ بالتعولم.

(17) والتر لافيبر، مايكل حوردان ودأس المال العالمي الجديد (نيويورك: نورتن، 1999)، ص 110.

كما في القواعد التي تحكم الشبكة الدولية (الإنترنت) نفسها. ولكن بعض المقاييس والممارسات الأخرى - من الأبطال والأقدام (بدلاً من النظام المتري العشري) إلى عقوبة الإعدام والحق في حمل الأسلحة - قد ووجهت بالحيرة أو بالعداء المباشر لدى الأمم الأخرى. فالقوة الناعمة الطرية حقيقة، ولكنها لا تتجمع أو تتراكم لصالح الولايات المتحدة في كل مجالات النشاط، وليست الولايات المتحدة هي البلد الوحيد الذي يملك مثل هذه القوة. فالعولمة هي أكثر من مجرد الأمركة.

### طبيعة الوحش

إن العولمة - شبكات الاعتماد المتبادل على صعيد العالم كله - لا تشير إلى الشيوع والانتشار العام<sup>(18)</sup>. فكما رأينا في الفصل الماضي، كان ما يقرب من نصف السكان الأمريكيين في بداية القرن الحادي والعشرين يستخدمون شبكة النطاق العالمي (WWW)، بالمقارنة مع 0,01 بالمئة من السكان في جنوب آسيا. ومعظم سكان العالم اليوم ليس لديهم أجهزة هاتف؛ ويعيش مئات الملايين من الناس كفلاحين في قرى نائية وليس لهم سوى ارتباط طفيف بالأسواق العالمية أو التدفق العالمي للأفكار. والحق أن العولمة مشقوقة باتساع الهوة، في جوانب كثيرة، بين الأغنياء والفقراء. فهي لا تشير إلى المجانسة ولا إلى العدالة والإنصاف<sup>(19)</sup>.

(18) من أجل أن تُعتبر شبكة العلاقات عالمية، يجب أن تتضمن مسافات متعددة القارات، وليس شبكات محلية فقط. فالعولمة تشير إلى نقل المسافة، ولكن على نطاق واسع. ويمكن مقارنتها بالتوجهات المحلية، والوطنية، والإقليمية. إذ إن العولمة هي حالة الاعتماد المتبادل على صعيد العالم كله. فالعولمة هي ازدياد مثل هذا الاعتماد المتبادل، وإزالة العولمة هي هروطه.

(19) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير عن التنمية البشرية (نيويورك - مطبعة جامعة أكسفورد، 1999).

وحتى بين البلدان الغنية، هناك قدر من العولمة أقل بكثير مما يبدو للوهلة الأولى<sup>(20)</sup>. فالسوق العالمية المعولمة حقاً سوف تعني التدفقات الحرة للبضائع، والبشر، ورأس المال، ومعدلات فائدة متشابهة. والواقع أنه لا يزال أمامنا مشور طويل يتعين علينا أن نقطعه<sup>(21)</sup>. وعلى سبيل المثال فحتى في السوق المحلية لرابطة أمريكا الشمالية للتجارة الحرة NAFTA تتاجر تورنتو مع فانكوفر بما قيمته عشرة أضعاف تجارتها مع سياتل، رغم أن المسافة متماثلة والتعرفات في أدنى حد. وقد أدّت العولمة إلى جعل الحدود الوطنية أكثر مسامية، ولكنها لم تجعلها شيئاً لا لزوم له<sup>(22)</sup>. كما أن العولمة لا تعني إيجاد مجتمع عالمي. وفي السياق الاجتماعي، فإن الاتصالات بين الناس ذوي المعتقدات الدينية المختلفة والقيم التي يتعلقون بها تعلقاً عميقاً كثيراً ما يؤدي إلى النزاع: وتشهد على ذلك الحملات الصليبية الكبرى في العصور الوسطى، أو الفكرة الشائعة حالياً عن الولايات المتحدة باعتبارها «الشیطان الأكبر»، والتي يؤمن بها بعض الأصوليين<sup>(23)</sup>. ومن الواضح من الناحية الاجتماعية، والاقتصادية كذلك، أن المجانسة لا تتبع العولمة بالضرورة.

وللعولمة عدد من الأبعاد، رغم أن الاقتصاديين كثيراً ما يكتبون كأنها هي والاقتصاد العالمي شيء واحد. ولكن أشكالاً أخرى من العولمة لها تأثيرات

(20) داني رودريك، «المعنى المعقول والهرء في مناقشة العولمة»، مجلة فورين پوليسي، صيف 1997، ص 19 - 37.

(21) كيث غريفن، «العولمة وشكل الأشياء الآتية»، مكالستر إنترناشنال: العولمة والمجال الاقتصادي، ربيع 1999، ص 3؛ «عالم واحد؟»، الإيكونوميست، 18 تشرين الأول/أكتوبر 1997، ص 79 - 80.

(22) جون ف. هلبويل، ما مدى أهمية الحدود الوطنية؟ (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مطبعة مؤسسة بروكينغز، 1998).

(23) صاموئيل هانتينغتون: صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي (نيويورك: سيمون وشوستر، 1996).

هامة على حياتنا اليومية. وكان أقدم أشكال العولمة هو الاعتماد البيئي المتبادل. وعلى سبيل المثال فإن أول وباء للجذري مسجل في مصر سنة 1350 قبل الميلاد. وقد وصل المرض إلى الصين سنة 49 للميلاد، وإلى أوروبا سنة 700م، وإلى الأمريكتين سنة 1520م، وإلى أستراليا سنة 1789م<sup>(24)</sup>. وكان الوباء، أو الموت الأسود، قد بدأ أصلاً في آسيا، ولكن انتشاره قتل عدداً يراوح بين الربع والثلث من سكان أوروبا في القرن الرابع عشر (سنة 1348 على وجه الخصوص). ونقل الأوروبيون أمراضاً إلى الأمريكتين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر دمّرت نسبة وصلت إلى 95 بالمئة من سكانهما الأصليين<sup>(25)</sup>. ومنذ سنة 1973، ظهر ثلاثون مرضاً معدياً جديداً لم تكن معروفة هي السابق، وانتشرت جغرافياً أمراض معروفة بأشكال جديدة مقاومة للأدوية<sup>(26)</sup>. ثم إن انتشار أنواع أجنبية من النباتات والحيوانات إلى مناطق جديدة قد أباد الأنواع المحلية فيها، وقد تكلف محاولات السيطرة عليها بضع مئات من مليارات الدولارات في كل سنة<sup>(27)</sup>. ومن جهة أخرى، فليست جميع

(24) وليام ح. برود: «الحذري: بلاء الماضي والمستقبل؟» النيويورك تايمز، عدد 15 حزيران/ يونيو، 1999، القسم 4، ص1.

(25) جارد دايامود، بنادق، وجراثيم وفولاذ. مصائر المجتمعات البشرية (نيويورك: و. نورتون، 1998، ص202، 210 وليام ه. ماكنيل، طواعين وشعوب (لندن: نادي الكتب العلمية، 1979)، ص168؛ وانظر كذلك ألفريد و. كروسبي، الاستعمار البيئي: التوسع الحيوي لأوروبا، 900 - 1900 (كمبريدج، مطبعة جامعة كامبريدج، 1986).

(26) وزارة دفاع المملكة المتحدة، السياق الاستراتيجي للدفاع في المستقبل (لندن، 2001)، ص6.

(27) كان مرض الحمى القلاعية الذي أضرّ بالمواشي الأوروبية سنة 2001 مثلاً على «فيروس آسيوي استطاع أن يتكاثر بمعدل مفرع عندما لم يحد في مواجهته دفاعات طبيعية». باري جيمس، «الأنواع المحبيرة تستغل العولمة»، الإنترنت ناشنال هيرالد تريبيون، عدد 21 أيار/ مايو، 2001، ص1.

آثار العولمة البيئية ضرة. فمثلاً، استفادت التغذية والمطابخ في أوروبا وآسيا معاً من بعض محاصيل الدنيا الجديدة كالبطاطس والذرة والطماطم. كما أن الثورة الخضراء في التكنولوجيا الزراعية في العقود القليلة الأخيرة قد ساعدت الفلاحين الفقراء في جميع أنحاء العالم<sup>(28)</sup>.

إن التغير المناخي العالمي لن يقتصر تأثيره على الأمريكيين وحدهم، بل إنه سيمتد إلى حياة الناس في كل مكان. فقد أبلغ أُلوف العلماء من أكثر من مئة بلد مؤخراً أن هناك أدلة جديدة وقوية على أن معظم الاحترار الذي تمت مراقبته على مدى الخمسين سنة الماضية يمكن عزوؤه إلى الأنشطة البشرية. وأن معدل درجات الحرارة العالمية في القرن الحادي والعشرين يتوقع له أن يزداد بما يراوح بين درجتين ونصف درجة، وعشر درجات فهرنهايت. وقد تكون النتيجة تقلبات شديدة في المناخ، مع زيادة المياه أكثر مما ينبغي في بعض المناطق وعدم وجود مياه كافية في مناطق أخرى. وسوف تشمل التأثيرات في أمريكا الشمالية أنواعاً أقوى من العواصف، والطوفانات، وحالات الجفاف، والانزلاقات الأرضية. فلقد أدت درجات الحرارة الآخذة بالارتفاع إلى إطالة موسم انعدام التجمد، وقلصت الغطاء الثلجي بنسبة 10 بالمئة منذ ستينيات القرن العشرين. وكان معدل ارتفاع مستوى سطح البحر في القرن الماضي أعلى من المعدل الوسطي على امتداد الألفيات الثلاث الماضية<sup>(29)</sup>. وكما يلاحظ جيمس مكارثي، العالم من جامعة هارفارد، فإن «الشيء المختلف الآن هو أن الأرض يقطنها ستة مليارات من البشر، وأن الأنظمة الطبيعية والبشرية التي

(28) ألفريد كروسبي، التبادل الكولومبوسي: العواقب الحبيبة والحضارية لسنة 1492 (وُستهورت، كونيكتيكت، مطبعة غرينوود، 1972).

(29) كريغ سميث، «مئة وخمسون دولة تبدأ بالعمل التمهيدي الأساسي لسياسات تتعلق بالاحترار العالمي»، النيويورك تايمز، عدد 18 كانون الثاني/يناير، 2001، القسم 8، ص7.

تزودنا بالغذاء، والوقود والأنسجة والألياف شديدة التأثير بالمناخ». ومع تسارع تغير المناخ، فإن «التغير في المستقبل قد لا يحدث بسلاسة ولطف كما كان يفعل في السابق»<sup>(30)</sup>. ولا فرق بين أن يكون ثاني أكسيد الكربون الموجود في الجو آتياً من الصين أم من الولايات المتحدة؛ إذ أنه يؤثر على الاحترار العالمي بالطريقة نفسها. وكان التأثير على السياسة الأمريكية واضحاً في ردود فعل البلدان الأخرى في الأيام الأولى من إدارة جورج ووكربوش. فبعد الاحتجاجات الأجنبية وتقرير من الأكاديمية الوطنية للعلوم، اضطر الرئيس بوش إلى عكس موقفه الأسبق القائل بعدم وجود أدلة كافية على التأثيرات البشرية في الاحترار العالمي<sup>(31)</sup>.

أما العولمة العسكرية فتتألف من شبكات من الاعتماد المتبادل تستخدم فيها القوة، أو التهديد باستعمال القوة. والمثال على ذلك هو الحروب العالمية في القرن العشرين. فأتناء الحرب الباردة كان الاعتماد المتبادل الاستراتيجي العالمي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي حاداً ومعروفاً جيداً. فلم ينتج عنه تحالفات تفرّعت وامتدت على نطاق العالم فحسب. ولكن كان باستطاعة أي من الطرفين أن يستخدم القذائف العابرة للقارات لتدمير الطرف الآخر في غضون ثلاثين دقيقة. ومثل هذا الاعتماد المتبادل كان متميزاً، ليس لأنه كان جديداً بشكل كلي، بل لأن نطاق الصراع المحتمل وسرعته كانا شديدي الهول والضحامة. واليوم تشكل شبكات الإرهابيين نوعاً جديداً من العولمة العسكرية.

(30) جيمس ج. مكارثي، «تقرير عن نطاق التقويم الثالث للسياسة الدولية للتغير المناخي»، فصلية التقرير المناخي (ذي كلايمت ريبورت)، شتاء 2001، ص3. إنني مدين لتيد پارسون لمساعدته لي في هذه النقطة.

(31) كاترين ك. سيللي، «في تغير مفاجئ، البيت الأبيض يذكر الاحترار العالمي باعتباره مشكلة»، النيويورك تايمز، 8 حزيران/ يونيو، 2001، ص18 من القسم A.

وأما العولمة الاجتماعية فهي انتشار الناس، والثقافات، والصور، والأفكار. والهجرة مثال مادي ملموس على ذلك. ففي القرن التاسع عشر غُبر المحيطات نحو ثمانين مليوناً من الناس إلى أوطان جديدة، أكثر بكثير مما حدث في القرن العشرين<sup>(32)</sup>. ولكن الأفكار هي جانب من العولمة الاجتماعية ذو أهمية مماثلة. فقد انتشرت أربعة من أديان العالم - البوذية، واليهودية، والمسيحية، والإسلام - عبر مسافات عظيمة على مدى الألفي سنة الماضية، كما فعلت الطريقة العلمية والنظرة العالمية على امتداد القرون القليلة الماضية. فالعولمة السياسية (كجزء من العولمة الاجتماعية) ظاهرة في انتشار الترتيبات الدستورية، والزيادة في عدد البلدان التي صارت ديمقراطية، وتطور القواعد والمؤسسات الدولية. فالذين يعتقدون أن من الخطأ التحدث عن المجتمع الدولي يتجاهلون أهمية الانتشار العالمي للأفكار السياسية كالحركة المناهضة للرق في القرن التاسع عشر، وحركة مناهضة الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية، والحركات البيئية والنسائية اليوم.

والتغيرات في الأبعاد المختلفة للعولمة قد تترك في اتجاهات متعاكسة في الوقت نفسه. فالعولمة الاقتصادية هبطت هبوطاً حاداً ومفاجئاً فيما بين سنتي 1914 و1945، بينما تزايدت العولمة العسكرية إلى ذُرَى جديدة أثناء الحربين العالميتين، وكذلك فعلت أبعاد كثيرة من العولمة الاجتماعية. (فالحروب تحدث اضطرابات في المجتمعات القائمة وتنتشر أفكاراً جديدة). وإذن فهل ازدادت العولمة أم تناقصت فيما بين سنتي 1914 و1945؟ إن الابتعاد عن العولمة الذي ميّز النصف الأول من القرن العشرين كان من العمق بحيث إن الاقتصاد العالمي لم يستطع الوصول إلى مستويات سنة 1914 من التجارة والاستثمار الدوليين مرة أخرى إلا في السبعينيات من ذلك القرن. وكان ذلك في جزء منه انعكاساً للاضطراب الهائل الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى،

(32) هيلد وشركاه، التحول العالمي، ص 295 - 296.



ولكن كانت هناك مشكلة أخرى كذلك. فالعالم الصناعي لم يتكيف مع حالات عدم المساواة التي كوَّنتها العولمة الاقتصادية السريعة. فالأسواق سبقت السياسة في أوروبا. كما أن الحركات السياسية الكبرى الشيوعية والفاشية نبعت جزئياً من ردود الفعل الشعبية على حالات انعدام المساواة التي رافقت حرية العمل التجاري (عدم التدخل الحكومي) في الأسواق العالمية<sup>(33)</sup>.

فهل يحتمل حدوث مثل هذه العولمة الاقتصادية وما يرافقها من اضطراب سياسي في السنوات المقبلة؟ إن ذلك ممكن، ولكنه ليس محتملاً كما كان قبل قرن من الزمن. فمن جهة نجد أن تكوين دولة الرفاهية بعد سنة 1945 قد وضع شبكة أمان تحت الناس الفقراء في معظم البلدان المتقدمة، فعملت كصمام أمان جعل الاقتصادات المنفتحة والعولمة الاقتصادية مقبولة أكثر. فهناك صلة إيجابية متلازمة بين قوة دولة الرفاهية وانفتاح الاقتصادات<sup>(34)</sup>. والعولمة لا تدمر دولة الرفاهية في أوروبا ومجتمعات ما بعد الحداثة. (بالمقارنة مع تقييدها). ورغم أن ردود الفعل على العولمة الاقتصادية كانت تنامي في مجتمعات ما بعد التصنيع، فإنها ليست مثل الحركات الجماهيرية التي قلبت الأنظمة السياسية في أوروبا في النصف الأول من القرن العشرين. وفي الوقت نفسه فإن عدم المساواة الدولية قد تزايدت في بعض المناطق، بما فيها بلدان مثل الصين. وفي جزء كبير من العالم الأقل تقدماً، فإن غياب شبكات الأمان قد يصبح سبباً لردود فعل مضادة للعولمة الاقتصادية<sup>(35)</sup>. ذلك أن حركات الاحتجاج الدولية

(33) كارل بولاني، التحول الكبير (نيويورك: راينهارت، 1994)، الفصلان التاسع عشر والعشرون.

(34) جون غ. راغي، «الأنظمة الدولية، والصفقات والتغيير: الليبرالية المناصلة في النظام الاقتصادي لما بعد الحرب»، إنترناشنال أورغانايزيشن، ربيع سنة 1982، نقلاً عنه في كتاب داني رودريك، هل تعدت العولمة حدودها؟ (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: معهد الاقتصاد الدولي، 1997)، ص 65.

(35) ميريلى س. غريندل، «على استعداد أم لا: العالم النامي والعولمة»، في كتاب من تحرير ناي ودوناھيو، حسن الإدارة في عالم أخذ في التعولم.

التي تضم مواطنين أمريكيين ومنظمات أمريكية قد تزايدت، وهي تشير أسئلة صعبة حول السياسة، كما سرى أدناه.

وباختصار، فإن العولمة هي نتاج التقدم التكنولوجي والسياسات الحكومية التي خفضت الحواجز أمام التبادل الدولي. ولقد كانت الولايات المتحدة محفزاً كبيراً للمرحلة المعاصرة من العولمة، ومستفيدة منها، ولكننا عاجزون عن السيطرة عليها. وعلاوة على ذلك، فإذا قدر للاحتجاجات والسياسات الحكومية أن تنتقص من الأبعاد الاقتصادية المفيدة للعولمة، فسوف تبقى معنا الآثار الضارة للعولمة العسكرية والبيئية. فالعولمة بركة تختلط بها بعض السلبيات، ولكن سواء أحببناها أم لا، فإنها تكون تحديات جديدة للسياسة الخارجية الأمريكية.

#### عولمة القرن الحادي والعشرين: ما الجديد؟

رغم أن العولمة ظلت مستمرة قرونًا، فإن شكلها المعاصر له خصائص متميزة. وبعبارة مختصرة، فإنها «أسرع وأسهل». فالعولمة اليوم مختلفة عما كانت عليه في القرن التاسع عشر، عندما قدم الاستعمار الأوروبي جزءاً كبيراً من هيكلها السياسي. وكانت تكاليف النقل والاتصال الأعلى تعني أن عدداً أقل من الناس كان يتعامل مباشرة مع الناس والأفكار من حضارات أخرى. ولكن كثيراً من الفوارق الهامة لها صلة وثيقة بثورة المعلومات. وكما يجادل توماس فريدمان، فإن العولمة المعاصرة تسير على نحو «أبعد، وأسرع، وأرخص، وأعمق»<sup>(36)</sup>.

ويستخدم الاقتصاديون اصطلاح «تأثيرات الشبكة» للإشارة إلى الأوضاع التي أصبح فيها مُنتج ما أغلى عندما يستعمله كثير من الناس الآخرين. وكما

(36) توماس فريدمان، اللغة وشجرة الزيتون: فهم العولمة (نيويورك: فزار وشتراوس

رأينا في الفصل السابق، فإن جهاز هاتف واحد لا يفيد، ولكن قيمته تزداد مع تنامي الشبكة. وهذا هو السبب الذي يجعل الإنترنت تُحدث مثل هذا التغيير السريع<sup>(37)</sup>. فالإقتصاد القائم على المعرفة يولد «تأثيرات قوية فائضة، كثيراً ما تنتشر كالنار، فتستثير تجدييدات وتطلق سلسلة من ردود الفعل والمخترعات الجديدة... ولكن البضائع - على عكس المعرفة - لا تنتشر دائماً كالنار»<sup>(38)</sup>. وعلاوة على ذلك، فيما أن الاعتماد المتبادل أصبح أسمك وأسرع، فإن العلاقات بين الشبكات المختلفة صارت أكثر أهمية. فهناك ارتباطات أكثر تداخلاً بين الشبكات. ونتيجة لذلك، فإن تأثيرات النظام - حيث يمكن لاضطرابات صغيرة في منطقة واحدة أن تنتشر لتتخلل النظام كله - تصبح أهم<sup>(39)</sup>.

والأسواق المالية مثال جيد على تأثيرات النظام. وكما هو مذكور أعلاه، فإن الأزمة المالية الآسيوية في سنة 1997 أثرت على الأسواق في عدة قارات. ولم يكن الحجم النسبي للاستثمار الأجنبي سنة 1997 غير مسبوق. فالتدفق الصافي لرأس المال الخارج من بريطانيا في العقود الأربعة التي سبقت سنة 1914 كان بمعدل 5 بالمئة من حجم ناتجها المحلي الإجمالي، بالمقارنة مع 2 إلى 3 بالمئة للبلدان الغنية اليوم<sup>(40)</sup>. ثم إن كون الأزمة المالية سنة 1997 عالمية في حجمها قد سبقته إرهابات تنذر به: فيوم الاثنين الأسود في وول ستريت سنة 1929، وانهيار مصرف كريدت آنستالت في النمسا سنة 1930 فجراً أزمة مالية عالمية وركوداً عالمياً.

(37) «عالم شبه مندمج»، الإيكونوميست، 11 أيلول/ سبتمبر 1999، ص 42.

(38) جوزيف ستيفليتز، «هموم بلا وزن»، الفاياننشال تايمز (لندن) عدد 3 شباط/ فبراير، 1999، ص 14.

(39) روبرت جرفيز، تأثيرات المنظومة: التعقيد في الحياة السياسية والاجتماعية (پريستون، مطبعة جامعة پرينستون، 7 - 19).

(40) «عالم واحد؟»، الإيكونوميست، 18 تشرين الأول/ أكتوبر 1997، ص 80.

ولكن التدفقات المالية الإجمالية الكثيفة اليوم أكبر بكثير . فالتدفقات اليومية بالعملات الأجنبية ازدادت من 15 مليار دولار سنة 1973 إلى 1,5 تريليون دولار بحلول سنة 1995 ، وكانت أزمة سنة 1997 قد أشعلتها شرارة انهيار العملة في سوق اقتصادية صغيرة آخذة في السروز، وليس عن طريق وول ستريت . يضاف إلى ذلك أن أزمة سنة 1997 قد فاجأت معظم الاقتصاديين ، والحكومات ، والمؤسسات المالية الدولية على حين غرة . وقد جعلتها الأدوات المالية الجديدة المعقدة صعبة الفهم . ففي كانون الأول/ ديسمبر سنة 1998 قال آلان غرينسبان رئيس مجلس إدارة الصندوق الاحتياطي الاتحادي : «لقد تعلمت عن كيفية عمل هذا النظام العالمي الجديد في الأشهر الإثني عشر الماضية أكثر مما تعلمت في السنوات العشرين المنصرمة»<sup>(41)</sup> . ذلك أن الحجم الهائل ، والتعقيد ، والسرعة تميز العولمة الاقتصادية المعاصرة عن الفترات الأسبق ، وتزيد التحديات التي تشكّلها للسياسة الخارجية الأمريكية<sup>(42)</sup> .

كما أصبحت العولمة العسكرية أكثر تعقيداً كذلك . إذ أن نهاية الحرب الباردة قد جاءت بإلغاء العولمة العسكرية ، أي أن النزاعات البعيدة بين القوى الكبرى صارت صلتها بميزان القوى أقل . ولكن الزيادة في العولمة الاجتماعية على مدى عدة عقود مضت كان لها تأثير معاكس ، فقد أدخلت أبعاداً جديدة للعولمة العسكرية : التدخل الإنساني ، والإرهاب . ذلك أن الاهتمامات الإنسانية المتفاعلة مع الاتصالات الدولية قد أدت إلى ضغوط من أجل التدخل العسكري في أماكن مثل الصومال والوسنة وكوسوفو . وتفاعلت ردود الفعل الأصولية على الثقافة الحديثة مع التكنولوجيا لتكوين خيارات جديدة للإرهاب وللحرب غير المتناظرة . وعلى سبيل المثال ، فمن أجل استنباط استراتيجية لمواجهة الولايات المتحدة ، اقترح بعض المسؤولين الصينيين من المستوى

(41) غرينسبان ، ينقل عنه فريدمان في : اللغة وشجرة الزيتون ، ص 368 .

(42) هيلد وشركاه ، التحولات العالمية ، ص 235 .

المتوسط إستخدام الإرهاب، وتهريب المخدرات، ودهورة البيئة، ونشر فيروسات الكمبيوتر. وجادلوا بأنه كلما زاد تعقيد الخليط - أي استخدام الإرهاب والحرب الإعلامية والحرب المالية - كانت النتائج أفضل. «ومن هذا المنظور، تتزاوج الحرب غير المحدودة مع محتويات كتاب فن الحرب الصيني التقليدي الذي ألفه صن تزو، مع التكنولوجيا العسكرية الحديثة والعولمة الاقتصادية»<sup>(43)</sup>.

وعند قيام المسؤولين الأمريكيين بصياغة السياسة الخارجية، يواجهون سُمك العولمة المتزايد - كثافة شبكات الاعتماد المتبادل المتداخل - مما يعني أن آثار الأحداث في منطقة جغرافية أو في البعد الاقتصادي أو البيئي قد يكون لها تأثيرات عميقة في مناطق جغرافية أخرى أو على البعد العسكري أو الاجتماعي. فالشبكات الدولية آخذة في التعقيد على نحو متزايد، ولذا تزداد صعوبة التنبؤ بآثارها. وعلاوة على ذلك، فإن الناس في الأنظمة البشرية كثيراً ما ينهمكون في العمل كي يتفوق كل منهم على الآخر في الذكاء، وكي يكسب ميزة اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية بالضبط عن طريق التصرف بطريقة لا يمكن التنبؤ بها. ونتيجة لذلك، فإن العولمة مصحوبة بتغلغل الشك وانعدام اليقين. وسيكون هناك تنافس مستمر بين التعقيد المتزايد وانعدام اليقين من جهة، وجهود الحكومات، والشركات وغيرها لفهم هذه المنظومات المتداخلة والمتزايدة التعقيد، والتلاعب بها لفائدتها. فالأزمات المالية المتواترة، أو الزيادات الحادة في البطالة يمكن أن تؤدي إلى حركات شعبية للحد من الاعتماد المتبادل وإلى قلب العولمة الاقتصادية إذ إن انعدام اليقين على نحو فوضوي هو ثمن أبهظ من أن يدفعه معظم الناس لقاء مستويات وسطية نسبية أعلى من

(43) «الصين تفكر في قواعد جديدة لـ«حرب بلا قيود»» الواشنطن بوست، عدد 8 آب/

الازدهار. فالعولمة قد لا تكون قابلة للاستدامة بشكلها الحالي ما لم تكن بعض جوانبها خاضعة لسيطرة فعّالة، كما سنرى أدناه.

كما أن السرعة تضاف إلى انعدام اليقين وصعوبات تشكيل الاستجابات السياسية. وكما هو مذكور في البداية، فإن العولمة الحديثة تعمل بوتيرة أسرع بكثير من أشكالها السابقة. فقد استغرق الجدري ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة لغزو القارات المأهولة، حتى وصل آخر الأمر إلى أستراليا سنة 1775. ولكن مرض الإيدز لم يستغرق سوى ثلاثة عقود كي ينتشر من إفريقيا إلى سائر أنحاء العالم. فإذا انتقلنا إلى صورة مجازية لفيروس، فسنجد أن «فيروس الحب» في سنة 2000 لم يحتاج إلى أكثر من ثلاثة أيام حتى يهاجم أجهزة الكمبيوتر في العالم كله. من ثلاثة آلاف سنة إلى ثلاثة عقود إلى ثلاثة أيام: هذا هو مدى التسارع في العولمة.

وفي بعض الأحيان يُنظرُ إلى تحديثات العولمة في سياق سرعة تدفق المعلومات فقط، ولكن هذا تبسيط أكثر من اللازم<sup>(44)</sup>. إن سرعة فرادى الرسائل لم تتغير كثيراً منذ أن شاعت الخدمات البرقية التلغرافية في سائر أنحاء العالم عند نهاية القرن التاسع عشر. ولكن السرعة المؤسسية - أي سرعة تغير النظام والوحدات الموجودة في داخله - تعكس سماكة العولمة. وتتحرك ردود أفعال الأسواق بوتيرة أسرع من ذي قبل، لأن المعلومات تنتشر على نحو أسرع، بحيث يمكن أن تستجيب مبالغ هائلة من رأس المال في لحظة واحدة.

(44) لقد جاء أكبر تغير في السرعة مع السفينة البخارية، وخصوصاً مع الرق. فقد أدى السلك العابر للأطلسي سنة 1866 إلى تخفيض وقت بث المعلومات بين لندن ونيويورك من فترة أطول بكثير من أسبوع إلى بضع دقائق - أي بعامل يقرب من ألف. وعلى عكس ذلك، أدى الهاتف إلى زيادة سرعة مثل هذه الرسائل بدقائق (إذ إن رسائل الهاتف لا تحتاج إلى حلّ للرموز). أما الإنترنت، بالمقارنة مع الهاتف، فلم تزد السرعة كثيراً على الإطلاق.

فتستطيع منظمة غير حكومية أن ترسل تقريراً عن حادثة في غابة برازيلية فتنشر الخبر حول العالم على الإنترنت في غضون دقائق. ولا تنتقل فرادى البنود الإخبارية من سراييفو إلى نيويورك بطريقة أسرع مما كان عليه الحال سنة 1914، ولكن المؤسسات واقتصاديات التلفزيون السلكي والإنترنت قد جعلت دورة الأخبار أقصر، وأعطت مكافآت أكبر للمزايا الصغيرة في السرعة. ففي سنة 1914 لم تكن صحيفة ما تسبق غيرها في النشر عن طريق تلقي الخبر ومعالجته قبل الصحف الأخرى بساعة من الزمن، ما دامت المعلومات يمكن معالجتها قبل موعد صدور العدد التالي. أما اليوم فإن ساعة - أو حتى بضع دقائق - يكمن فيها الفرق الحساس بين أن تكون محطة تلفزيون سلكية على رأس القصة أم تتلصقاً متخلفة وراء القوس. بل إن محطة CNN تستبق الإبلاغ الرسمي نفسه، وكثيراً ما كنت أدخل مكتباً لمسؤول في وزارة الدفاع أو الخارجية لأجد جهاز تلفزيون في الزاوية وهو مفتوح على تلك المحطة.

كما ازدادت مشاركة عامة الناس في الشؤون العالمية في البلدان الغنية. فالتاس العاديون يستثمرون في الصناديق الأجنبية المتبادلة، ويقامرون في مواقع الإنترنت الواقعة على مبعده من السواحل (خارج مناول الجمارك والضرائب)، ويتذوقون وجبات غريبة كانت امتيازاً حصرياً للأغنياء. وقد أطلق فريدمان على هذا التغيير اسم «دمقرطة» التكنولوجيا، والتمويل، والمعلومات، لأن التكاليف المتناقصة، قد جعلت ما كان ترفاً في السابق يتوفر اليوم لشرائح من المجتمع أعرض بكثير من ذي قبل<sup>(45)</sup>. ولعل «الدمقرطة» ليست هي الكلمة الصحيحة لأن الأصوات المالية والناس لا يبدأون بحصص متساوية في الأسواق. فليست هناك مساواة في أسواق رأس المال مثلاً، برغم الأدوات المالية الجديدة التي تسمح بالمشاركة لأناس أكثر. فغالباً ما تكون مليون دولار أو أكثر هي ثمن الدخول إلى شركة مضاريات للمستثمرين المغامرين. وربما كانت كلمة

(45) فريدمان، اللغة وشجرة الزيتون، ص 41 - 58.

التعددية هي الأدق، بإشارتها إلى الزيادة والتنوع في عدد المشاركين في الشبكات العالمية. ففي سنة 1914، حسبما يرى جون مينارد كينز «كان الساكن في لندن يستطيع أن يطلب عن طريق الهاتف، وهو يرتشف شاي الصباح في فراشه، المنتجات المتنوعة للعالم كله، بأية كمية قد يراها مناسبة، ويتوقع وصولها المبكر بشكل معقول إلى عتبة داره<sup>(46)</sup>. ولكن مثل هذا الإنكليزي كان يتعين عليه أن يكون غنياً كي يصبح زبوناً عالمياً. أما اليوم فإن أي أمريكي عادي يستطيع عملياً أن يفعل الشيء نفسه. ذلك أن الأسواق الكبرى وتجار المفرق عني الإنترنت قد أوصلوا هذه القدرة إلى الغالبية الساحقة من الناس في مجتمعات ما بعد التصنيع.

وكما رأينا في الفصل السابق، فإن المنظمات غير الحكومية - سواء أكانت كبيرة مثل السلام الأخضر أو منظمة العفو الدولية، أم بحجم المجانين الثلاثة المضروبين في الأمثال ومعهم جهاز فاكس ومودم (تجهيزة اتصال) تستطيع الآن أن ترفع أصواتها، على صعيد العالم كله، على نحو لم يكن ممكناً من قبل أبداً. أما إذا كانت سترسخ مصداقية للفت انتباه أي شخص فإن ذلك قد أصبح هو المسألة السياسية الهامة.

إن هذا التوسع الهائل في قنوات الاتصال عابرة القومية لمسافات تتعدى قارات متعددة، الذي ولدته وسائط الإعلام والعدد الكبير من المنظمات غير الحكومية معناه أن هناك مزيداً من القضايا لمن يريد الإمساك بها على الصعيد الدولي، بما في ذلك التنظيمات والممارسات (التي تراوح من الاختبارات الصيدلانية، إلى المحاسبة ومستويات الجودة إلى تنظيم الأعمال المصرفية) مما كان في الماضي يعتبر من الامتيازات المقتصرة حصراً على الحكومات الوطنية. فهناك مجالات واسعة من حسن إدارة الحكم في الحياة عابرة القومية تضطلع

(46) جون مينارد كينز، العواقب الاقتصادية للسلام (لندن: بنغوين، 1988)، ص 11.



بها عناصر فاعلة من القطاع الخاص، سواء أكانت إيجاد شيفرة تحكم الإنترنت أم وضع مقاييس للسلامة في الصناعة الكيميائية.

ويذهب بعض المراقبين إلى حد المجادلة بأن تكاليف الاتصالات قد حذفت أهمية المسافة. وفي بعض الميادين، مثل الأسواق المالية، فإن ذلك صحيح إلى حد كبير، ولكنه كتعميم، يشكل نصف حقيقة. فأولاً تزايدت المشاركة في الاعتماد المتبادل المتداخل العالمي، ولكن كثيراً من الناس ليسوا مرتبطين إلاً بشكل طفيف بأية شبكات اتصال تتجاوز دولهم أنفسهم، أو حتى مواقعهم المحلية. فمعظم سكان العالم، كما لاحظنا، لا يملكون أجهزة هاتف. وكثير من القرى الفلاحية في آسيا، وإفريقيا، وأمريكا اللاتينية ترتبط بالعالم ككل من خلال اتصالات اقتصادية واجتماعية وسياسية بطيئة وطفيفة على الأغلب. وبالإضافة إلى ذلك فحتى للمرتبطين بشبكات اتصالات عالمية على نحو وثيق، فإن أهمية المسافة تختلف كثيراً بحسب الموضوع، الاقتصادي، أو البيئي أو العسكري، وهلم جرأً. فإذا كانت العولمة تعني تقليص المسافة، فإن تلك المسافات قد تقلصت بمعدلات مختلفة بالنسبة للناس المختلفين والمواضيع المختلفة<sup>(47)</sup>.

والمسافة شيء لا علاقة له حقاً إذ كان باستطاعة مستثمر في أيدجان أن يبيع على الفور أسهماً في نيويورك أو هونغ كونغ إلى مستثمر آخر في موسكو. ولكن البضائع المادية تتحرك بوتيرة أبطأ من رأس المال، ما دامت السيارات والمنسوجات لا يمكن تحويلها إلى أرقام على كومبيوتر. فطلب شرائها يمكن إرساله بغض النظر عن المسافة. ولكن السيارات والملابس يتعين عليها أن تنتقل مادياً من اليابان أو غواتيمالا إلى جوهانسبرغ أو روما. ومثل هذا الانتقال أسرع مما كان عليه من قبل - فالورود والأحذية ترسل الآن عبر آلاف الأميال

(47) فرانسيس كيرنكروس، موت المسافة: كيف ستغير ثورة الاتصالات حياتنا (بوسطن، مطبعة مدرسة هارفارد التجارية، 1997).

بالبطائرات النفاثة - ولكن الانتقال ليس فورياً ولا رخيصاً بأي حال من الأحوال، بل إن الخدمات الشخصية تقيد بها المسافة أكثر حتى من ذلك: فالناس المحتاجون إلى جراحة لدائنية لإزالة تجاعيد الوجه لا يمكنهم الحصول عليها عن طريق خط الإنترنت.

والتنوع بحسب المسافة ينطبق على أبعاد العولمة الأخرى كذلك. فالحركة الحقيقية للأفكار والمعلومات فورية تتم عملياً في لحظات، ولكن فهمها وقبولها يعتمدان على الفوارق الثقافية. فالأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، يستطيع أن يتحدث عن حقوق الإنسان والسيادة بشكل فوري مباشر للناس في بوسطن، وبلغراد، وبونس آيريس، وبيجينغ، وبيروت، وبومباي، وبوجومبورا [عاصمة بوروندي وأكبر مدنها. كان اسمها أوسومبورا، وأعيدت تسميتها عند استقلال بوروندي سنة 1962: المعرب] - ولكن الكلمات نفسها يتم سماعها بطرق شديدة الاختلاف في هذه المدن السبع. وبالمثل، فإن الثقافة الشعبية الأمريكية قد يفسرها الشباب في بعض الثقافات على أنها تأكيد مثبت قيماً أصولية جديدة، ولكنها في مواقع أخرى قد تُعتبر من حيث الجوهر مجرد رموز تافهة، لا تعبر عنها سوى قبعات لعبة البيسبول، والقمصان القطنية القصيرة الأكمام T-shirts والموسيقى. فالمسافات الثقافية تقاوم التجانس. وأخيراً فإن عناصر العولمة الاجتماعية المعتمدة على هجرة البشر تقيد بها المسافة والصلاحيات القانونية تقييداً شديداً، إذ إن السفر يبقى باهظ الكلفة عند معظم الناس في العالم، كما أن الحكومات في كل مكان تسعى إلى السيطرة على الهجرة والحد منها.

إن الإضافة التي قدّمتها ثورة المعلومات إلى العولمة المعاصرة هي السرعة والكثافة للاتصالات المتداخلة على الشبكات، مما يزيدا تعقيداً. ولكن مثل هذه «العولمة الكثيفة» ليست متجانسة. فهي تختلف بحسب الإقليم والموقع المحلي، وبحسب الموضوع. وعندما نرسم سياستنا الخارجية لهذا

القرن، سوف يتعين علينا أن نستجيب لقضايا تنطوي على تعقيد أكبر، ومزيد من انعدام اليقين، وزمن للاستجابة أقصر، ومشاركة أوسع للجماعات والأفراد، وتقلص متفاوت للمسافة، فالعالم يداهمنا، ولكن في سياق استجاباتنا السياسية، فإن حجماً واحداً لن ينطبق على جميع القضايا.

### العولمة والقوة الأمريكية

مع انتهاء الحرب الباردة، أصبحت الولايات المتحدة أقوى من أية دولة في التاريخ الحديث. وأسهمت العولمة في هذه المكانة، ولكنها قد لا تستمر في الإسهام طيلة هذا القرن. فالعولمة اليوم تعزز القوة الأمريكية؛ ومع مرور الزمن قد تخفف تلك القوة. ذلك أن العولمة هي ابنة التكنولوجيا والسياسة كلتيهما. وقد تعمّدت السياسة الأمريكية أن تعزز معايير ومؤسّسات مثل الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة GATT والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، مما أدّى إلى تكوين نظام اقتصادي دولي منفتح بعد سنة 1945. وعلى مدى خمس وأربعين سنة، كان امتداد العولمة الاقتصادية محدوداً بسياسات الاكتفاء الذاتي للحكومات الشيوعية. وقد خفضت نهاية الحرب الباردة مثل هذه الحواجز، واستفادت قوة أمريكا الاقتصادية الناعمة والطرية من صعود عقيدة السوق ذات الصلة وتقلص نزعة الحماية.

وتلعب الولايات المتحدة دوراً مركزياً في جميع أبعاد العولمة المعاصرة. فالعولمة في جوهرها تشير إلى شبكات اعتماد متبادل متداخل على صعيد العالم كله. والشبكة هي (ببساطة) سلسلة من ارتباطات نقاط في نظام، ولكن الشبكات يمكن أن تتخذ عدداً مدهشاً من الأشكال والهيكل. فمحور الخطوط الجوية وتشعباته، وشبكة العنكبوت، ولوحة السيطرة الكهربائية، ونظام خطوط حافلات العاصمة، والإنترنت كلها شبكات، رغم أنها تختلف في مجال المركزية وتعقيد الاتصالات. ويجادل منظرو الشبكات بأنه تحت معظم الظروف فإن المركزية في الشبكات تنقل القوة، أي أن المحور يسيطر على

التشعبات<sup>(48)</sup>. ويرى البعض العولمة كشبكة محورها الولايات المتحدة وتشعباتها تمتد إلى باقي أنحاء العالم. وفي هذه الصورة شيء من الحقيقة، ما دامت الولايات المتحدة مركزية في أشكال العولمة الأربعة: الاقتصادي (فالولايات المتحدة أكبر سوق رأسمالية) والعسكري (فهو البلد الوحيد الذي تصل يده إلى جميع أنحاء العالم) والاجتماعي (فهو قلب الثقافة الشعبية) والبيئي (فالولايات المتحدة أكبر ملوث لبيئة، ودعمها السياسي ضروري للقيام بعمل فعال بشأن القضايا البيئية). وكما نُقش آنفاً، فقد لعبت الولايات المتحدة دوراً مركزياً في المرحلة الحالية من العولمة، لأسباب متنوعة تشمل ثقافتها التوفيقية، وحجم سوقها، وفاعلية بعض مؤسساتها، وقوتها العسكرية. وهذه المركزية بدورها أفادت القوة الأمريكية الصلبة والناعمة الطرية. ومن هذا المنظور، فإن المحور يأتي بالهيمنة.

والذين يدافعون عن السياسة الخارجية المهيمنة والأحادية الجانب تجتذبتهم هذه الصورة للشبكات العالمية. ومع ذلك فإن هناك أربعة أسباب على الأقل تجعل من الخطأ تصور شبكات العولمة المعاصرة في سياق المحور والتشعبات لأمبراطورية أمريكية تكون تبعية للبلدان الأصغر. فهذه الصورة المجازية مفيدة كمَنْظور للعولمة، ولكنها لا تقدّم الصورة بكاملها.

فأولاً: إن تركيب شبكات الاعتماد المتبادل يختلف بحسب أبعاد العولمة المختلفة. فالصورة المجازية للمحور والتشعبات تنطبق على العولمة العسكرية بشكل أكثر وثوقاً من العولمة الاقتصادية أو البيئية أو الاجتماعية، لأن السيطرة

(48) دانييل براس ومارلين بركهاردت، «المركزية والسلطة في المنظمات»، في كتاب من تحرير نيتين نوهريا وروبرت إكلير عوانه شبكات ومنظمات (بوسطن، مطبعة مدرسة هارفارد التجارية، 1992)؛ جون بادجيت وكريستوفر أنسيل، «الفاعلون الأقوياء وصعود آل ميديتشي، 1400 - 1434»، أمريكيان جورنال أوف سوشيلولوجي، عدد أيار/ مايو 1993. إنني مدين لدايفيد لايزر وجين فونتين لمساعدتي في هذه النقطة.

الأمريكية أعظم بكثير في هذا الميدان. وحتى في المجال العسكري، فإن معظم الدول تقلقها تهديدات من جيرانها أكثر من أية تهديدات من الولايات المتحدة. وهذه حقيقة تجعل كثيرين يدعون الولايات المتحدة لتعديل التوازنات المحلية. فالتواجد الأمريكي مُرَحَّبٌ به في معظم أسواق آسيا كقوة تتوازن مع القوة الصينية الآخذة في الصعود. أي أن مجاز المحور والتشعبات ينطبق على علاقات القوة أكثر من تصويره علاقات التهديد، وكما رأينا في الفصل الأول، فإن موازنة السلوك تتأثر كثيراً بالتصورات المدركة للتهديد. فإذا اعتُبرت الولايات المتحدة تهديداً بدلاً من مُوازِنٍ مرَحَّبٍ به، فإنها ستفقد التأثير النابع من تقديمها حمايةً عسكريةً للتوازن مع الآخرين. وفي الوقت نفسه، فإن مجاز المحور والتشعبات غير دقيق في الشبكات الاقتصادية. ففي التجارة مثلاً، نجد أن أوروبا واليابان عقدتان بديلتان هامتان في الشبكة العالمية. كما أن العولمة البيئية - مستقبل الأنواع المهددة بالانقراض في أفريقيا وغابات الأمازون في البرازيل - أقل تركّزاً حول الولايات المتحدة. وحيثما تُعْتَبَرُ الولايات المتحدة تهديداً بيئياً كبيراً، كما في موضوع إنتاجها لثاني أكسيد الكربون، فإن الترحيب بها أقل. بل كثيراً ما توجد مقاومة للسياسات الأمريكية.

وثانياً قد تضلّلنا الصورة المجازية للمحور والتشعبات بشأن غياب ظاهر للتبادل أو نقاط ضعف مكشوفة ذات اتجاهين. وحتى عسكرياً، فإن قدرة الولايات المتحدة على ضرب أي مكان في العالم لن تجعلها منيعةً ضد الانكشاف أو التعرّض للعطب، كما تعلّمنا بثمان باهظ في 11 أيلول/ سبتمبر سنة 2001. ذلك أن دولاً أو مجموعات أخرى، بل وأفراداً آخرين قد يلجأون إلى استخدامات غير تقليدية للقوة، أو - على المدى البعيد - يطوّرون أسلحة دمار شامل، مع أنظمة لإيصالها تمكّنهم من تهديد الولايات المتحدة. فالإرهاب تهديد حقيقي، والهجمات النووية أو الحيوية الشاملة الكثافة ستكون قاتلة أكثر من الطائرات المخطوفة. وكما رأينا في الفصل السابق، فإن العمليات

الاقتصادية والاجتماعية العالمية تجعل السيطرة على حدودنا أصعب بصورة متزايدة. فعندما نفتح للدفعات الاقتصادية فإننا نعرض أنفسنا في الوقت ذاته لنوع جديد من الأخطار العسكرية. ومع أن الولايات المتحدة تملك أكبر اقتصاد فإنها حساسة، وربما تكون مكشوفة لانتشار العدوى في الأسواق الرأسمالية العالمية، كما اكتشفنا في سنة 1997، أثناء الأزمة المالية «الآسيوية». أما في البعد الاجتماعي، فقد تصدر الولايات المتحدة ثقافة شعبية أكثر من أي بلد آخر، ولكنها أيضاً تستورد أفكاراً ومهاجرين أكثر من معظم البلدان. ويتضح أن إدارة الهجرة هي جانب شديد الحساسية والأهمية من الاستجابة للعولمة. وأخيراً فإن الولايات المتحدة من الناحية البيئية حساسة ومعرضة للأذى من أعمال في الخارج تعجز عن السيطرة عليها. وحتى لو اتخذت الولايات المتحدة إجراءات باهظة التكاليف لتقليل انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون في الداخل، فسوف تبقى مكشوفة للتغير المناخي الناجم عن معامل الطاقة التي وتعمل على الفحم في الصين.

وهناك مشكلة ثالثة في تبعية مجاز المحور والتشعبات، وهو المجاز الذي له شعبية بين مؤيدي نزعة الهيمنة. والمشكلة هي أن هذا المجاز يعجز عن تحديد ارتباطات وعُقْد هامة أخرى على الشبكات العالمية. فنيويورك هامة في تدفقات رأس المال إلى الأسواق الآخذة في البروز، ولكن لندن وفرانكفورت وطوكيو هامة هي الأخرى. وفي سياق العولمة الاجتماعية والسياسية، فإن باريس أهم لدى الغابون من واشنطن؛ وموسكو أكثر أهمية في آسيا الوسطى. وكثيراً ما يكون نفوذنا محدوداً في مثل هذه الأوضاع. وجزر المالديف، التي لا ترتفع عن مستوى سطح البحر إلا بضعة أقدام في المحيط الهندي، حساسة على وجه الخصوص للتأثيرات المحتملة لإنتاج ثاني أكسيد الكربون في بقية أنحاء العالم. وهي أيضاً مكشوفة وعرضة للعطب تماماً، إذ إن حساسيتها لها علاقة بالجغرافيا، وليس بالسياسة. وفي وقت ما في المستقبل ستصبح الصين

ذات علاقة بالنسبة لجزر المالديف أكثر من الولايات المتحدة، لأن الصينيين سوف يتفوقون علينا في آخر الأمر في إنتاج الغازات المسببة لاحتراق الجو وتكوين أثر فيه كأثر الدفيئة. وهكذا فإننا لن نكون مركزاً بالنسبة لكثير من البلدان.

وأخيراً، كما يوحي المثال الأخير، فإن نموذج المحور والتشعبات قد يعمينا عن التغيرات الآخذة في الحدوث في التركيب الهيكلي أو المعماري للشبكات العالمية. فمنظرو الشبكات يجادلون بأن الفاعلين في المركز يكسبون أكبر قدر من القوة عندما تكون هناك ثقب هيكليّة - أي فجوات في الاتصالات - بين المشاركين الآخرين. فعندما تعجز التشعبات عن الاتصال ببعضها بعضاً دون المرور عبر المحور، فإن الموقع المركزي للمحور يعطي قوة. وعندما تتمكّن التشعبات من التواصل والتنسيق في ما بينها مباشرة، يصبح المحور أقل قوة. وإن نمو الإنترنت يقدّم هذه الاتصالات البديلة الرخيصة التي تسدّ الفجوات<sup>(49)</sup>.

ومع تطوير تركيب الشبكات الدولية من نموذج المحور والتشعبات إلى شكل موزّع على نطاق واسع مثل الإنترنت، تتقلّص الثقب الهيكليّة، وتتناقص القوة الهيكلية للدولة المركزية. صحيح أن الأمريكيين مركزيون في الإنترنت، في الوقت الراهن؛ فهم عند بداية القرن الحادي والعشرين يشكّلون أكثر من نصف مستعملي الإنترنت جميعاً. ولكن التنبؤات تشير إلى أنه بحلول سنة 2003 سوف يكون في الولايات المتحدة 180 مليون مستخدم للإنترنت، وسيكون هناك 240 مليون مستخدم لها في الخارج<sup>(50)</sup>. وسيزداد بروز هذا

(49) رونالد بيرت، ثقب هيكليّة: التركيب الاجتماعي للمنافسة (كمبريدج ماساشوسيتس: مطبعة جامعة هارفارد، 1992)، الفصل الأول.

(50) أليك كلاين، «البحث عن عزو العالم، AOL تعلن نداء محلياً»، الإنترنت ناشنال هيرالد تريبيون، 31 أيار/ مايو، 2001، ص1.

الفرق أكثر حتى من ذلك بعد تلك السنة بعقدين من الزمن، مع استمرار انتشار استخدام الإنترنت. والإنكليزية هي أبرز لغة سائدة على الإنترنت اليوم، ولكن بحلول سنة 2010 فإن من المحتمل أن يزيد عدد المستخدمين الصينيين لها عن عدد الأمريكيين<sup>(51)</sup>. ورغم أن المواقع الصينية على الشبكات سيقراها المواطنون من العرق الصيني وصينيّو المهاجر في الخارج، فإن ذلك لن يطيح بالإنكليزية عن عرشها باعتبارها اللغة المشتركة على الشبكة، ولكن ذلك سيزيد القوة الصينية في آسيا عن طريق تمكين بيجينغ من «تشكيل ثقافة سياسية صينية تمتد إلى مسافة بعيدة خارج حدود الصين الطبيعية»<sup>(52)</sup>. ولن تكون الصين وحدها. فمع الانتشار المحتوم للقدرات التقنية سوف تتطور تراكيب شبكية أكثر توزعاً. وفي وقت ما في المستقبل، عندما يكون هناك مليار مستخدم للإنترنت في آسيا و250 مليوناً في الولايات المتحدة، فسوف ينجذب إلى السوق الآسيوية المزيد من مواقع الشبكات، ورأس المال، وأصحاب المشاريع والمبادرات، والمعلنين.

وتبدو الولايات المتحدة الآن كأنها تمتطي العالم كعملاق هائل، حسب عبارة مجلة الإيكونوميست البريطانية<sup>(53)</sup>. وعند تدقيق النظر أكثر، نرى أن السيطرة الأمريكية تختلف عبر المجالات، وأن كثيراً من علاقات الاعتماد المتبادل تعمل في الاتجاهين معاً. فالدول الكبيرة مثل الولايات المتحدة، - والصين إلى حد أقل - لها حرية أكثر مما للدول الصغيرة، ولكنها نادراً ما تُشكّلت من آثار العولمة. وليست الدول وحيدة في هذا. فكما رأينا في الفصل السابق، فإن من بين الأطراف التي صارت فاعلة هناك منظمات، ومجموعات،

(51) «غرافيتي»، رذ هيرنغ، 30 كانون الثاني/يناير، 2001، ص39.

(52) طوني ساينغ، «العولمة، وحسن الإدارة، والدولة المستبدة: الصين»، في كتاب من

تحرير ناي ودوناھيو، حسن الإدارة في عالم آخذ بالتعولم، ص224.

(53) «عالم أمريكا»، الإيكونوميست، 23 تشرين الأول/أكتوبر، 1999، ص15.



وحتى أفراد. وسواء أكان ذلك يتجه إلى الأفضل أم إلى الأسوأ فإن التكنولوجيا تضع في متناول الأفراد قدرات كانت في الماضي حكراً على الحكومة وامتيازاً لها وحدها<sup>(54)</sup>. فالتكاليف المتناقصة آخذة في زيادة السماكة والتعقيد في شبكات الاعتماد المتبادل العالمية. فالولايات المتحدة تشجع العولمة الاقتصادية وتستفيد منها. ولكن على المدى الأطول يمكننا أن نتوقع أن تقوم العولمة نفسها بنشر القدرات التقنية والاقتصادية، وبذلك تقلص مدى السيطرة الأمريكية.

### العولمة والثقافات المحلية

إن الثقافة المحلية والسياسة المحلية تضعان قيوداً هامة على مدى توسيع العولمة للقوة الأمريكية أيضاً. فعلى عكس المفهوم الشائع تقليدياً بين الناس، فإن العولمة لا تجعل ثقافات العالم متجانسة.

ورغم أن هناك صلة بين العولمة والتحديث فإنهما ليسا شيئاً واحداً. فالتناس يعززون إلى العولمة تغييرات تنجم ببساطة وإلى حد كبير عن التحديث<sup>(55)</sup>. فحدثة الثورة الصناعية حوّلت المجتمع والثقافة البريطانيين في القرن التاسع عشر. غير أن الانتشار العالمي للتصنيع وتطور مراكز بديلة للقوة الصناعية قد انتقضا في آخر الأمر من مركز بريطانيا النسبي. ومع أن حدثة المراكز الصناعية الجديدة غيرت ثقافات المحلية بحيث تشبه بريطانيا أكثر من ذي قبل، فقد كان السبب هو التحديث، وليس النكلزة. وعلاوة على ذلك، فعلى الرغم من أن الحدثة قد أنتجت بعض السمات المشتركة، مثل بروز المدن والحوضر والمعامل، فإن بقايا الثقافات المحلية المترسبة لم تُمحَ

(54) بيل جوي وشركاء، «لماذا لا يحتاج إلينا المستقبل»، وإيزد، نيسان/ أبريل 2000.

(55) انظر «العصرنات المتعددة»، عدد خاص من فصلية دايدالوس، شتاء سنة 2000. وانظر أيضاً جون طوملينسون، العولمة والثقافة (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1999).

بأي حال من الأحوال. ذلك أن التجمع عند مؤسسات متشابهة لمعالجة مشاكل متشابهة ليس مثيراً للتعجب، ولكنه لا يؤدي إلى التجانس<sup>(56)</sup>. فقد كانت هناك مشابهة في المجتمعات الصناعية في بريطانيا وألمانيا وأمريكا واليابان في النصف الأول من القرن العشرين، ولكن كان هناك أيضاً فروق هامة. وعندما تستكمل الصين والهند والبرازيل عملية تصنيعها الراهنة، ينبغي أن لا نتوقع منها أن تكون نسخاً عن اليابان أو ألمانيا أو الولايات المتحدة.

وفي السياق نفسه، فرغم أن أوساطاً واسعة ترى أن الولايات المتحدة في طليعة ثورة المعلومات، ورغم أن هذه الثورة تنتج تشابهات كثيرة في العادات الاجتماعية والثقافية (مثل مشاهدة التلفزيون واستخدام الإنترنت) فإن من الخطأ أن تُعزى تلك التشابهات إلى الأمركة. فالعلاقة ليست سببياً. وإذا تخيل المرء تجربة فكرية يقوم فيها بلد ما بإدخال أجهزة الكمبيوتر والاتصالات بإيقاع سريع في عالم لا توجد فيه الولايات المتحدة، فإن المرء سيتوقع حدوث تغييرات اجتماعية وثقافية كبرى من التحديث (أو كما يقول البعض، مما بعد التحديث). وبما أن الولايات المتحدة موجودة بالطبع وفي طليعة ثورة المعلومات، فإن هناك حالياً درجة من الأمركة، ولكن من المحتمل أن تتناقص بمرور الزمن في هذا القرن مع انتشار التكنولوجيا وتحديث الثقافات المحلية لأساليبها.

أما الدليل على البرهان التاريخي بأن العولمة لا تعني التجانس بالضرورة فيمكن رؤيته في حالة اليابان. فهي بلد عزل نفسه عمداً عن موجة مبكرة من العولمة جاء بها البحارة الأوروبيون المغامرون في القرن السابع عشر. وفي منتصف القرن التاسع عشر صارت أول بلد أوروبي يعتنق العولمة، وأن يستعير من العالم بنجاح دون أن يفقد خصوصيته المتفردة. وأثناء إعادة حكم مييجاي [عندما تحولت اليابان من الحكم الإقطاعي إلى دولة دستورية حديثة أيام

(56) أليكس إنكليز، عالم واحد آخذ بالبروز؟ التقارب والتباعد في المجتمعات الصناعية

(بولدر: وستفيلد، 1998)، XIV-XV.

الإمبراطور موتسوهيتو (1867 - 1912): [المعرب] بحثت اليابان بشكل واسع عن الأدوات والابتكارات التي من شأنها أن تتيح لها أن تصبح قوة كبرى وليس ضحية للاستعمار الغربي. فأرسلت شبابها إلى الغرب ليتعلموا. وراحت وفودها تجوب العالم بحثاً عن أفكار في العلم والتقنية والصناعة. وفي المجال السياسي كان مصلحو نظام الميجاي واعين جيداً للأفكار والمؤسسات الأنغلو - أمريكية ولكنهم تعمدوا التوجه نحو النماذج الألمانية لأنهم اعتبروها أكثر ملاءمة لبلد فيه إمبراطور.

إن الدرس الذي تقدّمه اليابان لباقي أنحاء العالم أن بلداً آسيوياً لا يستطيع ببساطة أن ينافس على القوة العسكرية والاقتصادية فحسب ولكن الدرس هو أنه بعد قرن ونصف من العولمة، يمكن التكيف مع الحفاظ على ثقافة فريدة. وهناك بالطبع تأثيرات أمريكية في اليابان المعاصرة (وتأثيرات يابانية، مثل بوكيمون Pokemon، في الولايات المتحدة). فالآلاف من الشباب اليابانيين يختارون موسيقى أبناء المدن الأمريكيين السود وملابسهم وطراز حياتهم. ولكن بعض المجموعات ترتدي ملابس كملايس الساموراي على المسرح [الساموراي هم طبقة المحاربين الأرستقراطية والإقطاعية اليابانية: المعرب] وكما زعم أحدهم: «إننا نحاول أن نصنع ثقافة جديدة كلياً وخليطاً من الموسيقى»<sup>(57)</sup>. ويمكن للمرء أن يصفق لأية تحولات ثقافية معينة أو يرثي لها، أو يجدها مسلية. ولكن ينبغي أن لا تساوره أية شكوك حول استمرار التفرد الثقافي لليابان.

كما أن صورة التجانس الأمريكي تعكس رأياً جامداً خاطئاً في الثقافة. فليس هناك سوى القليل من الثقافات الجامدة الساكنة. وإن محاولات وصفها

(57) شارون موشافي، «مراهقو اليابان يأخذون رحلة الولايات المتحدة ثقافة الشبيبة في شوارع المدن الداخلية الأمريكية»، بوسطن غلوب، عدد 29 تشرين الأول/ أكتوبر، 2000، القسم A، ص 18.

بأنها لا تتغير إنما تعكس على الغالب استراتيجيات سياسية محافظة أكثر مما تعطي أوصافاً للحقيقة. وقد قال الكاتب البيروفي ماريو فارغاس لوزا، فإن المجادلات لصالح الهوية الثقافية وضد العولمة «تكشف عن موقف جامد تجاه الثقافة لا تؤيده الحقائق التاريخية. فهل نعرف أية ثقافات ظلت طول الزمن بلا تغيير؟ للعثور على أيّ منها يتعين على المرء أن يسافر إلى مجتمعات صغيرة بدائية سحرية - دينية مكوّنة من أناس... يصبحون على نحو متزايد بإطراد عرضة للاستغلال وللإبادة، نظراً لحالتهم البدائية»<sup>(58)</sup>. فالثقافات الحية النابضة تتغير باستمرار، وتستعير من الثقافات الأخرى. وليست الاستعارة دائماً من الولايات المتحدة. وعلى سبيل المثال، كما هو مذكور أعلاه، فقد اتجهت إلى كندا بلدان أكثر بكثير من التي اتجهت إلى الولايات المتحدة كنموذج لإقامة الدستور في أعقاب الحرب الباردة. فالآراء الكندية حول كيفية التعامل مع جرائم الكراهية كانت أقرب مُشاكلةً لجنوب أفريقيا وبلدان أوروبا الشرقية من ممارسات التعديل الأول الأمريكية<sup>(59)</sup>.

وكما هو مذكور أعلاه، فإن العولمة سيف ذو حدين. ففي بعض المناطق لا يقتصر الأمر على وجود ردة فعل عنيفة ضد المستوردات الثقافية الأمريكية، بل إن هناك محاولة لتغيير الثقافة الأمريكية نفسها. فربما تكون الأغلبية في الولايات المتحدة الآن مؤيدة للسياسات الأمريكية إزاء عقوبة الإعدام، ولكنها تُعتبر انتهاكات فظيعة لحقوق الإنسان في كثير من أنحاء أوروبا، وكانت هدفاً مركزياً لحملة عابرة للقومية قادتها مجموعات حقوق الإنسان. كما أن المواقف

(58) ماريو فارغاس لوزا، «ثقافة الحرية»، فورين بوليسي، عدد كانون الثاني/يناير - شباط/فبراير 2001

(<http://www.foreignpolicy.com/issue-janfeb-2001/vargaslosa.html>)

(59) فردريك شوويز، «سياسة إعادة الزرع القانونية وحوافزها» في كتاب من تحرير ناي ودوناميو، حسن الإدارة في عالم أخذ بالتعولم، ص 258 - 260.

البيئية الأمريكية تجاه تغير المناخ أو الأغذية المعدلة وراثياً تتعرض لانتقاد مماثل. وكما يقول المؤلف البريطاني جوناثان فريدلاند: «في الماضي كان خصوم أمريكا يوقرون سخطهم ليصتوه على مجالين منفصلين من سوء التصرف الأمريكي. فقد كانت تفزعهم أولاً التصرفات الأمريكية الغربية في الخارج. وكانوا يشمزون ثانياً من طريقة تصرف الأمريكيين داخل بلادهم نفسه... أما الآن فقد تجمع شكلا العداوة القديمان معاً بفضل العولمة»<sup>(60)</sup>.

وأخيراً فإن هناك بعض الأدلة على أن العولمة وثورة المعلومات قد تعززان التنوع الثقافي ولا تخفضانه. وهناك رأي بريطاني بأن «العولمة هي سبب إحياء الثقافة المحلية في أجزاء مختلفة من العالم... فالعولمة لا تسحب إلى الأعلى فحسب، بل إنها تدفع إلى الأسفل أيضاً، مكوّنة ضغوطاً جديدة للحفاظ على الاستقلال المحلي»<sup>(61)</sup>. ويعتبر بعض المعلقين الفرنسيين عن الخشية من أنه في عالم من التسويق العالمي عن طريق الإنترنت، لن يعود هناك مجال لثقافة تعتر بنحو 250 نوعاً مختلفاً من الأجبان. ولكن على عكس ذلك، فإن الإنترنت تتيح للزبائن المتفرقين أن يتجمعوا معاً بطريقة تشجع أسواق الكوى أو النوافذ، بما فيها مواقع كثيرة مخصصة للأجبان فقط. كما أن ثورة المعلومات تسمح للناس بإقامة مجموعة أكثر تنوعاً من المجتمعات السياسية. فاستخدام اللغة الويلزية في بريطانيا والغيلية Gaelic في إيرلندا هو أكبر اليوم مما كان عليه قبل خمسين سنة<sup>(62)</sup>. ذلك أن بريطانيا، وبلجيكا، وإسبانيا، من بين دول

(60) جوناثان فريالاند، «شكل خفي من الانشقاق»، النيوزويك، عدد 31 كانون الثاني/يناير، 2000، ص22.

(61) غيدنز، العالم الهارب، ص31.

(62) دان باري، «الغيلية تعود على طرقات إيرلندا الجانية وأمواج الأثير فيها» النيويورك تايمز، عدد 25 تموز/ يوليو 2000، ص6 من القسم A [الغيلية Gaelic هي لغة الكلت القدماء، وهم أقوام كانت تقطن إيرلندا والمرتفعات الإسكتلندية: المعرب].

أخرى، قد فوّضت سلطة أكبر للأقاليم المحلية. فالمعلومات العالمية قد تعزّز كثيراً من الثقافات المحلية بدلاً من أن تضعفها.

ومع انتشار التكنولوجيا، فإن لاعبين أقل قوة سوف تتعزّز قوتهم. والإرهاب هو المثال المفاجئ الحديث، ولكن تأمل أيضاً في العلاقات بين الشركات عابرة القومية وبين الدول الفقيرة<sup>(63)</sup>. ففي المراحل الأولى، ستكون كل الأوراق الرابحة في أيدي الشركة متعددة الجنسيات، بقدرتها على الوصول والنفاذ إلى مصادر التمويل العالمية والتكنولوجيا والأسواق، فتحصل على الأفضل في الصفقة مع البلد الفقير. ومع مرور الزمن، وقيام البلد الفقير بتنمية مهارات موظفيه، وتعلّم تكنولوجيات جديدة، وفتح قنواتها الخاصة بها إلى التمويل العالمي والأسواق العالمية، فإنه ينجح في إعادة التفاوض على الصفقة ويحصل على المزيد من المزايا والفوائد. فعندما ذهبت شركات النفط متعددة الجنسيات إلى المملكة العربية السعودية لأول مرة، حصلت على حصة الأسد من المكاسب النفطية؛ أما اليوم، فإن السعوديين هم الذين يحصلون على هذه الحصة. وبالطبع فقد حدث بعض التغيير في الثقافة السعودية عندما تم تدريب الممولين والمهندسين في الخارج، وزادت المداخل، وحدث نوع من التطوير والتوسع في المَدُن والحواضر. ولكن من المؤكد أن الثقافة السعودية اليوم لا تبدو مشابهة للثقافة الأمريكية.

وقد يجادل المشكّكون في أن الشركات الحديثة عابرة القومية سوف تنجو من المصير الذي حاق بشركات النفط العملاقة لأن كثيراً منها شركات حقيقية تصمّم منتجاتها وتسوقها ولكنها تُلزَم التصنيع لعشرات من المجهزين في البلدان الفقيرة. فالشركات الكبيرة تضع المجهزين الصغار ضد بعضهم بعضاً، باحثة أبداً عن أرخص تكاليف العمل. ولكن مثل تلك الشركات متعددة الجنسيات

(63) راي몬드 فيرنون، استبعاد السيادة: الانتشار المتعدد الأطراف للمشاريع الأمريكية

(نيويورك: بيسك بوكس، 1971).

تصبح مكشوفةً ومعرضةً للعطب كذلك عندما تتيح تكنولوجيا الاتصالات الرخيصة للمنظمات غير الحكومية أن تشن حملات «لفضح الأسماء والتشهير بأصحابها»، مما يهدد علاماتها التجارية في أسواق البلدان الغنية. وكما رأينا في الفصل السابق، فإن بعض التغير التكنولوجي يفيد الأطراف الأقوى. ولكن بعضها يساعد الضعفاء.

إن العولمة الاقتصادية والاجتماعية لا تنتج تجانساً ثقافياً. ذلك أن بقية أنحاء العالم لن تبدو شبيهة بالولايات المتحدة ذات يوم. والثقافة الأمريكية بارزة جداً في هذه المرحلة من التاريخ العالمي، وهي تسهم في القوة الأمريكية الناعمة الطرية في مجالات كثيرة، ولكن ليس فيها جميعاً. وفي الوقت نفسه فإن ثقافتنا نفسها آخذة في التغير بفعل المهاجرين، والأفكار، والأحداث الواقعة خارج حدودنا. وهذا يضيف إلى جاذبيتنا. فلنا مصلحة في الحفاظ على تلك القوة الناعمة الطرية. فينبغي علينا أن نستخدمها الآن لبناء عالم قريب من قيمنا الأساسية وتحضيراً لزمان في المستقبل قد يكون نفوذنا فيه أقل. فمع قيام العولمة بنشر القدرات التكنولوجية وسماح تكنولوجيا المعلومات بمشاركة أوسع في الاتصالات العالمية، فإن التفوق الاقتصادي والثقافي الأمريكي قد يتناقص في غضون مسيرة القرن الحالي. وهذا بدوره يترك نتائج مختلطة، سلباً وإيجاباً، على القوة الناعمة الطرية الأمريكية. ولعل تناقص التفوق قليلاً يعني قلقاً أقل بخصوص الأمركة، وشكاوى أقل من الغطرسة الأمريكية، وشدة أقل في عنف ردود الفعل المضادة لأمريكا وقد تكون لنا سيطرة أقل على المستقبل، ولكننا قد نجد أنفسنا نعيش في عالم أقرب إلى قيمنا الأساسية في الديمقراطية، والأسواق الحرة، وحقوق الإنسان. وعلى أية حال، فإن ردود الفعل السياسية على العولمة ستكون أكثر تنوعاً بكثير من رد فعل موحد ضد الهيمنة الثقافية الأمريكية.

### ردود الأفعال السياسية على العولمة

لقد تزايدت الاحتجاجات السياسية ضد العولمة في السنوات الأخيرة. فكانت «معركة سياتل» في سنة 1999 فاتحةً لسلسلة طويلة من احتجاجات الشوارع ضد آثار العولمة.

والآثار العالمية قوية، ولكنها لا تدخل المجتمعات بدون وسطاء. بل على العكس، فإنها تتسلل من خلال تحالفات سياسية محلية. فالطريقة التي تفرغ بها المعلومات العالمية في البلدان المختلفة هي مهمة السياسات المحلية. وبهذا المعنى فإن كل السياسات تظل محلية، حتى في عصر العولمة. والمحتجون لا يمثلون كتلة من المجتمع المدني بلا تفاوت، رغم كثرة تكرار ادعاءاتهم بذلك. وعلى سبيل المثال، فإن خوزيه بوفيه، وهو من نجوم المنبر الاقتصادي للفقراء في بورتو أليغري في سنة 2001، يدافع بصلافة عن سياسة أوروبا الزراعية المشتركة، التي تؤذي المزارعين في البلدان الفقيرة. وبعيداً عن الاحتجاجات، فإن الحقيقة هي أن الأنظمة السياسية المختلفة لديها قدرات متفاوتة على تشكيل القوى الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية والعسكرية التي لها مساس وثيق بها؛ ولشعوبها قيم مختلفة في ما يتصل بتلك القوى؛ كما أن مؤسساتها السياسية تستجيب بطرق مختلفة لتلك القيم كي تنتج سياساتها.

والمؤسسات المحلية هي التي توجه الاستجابة للتغيير. فبعض البلدان تقوم بتقليد النجاح، كما يتمثل في ديمقراطية مجتمعات رأسمالية، من كوريا الجنوبية إلى أوروبا الشرقية. فبعضها يتكيف بطرق متميزة وبارعة ومبدعة. وعلى سبيل المثال، فإن الدول الأوروبية الصغيرة مثل هولندا وإسكندنافيا قد احتفظت بحكومات كبيرة نسبياً وأكدت على تعويض القطاعات المحرومة. بينما ركزت البلدان الصناعية الأنغلو-أمريكية بصورة عامة على الأسواق، والتنافس وإزالة القيود الحكومية. فالرأسمالية بعيدة عن أن تكون موحدة منسجمة، مع وجود فوارق هامة بين أوروبا، واليابان، والولايات المتحدة.



وهناك أكثر من طريقة واحدة للاستجابة للأسواق العالمية ولتشغيل اقتصاد رأسمالي.

وفي مجتمعات أخرى كإيران، وأفغانستان والسودان، فإن الجماعات المحافظة تقاوم العولمة بقوة، بل وبعنف. إذ إن ردود الفعل على العولمة تساعد على استثارة النزعة الأصولية<sup>(64)</sup>. فإنها يبو القاعدة يمثلون ببعض الطرق حرباً أهلية ضمن الإسلام تسعى للتحوّل إلى صدام حضاري عالمي. وتستطيع القوى العالمية أن تعيد تشكيل الهويات العرقية والسياسية بطرق عميقة كثيراً ما تكون غير متوقعة. ففي البوسنة توجه رجال الأعمال من أصحاب المشاريع المبادرين إلى هويات الناس التقليدية في المناطق الريفية للتغلب على الهويات العالمية التي كانت قد بدأت تتطور في المدن والحوضر فتؤدي إلى نتائج مدمّرة. وشهدت إيران صراعات بين الأصوليين الإسلاميين وخصومهم الأكثر تحرراً، والذين هم إسلاميون أيضاً ولكنهم أكثر تعاطفاً مع الأفكار الغربية.

وكما ذكرنا سابقاً، فقد كانت زيادة حالات انعدام المساواة من الأسباب الكبرى لردود الأفعال السياسية التي عطلت موجة مبكرة سابقة من العولمة الاقتصادية في مطلع القرن العشرين. كما أن الفترة الحديثة للعولمة، مثل نصف القرن الذي سبق الحرب العالمية الأولى، مرتبطة بعدم المساواة المتزايدة بين البلدان، وعدم المساواة في داخلها. ذلك أن نسبة مداخيل العشرين بالمنة من الناس الذين يعيشون في أغنى البلدان إلى مداخيل العشرين بالمنة الذين يعيشون في أفقر البلدان قد ازدادت من 30 إلى واحد في سنة 1960 إلى 74 إلى واحد في سنة 1997. وبالمقارنة، فإن هذه النسبة كانت قد ازدادت من 7 إلى واحد في سنة 1870 إلى 11 إلى واحد في سنة 1913<sup>(65)</sup>. وعلى أية حال فإن عدم المساواة يمكن أن تكون لها آثار حتى ولو لم تكن تتزايد. «والنتيجة هي عدد

(64) غيدنز، العالم الهارب، ص 59، 67.

(65) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية، ص 2 - 3.

كبير من الشباب الغاصبين، الذين أعطتهم تكنولوجيا المعلومات الجديدة وسائل لتهديد الاستقرار الاجتماعي في بلدان المنطقة الغنية<sup>(66)</sup>. ومع ازدياد وعي الناس بعدم المساواة مع تزايد تدفقات المعلومات، فإنه ليس مدهشاً أو عجباً أن يختار بعضهم الاحتجاج.

ومهما كانت حقائق انعدام المساواة، فإن هناك وضوحاً أقل حتى من ذلك حول مسبباتها وأكثر معالجاتها نجاعة. ومن ناحية جزئية فإن الزيادات في حالات عدم المساواة بحسب البلدان هي نتيجة مباشرة للنمو الاقتصادي السريع في بعض أجزاء العالم ولكن ليس فيها جميعاً. وهي توضح أن الخروج من الفقر ممكن رغم أنه كثيراً ما يتعرقل بفعل عوامل سياسية، وقيود على الموارد كذلك. فمعظم أفقر بلدان العالم - سواء في أفريقيا أم في الشرق الأوسط - قد عانت من سوء الحكم، والفساد، وسياسات الاقتصاد الكلي الخرقاء. ويمكن أن يُعزى ضعف أنظمتها السياسية جزئياً إلى الاستعمار وعولمة القرن التاسع عشر. ولكن مصادر أدائها السيئ مؤخراً هي أكثر تعقيداً<sup>(67)</sup>. وهناك عدة بلدان

---

(66) إن قياس التفاوت العالمي يعتمد على افتراضات وتعريف مستخدمة. فإذا عولمت البلدان على قدم المساواة (ولم توزن بحسب عدد سكانها) وإذا قيس الدخل حسب مقياس القوة الشرائية، فإن توزيع الدخل العالمي إذن قد ازداد تفاوتاً وعَدَمَ مساواة على مدى العقود القليلة الماضية. أما إذا عولم الناس على قدم المساواة (بحيث يكون عدد سكان الصين والهند أكثر)، فعندئذ سوف لا يُظهر توزيع الدخل أي تغير يُذكر. كما أن بعض الدراسات التي أجراها البنك الدولي على أساس مسح منزلية (بدلاً من المعدل الوسطي لإجمالي الناتج المحلي) تُظهر تفاوتاً متزايداً من سنة 1988 إلى سنة 1993، ولكن هذه الدراسات لا تشمل النفقات العامة. روبرت وريد، «الرابع والخاسر» و«عن الفقراء والأغنياء»، الإيكونوميست، عدد 28 نيسان/ أبريل، 2001، ص 72 - 74، 80.

(67) من بين ثلاثة وأربعين من أفقر البلدان، كان ثلثها منفتحاً تماماً، ولكن من بين أفقر أربعة وعشرين بلداً أُجريت إصلاحات افتتاحية في العقد الأخير من السنين، عانت عشرة منها أيضاً من الحروب أو الانقلابات. «ليس بسيور أحذيتهم وحدها»، الإيكونوميست، 12 أيار/ مايو، 2001، ص 74.

في آسيا الشرقية كانت أوضاعها سيئة على نحو مماثل، فاستخدمت شبكات العولمة لزيادة ثروتها ومكانتها في الاقتصاد العالمي. ومن الصعب العثور على أي بلدان ازدهرت بينما كانت منغلقة على نفسها بمعزل عن العولمة، ولكن الانفتاح وحده لا يكفي للتغلب على انعدام المساواة<sup>(68)</sup>.

ومن الأشياء المدهشة على نحو مماثل هو التوزيع غير المتجانس لفوائد العولمة بين الأفراد ضمن البلدان وعبرها. ففي البرازيل سنة 1995 مثلاً كان العُشر الأغنى من السكّان يتلقّى ما يقرب من نصف الدخل القومي. وكان الخمس الأغنى يملك 64 بالمئة، بينما لم يكن الخمس الأفقر يملك سوى 2,5 بالمئة، والعُشر الأفقر أقل من واحد بالمئة. وفي الولايات المتحدة كان العُشر الأغنى يتلقّى 28 بالمئة من الدخل، بينما يتلقّى الخمس الأغنى 45 بالمئة، وكان الخمس الأفقر يتلقّى ما يقرب من 5 بالمئة، والعُشر الأفقر 1,5 بالمئة<sup>(69)</sup>. أمّا عبر البلدان فإن عدم المساواة صارخ أكثر حتى من ذلك: إذ إن أغنى ثلاثة من أصحاب المليارات في العالم سنة 1998 كان مجموع أرصدتهم أكبر من مجموع مداخيل ستمئة مليون إنسان في أقل البلدان نمواً في هذا العالم<sup>(70)</sup>.

وانظر إلى حالة الصين أيضاً: فهذا بلدٌ راح ينمو بسرعة منذ أن قرّر قاده فتح اقتصادهم في ثمانينيات القرن العشرين. وبذلك عرضوا مجتمعهم لقوى العولمة. فقد ظهرت مكاسب كبيرة ومفاجئة في «مؤشر التنمية البشرية»

(68) انظر داني رودريك، الاقتصاد العالمي الجديد والبلدان النامية: إنجاح الانفتاح (واشنطن، مقاطعة كولومبيا، مجلس التنمية الخارجية، 1999)؛ وكذلك ريتشارد ن. كوير، «النمو والتفاوت: دور التجارة والاستثمار»، مركز ويذرهد للقضايا الدولية (جامعة هارفارد) ورقة العمل 01-07، 2001.

(69) البنك الدولي، المعرفة من أجل التنمية: تقرير التنمية العالمية لسنتي 1998 - 1999 (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد)، الجدول 5، ص 189 - 199.

(70) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية، ص 3.

الصينية كما حسبتها الأمم المتحدة، بما يعكس طول حياة الإنسان المتوقعة، والتحصيل التعليمي وإجمالي الناتج المحلي<sup>(71)</sup>. فقد تحسّنت أحوال مئات الملايين من الصينيين نتيجة إصلاحات السوق والعولمة، ولكن مئات الملايين من الآخرين، ولا سيما في الأقسام الغربية من البلد لم يشهدوا من المكاسب شيئاً. بل إن أحوال بعضهم سوف تسوء، وخاصة عندما تكشف الصين عن مشاريع غير كفوءة تملكها الدولة، فتعرضها للبنية الدولية بموجب شروط انضمامها إلى منظّمة التجارة العالمية. إن الكيفيّة التي ستعالج بها الصين سياسات عدم المساواة الناجمة عن ذلك ستكون من المسائل الهامة في مستقبلها<sup>(72)</sup>.

فهل سيكون عدم المساواة هذا مشاكل للسياسة الخارجية الأمريكية؟ في أواخر اقرن التاسع عشر، ارتفع عدم المساواة في الدول الغنية وانخفض في الدول الفقيرة. وكان من الممكن أن يعزى ما يقرب من نصف الزيادة في عدم المساواة إلى تأثيرات العولمة. وكان الكثير من تلك التغيرات نتيجة للهجرة الكثيفة، مما أوضح نحو 70 بالمئة من تقارب الأجور الحقيقي في أواخر القرن التاسع عشر<sup>(73)</sup>. وكانت العواقب السياسية لهذه التغيرات معقّدة، ولكن المؤرخ كارل پولاني جادل بقوة في دراسته الشهيرة: التحول الكبير، بأن قوى السوق التي أطلقتها الثورة الصناعية والعولمة في القرن التاسع عشر لم تنتج مكاسب اقتصادية عظيمة فحسب، بل أنتجت أيضاً اضطرابات اجتماعية كبرى وردود أفعال سياسية<sup>(74)</sup>. وليست هناك علاقة تلقائية بين عدم المساواة وردّ

(71) المصدر السابق نفسه، ص156.

(72) سايج، «العولمة، وحسن الإدارة، والدولة المستبدة»، ص217 - 220.

(73) كيثن أوروذك وجيفري وليامسون، العولمة والتاريخ: تطور اقتصاد أطلسي في القرن التاسع عشر (كمبريدج، ماسوسيتس: مطبعة معهد ميتشغان للتكنولوجيا، 1999)، ص9 - 10.

(74) پولاني، التحول الكبير، الفصل الثامن عشر.

الفعل السياسي، ولكن رد الفعل قد ينشأ عن دعم المساواة. وعلى وجه الخصوص فإنه عندما يترافق انعدام المساواة مع عدم الاستقرار مثل الأزمات المالية وحالات الركود التي تحرم الناس من العمل، فقد تؤدي ردود الأفعال تلك إلى قيود على العولمة الاقتصادية.

إن التصاعد الأخير في موجات الاحتجاج على العولمة هو في جزء منه رد فعل على التغيرات الناجمة عن الاندماج الاقتصادي. ومن وجهة نظر عالم الاقتصاد، فإن الأسواق غير الكاملة هي غير كفوءة، ولكن من وجهة النظر السياسية، فإن بعض النواقص في الأسواق الدولية يمكن اعتبارها «حالات عدم كفاءة مفيدة» لأنها تبطئ التغير السياسي وتعزله. وعندما تزيل العولمة مثل هذه الحالات، فإنها تزيل المناطق العازلة وتصبح الضحية السياسية لنجاحها. وبالإضافة إلى ذلك، كما هو موصوف أعلاه، فحالما تزيد الشبكات العالمية تعقيداً، تزداد الارتباطات بين القضايا التي يمكن أن تُحدث احتكاكاً، وتشهد على ذلك الحالات المختلفة للتجارة والبيئة التي اتضح أنها مثار نزاع وخصومة في منظمة التجارة العالمية. ولكن جزءاً كبيراً من حركة الاحتجاج الحالية هو نتيجة العولمة الاجتماعية، وتزايد الاتصال عبر الحدود، وانخفاض التكاليف، وتعاضل سهولة تنسيق الاحتجاجات بين الأفراد والمنظمات غير الحكومية. ففي سنة 1997، حتى قبل ما يسمى معركة ميائل، استخدمت المنظمات غير الحكومية الإنترنت لتنسيق الاحتجاجات التي ساعدت على تحطيم معاهدة متعددة الأطراف بشأن الاستثمار كان التفاوض يجري حولها في باريس.

وعلى عكس الحركات الاشتراكية لجماهير الطبقة العاملة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فإن الاحتجاجات الحالية تميل إلى أن تكون حركات نخبة، لا حركات جماهير. وبينما يدعي قادتها غالباً أنهم يتحدثون نيابة عن الفقراء ويمثلون المجتمع المدني العالمي، فإنهم يميلون إلى أن يكونوا مجموعات غنية انتخبت نفسها من بلدان غنية. فالمجموعات التي احتجت في

اجتماعات منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي ومجموعة الثمانية الكبار في سياتل، وواشنطن، وبراغ، وجنوى وغيرها كانت ائتلافاً غريباً. فقد كان من بينهم معارضون للرأسمالية من اليساريين القدامى، ونقابيون يحاولون حماية مناصب عالية الرواتب من البلدان الفقيرة، وبيئيون يرغبون في فرض قيود دولية أقوى، ومثاليون شباب يرغبون في إظهار تضامنهم مع الفقراء، وفوضويون شباب يشاغبون من أجل المرح والريح. وكما قال محتج شاب من إسكندنافيا لصحافي من النيويورك تايمز، في جنوى: «إن العولمة طراز شائع الآن، تماماً كما كانت البيئة والرعاية الصحية في السنوات الأخيرة، ولكننا نستهدف النظام، والعولمة فصل واحد»<sup>(75)</sup>.

وكان بعض المحتجين يريدون قيوداً دولية من شأنها الافتئات على السيادة الوطنية. ولكن مهما كان التنافر في الائتلافات، فقد استطاعت أن تكسب اهتماماً عالمياً من أجهزة الإعلام والحكومات. ذلك أن اهتماماتهم بسيطرة شركات العولمة الليبرالية الجديدة، وبعدم المساواة المتزايدة، والتجانس الثقافي، وبغيباب المساءلة الديمقراطية قد استطاع أن يلمس وترأ حساساً متجاوباً، إن لم يشعل حركة جماهيرية<sup>(76)</sup>. وبقدر ما تريد الولايات المتحدة أن ترى العولمة تستمر، فإن عليها أن تفكر بوضوح أكثر في ردود الفعل على مثل هذه الاتهامات حول حسن إدارة العولمة، كما سنرى أدناه وفي الفصل الخامس.

### حسن إدارة العولمة

إذا كان الاقتصاد الحر (بلا تدخل حكومي) فيه عدم استقرار متأصل في

(75) جون تاغليابو، «بعيون مسلطة على التفاوت وعدم المساواة في الثروة العالمية، يتجمع الأوروبيون الشباب في جنوى»، النيويورك تايمز، عدد 22 تموز/ يوليو، 2001، القسم 8، ص 8.

(76) «مقابلة السياسة الخارجية؛ حرب لوري»، فورين بوليسي، ربيع 2000.

بنيته، وشبكات الاعتماد المتبادل المتداخل تمتد إلى ما وراء حدود الأمة - الدولة، فكيف سيتم حكم العولمة؟ إن الحكومة العالمية ليست هي الجواب. يستمد بعض الكتاب قياساً تمثيلاً من التاريخ الأمريكي، فيطلبون من الأمم - الدول اليوم أن تشترك معاً كما فعلت المستعمرات الثلاث عشرة. ومثلما أدى تطوّر اقتصاد وطني في أواخر القرن التاسع عشر إلى نمو سلطة حكومة اتحادية في واشنطن، فإن تطوير اقتصاد عالمي سيتطلب سلطة اتحادية على صعيد عالمي<sup>(77)</sup>. ويرى البعض أن هيئة الأمم المتحدة هي الجوهر المركزي الأولي<sup>(78)</sup>. ولكن القياس التمثيلي الأمريكي مُضلل. فقد كان بين المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية من الأشياء المشتركة في اللغة الإنكليزية والثقافة أكثر بكثير مما هو مشترك بين دول العالم اليوم، التي يزيد عددها على مئتين. وحتى الأمريكيين لم يتجنبوا حرباً أهلية دامية. وما إن حلّ وقت تطوّر اقتصاد قارّي حتى كان إطار الاتحاد الأمريكي قائماً في مكانه بثبات. فبدلاً من التفكير في حكومة عالمية ذات تسلسل هرمي، ينبغي علينا أن نفكر في شبكات من حسن الإدارة تتقاطع وتعايش مع عالم مقسّم رسمياً إلى دول ذات سيادة.

إن رد الفعل الأول لكثير من البلدان إزاء القوى العالمية هو اتخاذ إجراءات داخلية تقلّل من انكشافها وتعرّضها للتأثيرات الخارجية، فهي تلجأ إلى النزعة الحمائية عندما تتمكن من ذلك بكلفة معقولة. غير أن ذلك يقيده أحياناً انتقاماً باهظ الكلفة، كما في الحالات التجارية التي واجهت فيها الولايات المتحدة الاتحاد الأوروبي مؤخراً. ولكن ردود الأفعال الحمائية التي تلجأ إليها البلدان الغنية في مجالي الزراعة والمنسوجات تفرض تكاليف على الدول

(77) مايكل صاندل، مساخط الديمقراطية (كمبريدج، ماساشوسيتس: مطبعة جامعة هارفارد، 1996)، ص 338 الحاشية.

(78) انظر على وجه الخصوص برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية، الفصل الخامس.

الفقيرة التي ليست في موقع يمكنها من الانتقام. ومن جهة أخرى فإن بعض الاستجابات من طرف واحد قد تكون إيجابية. ففي ثمانينيات القرن العشرين، استجابت الولايات المتحدة للمنافسة اليابانية والأوروبية في السيارات بتنفيذ تغييرات داخلية زادت من كفاءتها. وفي بعض الحالات، مثل إجراءات المحاسبة العامة أو تنظيم النقل لأسواق الأوراق المالية، قامت الشركات والحكومات من طرف واحد بتبني مقاييس خارجية لتوسيع نطاقها ووصولها إلى رؤوس الأموال. فليس من الضروري أن يؤدي التنافس في المقاييس والمستويات إلى سباق نحو القاع، إذ إن بعض البلدان قد تقرّر من جانب واحد أن تركّض نحو القمة. فقد قرّرت دول مثلاً أن تتبني مقاييس الاتحاد الأوروبي في مبيدات الآفات الزراعية، بينما تبنّت بعض بلدان أمريكا اللاتينية مقاييس الولايات المتحدة<sup>(79)</sup>.

وهذه أمثلة تعزّز نقطة واضحة نسبياً. ففي الوقت الراهن، تبقى الأمة - الدولة هي المؤسسة الهامة لحسن الإدارة العالمية<sup>(80)</sup>. ولكن في مواجهة العولمة، حتى الدول التي في مثل قوة الولايات المتحدة سوف تجد أن الإجراءات الأحادية الجانب كثيراً ما تكون غير كافية، فهي قد تفشل، أو تولّد ردود أفعال. ولذا فإن البلدان التي تواجه عولمة متزايدة سوف يتزايد استعدادها للتضحية ببعض حريتها القانونية في العمل كي تقيد أعمال الآخرين تجاهها أو تسهل التنبؤ بتلك الأعمال. وسوف تكتشف، (كما فعل صاحب شخصية موليير الذي اكتشف أنه كان يتحدّث بالنثر طيلة حياته)، أن العالم كانت لديه منذ زمن

(79) دافيد ليزر، «القيود النظامية للاعتماد المتبادل، وحسن الإدارة الدولية»، جورنال أوف يوروبيان پابليك پوليسي، حزيران/ يونيو 2001، ص 474 - 492.

(80) للاطلاع على الحجج المتعارضة، انظر مثلاً سوزان سترينج: تراجع الدولة: انتشار السلطة في الاقتصاد العالمي (نيويورك: مطبعة جامعة كامبريدج، 1996)، وليندا ويس، أسطورة الدولة التي لا سلطة لها (إيتاكا: مطبعة جامعة كورنيل، 1998).



طويل مؤسسات تعاونية لإدارة القضايا المشتركة. فهناك مئات من المنظمات والأنظمة القانونية الموجودة لإدارة الأبعاد العالمية للتجارة، والاتصالات، والطيران المدني، والصحة، والبيئة، وأحوال الطقس، وكثير من القضايا الأخرى.

وتكتشف معظم البلدان، بما فيها الولايات المتحدة، أنه يتعين عليها أن تنسق أنشطتها لتحقيق ما تريد. فالعمل الأحادي الجانب يعجز ببساطة عن تقديم النتائج الصحيحة في القضايا التي هي بطبيعتها متعددة الأطراف. وقد يأخذ التعاون شكل معاهدات ثنائية أو متعددة الأطراف، واتفاقيات غير رسمية بين بيروقراطيات المكاتب، ووفد من مؤسسات مشتركة بين الحكومات. وكثيراً ما ينمو تنظيم التدفقات العالمية عن طريق طبقات من التراكم الإضافي، وليس عن طريق معاهدة وحيدة وسيظل غير كامل زمناً طويلاً. وبعض الحالات أسهل من حالات أخرى. وعلى سبيل المثال، فإن ملاحقة دعاية الأطفال في الأدب والفن أسهل من ضبط وتقييد بريد الكراهية، لأن هناك مبادئ ومعايير مشتركة في الحالة الأولى أكثر مما في الحالة الثانية<sup>(81)</sup>.

وأخيراً، فإن بعض محاولات حسن الإدارة لن تشترك فيها الدول باعتبارها وحدات منسجمة، بل إنها ستكون إما عابرة للحكومات (بمعنى أن مكونات الدول تتعامل مع بعضها بعضاً) أو عابرة للقومية (أي تشمل عناصر فاعلة غير حكومية). أي أنه إلى جانب الإطار المؤسسي في ما بين الدول، وهو إطار ضروري ولكنه غير كامل، فإن هناك عملية سياسية غير رسمية آخذة في التطور، وهي تكمل علاقات التعاون الرسمية بين الدول. ففي القطاع العام

(81) كاري كوغيليانيز، «العولمة وتخطيط المؤسسات الدولية»، وديورا هورلي وفكتور ماير شوينرغر، «السياسة الإعلامية وحسن الإدارة»، وكلاهما في كتاب من تحرير ناي ودونا هيو عنوانه حسن الإدارة في عالم آخذ بالتعولم.

هناك اتصالات غير رسمية بين المكونات المختلفة للحكومات<sup>(82)</sup>. ونادرة هي سفارة دولة ديمقراطية كبيرة اليوم حيث يشكل موظفو وزارة الخارجية غالبية العاملين فيها المستقرين في الخارج. وبدلاً من ذلك، فإن معظم الموظفين في السفارات الأمريكية يأتون من وكالات كالزراعة، والمواصلات والتجارة، والطاقة، ووكالة الفضاء الوطنية الأمريكية، والدفاع، والمخابرات، ومكتب التحقيقات الاتحادي.

وعلى جانب القطاع الخاص، فإن الشركات عابرة القومية، ومدراء الصناديق العاملة على مبعدة من السواحل (لتجنب سلطات الجمارك والضرائب) يلعبون دوراً أكبر من أي وقت مضى في تكوين القواعد والمقاييس. وكثيراً ما تكون ممارساتهم حسن إدارة بالأمر الواقع. والتحكيم التجاري الدولي هو في أساسه نظام عدالة خاص، كما أن وكالات تقدير القروض هي أنظمة خاصة لحراسة البوابات وضبط الأمور. وقد برزت كاليات هامة لحسن الإدارة لا تتمركز سلطتها في الدولة<sup>(83)</sup>. وفي القطاع غير الساعي للربح، كما رأينا، حدث نمو خارق للعادة في المنظمات، وهي ما تزال غريبة إلى حد كبير، ولكنها آخذة في التحول بازدياد إلى منظمات عابرة القومية. ولأسباب نُوقشت في الفصل الثاني، فإن هذه المنظمات وقنوات الوصول والنفاذ المتعددة عبر الحدود قادرة على ممارسة ضغط متزايد ومؤثر على الدول والمنظمات

(82) روبرت و. كيوهين وجوزيف س. ناي الأصغر، «العلاقات العابرة للحكومات والمنظمات الدولية»، مجلة وورلد بوليتيكس، عدد تشرين الأول/ أكتوبر 1972؛ آن - ماري سلوتر، «النظام العالمي الحقيقي»، فورين آفيرز، أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر 1997.

(83) ساسكيا ساس، «تجذير العالمي في الوطني: الآثار المترتبة على دور الدولة»، فصلية ماكالمستر إنترناشنال، ربيع 1999 («العولمة والمحال الاقتصادي»)، ص 39؛ وانظر أيضاً ساسكيا ساس، فقدان السيطرة؟ السيادة في عصر العولمة (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1996).

الحكومية متعددة الأطراف وكذلك الشركات عابرة القومية.

وكثيراً ما تُشاهدُ القوةُ الناعمةُ الطرية في حشدِها للخزّي والعار كي تفرض تكاليف على السمعات الوطنية أو سمعة الشركات<sup>(84)</sup>. فشركات الأدوية عابرة القومية تخلّت عن الدعاوى القضائية التي أقامتْها في جنوب أفريقيا بسبب التجاوز على حقوقها في براءات اختراع الأدوية المضادة لمرض الإيدز. وبكلمات صحيفة الفايئاتشال تايمز، فإن «المطالبات بمسؤولية اجتماعية أكبر من المؤسسات التجارية صارت أعلى صوتاً وأفضل تنظيماً وأكثر شعبية، فلا يمكن تجاهلها. فكان تنازل شركات الأدوية هو الواقعة الأهم. إذ إنها ترقى إلى اعتراف منها بأن معركتها القضائية في جنوب أفريقيا كانت كارثة على علاقاتها العامة»<sup>(85)</sup>. وقد نجحت حملات مماثلة من التشهير في تغيير أنماط الاستثمار والاستخدام في شركات مثل مائل ونايكي في صناعات الدمى والأحذية. بل إن بعض الشركات عابرة القومية مثل شل قد خصّصت عدداً كبيراً من الموظفين للتعامل مع المنظّمات غير الحكومية. وعلى سبيل المثال فإن جان - فرانسوا ريتشارد، من البنك الدولي، يدعو إلى إقامة «شبكات للقضايا العالمية» تصدر جداول بمعدلات تقيس مدى حسن الأداء لدى البلدان والشركات في الامتثال للمعايير في مجال البيئة وغيرها من القضايا المؤثرة على رفاه كوكب الأرض. فمن شأن هذه العملية أن تكون سريعة وغير بيروقراطية، وستكون عقوباتها فرض الضرر على السمعة من خلال التشهير<sup>(86)</sup>.

وقد تكون النتائج منسجمة مع الأفضليات الحكومية أو غير منسجمة.

(84) إدوارد ألدن، «الأصناف التجارية تشعر بالأثر بينما النشاط يستهدفون الزبائن»، الفايئاتشال تايمز (لندن) عدد 18 تموز/ يوليو، 2001، ص7.

(85) «الأسماء الحيدة»، الفايئاتشال تايمز (لندن)، 23 نيسان/ إبريل 2001، ص24.

(86) دافيد إغناطيوس، «حاول اتباع نهج الشبكة في حل المشاكل العالمية»، الإنترفاشنال هيرالد تريبيون، 29 كانون الثاني/ يناير 2000، ص8.

وعلى سبيل المثال، فإذا استجابت الشركات عابرة القومية لحملة شنتها منظمات غير حكومية لرفع سن تشغيل الأطفال في معاملها، فإنها قد تنقض قرار حكومة منتخبة في بلد ذي سيادة كالهند، على نحو أكثر فاعلية من أي تصويت رسمي دولي يتم في منظمة التجارة العالمية. ولقد كان تطوّر مثل هذه الشبكات المدنية والتجارية غير منسّق إلى حد كبير. ولا يزال من غير الواضح كيف يمكن أن تنسجم معاً في أي شكل تمثيلي من حسن الإدارة العالمية. فلا تستطيع أي منها أن تدعي أنها تمثل المواطنين بأكملهم ككل<sup>(87)</sup>. فشبكات العناصر الفاعلة الخاصة والعابرة للقومية تسهم في حسن إدارة مجتمع مدني أولي، ولو أنه غير كامل، على الصعيد العالمي. وبما أن هذه الشبكات تتعامل مع منظورات جزئية للتجارة ودعاة المؤسسات غير الهادفة للربح، فقد اقترح بعض المراقبين إضافة مُدخل الحكومات أو أجزاء الحكومات لتمثيل مصالح عامة أوسع. فشبكات السياسة العالمية موجودة حول مواضيع مثل الفساد (تقودها منظمة الشفافية الدولية)، وإقامة السدود الكبيرة (تقودها اللجنة العالمية للسدود)، وتخفيف وطأة الديون عن الدول الفقيرة (تقودها منظمة اليوبيل 2000) واستئصال مرض شلل الأطفال (تقودها منظمة الصحة العالمية)، ومواضيع أخرى كثيرة<sup>(88)</sup>.

فكيف ينبغي أن نستجيب لهذه التغيرات؟ إن نظريتنا الديمقراطية لم تلحق بالممارسة العالمية<sup>(89)</sup>. فالأزمات المالية، وتغيّر المناخ، والهجرة، والإرهاب، وتهريب المخدرات تتجاهل الحدود ولكنها تترك أثراً عميقاً في حياة المواطنين الأمريكيين. ويعتقد عالم الاجتماع البريطاني أنطوني جيندز أنه نظراً لأن هذه الأشياء تفلت من سيطرة العمليات الديمقراطية السيادية فإنها من الأسباب

(87) ريتشارد فولك، وأندرو شتراوس، «نحو برلمان عالمي»، فورين آفيرز، كانون الثاني/يناير - شباط/فبراير 2001، ص 216.

(88) صفحة موقع المشروع العالمي للسياسة العامة (<http://www.globalpublicpolicy.net>).

(89) دنيس طومسون، «النظرية الديمقراطية والمجتمع العالمي»، جورنال أوف بوليتيكال فيلوسوفي، عدد حزيران/يونيو 1999.

الرئيسية لتضاؤل جاذبية الديمقراطية في الأماكن التي تتمتع فيها الديمقراطية بأفضل رسوخ<sup>(90)</sup>. وعند البعض، مثل جون بولتون، معاون وزير الخارجية، أن الحل يكمن في تقوية الديمقراطية الأمريكية بسحب المؤسسات المتطفلة ورفض أية قيود على السيادة<sup>(91)</sup>. ولكن حتى دعاة التصرفات المنفردة والسيادة سيجدون أن المؤسسات الدولية ضرورية لأن كثيراً من القضايا التي تثيرها العولمة هي بطبيعتها متعددة الأطراف.

ويلقي المحتجون على العولمة ظلالاً من الشك على شرعية المؤسسات والشبكات العالمية على أساس أنها غير ديمقراطية<sup>(92)</sup>. وعلى سبيل المثال فإن لوري والاتش، أحد منظمي الائتلاف الذي عطل اجتماعات منظمة التجارة العالمية في سياتل، عزا نصف نجاح ذلك الائتلاف إلى «فكرة كون العجز الديمقراطي في الاقتصاد العاسمي غير ضروري ولا مقبول»<sup>(93)</sup>. ويمكن أن تركز الشرعية المؤسسية أيضاً على التقليد والفعالية المؤثرة، ولكن في عالم اليوم، فإن الاتساق مع الإجراءات الديمقراطية صار مهماً على نحو متزايد.

والواقع أن هذه المؤسسات العالمية ضعيفة تماماً. وحتى منظمة التجارة

(90) غيديتز، العالم الهارب، ص 97.

(91) جون بولتون، كما تنقل عنه آن - ماري سلوتر، «بناء الديمقراطية العالمية»، شيكاغو جورنال أوف إنترناشنال لُو، خريف سنة 2000، ص 25.

(92) إن روبرت داهل، المنظر الديمقراطي البارز، يجادل أيضاً بأن المنظمات الدولية قد تكون لازمة للمساومات بين البلدان، ولكن من غير المحتمل أن تكون ديمقراطية. روبرت داهل «أستطيع المنظمات الدولية أن تكون ديمقراطية؟ رأي متشكك»، في كتاب من تحرير شاييرو وكاسيانو هاجر - كوردن، حواف الديمقراطية (كمبريدج، مطبعة جامعة كامبريدج، 1999)، ص 32.

(93) مقابلة السياسة الخارجية: حرب لوري، ص 37، 47. وانظر كذلك ريتشارد لونوورث، «حكومة بلا ديمقراطية»، مجلة ذي أميركان بروسبيكت الفصلية، صيف 2001، ص 19 - 22.

العالمية المطعون فيها كثيراً ضعيفة بميزانيتها الصغيرة وموظفيها القلائل، فهي ليست مصنوعة من مادة تصلح لإقامة حكومة عالمية. وعلاوة على ذلك، وعلى عكس المنظمات غير الحكومية، التي هي غير منتخبة (والتي تزيد ميزانية بعضها على ميزانية منظمة التجارة العالمية) فإن المؤسسات الدولية تميل إلى التجاوب الشديد مع الحكومات الوطنية، التي هي المصدر الحقيقي للشرعية الديمقراطية. ويقول مدافعون آخرون إن مسألة الديمقراطية غير ذات صلة، ما دامت المؤسسات الدولية مجرد أدوات لتسهيل التعاون في ما بين الدول. فهي تستمد شرعيتها من الحكومات الديمقراطية التي أوجدتها، ومن فاعليتها وتأثيرها.

وباستثناء أكثر المنظمات تكنولوجية، والتي تقع تحت مستوى الرادار السياسي، فإن مثل هذه الدفاعات المبنية على ضعف المنظمات الدولية قد لا تكون كافية لحمايتها من الهجمات على شرعيتها. وفي عالم صار فيه معيار الديمقراطية هو محكّ الشرعية فإن المحتجين سوف يتهمونها بأنها تعاني من عجز في الديمقراطية. ورغم أن المنظمات ضعيفة، فإن أحكامها ومصادرها يمكن أن تكون لها تأثيرات قوية. وعلاوة على ذلك فإن المحتجين يركزون على ثلاث نقاط مثيرة للاهتمام. أولاً: ليست جميع الدول الأعضاء في هذه المنظمات ديمقراطية، وثانياً إن ظروف التفويض الطويلة من الحكومات المتعددة ونقص الشفافية كثيراً ما يضعفان المساءلة. وثالثاً: رغم أن المنظمات قد تكون وكيلة عن الدول، فإنها كثيراً ما تمثل أقساماً من الدول فقط. وعلى سبيل المثال فإن وزراء التجارة يحضرون اجتماعات منظمة الصحة العالمية، ووزراء المالية يشاركون في اجتماعات صندوق النقد الدولي، وحكام المصارف المركزية يجتمعون في مصرف التسويات الدولي في بال بسويسرا. وعند الأجانب الفعّالين، حتى في الحكومة نفسها، تبدو هذه المؤسسات مثل نواذٍ مغلقة حريصة على السرية. وتتطلب تطوير شرعية حسن الحكم الدولي ثلاثة

أشياء هي: (1) وضوح أكثر بشأن الديمقراطية، (2) فهم أغنى للمساءلة و(3) استعداد للتجربة.

فالديمقراطية هي حكومة بواسطة موظفين خاضعين للمساءلة، وقابلين للإزاحة من مناصبهم على يد أغلبية الشعب في دولة لها سيادة في القضاء والتشريع (ولو مع شروط لحماية الأفراد والأقليات). ولكن مَنْ هم «نحن الشعب» في عالم صارت فيه الهوية السياسية على الصعيد العالمي شديدة الضعف؟ إن مبدأ الدولة الواحدة والصوت الواحد يحترم السيادة، ولكنه ليس ديمقراطياً. إذ بموجب هذه الصيغة فإن مواطناً من ناؤورو، التي هي عضو في الأمم المتحدة، ستكون له قوة تصويت تعادل عشرة آلاف قوة تصويت مواطن من الصين [ناؤورو جزيرة صغيرة في وسط المحيط الهادي، جنوب خط الاستواء تماماً، كانت تُعرف سابقاً باسم جزيرة المسرات، وهي خَلْقِيَّة مرجانية... اكتشفها الإنكليز سنة 1798 وضمها الألمان سنة 1888، وأدارتها أستراليا من سنة 1919 حتى استقلالها سنة 1968. عاصمتها يارين، وعدد سكانها ثمانية آلاف: المعزب]. ومن جهة أخرى فإن معاملة العالم كأنه منطقة عالمية واحدة يوحي ضمناً بوجود مجتمع سياسي يكون فيه المواطنون من نحو مئتي دولة مستعدين لأن تتغلب عليهم باستمرار أصوات مليار صيني ومليار هندي (ومن المفارقات الساخرة أن مثل هذا العالم سيكون كابوساً لكثير من المنظمات غير الحكومية المحتجة التي تسعى إلى النهوض بمستوى البيئة والعمل الدوليين، والديمقراطية كذلك).

والأقليات تدعن لإرادة الأكثرية عندما تدرك أنها مشاركة في مجتمع أكبر. وليس هناك دليل على وجود إحساس قوي بالجماعة على المستوى العالمي، أو أن مثل هذا الإحساس يمكن إيجاده قريباً<sup>(94)</sup>. وفي غياب شعور

(94) بيّ نورييس، «حسن الإدارة العالمية والمواطنون العالميون»، في كتاب من تحرير ناي ودوناھيو، حسن الإدارة في عالم آخذ بالتعولم.

بالجماعة أقوى بكثير مما هو موجود الآن، فإن مَدَّ إجراءات لتصويت المحلية إلى الصعيد العالمي ليس عملياً ولا مُنصفاً. إن برلماناً أوروبياً أقوى قد يخفض الإحساس «بالعجز الديمقراطي» مع تطور دول الاتحاد الأوروبي الديمقراطية المتجانسة نسبياً. ولكن من المشكوك فيه أن يكون هناك معنى للقياس التمثيلي أو لاصطلاح (البرلمان) في ظل ظروف التنوع السائدة على النطاق العالمي. إن إضافة الجمعيات التشريعية إلى المؤسسات العالمية، إلا في دور يقتصر على تقديم النصيحة والمشورة فحسب، قد تنتج جهازاً غير ديمقراطي من شأنه أن يتدخل في صلاحية الإخضاع للمساءلة التي تربط الآن بين المؤسسات وبين الديمقراطية. والمنادون ببرلمان عالمي هم على صواب في قولهم إن مجموعات المصالح غير المنتخبة لا تستطيع «التحدث باسم المواطنين ككل»، ولكنهم على خطأ في اعتقادهم أن الجواب الجاذ الوحيد هو «نوع من الأجهزة أو الهيئات العالمية المنتخبة شعبياً» - على الأقل ليس قبل أن يطور العالم إحساساً واسع الانتشار «بالمواطنة ككل»<sup>(95)</sup>. لقد كانت قصيدة ألفريد لورد تينيسون «برلمان الإنسان» شعراً فيكتورياً عظيماً، ولكنها لم تصلح بغد كتحليل سياسي جيد، حتى في عصر معلومات عالمي.

وينبغي علينا أن لا نفترض أن العولمة في شكلها الحالي سوف تستمر حتماً كما كانت. فردود الأفعال السياسية المضادة للعولمة وأجهزتها البدائية لحسن الإدارة هي أمر شائع ومعتاد الآن. فالهموم المعنية بعدم الاستقرار، وعدم المساواة والهوية الثقافية لها ما يبررها، ولو كان طرحها مبالغاً فيه. إن صعوبة تحقيق المساواة الديمقراطية في عالم معولم تجعل السياسات التي تتبنى العولمة مكشوفة وعرضة للهجوم. وليس من المحتمل أن تكون النتائج هي نفسها التي شوهدت بين بداية الحرب العالمية الأولى وانتهاء الحرب العالمية الثانية. ولكن لا يمكن استبعاد احتمال وقوع الاقتصاد العالمي في نكسة من

(95) فولك وشتراوس، «بحو برلمان عالمي»، ص 212 - 213.



النزعة الحمائية إذا كانت هناك حالة شديدة من عدم الاستقرار أو هبوط اقتصادي طويل الأمد. ومن المفارقات أنه إذا أدى رد الفعل السياسي السلبي الحالي إلى موجة من السياسات الحمائية الأحادية الجانب، فإن ذلك قد يبطئ الاندماج الاقتصادي للعالم أو يعكس اتجاهه، حتى مع استمرار الاحترار العالمي، والإرهاب العابر للقومية، وانتشار مرض الإيدز باطراد. وستكون هناك مفارقة من سخریات القدر إذا أدت الاحتجاجات الحالية إلى الحد من الجوانب الإيجابية للعولمة وأبقت على أبعادها السلبية.

وفي المحصلة، بعد أخذ كل شيء في الحسبان، فإن الأمريكيين قد استفادوا من العولمة. ويقدر ما نرغب أن نستمر في هذه الاستفادة يتعين علينا أن نتعامل مع جوانبها المثيرة للسخط والقلق. وهذا لا يمكن تحقيقه باللجوء إلى شعارات السيادة، والسياسات الأحادية الجانب، أو الانسحاب إلى الداخل كما يقترح المنادون بالتفرد الأحادي والسيادة: «إذا لم نستطع أن نفعل ذلك بطريقتنا الخاصة، فلن نقوم به. ولكننا نحن الشعب، الشعب الأمريكي، سنكون على الأقل أسبداً على سفينتنا». وهذه وصفة تخطئ التشخيص فتحسب أن المثل المجردة للسيادة هي حقائق القوة<sup>(96)</sup>. وتكون النتيجة تقويض قوتنا الناعمة الطرية، وقدرة أمريكا على التأثير في استجابات الآخرين للعولمة. وبدلاً من ذلك، ينبغي على الولايات المتحدة أن تستخدم تفوقها الحالي في المساعدة على تشكيل المؤسسات التي ستفيد الأمريكيين وباقي العالم على حد سواء بينما تتطور العولمة. وسيتعين على الأمريكيين أن يحلّوا المؤسسات المتعددة الأطراف وحسن إدارتها إلى مفهوم أوسع لمصالحنا الوطنية، كما سترى في الفصل الخامس.

(96) سلوتر، «بناء الديمقراطية العالمية»، ص 225.

# 4

## الجبهة الداخلية

ما مدى جودة استجابة الأمريكيين لتحديات عصر المعلومات العالمي هذا؟ قد تفقد أمة ما قوتها من خلال تجاوز الأمم الصاعدة لها. ولكن هذا - كما رأينا في الفصل الأول - ليس هو التحدي الأرجح احتمالاً. فالبرابرة لم يدحروا روما؛ بل لقد تعقّنت هي من الداخل. إذ فَقَدَ الناسُ الثقةَ بثقافتهم وبمؤسّساتهم، وراحت فئات النخبة تتصارع للسيطرة على السلطة، وتزايد الفساد، وعَجَزَ الاقتصاد عن النمو بطريقة كافية<sup>(1)</sup>. واليوم لا يستطيع البرابرة الإرهابيون أن يدمّروا القوّة الأمريكيّة إلّا إذا تعقّنا من الداخل. فهل هناك علامات مماثلة على التفسّخ في الولايات المتحدة اليوم؟ وهل يمكن أن تفقد هذه الأمة قدرتها على التأثير إيجابياً في أحداث العالم بسبب معارك داخلية حول الثقافة، وانهيار المؤسّسات، والركود الاقتصادي؟ فإذا بدا مجتمعنا آخذاً بالانهيار مع مؤسّساته، فسوف نصبح أقلّ جاذبية للآخرين. وإذا فشل اقتصادنا، فسوف نخسر أساس قوتنا الصلبة، وقوتنا الناعمة الطرية كذلك. وحتى إذا

---

(1) كان هناك بالطبع أسباب كثيرة أخرى لهذه الظاهرة المعقّدة. انظر رمزي ماكمولين الفساد واضمحلال روما (نيوهافن: مطبعة جامعة ييل، 1988).

استمرت الولايات المتحدة تحمل الأوراق الراححة في القوة العسكرية، والاقتصادية، والناعمة الطرية، فهل يمكن أن نفقد قدرتنا على تحويل تلك الموارد إلى تأثير فعال؟ فبعد كل شيء، قد يخسر للاعبون رغم حصولهم على أوراق عالية.

إن تحويل القوة - أي ترجمة مواردها إلى تأثير فعال - كان معضلة طويلة الأمد للولايات المتحدة. فقد كانت الولايات المتحدة أقوى بلد في العالم في العقود التي أعقبت الحرب العالمية الأولى. ولكننا، بسبب انشغالنا بأمورنا الداخلية في عشرينيات القرن العشرين، وفشلنا الاقتصادي في ثلاثينياته، عجزنا عن تنظيم مواردها على نحو فعال على المسرح الدولي، ولذلك دفعنا الثمن في الحرب العالمية الثانية. إن صناعة السياسة الخارجية الأمريكية عملية موحلة لأسباب عميقة الجذور في ثقافتنا ومؤسساتنا. فالدستور قائم على وجهة النظر الليبرالية التي سادت في القرن الثامن عشر، ومفادها أن أفضل طريقة للسيطرة على السلطة هي تجزئته واستخدام الضوابط والتوازنات المكافئة. ففي السياسة الخارجية، كان الدستور دائماً يدعو الرئيس والكونغرس إلى التصارع على السيطرة<sup>(2)</sup>. ويصبح هذا الصراع معقداً عندما تكون الرئاسة والكونغرس تحت سيطرة حزبين سياسيين مختلفين. كما تتصارع مجموعات ضغط اقتصادية وعرقية قوية على تعاريف للمصلحة الوطنية تضمنها كل مجموعة مصالحها الذاتية. ومما يزيد الأمور تعقيداً وجود ثقافة سياسية عن الخصوصية الاستثنائية الأمريكية بجعل سياستنا الخارجية متمسكة بالأخلاق على نحو فريد<sup>(3)</sup>. وقد

(2) العبارة مستقاة من المعالجة الكلاسيكية في كتاب سيسيل ف. كراب الأصغر ويات م. هولت، دعوة إلى الصراع: الكونغرس والرئيس والسياسة الخارجية (واشنطن، مقاطعه كولومبيا: مطبعة الكونغرس الفصلية، 1980).

(3) دكستر بيركينز، «ما هو الشيء الأمريكي المتميز في السياسة الخارجية للولايات المتحدة؟»، في كتاب من تحرير غليندون فان دوزين وريتشارد ويد بعنوان: السياسة الخارجية والروح الأمريكية (إيتاكا: مطبعة جامعة كوريل، 1957)، ص 3 - 15.

أدى ذلك إلى جعل بعض الواقعيين، مثل وزير الدفاع الأسبق جيمس شليسينغر، يعبرون عن اليأس لأن السياسة الخارجية الأمريكية «ينقصها الثبات المرتبط عادة بالقوى العظمى»<sup>(4)</sup>.

والآن، في الوقت الذي يحتاج فيه الأمريكيون إلى التكيف مع عالم أكثر تعقيداً، وتداخل فيه السياسات الخارجية مع السياسات المحلية أكثر من أي وقت مضى، يعتقد بعض المراقبين أن هذه الحالات التقليدية من عدم الكفاءة، والعجز عن تحويل القوة آخذة في التفاقم من خلال الصراع الثقافي، والانحياز المؤسسي، والمشاكل الاقتصادية. وقد تولدت من كل قضية أدبيات واسعة. واهتمامي هنا ليس في حسم مثل هذه المجادلات، ولكن تفحص عينات من محتوياتها للاستدلال عما إذا كانت تقدم أدلة تشير إلى مصير روماني للولايات المتحدة. وسوف أبرهن على أن مثل هذه الأدلة شحيحة في مطلع القرن الجديد.

### التفشيخ الأخلاقي والانقسام الثقافي

رأى بعضهم دليلاً على انقسام عميق في معركة الانتخابات الرئاسية سنة 2000، التي كانت فيها الأصوات شديدة التقارب، حيث أظهرت الخريطة الانتخابية أن «القلب الداخلي، الذي هو موطن الناس «المتحمسين بواجبهم» كان مؤيداً لبوش، وأن «السواحل التي لا ولاء لها، والغرب الأوسط الصناعي» والمدن الكبرى قد صوتت لغور. أما خريطة كل مقاطعة على حدة فتعطي صورة أكثر تعقيداً ولكنها تؤكد وجود انقسام ريفي - مدني وخلاف بين الضواحي الداخلية والخارجية<sup>(5)</sup>. ويذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيصفون

(4) جيمس شليسينغر، أمريكا عند نهاية القرن (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1989)، ص 87.

(5) «أمة واحدة، قابلة للقسم المنصفة، تحت رعاية الله»، الإيكونوميست، 20 كانون الثاني / يناير، 2001، ص 21 - 24.

تفسخاً أخلاقياً في البلد ككل . ويكلمات المؤرخة المحافظة غيرترود هيملفارب، فإن الولايات المتحدة تواجه حالياً «انهيار المبادئ والعادات الأخلاقية، وفقدان الاحترام للسلطات والمؤسسات، وانهيار الأسرة، وغروب اللطف والكرامة، وإفساد الثقافة العليا والخط من شأن الثقافة الشعبية». فالثقافة المضادة في ستينيات القرن العشرين صارت هي المسيطرة، بينما تم نفي الثقافة التقليدية في خمسينياته إلى مرتبة الانشقاق<sup>(6)</sup>. ويرى روبرت بورك أيضاً أن جميع جوانب ثقافتنا تقريباً آخذة في الانهيار، وقارن الأب ريتشارد نيوهاوس أمريكا بألمانيا النازية<sup>(7)</sup>.

فإذا كانت هذه الانقسامات عميقة كما صوّرت فإنها يمكن أن تنتقص من قوتنا الصلبة بتثبيط قدرتنا على النصر بشكل جماعي، وتقلص من قوتنا الناعمة الطرية بتقليل جاذبية مجتمعنا وثقافتنا. ولكن هذا ليس صحيحاً في أي من هاتين الحالتين.

فإذا كانت أمريكا الطبقة الوسطى منقسمة كما توحى به هذه الروايات، كما يقول عالم الاجتماع آلان وولف، فإن «مستقبلنا كأمة سوف يتميز بصراعات تنتهي بين وجهات نظر عالمية لا يمكن التوفيق بينها، مما يثير احتمالاً بأن الاستقرار الديمقراطي الذي أبقي بلدنا متماسكاً منذ الحرب الأهلية لن يعود قابلاً للتحقيق». ولكنه يجادل بأن الأمريكيين العاديين ليسوا منغمسين في حروب ثقافية كما يعتقد المفكرون والمثقفون، فالرسالة التي درسها عن أمريكيي الطبقة الوسطى إلى القلقين من احتمال تفكك أمريكا هي رسالة مهدئة.

(6) غيرترود هيملفارب، أمة واحدة، وثقافتان (نيويورك: نوبف، 1999)، ص 20.

(7) روبرت هـ. بورك، المسيرة المترهلة إلى عامورة: الليبرالية الحديثة والاضمحلال الأمريكي (نيويورك: ريغان بوكس، 1996 نجارة)؛ ريتشارد نيوهاوس، «نهاية الديمقراطية» الاغتصاب القضائي للسياسة، مجلة فيرمست ثينغز، تشرين الثاني/نوفمبر 1996، ص 18.

فالوطنية الناضجة والتسامح قد حلا محل الانقسامات المريرة التي رافقت الحرب الفيتنامية في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، وميزا - مع بعض الاستثناءات - رد الفعل الأمريكي على أحداث أيلول/ سبتمبر سنة 2001<sup>(8)</sup>.

صحيح أن بعض المؤشرات الثقافية كالجريمة، ومعدلات إطلاق، وحمل المراهقات سفاحاً، هي أسوأ اليوم مما كانت عليه في الخمسينيات، ولكن المقاييس الثلاثة كلها قد تحسنت كثيراً في تسعينيات القرن العشرين. وحتى قبل أيلول/ سبتمبر سنة 2001، كانت الأمة قد أحرزت تقدماً ملموساً نحو أكثر من ثلثي سبعين أو أكثر من الأهداف المحلية الهامة المتصلة بالازدهار، ونوعية الحياة، والفرص، والأمن الشخصي، والقيم. وعلى عكس الآراء التي كثيراً ما يعبر عنها المتشائمون ثقافياً، فإنه «ليس هناك دليل يُعتمدُ عليه بأن الطلبة الأمريكيين يتعلمون أقل من غيرهم في المدارس، أو أن الحلم الأمريكي أخذ بالتلاشي، أو أن البيئة أكثر تلوثاً»<sup>(9)</sup>. وقد تناقصت جرائم القتل وتعاطي المخدرات في العقد الأخير، بينما تحسنت الصحة، والبيئة، والسلامة<sup>(10)</sup>. ومعظم الأطفال ما زالوا يعيشون مع الوالدين الطبيعيين كليهما، وقد استقر معدل حالات الطلاق. كما ازدادت العضوية الأمريكية في المنظمات الدينية من 41 بالمئة إلى 70 بالمئة على مدى القرن العشرين، رغم أن الحضور في الكنائس ظلّ مستقراً عند معدل 43 بالمئة في سنة 1939 و40 بالمئة في سنة

(8) آلان وولف، أمة واحدة، بعد كل شيء: ما الذي يفكر فيه الأمريكيون فعلاً عن الوطن، والأسرة، والنزعة العنصرية، والرفاهية، والهجرة، والشذوذ الجنسي، والعمل، واليمين، واليسار، وعن بعضهم البعض (نيويورك: فايكنغ، 1998)، ص 15، 176، 165.

(9) ديريك بوك، حالة الأمة (كمبريدج، ماساشوسيتس، مطبعة جامعة هارفارد، 1996)، ص 359.

(10) غريغ إيستر بروك، «أمريكا التي على ما يرام»، ذي نيوريپابليك، عدد 4 كانون الثاني/يناير، 1999، ص 19 - 25.

1999<sup>(11)</sup>. ورغم أن الولايات المتحدة لديها مشاكل اجتماعية - كما كان عليه حالها دائماً - فإنها لا تبدو مسرعة إلى اقتحام الجحيم في سلة يدوية.

فكيف يستطيع المرء إذن أن يفسر التشاؤم الذي كان موجوداً قبل أيلول/سبتمبر سنة 2001<sup>(12)</sup>؟ إنه يعكس، جزئياً، ميل أجهزة الإعلام إلى تأكيد القصص المنسجمة مع موضوع الأخبار السيئة. «إذا كان معظم الأمريكيين يعتقدون أن العالم الحقيقي يشبه العالم الذي يشاهدونه على شاشات التلفزيون، فإن من السهل أن يرى المرء لماذا يعتقدون أن بلدهم يعاني متاعب عميقة»<sup>(13)</sup>. ذلك أن رد الفعل على اتجاهات على الصعيد الوطني هو ظاهرة تنطوي على وساطة، إذ أن الناس ذوي التجربة المباشرة قليلون جداً. وبقدر ما يفعلون، فإن غالبيتهم يخبرون مستطليعي الآراء أن حياتهم الخاصة، ومجتمعاتهم ومدارسهم، وممثلهم في الكونغرس بخير، رغم أنهم قلقون حول الصعيد الوطني. فإذا كان كل شخص «يعرف» من أجهزة الإعلام أن الأشياء موحلة على الصعيد الوطني، وليس لديك تجربة مباشرة على الصعيد الوطني، بل تجربة شخصية جيدة، فإنك تخبر مستطليع الرأي بما هو معروف تقليدياً بشكل عام عن الحالة الوطنية. فتكون النتيجة فجوة في التفاؤل، وليس دليلاً مقنعاً على التدهور.

ومن جانب آخر، فإن التشاؤم الثقافي هو ببساطة شيء أمريكي جداً، يمتد تاريخياً إلى جذورنا التطهيرية المتزمتة. فقد لاحظ تشارلس ديكنز قبل قرن ونصف أنه «إذا صدقنا المواطنين الأمريكيين عن آخرهم فرادى، فإن أميرك مكتئبة دائماً، وراكدة دائماً، وعرضة لأزمة مفزعة دائماً، ولم تكن غير ذلك من

(11) ثيودور كبلو، ولويس هيكس، وبن واتنبرغ، أول قرن تم قياسه: دليل مصور للاتجاهات في أمريكا، 1900 - 2000 (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مطبعة AEI، 2001)، ص 106.

(12) دافيد ويتمان، فجوة التفاؤل: الأنا على ما برام - ليست تنازراً، وأسطورة الاضمحلال الأمريكي، (نيويورك: ووك، 1998).

(13) كريستوفر جينكس، كلمة تمهيدية لكتاب ويتمان: فجوة التفاؤل، ص ix.

قَبْلُ أبدأ»<sup>(14)</sup>. وتوضح استطلاعات الرأي أنه كانت هناك فجوة تفاؤل في خمسينيات القرن العشرين. وقد تلعب الأجيال المتغيرة أيضاً دوراً في مُدْرَكَاتنا. فالجيل الذي عاش خلال أزمة الكساد الكبير والحرب العالمية الثانية كان لديه شعور أكثر تواضعاً بما يحق له من الجيل الحالي، كما كانت توقعاته أقل، وكذلك خيبة أمله<sup>(15)</sup>. ومن الممكن المجادلة بأن المعارك الثقافية التاريخية حول الهجرة، والرق، ونظرية الشؤء والارتقاء، ومنع الخمر، والمكاثريّة، والحقوق المدنية كانت أكثر جدّيّة من أية واحدة من القضايا المثيرة للخصومة اليوم. وتبين استطلاعات الرأي أن النّاس كثيراً ما يضيفون على الماضي وهجاً ذهبياً لم يشعروا به في حينه. ومن السهل دائماً إظهار التفسخ بمقارنة ما هو جيد في الماضي بما هو سيئ في الحاضر، (أو التقدم بعمل العكس).

أما من أجل أغراضنا، فإن المهمة ليست التحكيم في المعارك الفكرية حول التغير الثقافي، بل السؤال عن كيفية تأثير مثل هذه الأحكام الثقافية في قوّة أمريكا الوطنية، وقدرتنا على تنفيذ سياسة خارجية فعّالة. إن هناك علاقتين ممكنتان، فأولاً: إذا كان انتباه الأمريكيين مشتبّاً وهم منقسمون بمعارك داخلية حول قضايا ثقافية إلى درجة أفقدتنا القوّة على العمل الجماعي في السياسة الخارجية، فإننا سننتقص من قوّتنا الصلبة. ولقد كان هذا هو الحال في أوّل سبعينيات القرن العشرين، في أعقاب انقسامنا العميق حول فيتنام. ولكن ذلك غير معقول في أوضاع يومنا الراهن. وكما تستتج هيملفارب نفسها، فإنه «يكن للأمريكيين أن يفخروا بأنهم بقوا بعد الثورة الثقافية وحرب الثقافة بدون عقابيل من الاضطهاد أو نوبات من سفك الدماء، وبدون صراع اجتماعي حقاً. فرغم

(14) تشارس ديكنز، مارتن تشازلويث (1844)، ينقل عنه ويتمان في كتابه فجوة التفاؤل، ص85.

(15) روبرت صانويوليسون، الحياة الطيبة ومساخطها (نيويورك: تايمز بوكس، 1995).



جميع خلافاتهم، تبقى «الثقافتان» راسختين بشدة ضمن «أمة واحدة»<sup>(16)</sup>. وقد رأينا ذلك معروضاً بوضوح وفي ربيع بعد 11 أيلول/ سبتمبر سنة 2001.

ثم هناك العلاقة بين الانقسامات الثقافية وقوتنا الطرية الناعمة. إن هبوطاً في نوعية الحياة الثقافية الأمريكية يمكن أن يخفّض قوتنا الناعمة الطرية إذا جعلت مرارة حالات اقتتالنا العائلي الآخرين يشمئزون منا، أو إذا أدت مبالغتنا في وصف عيوبنا على نحو مسرحي مثير إلى جعل الآخرين يقلّلون من احترامهم لمثلنا الوطني الجدير بالاعتداء. إن من المؤكد أنّ هناك أخطاء ينبغي الإبلاغ عنها. فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة قد أحرزت تقدماً في كثير من المجالات الهامة على مدى السنوات الأربعين الماضية، فإننا متخلفون وراء كندا، وفرنسا، وألمانيا وبريطانيا، واليابان في قضايا وفيات الأطفال، وطول حياة الإنسان المتوقعة، ومعاناة الأطفال من الفقر، وشمون الناس بالتأمين الصحي، ومدى انتشار جرائم القتل، والولادات خارج فراش الزوجية. «ففي الغالب الأعم نجد أن المجالات التي نقود فيها العالم الصناعي هي مجالات كنا نفضل كثيراً أن لا نتفوق فيها أو نتميّز، كمعدلات جرائم القتل والسجن، والنسبة المئوية للفقر في صفوف السكان، أو تكاليف الرعاية الصحية للشخص الواحد»<sup>(17)</sup>. ورغم أن أداءنا أفضل مما كان عليه في الماضي، فإنه ليس بالجودة التي نستطيعها ولا يعادل جودة أداء بعض الآخرين. ومثل هذه المقارنات يمكن أن تكون باهظة الكلفة على قوة أمريكا الناعمة الطرية. ولكن كلفتها تتضاعف إذا بالغ فيها وضخمها ساسةً ومثقفون أمريكيون يسعون إلى تسجيل نقاط في معارك محلية.

وفي الوقت نفسه، فإن الولايات المتحدة ليست وحدها في كثير من

(16) هيملفارب، أمة واحدة، وثقافتان، ص 141.

(17) بوك، حالة الأمة، ص 7، 388، 395. وانظر أيضاً «ما أكثر القوالب المتكررة في الاتحاد الأوروبي»، الإيكونوميست، عدد 23 تشرين الأول/ أكتوبر 1999، ص 23.

التغيرات الثقافية التي تسبب النزاع. وعندما يكون هناك مَنْ يشاطرنا المعاناة من مثل هذه المشاكل، تصبح المقارنات أقل إثارة للسخط علينا وأقل إضراراً بقوتنا الناعمة الطرية. فهناك تقرير لمجلس السكّان يستنتج أن «اتجاهات مثل الأمومة خارج نطاق الزوجية، ومعدلات الطلاق المتزايدة، وصغر حجم العائلات، وتآنيث الفقر ليست قاصرة على أمريكا بصورة فريدة، بل هي تحدث في العالم بأسره»<sup>(18)</sup>. كما أن حالات احترام السلطة وبعض مستويات السلوك قد نقصت وتدهورت منذ سنة 1960 في العالم الغربي كله. ولكن ليس هناك دليل على أن مستويات مسؤوليتنا الشخصية هي أقل اليوم بكثير منها لدى المجتمعات الغربية المتقدمة الأخرى. بل إن مستويات عطائنا الإحسانيّ الخيري وخدمة المجتمع أعلى على وجه العموم<sup>(19)</sup>. وكما تعترف المؤرخة هيملفارب، فإنه «من هذا المنظور الدولي، تظهر «الحالة» الأمريكية بوضوح، لا كشذوذ لم يسبق له مثيل، بل كظاهرة مألوفة شديدة الشيوع»<sup>(20)</sup>. إن قوتنا الناعمة الطرية تتآكل بفعل قضايا كعقوبة الإعدام وقلة الرقابة على البنادق والأسلحة الشخصية، حيث أن رأينا فيها هو المنحرف بين البلدان المتقدمة، أكثر مما تتآكل بفعل التغيرات الثقافية التي نشترك فيها مع الآخرين. ويقدر ما تشابه التغيرات الاجتماعية في مجتمعات ما بعد الحداثة، تصبح المعارك الثقافية عابرة للقومية بدلاً من اقتصرها على الساحة الوطنية. ويجد الذين يصفقون لهذه التغييرات والذين يستنكرونها حلفاء في بلدان أخرى، وعندئذ تبتهت المقارنات الوطنية المحضة. ومثل هذا الشحوب يحدّ من فقدان القوة الناعمة الطرية التي ترافق الأداء الأمريكي غير الكافي (وليس الآخذ في الهبوط أو الأفول).

(18) توماس ليوين، «انحلال الأسرة عالمي، حسبما تقول إحدى الدراسات»، النيويورك تايمز، عدد 30 أيار/ مايو، 1999، ص5.

(19) بوك، حالة الأمة، ص376.

(20) هيملفارب، أمة واحدة، وثقافتان، ص139.

## الهجرة والقيم الأمريكية

إن المخاوف حول تأثير الهجرة على قيمنا الوطنية وعلى الإحساس المتجانس بالهوية الأمريكية ظلت موحودة منذ السنوات الأولى لنشوتنا كأمة. وقد زادت شدتها بسبب هجمات أيلول/ سبتمبر سنة 2001 الإرهابية. فقد كان بنيامين فرانكلين قلقاً من غباء المهاجرين الألمان الذين لم يكن يعرف الإنكليزية منهم إلا عدد قليل والذين كان وجودهم قد يعني «نشوب اضطرابات كبيرة بيننا»<sup>(21)</sup>. كما أن حزب «عدم معرفة أي شيء» (Know Nothing) قد قام على معارضة قدوم المهاجرين في خمسينيات القرن التاسع عشر، ولا سيما الإيرلنديين والكاثوليك. وتم انتقاء الآسيويين لاستبعادهم اعتباراً من سنة 1882 فصاعداً. ومع صدور قانون تقييد الهجرة في سنة 1924، راح تدفق المهاجرين يتباطأ حتى صار جدولاً هزياً على مدى العقود الأربعة التالية لتلك السنة. وأثناء القرن العشرين، سجلت الأمة أعلى نسبة من المقيمين لديها من مواليد بلدان أجنبية سنة 1910، إذ شكّلوا 14,7 بالمئة من السكّان. أما اليوم، فإن 10,4 بالمئة مولودون في الخارج، ولكن بعض الناس لا يقلقهم وجود ثقافتين، بل تعدد الثقافات أكثر من اللازم<sup>(22)</sup>.

إن عدد الأمريكيين المشتكين من الهجرة يبلغ ضعف عدد المتعاطفين معها. وتظهر مختلف استطلاعات الرأي تعداداً أو أغلبية ممن يريدون أن يتناقص عدد المهاجرين القادمين إلى البلد<sup>(23)</sup>. فهم يخشون من تأثير ذلك على

(21) فرانكلين، منقولاً عنه في كتاب جورج بورجاس، باب السماء: سياسة الهجرة والاقتصاد الأمريكي (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1999)، ص 3.

(22) انظر مثلاً بيتر برايملو، أمة غريبة: بديهيات عن كارثة الهجرة في أمريكا (نيويورك: راندوم هاوس، 1995)، وتشيلتون وليامسون الأصغر، سرُّ الهجرة الغامض: ضمير أمريكا المزيف (نيويورك: بيسك بوكس، 1996).

(23) وولف، أمة واحدة، بعد كل شيء، ص 138؛ كينيث شيف وماثيو سلوتر، العولمة ومدارك العمال الأمريكيين (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: معهد الاقتصاد الدولي، 2001)، ص 35.

الأجور وعلى وطأة الكلفة على دفع الضرائب. وفوق كل شيء فإنهم قلقون من عدم قدرة الثقافة على الاستيعاب وتمثل أعداد كبيرة من المهاجرين الجدد. ومما يزيد في تفاقم مثل هذه المخاوف نشوء التعدد الثقافي، والفلسفة الراضية للصورة المجازية لبوتقة الانصهار والمتفخرة بدلاً من ذلك بالفوارق العرقية<sup>(24)</sup>. وكرد فعل على ذلك راحت الولايات تسنّ قوانين تقيد الفوائد الممنوحة للمهاجرين غير الشرعيين، وتفرض الإنكليزية وتعززها كلغة رسمية وحيدة.

وفي أعقاب قانون الهجرة لسنة 1965، الذي ألغى القيود العنصرية والعرقية، تغيرت أنماط المهاجرين بحيث صارت أغلبية المهاجرين الجدد من البلدان الأقل نمواً<sup>(25)</sup>. فنصف المقيمين اليوم من مواليد البلدان الأجنبية هم من أمريكا اللاتينية؛ وربعهم من آسيا<sup>(26)</sup>. فلا علاقة لهم بالإرهاب. ولقد شهدت هذه الموجة الثانية من الهجرة تدهوراً في الأداء الاقتصادي للمهاجرين الجدد يعود جزئياً إلى الهبوط النسبي لمهارات العمل عندهم. وأنتجت الهجرة فائدة صافية قليلة للبلد ككل، مما يمكن قياسه (وهي فائدة مثلت 0,1 بالمئة من إجمالي الناتج القومي)، ولكنها أيضاً أضرت بالفرص الاقتصادية للعمال الأقل مهارة، وكان لها تأثير مالي قاسٍ على الولايات التي تعرّضت لها، مثل كاليفورنيا<sup>(27)</sup>.

وقد سببت أعداد المهاجرين وأصولهم مخاوف مقلقة حول تأثير الهجرة على الثقافة الأمريكية. وقد أظهرت البيانات من إحصاء سنة 2000 زيادة كبيرة في أعداد السكان الناطقين بالإسبانية من أمريكا اللاتينية أحدثتها إلى حد كبير

(24) آرثر شيسينغر، فصم وحدة أمريكا: تأملات في مجتمع متعدد الثقافات، طبعة منقحة (نيويورك، و. و. نورتن، 1898).

(25) كابلو، وهيكرز وواتنبرغ، أول قرن تم قياسه، ص 14 - 19.

(26) مكتب الإحصاء الأمريكي: «السكان المولودون في بلدان أجنبية في أمريكا»، مجلة كارانت بوبوليشن ريبورت، آذار/ مارس 2000، ص 1.

(27) بورجاس، باب السماء...، ص 8 الحاشية.

موجات من المهاجرين الجدد، بطرق مشروعة وغير مشروعة، بحيث يوشك هؤلاء على الحلول محل السود باعتبارهم أكبر أقلية في الأمة<sup>(28)</sup>. وتصور التنبؤات السكانية في سنة 2050 بلداً لا يشكّل فيه البيض غير الناطقين بالإسبانية سوى أكثرية ضئيلة. فالناطقون بالإسبانية سيكونون 25 بالمئة، والسود 14 بالمئة، والآسيويون 8 بالمئة<sup>(29)</sup>. وعند البعض، ومنهم المؤلف بيتر برايملو (وهو نفسه مهاجر من بريطانيا)، فإن الولايات المتحدة لم يعد بوسعها أن تكون بلد مهجر. «إن ما هو غير عادي في الجدل الدائر الآن حول الهجرة الأمريكية هي أن الأمريكيين يجري حثهم على التخلي عن الروابط العرقية المشتركة بشكل كامل والاعتماد على العقيدة الإيديولوجية للإبقاء على تماسك دولتهم». فقبل قرن من الزمن، جُوبِهُتْ آخرُ موجةٍ من المهاجرين بطلب صارم لهم بأن يتأمروا. ويشعر برايملو بالقلق اليوم بأن مثل هذا الطلب قد أضعفته التعددية الثقافية التي يجري تدريسها في المدارس الأمريكية<sup>(30)</sup>.

ولكن برايملو وآخرين غيره يقلّلون من شأن القوة المستمرة لبوتقة الانصهار. فالاتصالات وقوى السوق لا تزال تُنتج حافزاً قوياً لإتقان اللغة الإنكليزية وقبول درجة من التمثل والذوبان. فحسب رأي مجلس الأبحاث القومي، كان ثلاثة أخماس المهاجرين القادمين في ثمانينيات القرن العشرين يتحدثون الإنكليزية جيداً. ومن بين المقيمين في البلد ثلاثين سنة أو تزيد، لم يكن هناك سوى 3 بالمئة ممن قالوا إنهم لا يتحدثون الإنكليزية جيداً<sup>(31)</sup>. وتشير

(28) إيريك شميدت، «الإحصاء الجديد يظهر أن ذوي الأصول الإسبانية متساوون مع السود في الولايات المتحدة»، النيويورك تايمز، 8 آذار/ مارس، 2001، ص 1.

(29) ستيفن هولمز، «الإحصاء يُظهر تحولاً عرقياً عميقاً في الولايات المتحدة»، النيويورك تايمز، 15 آذار/ مارس، 1996، ص 16.

(30) برايملو، أمة أجنبية، ص 258، 208، 217.

(31) جيمس سميث وباري إدمونستون، كمحررين لكتاب عنواه: الأمريكيون الجدد: تأثيرات الهجرة اقتصادياً، وسكائياً ومالياً (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مطبعة الأكاديمية الوطنية، 1997)، ص 13.

معظم الأدلة إلى أن أحدث المهاجرين يندمجون بسرعة تعادل على الأقل سرعة اندماج سابقيهم. فأجهزة الإعلام الحديثة تساعد المهاجرين الجدد على أن يعرفوا عن بلدهم الجديد سلفاً أكثر مما كان المهاجرون يعرفون قبل قرن من الزمن. وقد أوضح استطلاع للرأي أجرته صحيفة واشنطن بوست بين ألفين وخمسمئة لاتيني أن تسعة أعشارهم يعتقدون أن من المهم أن يتغيروا لكي يندمجوا في محيطهم الجديد. ولكن تسعة من كل عشرة كانوا يعتقدون أيضاً أن من المهم أن يحتفظوا بجزء من ثقافتهم العرقية<sup>(32)</sup>. ويجد آلان وولف أن هذا النوع من الآراء مقبول لدى أمريكيي الطبقة الوسطى الذين قابلهم. فهم شديدو المعارضة لثنائية اللغة في التعميم، ولكنهم يميلون إلى قبول تعددية ثقافية تعكس تنوع المجموعات المنتمية إلى أمريك وتحترم أمريكا في الوقت ذاته<sup>(33)</sup>.

إن الفوائد الاقتصادية من الهجرة على المدى القصير متواضعة. كما أن زيادة معدل الهجرة أكثر من اللازم يمكن أن يؤدي إلى مشاكل اجتماعية. وعلى المدى الطويل عززت الهجرة قوة الولايات المتحدة، وسوف تستمر في تعزيزها. فالسكان من جهة هم أحد مصادر القوة. وسوف تعاني معظم البلدان المتقدمة من نقص السكان مع تقدّم سنوات هذا القرن. ذلك أن نحو ثلاثة وثمانين بلداً ومنطقة لديها في الوقت الراهن معدلات خصب أقل من المستوى الضروري للإبقاء على مستوى مستقر للسكان. وسوف يتعين على اليابان، كي تحافظ على حجم السكان الحالي، أن تقبل 350000 قادم جديد سنوياً على مدى السنوات الخمسين المقبلة، وهذا شيء صعب على ثقافة كانت تاريخياً معادية للهجرة<sup>(34)</sup>.

(32) «الأمريكيون الجدد»، الإيكونوميست، عدد 11 آذار/ مارس، 2000، الاستطلاع، ص 13 - 14.

(33) وولف، أمة واحدة، بعد كل شيء، ص 163.

(34) نيقولاس إير شتات، «الانفجار السكاني الداخلي»، فورين بوليسي، عدد آذار/ مارس - نيسان/ إبريل 2001، ص 43، 49.

ورغم كل ازدواجية أمريكا، فإننا بلد مَهْجَر. والنتيجة أنه في سنة 2050 يحتمل أن تحتفظ الولايات المتحدة بمكانتها في ما يتعلق بالسكان، وستكون البلد المتقدم الوحيد الباقي بين أكبر عشرين بلداً في العالم من حيث السكان<sup>(35)</sup>. فالولايات المتحدة اليوم هي ثالث أكبر بلد. وبعد خمسين سنة من الآن، يحتمل أن تبقى الثالثة أيضاً (بعد الصين والهند فقط). «وحتى لو أن الأعضاء الحاليين في الاتحاد الأوروبي شكلوا دولة واحدة، فإن سكانها المتوقعين سيكونون أقل بكثير من سكان أمريكا في سنة 2050»<sup>(36)</sup>. ولهذا علاقة بالقوة الاقتصادية، بل إننا إذا أخذنا في الحسبان أن جميع البلدان المتقدمة تقريباً آخذة في الهرم والشيخوخة وتواجه عبء رعاية جيلها العجوز، فإن الهجرة تستطيع أن تساعد في تخفيف حدة مشكلة السياسة. وإضافة إلى ذلك، فحتى لو كانت الفوائد الاقتصادية القصيرة الأمد القابلة للقياس على الصعيد الوطني صغيرة نسبياً، فإن بعض الفوائد الاقتصادية قصيرة الأمد للمهاجرين المهرة يمكن أن تكون مهمة لمناطق معينة وعلى سبيل المثال، ففي سنة 1998 كان المهندسون المولدون في الصين والهند يديرون ربع المشاريع التجارية العالية التكنولوجيا في وادي السيليكون، والتي وصلت قيمة مبيعاتها إلى 17,8 مليار دولار<sup>(37)</sup>. فالهجرة، في تأثيراتها على السكان وعلى الاقتصاد، تعزز قوة أمريكا الصلبة.

وهناك أهمية مماثلة لفوائد الهجرة لقوة أمريكا الناعمة الطرية. إن حقيقة

(35) بربارا كروسييت، «ضد اتجاه، السكان الأمريكيون سوف يزدهرون، كما تقول الأمم المتحدة»، النيويورك تايمز، عدد 28 شاط/ فبراير، 2001، القسم 8، ص 6.

(36) بيغولاس إيرشنتات، «آفاق التطور السكاني العالمي: شكل الأشياء المقبلة»، معهد المشاريع الأمريكي، حول الموضوع، نيسان/ إبريل، 2001، ص 2.

(37) «المهاجرون المهرة في وادي السيليكون: تكوين الوظائف والثروة لكاليفورنيا»، عدد ملخص البحوث 21، معهد السياسة العامة في كاليفورنيا، حزيران/ يونيو 1999، ص 2.

كون الناس يريدون أن يأتوا إلى الولايات المتحدة توسع جاذبيتنا. وحركة المهاجرين الصاعدة إلى أعلى جذابة للناس في البلدان الأخرى. فأمريكا مغناطيس، ويستطيع كثير من الناس أن يتصوروا أنفسهم أمريكيين. وكثير من الأمريكيين الناجحين «يبدون مثل» الناس في البلدان الأخرى. وعلاوة على ذلك فإن العلاقات بين المهاجرين وأصدقائهم وأسرهم في وطنهم الأصلي تساعد على نقل معلومات دقيقة وإيجابية عن الولايات المتحدة. يضاف إلى ذلك أن وجود ثقافات متعددة يخلق مجالات اتصال مع بلدان أخرى، ويساعد على تكوين توسيع ضروري للمواقف الأمريكية في فترة عولمة. وبينما أشارت الهجمات الإرهابية في أيلول/ سبتمبر 2001 إلى الحاجة إلى تحسين نظام الهجرة والتجنس عندنا. فإن الأمريكيين سيكونون مخطئين إذا رفضوا الهجرة. ذلك أن الهجرة توسع قوتنا بنوعيتها، الصلبة والطرية الناعمة، بدلاً من أن تضعفها.

### الثقة بمؤسساتنا

في سنة 1964، قال ثلاثة أرباع الجمهور الأمريكي إنهم يثقون بقيام الحكومة الاتحادية بعمل الشيء الصحيح معظم الوقت. أما بعد سنة 1970 فلم يعترف بهذه الثقة إلا نحو ربع الجمهور. وتتعزز مستويات الثقة أحياناً بعد الحوادث العنيفة أو المفاجئة (كما حدث في سنة 2001)، ولكن الاتجاه على المدى الطويل بعد سنة 1970 كان نحو الهبوط<sup>(38)</sup>. ولم تكن الحكومة وحدها. فعلى مدى العقود الثلاثة الماضية، هبطت الثقة بكثير من المؤسسات الكبرى

(38) الواشنطن بوست/ مؤسسة أسرة كايرر/ مشروع استطلاع جامعة هارفارد، 1996؛ استطلاعات هاريس، 1996؛ استطلاع هارت - بيتز لمجلس الامتياز في الحكومة، المنشور في الواشنطن بوست. في عدد 24 آذار/ مارس، 1997. وانظر أيضاً سيمور مارتين ليبسيت ووليام شنايدر، فجوة الثقة (بالنيمور: مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1987).



إلى النصف. فقد هبطت الثقة بالجامعات من 61 بالمئة إلى 30 بالمئة، وبالشركات الكبرى من 55 إلى 21 بالمئة، وبالطب والأدوية من 73 إلى 29 بالمئة، وبالصحافة من 29 إلى 14 بالمئة<sup>(39)</sup>. فهل تتآكل قوتنا الصلبة أو الطرية الناعمة بسبب فقدان الثقة بمؤسساتنا؟

إن أحد التفسيرات الممكنة هو أن الهبوط كان علامة صحة. فقد تأسست الولايات المتحدة جزئياً على عدم الثقة بالحكومة؛ وقد صيغ الدستور عمداً بطريقة تجعله يقاوم القوة أو السلطة المركزة. فقد كان توماس جيفرسون يشعر أنه كلما قلّ تدخل الحكومة كان ذلك أفضل. وهناك تقليد جيفرسوني سائد منذ زمن طويل يقول إننا لا ينبغي أن نقلق أكثر من اللازم حول مستوى الثقة بالحكومة. وإذا كانت استطلاعات الرأي تعكس الحذر، فقد يكون ذلك شيئاً جيداً. وعلاوة على ذلك فإن الجمهور إيجابي جداً عند سؤاله، لا عن عمل الحكومة اليومي، بل عن الإطار الدستوري الكامن في الأساس. فلو سألت الأمريكيين عن أفضل مكان يُعاش فيه، لأجاب 80 بالمئة منهم الولايات المتحدة. ولو سُئلوا عما إذا كانوا يحبون نظام حكومتهم الديمقراطي لأجاب 90 بالمئة منهم نعم. إذ قليلون هم الذين يشعرون أن النظام متعفن ويجب إسقاطه.

ولعل بعض جوانب عدم الثقة دورية، بينما تمثل جوانب أخرى حالات سخط على التشاحن في العملية السياسية، وليس خيبة أمل عميقة في المؤسسات. فالسياسة الحزبية صارت أكثر استقطاباً بالمقارنة مع خمسينيات القرن العشرين، ولكن العمليات السياسية القذرة ليست شيئاً جديداً. ففي حملة الانتخابات الرئاسية في سنة 1884، كان الشعاران السائدان هما: «بليين، بليين»، «جيمس ج. بليين، الكذاب القارّي من ولاية مين» و«ماما، أين بابا؟ ذهب إلى

(39) استطلاع هريس، 1966 - 1996. هناك بعض الاستثناءات. فمثلاً، تبقى الثقة بالعلم قوية، كما أن الثقة بالتجارة قد تزايدت في أوروبا.

البيت الأبيض، هـ، ها، ها» (إشارة إلى الابن غير الشرعي للرئيس غروفر كليفلاند). ولقد كان جزء من المشكلة هو أن الثقة بالحكومة صارت عالية جداً في صفوف الذين نجوا بعد الكساد وكسبوا الحرب العالمية الثانية. ففي تلك الحالة، منظوراً إليها على المدى الطويل للتاريخ الأمريكي، كان الشذوذ الخارج عن القياس هو الثقة المفرطة بالحكومة في خمسينيات القرن العشرين وأوائل ستينياته، وليس مستويات الثقة المنخفضة بعد ذلك<sup>(40)</sup>.

وعلاوة على ذلك، فإن كثيراً من الأدلة على فقدان الثقة بالحكومة تأتي من بيانات استطلاع الرأي والإجابات حساسة لطريقة طرح الأسئلة. إذ إن دراسة الانتخابات الوطنية، وهي واحدة من أهم المسوح الاستطلاعية، ظلت زمناً طويلاً تسأل الناس عما إذا كانوا يثقون بالحكومة في كثير من الوقت. فإذا أضيف الجواب القائل: «بعض الوقت فقط»، إلى الجواب القائل: «في كثير من الوقت»، فإن معنى ذلك: أن الكونغرس والفرع التنفيذي من الحكومة الاتحادية يكونان قد تلقيا موافقة من نحو 60 بالمئة من الجمهور<sup>(41)</sup>. إن ما لا يمكن إهماله أو نبذه هو أنه كان هناك اتجاه نحو الهبوط في الأجوبة على الأسئلة نفسها مع مرور الزمن. كما أن استمرار الصعود بعد أيلول/ سبتمبر 2001 يظل غير مؤكد. وقد حدث الهبوط الأكثر جذّة في أواخر ستينيات القرن العشرين

(40) انظر صامويلسون، الحياة الطيبة ومساخطها.

(41) مسح اجتماعي عام، في ربيع سنة 1994، مركز بحوث الرأي الوطني، شيكاغو. وقد تلقى الكونغرس تأييد 58 بالمئة من الذين استُطلِعت آراؤهم، والسلطة التنفيذية تأييد 63 بالمئة. وتم تحضير الاستطلاع على أيدي المستشارين الدوليين للبحوث الاستطلاعية، وأعيد طبعه في كتاب من تحرير إليزابيث هان هيسينغر وفيليب ك هيسينغر، عنوانه مؤشر إلى الرأي العام الدولي، 1994 - 1995 (ويستبورت، كونيكتيكوت: مطبعة غرينوود، 1996). وانظر كذلك استطلاع غالوب للآراء في ثمانية عشر بلداً، «مؤشر الرضا»، الاستطلاع رقم 018 - 50001 - 22 في استطلاع غالوب: الرأي العام سنة 1995 (ويلمينغتون، ديلاوير: البحث الدراسي، 1996).

وأوائل سبعينياته. فحسبما استنتجت دراسة في السبعينيات، فإنَّ الناس «الذين كانت لهم تعاملات مباشرة مع الوكالات الحكومية، سواء الاتحادية منها أم التابعة للولاية، كانوا راضين عن مقابلاتهم مع موظفي المكاتب البيروقراطية»، ولكنهم مع ذلك عبّروا عن رأي عام سلبي في الوكالات الحكومية<sup>(42)</sup>. ومثل فجوة التفاؤل المنوّه عنها أعلاه، يبدو أن هناك «فجوة تجربة» يبلغ فيها الناس مستطلعي آرائهم شيئاً غير تجربتهم المباشرة.

فكيف يحصل الناس على معلوماتهم عن الحكومة إن لم يكن ذلك من التجربة الشخصية المباشرة؟ إنَّ سبعين بالمئة يقولون إنَّهم يعتمدون على أجهزة الإعلام بدلاً من الأصدقاء أو التجربة الشخصية. والظاهر أن الثقة بالمؤسسات حكم اجتماعي، لا شخصي<sup>(43)</sup>. فقد تغيّر دور أجهزة الإعلام على امتداد الفترة ذاتها التي شهدت حدوث هبوط الثقة بالمؤسسات. إذ إنَّ الصحافة والتلفزيون معاً صارا أكثر تطلقاً، وتحويراً للأمور، ونزوعاً نحو السلبية في تقاريرهما<sup>(44)</sup>. وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ برامج الإمتاع التلفزيونية راحت تصوّر الشخصيات الحكومية تحت ضوء سلبي على نحو متزايد. ففي سبعينيات القرن العشرين، كانت معظم الشخصيات الحكومية والمشاهد الهزلية عن أوضاعها تُرى تحت ضوء إيجابي، ولكن بحلول منتصف التسعينيات راحت غالبيتها تُصوّرُ بأساليب تحطّ من قدرها<sup>(45)</sup>. وتعزّزت هذه التأثيرات بتغيرات في العملية السياسية

(42) دانييل كاتز وشركاه: *مواجهات بيروقراطية: دراسة رائدة في تقييم الخدمات الحكومية* (آن آربر، مركز بحوث الاستطلاع، جامعة ميتشغان، 1975)، ص 178.

(43) ليهسيت وشنايدر، *فجوة الثقة*، ص 402.

(44) توماس ي. باترسون، مصاب بعطل (نيويورك: فينتاج، 1994). وانظر أيضاً غاري أورين، «السقوط من النعمة: فقدان عامة الناس الثقة في الحكومة»، في كتاب من تحرير جوزيف س. ناي الأصغر، وقيليب د. رليكو، ودافيد س. كنع، عنوانه لماذا لا يثق الناس بالحكومة (كمريدج، ماساشوسيتس: مطبعة جامعة هارفارد، 1997).

(45) س. روبرت ليمشر، ليندا س. ليتشر ودانيال أموندسون، *صور الحكومة في =*

راحت تؤكد على الإعلانات السلبية، وتوجّه من الساسة نحو «ترشيح أنفسهم ضد واشنطن». فكانت النتيجة ما يسميه الإعلانيون حملة على الحكومة «لطردها» من السوق. ومن الجدير بالذكر أن وكالتي اتحاديتين قد قاومتا هذا الاتجاه نحو هبوط الثقة (حسما تظهره قياسات الأجوبة على استطلاعات الرأي) - وكلاهما بيروقراطية ضخمة، وهما العسكرية والخدمة البريدية. ومن الأشياء الأخرى المشتركة بينهما، أنهما منمكتان في دعاية إيجابية كبيرة عن نفسيهما، من أجل التجنيد في حالة المؤسسة العسكرية، وللتنافس مع الشركات الخاصة في حالة الخدمة البريدية. فللتسويق إذن أهميته.

ولا يوحي هذا ضمناً بأنه ليست هناك مشاكل في حالات التعبير عن الثقة المتدهورة بالحكومة. فمهما كانت أسباب التدهور، فإن الجمهور إذا نُقَصَ استعداده لتقديم موارد حساسة مثل دولارات الضرائب، أو لمراعاة القوانين طوعاً، أو إذا رفض الشباب الأذكيا اللامعون الانخراط في خدمة الحكومة، فإن القدرة الحكومية ستضعف، وسيزداد سخط الناس عليها وعدم رضاهم عنها. ومثل هذه النتيجة قد تضعف قوة أمريكا بنوعيتها الصلب والناعم انطري. ويبدو أن هذه النتائج لم تتحقّق حتى الآن. فمكتب المحاسبة العامة يقول إن الوكالات الاتحادية «سيئة التجهيز لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين لأن موظفيها تنقصهم المهارات الضرورية في تكنولوجيا المعلومات، والعلم، والاقتصاد، والإدارة». ولا يزال من غير المعروف ما إذا كانت الوكالات ستمكّن من تجنيد موظفين على نحو أسهل، بعد مأساة سنة 2001. ومن ناحية أخرى، فإن مصلحة الضرائب الداخلية لا ترى زيادة في الغش للتحايل على الضرائب<sup>(46)</sup>. وحسب روايات كثيرة، صار المسؤولون الحكوميون

= برامج الإمتاع التلفزيونية (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مجلس الامتياز في الحكم، 2001)، ص7، 17، 62 وأماكن أخرى كثيرة في الكتب.

(46) ويتمان، فجوة الثقة، ص92.

والمشترعون أقل فساداً مما كانوا عليه قبل عقد من الزمن<sup>(47)</sup>. فإعادة استثمارات الإحصاء المعبأة طوعاً بالبريد زادت بنسبة 67 بالمئة في سنة 2000، أي أنها عكست اتجاهها نحو الهبوط ظل سائداً ثلاثين سنة منذ سنة 1970<sup>(48)</sup>. وقد هبطت معدلات التصويت من 62 إلى 50 بالمئة على مدى الأربعين سنة المنصرمة. ولكن الهبوط توقف سنة 2000، والمعدل الراهن ليس قليلاً بقدر ما كان عليه في العشرينيات. وعلاوة على ذلك فإن استطلاعات الرأي تظهر بأن غير المصوتين ليسوا أكثر من المصوتين نفوراً من الحكومة وعَدَمَ ثقة بها<sup>(49)</sup>. ولا يبدو أن السلوك قد تغير بشكل كبير ومفاجئ كما تغيرت الردود على أسئلة استبيان الرأي. فإن كان الأمر كذلك، فقد تمّ الحد من التأثير على قدرة حكومتنا على إنتاج القوة الصلبة واستخدامها.

ورغم التنبؤات بأزمة مؤسسية تمّ التعبير عنها في أعقاب الانتخابات الرئاسية التي كان التنافس فيها شديداً، فقد استطاعت إدارة بوش الجديدة أن تنطلق في بداية فعّالة، حتى قبل صعوده في الاستطلاعات بعد أيلول/ سبتمبر 2001. ولا يبدو أن تدهور الثقة في الحكومة قد أحدث نقصاً كبيراً في قوة أمريكا الناعمة الطرية، حتى ولو كانت غالبية البلدان المتقدمة تعاني من ظاهرة مماثلة على ما يبدو. فكندا، وبريطانيا، وفرنسا، والسويد، واليابان - كأمثلة قليلة - شهدت اتجاهات مماثلة. ولعل أسباب فقدان الثقة في المؤسسات المعبر عنها لها جذور كامنة في المواقف المتجهة نحو نزعة فردية أكبر،

(47) سوزان غارمنت، الفضيحة: ثقافة عدم الثقة في السياسة الأمريكية (نيويورك: دابلداي، 1991).

(48) ستيفن هولمز، «تحدي التنبؤات، استجابة الإحصاء تنهي الاتجاه نحو الاضمحلال»، النيويورك تايمز، عدد 20 أيلول/ سبتمبر، 2000، ص 23.

(49) ريتشارد بيرك، «استطلاع يُظهر أن غير المصوتين ليسوا أكثر نفوراً من المصوتين»، النيويورك تايمز، 30 أيار/ مايو 1996، القسم 8؛ وكذلك «التقاليد وأعداؤها»، الإيكونوميست، عدد 22 تموز/ يوليو، 2000، ص 34.

واحترام أقل للسلطة، وهذا مما يميز مجتمعات ما بعد الحداثة. وكما رأينا أعلاه في ما يتعلق بالتغير الاجتماعي، حيث تكون مثل هذه المواقف نموذجية في أكثر المجتمعات تقدماً، فإن من المستحيل، عقد مقارنات بغضبة مثيرة للسخط تنتقص من جاذبيتنا بالمقارنة مع الآخرين. فحتى الآن لم تتعرض قوتنا الناعمة الطرية إلا للقليل من آثار التغيرات في الثقة بالحكومة<sup>(50)</sup>.

إن حدوث وهن كبير في مؤسساتنا الاجتماعية يمكن أيضاً أن يجعل قوتنا تتآكل بتخفيض قدرتنا على العمل الجماعي والجادبية الشاملة لمجتمعنا كذلك. وقد اقترح روبرت باتنام في كتابه المؤثر ممارسة لعبة البولينغ منفردين أن هناك تضاداً في رصيد أمريكا من رأس المال الاجتماعي - الشبكات الاجتماعية ومعايير التبادل والثقة التي تجعل بلداً ما أكثر إنتاجاً وفاعلية - وقد اشتهرت عن النبيل الفرنسي أليكسيس دي توكوفيل ملاحظته سنة 1830 أن الفردية الأمريكية، والميول نحو ترك المجتمع الأكبر يعتني بنفسه، يوازنها في المقابل نزوع إلى الاشتراك في جمعيات طوعية «من ألف نوع مختلف؛ دينية، وأخلاقية، وجادة، وتافهة، وعامة جداً، ومحدودة جداً، وكبيرة بشكل هائل، وضئيلة جداً»<sup>(51)</sup>. ورغم أنه ليست كل المنظمات الطوعية جيدة للمجتمع - كما تشهد بذلك الكوكلوكس كلان - [جمعية عنصرية سرّية تأسست في الجنوب بعد الحرب الأهلية الأمريكية لإعادة ترسيخ سيطرة البيض على السود: المعرب] فإن الولايات ذات المكانة العالية في رأس المال الاجتماعي، مثل مينيسوتا

(50) انظر ناي، وزليكو، وكنغ كمحررين للكتاب المعنون لماذا لا يثق الناس في الحكومة، الفصلان التاسع والعاشر والخاتمة. وانظر أيضاً كتاباً من تحرير بيپا نوريس عنوانه، المواطنون المنتقدون: الدعم العالمي للحكم الديمقراطي (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999).

(51) كيكسيس دي توكوفيل، الديمقراطية في أمريكا، تحرير ج. ماير، ترجمة جورج لورنس (غاردين سيتي، نيويورك: دابلداي، 1969)، ص 513.

وساوث داكوتا، تفوق في أدائها الولايات ذات المكانة الدنيا، مثل الميسيسيبي وأركنساس، في قضايا كالسلامة، والصحة، ورعاية الطفولة، والازدهار<sup>(52)</sup>. وبعبارات باتنام، فإن رأس المال الاجتماعي يجعل «الحكومة ذات اللمسة الخفيفة» أكثر كفاءة. فرجال الشرطة يحلون قضايا أكثر، ومديريات رعاية الطفولة تعمل على نحو أفضل عندما يقدم الجيران دعماً اجتماعياً والمدارس العامة تربي وتعلم بشكل أفضل عندما ينطوع الأهل<sup>(53)</sup>.

فما هي مدى خطورة هذه التغييرات على فاعلية المؤسسات الأمريكية؟ إن باتنام نفسه يلاحظ أن الروابط الاجتماعية لم تضعف على نحو ثابت ومطرود على مدى القرن الماضي، بل على العكس. فإن التمتع في التاريخ الأمريكي بدقة يعطي قصة من حالات الصعود والهبوط في المشاركة المدنية - وليس هبوطاً فقط - قصة انهيار وتجديد<sup>(54)</sup>. وهو يقترح عدداً من السياسات التي قد تُسهم في التجديد في وقت مبكر من القرن الحادي والعشرين، شبيه بذلك الذي أحدثته الحركة التقدمية عند مطلع القرن الماضي. وعلاوة على ذلك، فإن منتقدي باتنام يجادلون في أن أدلته تؤكد تحولاً اجتماعياً وليس تضامناً. فكما يجادل آلان وولف، «لقد تغيرت الحياة المدنية بالطبع؛ إذ كيف يمكن أن تكون على غير تلك الحال في مجتمع حركي حيوي ذي مبادرات ومشاريع؟ إن استخدام لغة التدهور والهبوط كما يفعل باتنام على الأغلب معناه توضيح كون الناس في فترة من الزمن أفضل منهم بطريقة ما في فترة أخرى من الزمن...»

(52) روبرت د. پوتنام: ممارسة البولينغ وحيدين: انهيار المجتمع الأمريكي وإعادة إحيائه [البولينغ هي لعبة دحرجة كرة خشبية باليد على أرضية ممر في آخره أوتاد خشبية لإسقاطها: المعزب] (نيويورك، سيمون وشوستر 2000)، القسم الرابع.

(53) المصدر السابق نفسه، ص 346.

(54) المصدر السابق نفسه، ص 25.

فإذا كانت تجربتي نموذجية على الإطلاق، فإن الأمريكيين يكونون قد خسروا مجتمعاً ولكنهم كسبوا فرصة. وكلاهما نقيض ثمين، ولكنني لا أعرف بحثاً في علم الاجتماع قادراً على إثبات كون أحدهما أثمن من الآخر<sup>(55)</sup>.

فإذا تركنا الحكم على القيمة جانباً، فإن من المحتمل أن تكون التأثيرات محدودة على القوة الأمريكية الصلبة والناعمة الطرية. فلا يبدو أن التغيرات في رأس المال الاجتماعي قد أدت إلى تآكل قدرتنا الوطنية على العمل الجماعي في مجال السياسة الخارجية، وبما أن وضعنا جيد بالمقارنة مع البلدان الأخرى، فليس من المحتمل أن تتناقص قوتنا الناعمة الطرية. فمن جهة فإن المستويات المطلقة للمشاركة تبقى عالية على نحو لافت للنظر على مؤشرات كثيرة. وعلى سبيل المثال، فقد كان هناك جيشان هائل للروح المجتمعية والتطوع بعد مأساة أيلول/ سبتمبر سنة 2001. فراوح هذا الجيشان الصاعد من التلويح بالأعلام إلى التبرع لجماعات الدعم الاجتماعي. فثلاثة أرباع الأمريكيين يشعرون بالارتباط مع مجتمعهم، ويقولون إن نوعية الحياة فيه ممتازة أو جيدة. فحسب نتائج استطلاع للرأي تمّ سنة 2001، تطوع 111 مليون أمريكي بأوقاتهم للمساعدة على حلّ مشاكل في مجتمعاتهم في الشهور الاثني عشر الماضية، وتبرّع ستون مليوناً على أساس منتظم<sup>(56)</sup>. وعلاوة على ذلك، وكما يشير باتنام نفسه، يبقى من المحتمل أن يظل الأمريكيون مشتركين في المنظّمات الطوعية أكثر من معظم البلدان، باستثناء بعض الأمم الصغيرة في أوروبا الشمالية<sup>(57)</sup>. والأمريكيون أكثر انغماساً في أعمال كنائسهم بكثير من

(55) آلان وولف، «المجتمع الأمريكي غير متماسك»<sup>9</sup>، هارفارد ماغازين، تموز/ يوليو - آب/ أغسطس 2000، ص 28 - 29.

(56) شراكة بو للتغيير المدني، «استطلاع جديد يبدد أسطورة مشاركة المواطنين»

([http://www.pewpartnership.org/newsroom/rwa\(pr\).html](http://www.pewpartnership.org/newsroom/rwa(pr).html))

(57) پاوتنام، ممارسة البولينيغ وحيدين، ص 48.



الأوروبيين الغربيين - إذ إن 10 بالمئة فقط من البريطانيين والفرنسيين، و3 بالمئة من الإسكندنافيين يحضرون إلى كنائسهم مرة واحدة في الشهر<sup>(58)</sup>. وكما يشير المؤرخ روبرت فوغل، فإن «دور الكنائس التبشيرية الأمريكية في تعزيز الديمقراطية الشعبية، والإصلاح الاجتماعي الجذري، والتحالفات السياسية الجديدة يقف بارزاً على تناقض حاد مع دور الكنائس الأوروبية»<sup>(59)</sup>. ومع أن كثيراً من الاتجاهات التي يحددها باتنام قد تكون مقلقة بحد ذاتها، فإنه لا يبدو أنها تسبب تآكلاً خطيراً في قوة أمريكا الصلبة أو الطرية الناعمة في العالم.

### إنه الاقتصاد، أيها الغبي!

ورغم أن المشاكل الثقافية والاجتماعية التي نُوقشت حتى الآن لا تهدد بإضعاف القوة الأمريكية، فإن فشلاً في أداء الاقتصاد الأمريكي سيكون لافتاً للنظر بحيث يقطع النشاط أو يوقفه. ولا أقصد بالفشل الاقتصادي حالة الركود في سوق الأوراق المالية بعد الهجوم الإرهابي في أيلول/ سبتمبر سنة 2001، أو الكساد الذي حدث منذ نحو سنة، فهاتان الحالتان نموذجان سائدان في جميع اقتصادات الرأسمالية؛ بل إنني أشير إلى مستوى الإنتاجية وفقدان القدرة على تحقيق مستويات عالية مستدامة من النمو تقاس على مدى عقد من الزمن أو أكثر. إذ إن النمو الاقتصادي لا يقدم الأوتار العضلية للقوة الصلبة فحسب، بل إنه يصقل ويُلمّع سمعة البلد وثقته بنفسه، وبذلك يقدم إسهاماً ماثلاً في القوة الناعمة الطرية. وعندما تباطأ اقتصاد الولايات المتحدة سنة 2001، كان بعض المتشككين مستعدين للقول: «لقد قلنا لكم إن هذا سيحدث». غير أن ما يهم ليست هي التصحيحات لمدة سنة أو سنتين في دورة الأعمال التجارية، بل ما

(58) ت. ر. رايند «الكنائس الفارغة تردد صدى فقدان عصر الأديان»، إنترناشنال هيرالد تريبيون، 7 أيار/ مايو، 2001، ص1.

(59) روبرت و. فوغل، اليقظة الكبرى الرابعة ومستقبل المساواة (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 2000)، ص7.

إذا كان الاقتصاد الأمريكي قادراً على العودة إلى الإنتاجية العالية التي تطورت في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين.

فقبل عقد ونصف عقد من الزمن اعتقد كثير من المراقبين أن اقتصاد الولايات المتحدة قد فقدَ قدرة الاندفاع، إذ إن السيطرة التكنولوجية فُقدت في عدة قطاعات صناعية، بما في ذلك السيارات والإلكترونيات الاستهلاكية، كما أن المعدل السنوي للزيادة في إنتاجية العمل، الذي كان متوسطه 2,7 بالمئة في العقدين التاليين للحرب العالمية الثانية، انزلق إلى 1,4 بالمئة في ثمانينيات القرن العشرين. ورغم أن مستوى المعيشة الأمريكي ظل هو الأعلى بين أكبر سبع اقتصادات سوق، فقد كان لا يحقق سوى ربع سرعة النمو التي يحققها الآخرون منذ سنة 1972. وحسب رأي مجلة تجارية بارزة في سنة 1987 كانت الأمة «تعيش أزمة نمو... فجداول الأعمال الشخصية والوطنية التي كانت ذات مرة شيئاً غير مشكوك فيه صارت على حين غرة أشياء باهظة الثمن أكثر مما ينبغي»<sup>(60)</sup>. واعتقد المراقبون أن اليابان وألمانيا بدأتا تسبقان أمريكا، وأدى هذا إلى الانتقاص من قوتها بنوعيتها. وبدا أننا قد فقدنا تفوقنا التنافسي. ولكن مع بداية القرن الجديد بدت الصورة مختلفة تماماً عندما وضع المنبر الاقتصادي العالمي الولايات المتحدة في المرتبة الأولى من النمو التنافسي<sup>(61)</sup>.

فهل يدوم هذا؟ وهل تؤدي المستويات الجديدة من الإنتاجية والنمو إلى توسيع النفوذ الأمريكي زمنياً طويلاً في سياق القرن الجديد؟ أم هل تقتصر الولايات المتحدة على اتباع اليابان في دورة من تراوح حالات الصعوط والهبوط؟ إن المتفائلين على المدى الطويل يقولون إن هناك «اقتصاداً جديداً» أزال الحدود السابقة التي كانت تقيد سرعة النمو الأمريكي، ولكن دراسة

(60) «أستطيع أمريكا أن تنافس؟» بيزنس ويك، 20 نيسان/ أبريل، 1987، ص 45.

(61) مايكل پورتر وجيفري ساخس، تقرير القدرة التنافسية العالمية لسنة 2000 (نيويورك:

مطبعة جامعة أكسفورد، 2000)، ص 11.

لصندوق النقد الدولي أكثر حذراً إزاء هذا البند: «رغم كمية الاهتمام التي تلقاها «الاقتصاد الجديد» فليس هناك توافق في الرأي حول ماهية الشيء المختلف الآن في اقتصاد الولايات المتحدة، وما إذا كان هذا الاختلاف قد أحدث تغييراً جذرياً في الطريقة التي يعمل بها الاقتصاد». فالواضح هو أن الولايات المتحدة لها منزلة قيادة في إنتاج تكنولوجيا المعلومات واستخدامها. وقطاع تكنولوجيا المعلومات يمثل حصّة من إجمالي الناتج المحلي أكبر مما هي عليه الحال في البلدان الصناعية الكبرى<sup>(62)</sup>. وهذا يضع الولايات المتحدة في مقدمة واجهة ثورة المعلومات وما يترتب عليها من آثار على القوة وصفناها في الفصل الثاني<sup>(63)</sup>. وما لخصت الإيكونوميست المناقشة في مطلع سنة 2001، فإنه «إذا كانت هناك عيوب ظاهرة في كثير من ادعاءات «الاقتصاد الجديد»، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنها كلها كذلك. إذ إن هناك أدلة على أن نمو الإنتاجية الهيكلية قد تسارع، ولكن ليس بالقدر الذي يعتقدونه الكثيرون. فأولئك الذين يعتقدون أن نمواً في الإنتاجية بنسبة 3٪ أو أكثر يمكن استدامته يقولون إن تكنولوجيا المعلومات سيكون لها تأثير اقتصادي أكبر من تأثير فترة الكهرباء والسيارات في عشرينيات القرن العشرين. ولقد كان ذلك ادعاء جريئاً، ويظل كذلك»<sup>(64)</sup>.

(62) صندوق النقد الدولي، «الولايات المتحدة الأمريكية: قصايا منتقاة»، التقرير القطري لموظفي صندوق النقد الدولي رقم 00/112، آب/ أغسطس 2000، ص4.

(63) يحذر كاتب العمود الصحفي جيفري مادريك من أننا كما قد وصلنا إلى هذه النقطة من قبل. «إذا كان اقتصاد تسعينيات القرن العشرين «جديداً» حقاً، فإن أمريكا تكون قد تمتعت باقتصاد جديد في كل جيل من تاريخها، بدءاً من اقتصاد القطن بعد حرب سنة 1812، وامتداداً عبر القنوات، وطواحين الماء، والسفن البخارية، وبائعي المفرق والجملة، والفولاذ والنفط، وسكك الحديد، والتطبيقات الكهربائية، والسيارات والتلفزيون على امتداد مسيرة القرنين التاليين». جيفري مادريك، «الاقتطاعات الصربية في الهواء، والحزبان السياسيان كلاهما يدفنان رأسيهما في الرمال»، النيويورك تايمز، 15 آذار/ مارس، 2001، القسم C ص2.

(64) «الإنتاجية، والأرباح، والوعود»، الإيكونوميست، 10 شباط/ فبراير، 2001، ص24.

### الإنتاجية

رغم عدم وجود فوارق ملحوظة في نمو الإنتاجية بين الولايات المتحدة وأوروبا في النصف الأول من التسعينيات، فقد توسعت الإنتاجية الأمريكية بعد سنة 1995 نتيجة تغير ملحوظ في معدل هبوط كلفة القوة الكومبيوترية. ولإنتاجية أهمية حساسة، لأنه كلما زاد ما ينتجه العمال في الساعة، زادت قدرة الاقتصاد على النمو بدون نواقص وبدون تضخم. والنمو المستدام غير التضخمي يقدم الموارد التي نستطيع أن نستثمرها في القوة الصلبة، كما يعطي نموذجاً جذاباً يوسع قوتنا الطرية الناعمة. ويمكن أن تزيد الإنتاجية بسبب الاستثمار الجديد في أدوات التنظيم أو أشكاله الجديدة. فقانون مور، الذي هو تعميم حول معدل التنمية في السرعة الكومبيوترية، يستمر في التنبؤ بتضاعف سرعة المواد نصف الناقل كل ثمانية عشر شهراً. كما تحسنت الإنتاجية عندما راحت الشركات تستخدم الإنترنت بكثافة شديدة لأغراض تجارية، وأزالت الحكومة قيودها عن صناعة الاتصالات الأمريكية<sup>(65)</sup>. وبينما كانت تكنولوجيا المعلومات جزءاً صغيراً نسبياً من الاقتصاد (8,3 بالمئة في سنة 2000)، فإنها كانت تمثل ثلث نمو الناتج كله من سنة 1995 إلى سنة 1999<sup>(66)</sup>.

ولم تكن تكنولوجيا المعلومات هي المصدر الوحيد للإنتاجية الجديدة. فالعولمة، وإزالة القيود، والتنافس، حفزت التحسينات في العملية التجارية كذلك<sup>(67)</sup>. وقد جادل تقرير الرئيس الاقتصادي بأن تكنولوجيا المعلومات،

(65) مقتبس في المنبر الاقتصادي لصندوق النقد الدولي «اقتصاد المعلومات: نموذج جديد أم طراز عتيق»، 12 كانون الأول/ ديسمبر، 2000

(<http://www.nf.org/external/np/tr/2000>).

(66) التقرير الاقتصادي للرئيس (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مكتب طباعة حكومة الولايات المتحدة، 2001)، ص 25.

(67) المنبر الاقتصادي لصندوق النقد الدولي، «اقتصاد المعلومات».

والممارسات التجارية، والسياسات الاقتصادية يقوّي كلّ منها الآخر. إذ إن كلاً من ثورة المعلومات (المناقشة في الفصل الثاني) والعولمة الاقتصادية (الموصوفة في الفصل الثالث) قد حفّزت الاقتصاد الأمريكي. «الواقع أن العولمة والتقدّم الحديث في تكنولوجيا المعلومات في قلب الاقتصاد الجديد مترابطان بشكل متداخل لا ينفصم. فمن جهة لعبت العولمة دوراً حسّاساً في تعزيز التجديد التكنولوجي والاستثمار وتسهيل إعادة الهيكلة التنظيمية التي بنت الاقتصاد الجديد. ومن جهة أخرى فإن التحسينات في تكنولوجيا المعلومات قد حفّزت اندماجاً أعمق بين الولايات المتحدة والاقتصاد العالمي»<sup>(68)</sup>.

إن المسألة الهامة بالنسبة لمستقبل القوة الأمريكية هي ما إذا كانت الزيادات التي نراها في معدلات الإنتاجية هي دورية فقط، (وهكذا فإن من المحتمل أن تنتكس وتنعكس)، أم هيكلية (وهكذا فهي قابلة للاستدامة على مدى فترات طويلة). فقد ظل الاقتصاديون محتارين سنوات كثيرة حول السبب الذي يجعل زيادة الاستثمار في أدوات تكنولوجيا المعلومات مشهودة «في كل مكان إلا في أرقام الإنتاجية». ويبدو أن هذا آخذ في التغير الآن، رغم وجود خلافات حول ما إذا كانت المكاسب الهيكلية قاصرة على صناعة المعلومات وحدها أم أنها قد تعدّتها إلى باقي نواحي الاقتصاد. فبعض المتشككين في الاقتصاد الجديد عزّوا معظم المكاسب إلى صناعة الكومبيوترات وليس إلى استخدامها. ولكن اقتصاديين آخرين، مثل وليام نوردهاوس من جامعة ييل، وجدوا أن القطاعات الأخرى قد قدّمت نحو نصف الزيادة الحديثة في نمو الإنتاجية<sup>(69)</sup>. وجادل

(68) التقرير الاقتصادي للرئيس، ص 23، 145.

(69) انظر «الإنتاجية على ركائز مرفوعة» و«اجتراح المعجزات» و«نظرة أخرى على الإنتاجية»، الإيكونوميست، في أعداد 10 حزيران/ يونيو، 2000، ص 86؛ و17 حزيران/ يونيو، 2000، ص 78؛ و10 شباط/ فبراير، 2001، ص 78 على التوالي. وانظر أيضاً وليام نوردهاوس، «نمو الإنتاجية والاقتصاد الجديد»، ورقة العمل 8096 المقدمة إلى المكتب الوطني للبحوث الاقتصادية، كانون الثاني/ يناير 2001.

مجلس البيت الأبيض للمستشارين الاقتصاديين بأن 2,6 بالمئة من معدل النمو في الإنتاجية في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين لم تكن دورية فقط، وأن التحسن في طرق استخدام رأس المال والعمالة في الاقتصاد كله له أهميته في حدوث هذه الزيادة. وقدّرت الإيكونوميست أن معدل الإنتاجية الهيكلي غير الدوري قد يكون أقرب إلى 2 بالمئة، ولكن «نمو الإنتاجية بنسبة 2 بالمئة يبقى مع ذلك مثيراً للإعجاب حسب المعايير التاريخية»<sup>(70)</sup>. وكما حذر آلان غرينسبان الكونغرس، فإن «معدل نمو الإنتاجية لا يستطيع أن يستمر في الزيادة بلا حدود. فعند نقطة معينة يجب أن يستقر نسبياً على الأقل»<sup>(71)</sup>. ولكنه إذا حافظ على المستوى المستقر الجديد، ولم يرتفع الخطر الإضافي المرتبط بالإرهاب أكثر من اللازم، فسيكون «حد السرعة» في النمو الاقتصادي الأمريكي، المفروض أنه كان سائداً قبل عقد من الزمن، قد ازداد، بما لذلك من آثار إيجابية على القوة الأمريكية الصلبة والناعمة الطرية<sup>(72)</sup>.

### الادخار والاستثمار

وبالإضافة إلى مسألة ما إذا كانت معدلات الإنتاجية الجديدة مستدامة، فإن الاهتمامات الأخرى حول مستقبل القوة الاقتصادية تشمل المعدل المنخفض لادخاراتنا الشخصية، والعجز الحسابي الحالي (الذي يعني أن الأمريكيين مدينون للأجانب على نحو آخذ في التزايد). فالادخارات الشخصية يصعب حسابها والتقديرات فيها عرضة للخطأ، ولكن من الواضح أنها تتجه

(70) «مشكلة تُعطل عمل المعجزة في الإنتاجية»، الإيكونوميست، عدد 11 آب/ أغسطس، 2001، ص 55.

(71) ريتشارد ستيفنسون، «رئيس الاحتياطي الاتحادي يسمي معدل النمو الأخير غير قابل للاستدامة»، النيويورك تايمز، 29 تشرين الأول/ أكتوبر، 1999، القسم C، ص 6.

(72) ديل حورغنسون وكيفن شتيروة، «رفع حد السرعة: النمو الاقتصادي الأمريكي في عصر المعلومات»، مخطوطة، أيار/ مايو 2000.

للهبوط، من 9,7 بالمئة من المداخيل الشخصية في سبعينيات القرن العشرين إلى ما يقرب من الصفر اليوم. ويعزى ذلك جزئياً إلى زيادة ثقافة النزعة الاستهلاكية، وسهولة الوصول إلى القروض. ومن الصعب البت في مدى أهمية ذلك. فرغم الهبوط في الادخارات الشخصية، فإن معدل الادخارات الوطنية، التي تشمل المدخرات الحكومية ومدخرات الشركات، ظل صامداً على حاله<sup>(73)</sup>. وكان الانتقال من العُجوزات الحكومية إلى الفوائد في التسعينيات يمثل مكسباً هاماً في الادخارات. فإذا أعادتنا تغيّرات الميزانية الحديثة والاقطاعات الضريبية إلى نمط مستمر وملح من إنفاق العجز، فستكون النتائج باهظة الوطأة على قوتنا بنوعيتها.

غير أن مفتاح النمو الاقتصادي والقوة ليس في المدخرات، بل في الاستثمارات. فاليابان مثلاً حافظت على معدل ادخارات عالٍ، ولكن اقتصادها تعرّض للركود. وعند تصحيح الأرقام وفقاً لحقيقة كون السلع الرأسمالية أرخص في الولايات المتحدة، كانت مكانة الاستثمارات الأمريكية الحقيقية جيدة بالمقارنة مع البلدان الأخرى في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية<sup>(74)</sup>. وعلاوة على ذلك فإن أسواق رأس المال التنافسية الأمريكية وطلبات حملة الأسهم على المدراء قد جعلت الولايات المتحدة أكثر كفاءة في استخدام رأس المال، وبذلك تحصل على نجاح صاحب أكثر لكل دولار من المدخرات نفسها. فوحدة رأس المال المستثمرة في القطاع التجاري الأمريكي تكون مكاسب هي نصف المحصلة مما هي عليه في حالة ألمانيا أو اليابان. إذ إن الأعمال التجارية الأمريكية تكسب معدلاً وسطياً من العائد قدره 9 بالمئة كل

(73) سيلفيا نصار، «الاقتصاديون يكتفون بهز أكتافهم بينما يتضاءل معدل المدخرات»، النيويورك تايمز، عدد 21 كانون الأول/ ديسمبر، 1998، القسم 8، ص 14.

(74) ميلكا كيروفا، وروبرت ليبسي، «قياس الاستثمار الحقيقي: الاتجاهات في الولايات المتحدة ومقارنات دولية»، المركز الوطني للبحوث الاقتصادية، ورقة العمل 7، 6404.

سنة، بالمقارنة مع 7 بالمئة في ألمانيا واليابان. «إذا كانت معدلات العائد أعلى في الولايات المتحدة، فإن من المعقول أن يكون هناك تدفق صافٍ لرأس المال إليها: أي أن المدخرات الزائدة في اليابان وغيرها يمكن استثمارها بربح في أمريكا أكثر من ربحها في وطنها<sup>(75)</sup>. وفي الاقتصاد المفتوح، إذا أدى عجز الحساب الجاري إلى استثمار أكبر (بدلاً من الاستهلاك فقط)، فإن ذلك يمكن أن يجعل البلد أقوى. والخطر هو أنه عند حدوث ركود حاد، فقد يسحب الأجانب استثماراتهم بسرعة، فيزيدون عدم الاستقرار في الاقتصاد. فالدخل الأمريكي سيصبح أعلى، وعدم الاستقرار سيتناقص إذا مولت الولايات المتحدة المزيد من استثماراتها من خلال ادخارات أعلى<sup>(76)</sup>.

### التعليم

وقوة العمل الجيدة التعليم مفتاح آخر للنجاح الاقتصادي في عصر المعلومات. ويظهر من النظرة الأولى أن أداء الولايات المتحدة جيد بالمقارنة مع الدول الغنية الأخرى. فثلاثة وثمانون بالمئة من البالغين فيها متخرجون من المدارس الثانوية، و24 بالمئة متخرجون من الكليات. والولايات المتحدة هي السابعة في ترتيب معدلات خريجي الثانويات، أي أقل بقليل من اليابان وألمانيا، ولكنها أعلى من معظم البلدان الأخرى<sup>(77)</sup>. كما أن معدلات التخرج من الجامعة في أمريكا أعلى من أغلب البلدان. وهي تنفق على التعليم العالي

(75) «معامل أمريكا الخيالية الضخمة»، الإيكونوميست، 8 حزيران/ يونيو، 1996، ص17؛ «رذيلة الاقتصاد»، الإيكونوميست، 21 آذار/ مارس، 1998، ص88.

(76) فرانكو مودعلياني وروبرت سولو، «أمريكا تقتصر المتاعب»، النيويورك تايمز، عدد 9 نيسان/ أبريل، 2001، القسم 8، ص17.

(77) إيثان برونر، «بعد مدة طويلة في الصدارة، الولايات المتحدة تتخلف الآن في معدلات خريجي المدارس الثانوية»، النيويورك تايمز، عدد 24 تشرين الثاني/ نوفمبر، 1998، القسم 8، ص1.



نسبة مثوية من إجمالي ناتجها المحلي هي ضعف ما تنفقه فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، واليابان. ونظام التعليم العالي الأمريكي قوي جداً. فقد وسعت الجامعات الأمريكية سبقها وتفوقها في السمعة الأكاديمية على منافسيها في بريطانيا، والقارة الأوروبية واليابان على امتداد العقود القليلة الماضية<sup>(78)</sup>. فعدد شهادات التخرج الممنوحة سنوياً تضاعف أربع مرات منذ ستينيات القرن العشرين<sup>(79)</sup>. ويفوز الأمريكيون بجوائز نوبل أكثر من مواطني أي بلد آخر. وهذه المنجزات تعزز قوتينا: الاقتصادية، والناعمة الطرية، على حد سواء.

غير أن التعليم الأمريكي، رغم قوته عند القمة، فإنه أقل إثارة للإعجاب عند المستويات الأدنى. فالتعليم الأمريكي في أفضل حالاته - أي في جزء كبير من النظام الجامعي والشريحة العليا من النظام الثانوي - يلبي المقاييس العالمية ويضعها. ولكن التعليم الأمريكي في أسوأ حالاته - أي في عدد أكبر من اللازم في مدارسنا الابتدائية، والثانوية، وخاصة في المناطق الأقل بحبوحه - متخلف بشكل سيئ. ولعل هذا يعني أن قوتنا العاملة لن تظل متماشية مع المستويات الآخذة في التصاعد في اقتصاد يقوم على المعلومات. وقد أظهرت سجلات اختيار الطلبة تخسناً بطيئاً (ولكنه ثابت) عما كان عليه الحال في التسعينيات. ولكن الأمة فشلت في تحقيق الخطة الطموحة المعنونة «الأهداف سنة 2000» (والتي كانت قد وُضعت في سنة 1989)، أي إيصال نسبة خريجي الثانويات إلى 90 بالمئة، والوصول إلى المرتبة الأولى في العالم في الرياضيات والعلوم، وإظهار كفاءة في المواضيع الأخرى<sup>(80)</sup>. وقد استنتج تقويم وطني للتقدم

(78) مارتن وولف، «المستويات المتدنية تنتعش عند زيارة المفتش»، الفايانانشال تايمز (لندن)، 16 نيسان/ أبريل، 2001، ص 17.

(79) كابلو، هيكس، وواتنبرغ، أول قرن تم قياسه، ص 53، 65؛ بوك، حالة الأمة، ص 61؛ «حالة يرثي لها»، الإيكونوميست، 1 تموز/ يوليو، 2000، ص 80.

(80) بيتر آيبلوم، «نتائج اختبارات الطلبة تظهر مكاسب بطيئة ولكنها ثابتة في -

التعليمي أن نسبة من الطلبة تراوح بين الخمس والربع فقط كانت عند مستوى الكفاءة في الرياضيات أو أعلى منه، وأن نسبة تراوح بين الثلث والخمسين قد سجلت مثل ذلك المستوى في القراءة<sup>(81)</sup>. وكان تسعة وعشرون بالمئة من جميع طلاب السنة الأولى في الكليات بحاجة إلى صفوف علاجية إضافية في المهارات الأساسية<sup>(82)</sup>. وفي تعليم الكبار هبط 24 بالمئة من الأمريكيين إلى مستوى أدنى فئة في فهم الوثائق (أي أسوأ من ألمانيا مرتين، ومن السويد أربع مرات)<sup>(83)</sup>. ويحصل بعض الأطفال الأمريكيين على نفاذ يوصلهم إلى المصادر التعليمية على نحو أفضل من الآخرين؛ وهناك تباينات هامة بين ما يُتفق على كل طالب، سواء بين الدول أم في ما بين المناطق ضمن الدولة ذاتها<sup>(84)</sup>. والفجوة في التحصيل بين الأطفال الأغنياء وغيرهم هي فوق المعدل بالنسبة للأمم الصناعية التسع والعشرين في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. ولم يكن يُدفع للمعلمين الأمريكيين سوى 1,2 من متوسط دخل الفرد، بينما يحصل المعلمون في ألمانيا، وإيرلندا، وكوريا الجنوبية، وسويسرا على ضعف دخل الفرد أو أكثر<sup>(85)</sup>.

وعلى عكس الكلام المثير للفرع، ليس هناك دليل يُعتمد عليه بأن أداء

= مدارس الأمة، النيويورك تايمز، 3 أيلول/ سبتمبر، 1997؛ القسم B، ص 8؛ ريتشارد روئشتاين، «لوحة سجل سنة 2000 الفشل يؤدي إلى الإغلاق»، النيويورك تايمز، عدد 22 كانون الأول/ ديسمبر 1999، القسم B، ص 15.

(81) وزارة التربية الأمريكية، المركز الوطني للإحصائيات التربوية، حالة التعليم سنة 2000 (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مكتب طباعة الحكومة الأمريكية، 2000).

(82) دايان رافيتش، «أداء الطلبة اليوم» تقرير بروكينغز السياسي الملخص رقم 23، في أيلول/ سبتمبر 1997، ص 2.

(83) بوك، حالة الأمة، ص 63.

(84) المركز الوطني للإحصائيات التربوية، حالة التعليم سنة 2000، ص 103.

(85) برونر، «بعد مدة طويلة في الصدارة، الولايات المتحدة تتخلف الآن»، ص 18.

الطلاب هو أسوأ مما كان عليه فيما مضى ، ولكن «لا يبدو أن الطلبة الأمريكيين يُحَسِّنون معرفتهم ومهاراتهم لمواكبة اقتصاد آخذ في التقدّم، وليست المقارنة لصالحهم مع نظرائهم في البلدان الأخرى في العلوم والرياضيات بخاصّة»<sup>(86)</sup>. ففي اختبار جرى حديثاً لمئة وثمانين ألفاً من طلبة الصف الثامن في ثمانية وثلاثين بلداً، كانت نتيجة لطلبة الأمريكيين في الرياضيات والعلوم أسوأ من نتائج طلبة سنغافورة، وتايوان، وروسيا، وكندا، وفنلندا، وأستراليا. وكان أدائهم مترجعاً وأسوأ مما كان عليه وهم في الصف الرابع سنة 1995<sup>(87)</sup>. وبينما تحسّنت المعدلات الوسطية لسجلات اختبار الجدارة المدرسية تحسّناً طفيفاً على مدى العقدين الماضيين، فإن المسألة هي ما إذا كانت التغيرات كافية لإتقان التعامل مع اقتصاد قائم على المعلومات. فقبل أربعين سنة، كان تارك الدراسة الثانوية قادراً على استخدام مطرقة في مسبك للمعادن أو ورشة للخراطة؛ أما اليوم فإنه قد يتعيّن عليه أن يشغل آلة أو ماكينة مسيطراً عليها بالأرقام. ومع زيادة الإنتاجية في التصنيع، تنتقل الوظائف إلى خدمات كثيراً ما تتطلّب استخدام الكمبيوتر. والكليات آخذة في التحول بازدياد إلى مطلب لطراز حياة الطبقة الوسطى. والعمال الذين يستخدمون الكمبيوتر يحصلون على أجور أكثر من غيرهم. ولسوف يتعيّن علينا أن نستمر في العمل على تحسين نظامنا التعليمي إذا أردنا أن نواكب المستويات والمعايير المطلوبة في اقتصاد مبني على أساس المعلومات.

### عدم التساوي في المداخل

ثم إن الشكل المتغير لتوزيع الدخل يطرح مشكلة على الاقتصاد الأمريكي. فمن سنة 1947 إلى سنة 1968 تناقص التباين في دخل العائلة، كما

(86) بوك، حالة الأمة، ص 65.

(87) دايا شيمو، «الطلاب في الولايات المتحدة لا يصمدون في الاختبارات العالمية»، النيويورك تايمز، 7 كانون الأول/ ديسمبر 2000، القسم A، ص 1.

تُظهرُ البيانات الإحصائية . ومن سنة 1968 إلى سنة 1993 تزايد عدم المساواة . وتشير البياناتُ المجموعةُ منذ سنة 1993 إلى أن الزيادة قد تباطأت أو توقفت ، ولكن الوقت لا يزال مبكراً للتأكد من ذلك . أما معدل الفقر بين صفوف الأمة كلها فقد هبط من 22 بالمئة سنة 1960 إلى 11 بالمئة في سنة 1973 ، ولكنه ساء حتى وصل إلى 15 بالمئة في سنة 1993 . ثم عاد النمو الاقتصادي في النصف الأول من تسعينيات القرن العشرين فهبط إلى 11,8 بالمئة<sup>(88)</sup> . ولعل الابتعاد في طلب العمالة عن العمال الأقل تعليماً يقدم تفسيراً لتآكل الأجور أفضل من التغيرات النابعة عن التصنيع<sup>(89)</sup> .

إن المشكلة ليست مسألة عدالة فحسب ، ولكن مسألة ما إذا كان انعدام المساواة قد يؤدي إلى ردود أفعال سياسية يمكن أن تثبط إنتاجية الاقتصاد أو تبطئ معدلات النمو الاقتصادي العالية التي هي أساس قوتنا : الصلبة والناعمة الطرية . وكما يشير مجلس المستشارين الاقتصاديين ، فإن «الاضطراب نتيجة لا محيص عنها للنمو الاقتصادي والتغير التكنولوجي» . فثمن التقدم هو ما أسماه الاقتصادي جوزيف شومتر «التدمير الخلاق» ، ولكن الأعباء ليست محمولة بالتساوي . فالأدلة تشير إلى أن تشريد العمال من مواطن تواجدهم ناجم إلى حد كبير عن التكنولوجيا وليس عن منافسة العمالة المستوردة . ففي التسعينيات ، تصاعد تشغيل العمال على أيدي الشركات الأمريكية في الداخل وفي الخارج معاً على نحو مترادف ، وليس في أي منهما على حساب الآخر . ومع ذلك ، فعلى الرغم من أن البلد ككل يستفيد ، فإن العولمة والتغير التكنولوجي يهددان على وجه الخصوص العمال الأقل مهارة والأقل تعليماً . وما لم تضمن

(88) التقرير الاقتصادي للرئيس ، ص 20 - 22 .

(89) مكتب الإحصاء الأمريكي ، «الشكل المتغير لتوزيع دخل الأمة» ، التقارير الحالية الجارية عن السكان ، حزيران/ يونيو ، 2000 ، ص 1 ، 10 .

السياسات أنهم لن يتزكوا متخلفين، فإنهم لا يقدمون أساساً لرد فعل يمكن أن يبطئ نمو أمريكا<sup>(90)</sup>.

ورغم هذه المشاكل والشكوك، يبدو من المحتمل أنه مع استخدام السياسات الصحيحة، سيستمر الاقتصاد الأمريكي بالعمل جيداً في إنتاج قوة صبة للبلد. وسيكون العامل المجهول الذي يصعب التنبؤ به هو تكرار هجمات إرهابية تضر بالثقة إلى درجة حدوث فترة طويلة من الركود. أما القوة الدعمة الطرية فهي مسألة مفتوحة أكثر. فمن الواضح أن كثيرين معجبون بنجاح الاقتصاد الأمريكي، ولكن ليس الجميع بمجدونه كنموذج يحتذى. فالحكومة تلعب دوراً أخف في الاقتصاد الأمريكي. إذ إنها تنفق ثلث إجمالي الناتج المحلي (وتفرض عليه الضرائب)، بينما تنفق أوروبا ما هو أقرب إلى النصف. وقوى السوق المتنافسة أقوى، وشبكات السلامة الاجتماعية أضعف. والاتحادات النقابية أضعف، والقيود على أسواق العمل أقل. والمواقف الثقافية، وقوانين الإفلاس والهيكل المالية في صالح الأعمال التجارية على نحو أقوى. وبينما يمتدح الأجانب كثيراً من هذه الفضائل، فإن البعض يعترضون على الثمن الذي يرافق هذا الاعتماد الأكبر على قوى السوق، وهو الثمن الذي يتمثل بانعدام المساواة وانعدام الأمن.

ولقد كان المجال الذي تفوق فيه النموذج الأمريكي بوضوح هو تكوين الوظائف، مع معدل للبطالة يعادل نصف معدلها في ألمانيا (ولو أنه يكاد يعادل معدلها في اليابان). وكما لاحظت الإيكونوميست فإنه «على وجه العموم، فإن الفكرة القائلة بأن الاقتصاد الأمريكي يقف على قمة العالم هي موضع شك». وهذا الاقتصاد مكشوف للنقد أيضاً بسبب اتساع التباين في المداخل. وكثيراً ما يتم التأكيد على أن الأمريكيين قد قبلوا بتزايد الفجوات بين المداخل غير

(90) التقرير الاقتصادي للرئيس، ص 174 - 175.

المتساوية في مقابل الحصول على نمو أسرع؛ ومع ذلك فعلى امتداد العقد الماضي، ارتفع وسطي المداخليل بكميات تشبه ارتفاعه في ثلاثة بلدان، رغم أن تفاضل مداخليل أمريكا أكبر... فأفقر 20 بالمئة من الناس في اليابان، أفضل حالاً بنسبة 50 بالمئة من أفقر 20 بالمئة في أمريكا<sup>(91)</sup>. كما أن العشرة بالمئة الأقل في توزيع المداخليل الأمريكية لم يكن لديهم بين أعلى المداخليل سوى متوسط دخل يقع في الترتيب الثالث عشر بالمقارنة مع الناس الفقراء نسبياً في الاقتصادات المتقدمة الأخرى. وإذن فالأداء الوظيفي المتفوق للاقتصاد الأمريكي لن يجعل الأوروبيين وغيرهم يرون فيه النموذج الأفضل ما لم تخفف من آثار انعدام المساواة<sup>(92)</sup>. إن كيفية تعاملنا في الداخل مع المتخلفين بيننا لها تأثير هام على قوتنا الناعمة الطرية.

### كيف ينظر الأمريكيون إلى العالم؟

حتى ولو لم تؤد الانشطارات الاجتماعية إلى تمزيق الاستقرار الداخلي، فإن القدرات المؤسسية تبقى كافية وملائمة، والاقتصاد ينمو على المدى الطويل. ولعل أمريكا ستقصر في تحويل مصادر قوتها إلى نفوذ فعال لو أنه قُدر للرأي العام أن ينكفئ إلى الداخل بعد أيلول/ سبتمبر سنة 2001، كما فعل بعد

(91) «البحث اليائس عن نموذج كامل»، الإيكونوميست، عدد 10 نيسان/ أبريل، 1999، ص 67 - 68.

(92) حتى المراقب المتعاطف مثل مارتن وولف، من صحيفة الفاينانشال تايمز يلاحظ بأن «بعض أنجح الاقتصادات في مجال التكنولوجيا العليا والبطالة المنخفضة (ولو بسجل مختلط من نمو الإنتاجية) كانت هي دول الرفاه الشمالية الأوروبية. ومع ذلك فإنها من بعض الجوانب هي النقيض القطبي للولايات المتحدة على طول الخط، وشكل ملحوظ في مجال الضرائب والإنفاق العام. فالولايات المتحدة رغم كل نجاحها، لا يحتمل أن تقدم الطريقة العملية الوحيدة القابلة للتطبيق في تنظيم اقتصاد متقدم». مارتن وولف، «الجاذبية المغرية للطريقة الأمريكية»، الفاينانشال تايمز (لندن)، 1 تشرين الثاني/ نوفمبر 2000 الص 25.

الحرب العالمية الأولى. فإذا هزّ أطلس كتفيه فماذا يحدث للهيمنة؟ [أطلس في الأساطير الإغريقية جبارٌ حكم عليه زيوس أن يحمل السماء على كتفيه، ويبدو أن المؤلّف هنا يشبّه أمريكا به: المعرّب].

في ردّ الفعل الأولي، لا يبدو أن ذلك يحدث، رغم أن البعض قلقون من كونه قد يحدث. فقد قام مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية باستطلاع آراء الأمريكيين في السياسة الخارجية كل أربع سنوات بعد سنة 1974. فوجد أن هناك دعماً مستمراً لدور فعّال للولايات المتحدة في العالم. فقد أيد مثل هذه الفعالية 61 بالمئة من عامة الناس و96 بالمئة من القادة. بل إن ثلاثة أرباع الجمهور والقادة تنبأوا بدور أعظم لبلدهم في غضون عشر سنوات. وكانت غالبية الجمهور تعتقد أن القرن الحادي والعشرين سوف يشهد مزيداً من العنف، وأن الإرهاب يُعتبر التهديد رقم واحد لمصالح أمريكا الحيوية، تليه الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وانتشار الأسلحة النووية. وكان القلق يتصاعد في صفوف القادة من تطور الصين كقوة عالمية. وبدا مما هو ظاهر على السطح أن المواقف الأمريكية مناسبة.

والالتزام الشامل للجمهور بالمشاركة الأمريكية يتعايش جنباً إلى جنب مع الإحجام عن دعم استخدام القوات الأمريكية في الخارج. فنحن نفضّل المقاربات متعددة الأطراف أكثر من قيامنا بالتصرف وحدنا على انفراد. فهناك سبعة وخمسون بالمئة من الجمهور يوافقون على وجوب مشاركة الولايات المتحدة في قوات حفظ السّلام، ويعتقد 72 بالمئة من الجمهور (ولكن 48 بالمئة فقط من القادة) أن الولايات المتحدة ينبغي أن لا تتخذ إجراءات منفردة وحدها في الأزمات الدولية إذا لم تكن مدعومة من قبل حلفائها. وحول مسألة العولمة، أعرب 54 بالمئة من الجمهور و87 بالمئة من القادة عن اعتقادهم أنّها جيدة لأمريكا على الأغلب. ويعتقد ثلاثة وستون بالمئة من عامة الناس و89 بالمئة من القادة أن قوة البلد الاقتصادية أهم من قوتها العسكرية كمقياس للقوة والنفوذ والتأثير في العالم.

وحتى الآن، كل شيء جيد. فمعظم الأمريكيين ليسوا انعزاليين، وهم لا يركزون على الهيمنة لعسكرية وحدها. وهم يريدون أن يتصلوا بالعالم عن طريق المؤسسات متعددة الأطراف. فما هو الخطأ في هذه الصورة إذن؟ ولماذا نجد مثل هذه الصعوبة في تحديد مصلحتنا الوطنية؟ ولماذا كانت سياستنا في كثير من الحالات أحادية الطرف على نحو متغطرس؟ وعلى سبيل المثال، لماذا انتقصنا من تأثيرنا على الأمم المتحدة بأنفسنا في تسعينيات القرن العشرين برفض دفع التزاماتنا عندما كانت استطلاعات الرأي تبين أن ثلثي عامة الناس يؤيدون الأمم المتحدة؟

وبكلمة واحدة، كانت المشكلة هي اللامبالاة. فبعد الحرب الباردة وقبل الهجمات الإرهابية في أيلول/ سبتمبر سنة 2001 انشغل الأمريكيون بقضاياهم المحلية، فاتهموا إلى الحاضر والماضي بدلاً من الاهتمام بالمستقبل العالمي. فلم تلعب السياسة الخارجية أي دور في انتخاباتنا الرئاسية. وكما لاحظ هنري كيسنجر، فإن «المفارقة، هي أن تفوق أمريكا كثيراً ما يعامله الشعب الأمريكي نفسه بلا مبالاة... ومن هنا فإن الحكمة ترغم الساسة الطموحين على تجنب المناقشات حول السياسة الخارجية، وتعريف القيادة بأنها انعكاس للعواطف الشعبية الراهنة، وليست تحدياً لرفع رؤى أمريكا»<sup>(93)</sup>.

وعندما يكون أغلب الناس غير مباليين، فإنهم يتركون ميادين معركة السياسة الخارجية لذوي المصالح الخاصة. والنتيجة تحديد ضيق لمصلحتنا الوطنية كثيراً ما ينقر بلداناً أخرى. وخذ المفارقة الظاهرة في رفضنا دفع التزاماتنا المستحقة علينا للأمم المتحدة رغم أن غالبيتنا تقف مع الأمم المتحدة. ويعود جزء كبير من السبب إلى شدة التمسك بأولويات تفضلها أقلية. فكثير من النشطاء الذين ذهبوا للتصويت في الانتخابات الأولية للحزب الجمهوري (وهم غالباً ما

(93) هنري كيسنجر، «أحتاج الولايات المتحدة إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين» (نيويورك، سيمون وتشوستر، 2001)، ص 18.



يمثلون نحو الخمس فقط من الناخبين) كانوا يعتقدون أن هيئة الأمم المتحدة خطر على السيادة الوطنية. وكان موضوع المستحقات شديد الأهمية عندهم. ورغم أنهم يشكلون أقلية من عامة الناس، فإن صوتهم كان هذا الذي يسمعه الكونغرس عند البت في المصلحة الأمريكية<sup>(94)</sup>. وعلاوة على ذلك فإن هذا الصوت تضخمه العقيدة الإيديولوجية لرؤساء بعض اللجان الهامة، كالسنتاتور جيسي هيلمز، والخطط التكتيكية لذوي المصلحة الخاصة في الربط بين دفع الالتزامات المستحقة وبين موضوع دخيل غرضي كالأجهاز.

لقد كانت استطلاعات الرأي واضحة بشأن موضوع اللامبالاة. فاهتمام الأمريكيين بالأخبار، وخصوصاً عن البلدان الأجنبية، تضائل بعد انتهاء الحرب الباردة. فليس هناك من «المهتمين جداً» بالأخبار عن البلدان الأخرى سوى 29 بالمئة من الجمهور الأمريكي. وهناك 22 بالمئة «لا يكادون يعيرونها اهتماماً يذكر». وعند طرح سؤال عن أكبر المشاكل التي تواجه البلد، شكّلت السياسة الخارجية أصغر نسبة مثوية في أجوبة الجمهور (7 بالمئة) (أما عند القادة فكان الرقم 19,5 بالمئة). «في عالم ما بعد الحرب الواردة، مع عدم وجود عقلية «نحن - ضد - هم» بوضوح محدد، فإن علاقة أحداث العالم تبدو أقل وضوحاً لكثير من الأمريكيين»<sup>(95)</sup>. وبعض الناس يصفون هذه المواقف بأنها «نزعة انعزالية طرية ناعمة»<sup>(96)</sup>. ويسمونها آخرون «نزعة دولية أممية مخففة»<sup>(97)</sup>.

(94) ستيفر كول، «ما يعرفه الجمهور ولا تعرفه واشنطن»، فورين پوليسي، شتاء 1995 - 1996، ص 114.

(95) جون ي. ريلي، كمحرر، الرأي العام الأمريكي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة سنة 1999، مجلس شيكاغو الخاص بالعلاقات الخارجية  
(<http://www.ccftr.org/publications/opinion/AmPuOp99.pdf>)

(96) جيمس م. ليندسي، «اللامبالاة الجديدة»، فورين آفيرز، عدد أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر، 2000.

(97) وولف، أمة واحدة، بعد كل شيء، ص 170.

ولست المسألة مسألة رفض الهموم أو الاهتمامات الأجنبية، كالرفض الذي ميز المواقف الأمريكية تجاه أوروبا في ثلاثينيات القرن العشرين. بل الأرجح أنها مسألة لامبالاة وانشغال داخلي.

إن الخطر في عدم مبالاة الجمهور هو أن المصالح الخاصة - من اقتصادية، وعرقية، وإيديولوجية عقائدية، الموجودة دائماً في كل ديمقراطية، ينمو لها صوت أقوى حتى من صوتها الطبيعي المعناد في تحديد المصلحة الوطنية. فخلال الحرب الباردة كان احتواء القوة السوفياتية يقدم نجماً شمالياً هادياً للسياسة الخارجية الأمريكية. ومن الناحية التاريخية، كانت فترة الحرب الباردة فترة شاذة من توافق الآراء حول الاهتمام المركزي للسياسة الخارجية (وحتى فترة التوافق هذه انطوت على نزاعات مريرة حول فيتنام وأمريكا الوسطى). والواقع أن لارتباك المحير كان في أغلب الحالات هو القاعدة. وعلى سبيل المثال، فإن الخلافات العرقية قد لوّنت عمليات تقييم ما إذا كان ينبغي على الولايات المتحدة أن تدخل الحرب العالمية الأولى. ولقد كانت المصالح الاقتصادية تلعب دائماً دوراً هاماً في صنع السياسة الخارجية الأمريكية<sup>(98)</sup>. إن دراسة متأنية للتحديدات الأمريكية للمصلحة الوطنية في تسعينيات القرن التاسع عشر، وثلاثينيات القرن العشرين وثمانينياته، تستنتج أنه «ليست هناك مصلحة وطنية وحيدة. والمحللون الذين يفترضون أن أمريكا لها مصلحة وطنية يمكن تمييزها وينبغي للدفاع عنها أن يبت في علاقات أمريكا مع الأمم الأخرى يعجزون عن تفسير الفشل المطرد بالحاح في تحقيق توافق محلي بشأن الأهداف الدولية»<sup>(99)</sup>. ولكن لم يحدث من قبل أبداً أن كنا متفوقين إلى هذا الحد. وقد أدّت اللامبالاة العامة إلى جعل وضعنا قبل أيلول/ سبتمبر 2001

(98) تشارلز أ. بيرد، فكرة المصلحة الوطنية (نيويورك: مكملان، 1934).

(99) بيتر تروپوفيتز، تحديد المصلحة الوطنية: الصراع والتغيير في السياسة الخارجية الأمريكية (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1998)، ص 12.

أكثر لزعاً وحدةً حينما وصل الأمر إلى البت في كيفية استخدام قوتنا والمحافظة عليها.

فالكونغرس يعبر اهتماماً للعجلات ذات الصرير، وتضغط عليه المصالح الخاصة لتشريع تكتيكات السياسة الخارجية وقوانين السلوك مع العقوبات لبلدان أخرى. وكما يشير هنري كيسنجر، فإن «ما يقدمه النقاد الأجانب على أنه سعي أمريكا للهيمنة إنما هو في أغلب الأحوال استجابة لمجموعات الضغط المحلية». ويقوم التأثير المتراكم لذلك «بدفع السياسة الخارجية الأمريكية نحو سلوك أحادي الجانب ومتنمر باستفزاز، لأن التشريع (على عكس الاتصالات المحلية، التي هي دعوة للحوار عموماً) يترجم إلى وصفة تقول للناس اقبلوا هذا الموقف أو ارفضوه، وهي المعادل العملي التشغيلي للإنذار»<sup>(100)</sup>. وقد أدى نداء الاستيقاظ في أيلول/ سبتمبر سنة 2001 إلى محو اللامبالاة الآن. ولكن إغراءات الانعزال والإجراءات الأحادية الجانب باقية. «فبقدر ما تحول الولايات المتحدة نزعة التفرد إلى عادة، أو تقلل من إسهامها في إنتاج البضائع العامة، سيشعر الآخرون بفُرصة القوة الأمريكية على نحو أقوى وأشد. وسينمو الحافز لتأديب السيد الكبير»<sup>(101)</sup>.

وقد يثبت أن المواقف إزاء العولمة هي كعيب آخيل (أي نقطة الضعف القاتلة) بالنسبة للقوة الأمريكية. فليست للأمريكيين مناعة مضادة لردة الفعل الحمائية. ولعل دعم العولمة الاقتصادية هش أكثر مما يبدو للوهلة الأولى. وهناك سلسلة واسعة من مُسوح الرأي العام تفيد بأن الجموع أو الغالبية تعارض سياسات المزيد من تحرير التجارة، والهجرة، والاستثمار الأجنبي المباشر. وهذه المواقف - التي تتحالف بقوة مع مهارات سوق العمل، مع رجحان

(100) هنري كيسنجر، «أمريكا عند القمة»، ذي ناشنال إنترست، صيف 2001، ص 15.

(101) حوزيف جوف، «من الخائف من السيد الكبير؟» ذي ناشنال إنترست، صيف سنة 2001، ص 52.

احتمال موقف سلبي من المستخدمين ذوي الأجور الأكثر انخفاضاً - لا تعكس الجهل بالفوائد بحسب، بل شعوراً بأن تكاليف انعدام الأمن الاقتصادي قد تكون أكثر أهمية<sup>(102)</sup>. ومثل هذه المواقف قد يعززها القلق الجديد حول الإرهاب.

وتظهر استطلاعات الرأي أشد التباينات تشعباً في مواقف الجمهور والقادة تأتي رداً على الأسئلة الخاصة بالأولوية التي ينبغي إعطاؤها «لحماية وظائف العمال الأمريكيين». إذ إن أربعة أخماس الجمهور تعطيها مرتبة «هامة جداً»، بالمقارنة مع 45 بالمئة من القادة<sup>(103)</sup>. أما العمال الأقل مهارة - وهم المجموعة التي تشكل أكثرية القوة العاملة الأمريكية - «فقد عانوا من نمو أجور يقرب من الصفر، وحتى التناقص أي النمو السلبي في الأجور الحقيقية، رغم التقدم المتجدد في السنوات الأخيرة. كما شهدوا حالات هبوط حاد في أجورهم بالنسبة للعمال الأكثر مهارة... ومن المحتمل أن يكون الدعم الشعبي للمزيد من التحرير الليبرالي مشروطاً بتقديم معونة حكومية فعّالة لمساعدة العمال على التكيف للتأثيرات الضارة»<sup>(104)</sup>. إن مجال الحركة لممارسة قوتنا في الخارج يعتمد جزئياً على السياسات التي نتبعها في الداخل. فإذا قُدر للولايات المتحدة أن تستدير نحو اتجاه حمائي، فإننا لن ننتقص من النمو الاقتصادي الداعم لقوتنا الصلبة فحسب، ولكننا سوف نسجل أيضاً مثلاً تعيساً يكون من شأنه التقليل من قوتنا الصلبة.

ويجادل البعض بأن تكاليف ممارسة القوة تثقل كاهل جميع الإمبراطوريات في آخر الأمر، وأن الهجمات الإرهابية سوف تجعل الجمهور

(102) شيف وسلوتر، العولمة ومذكرات العمال الأمريكيين، ص 9.

(103) وكالة الإعلام الأمريكية لتحليل الآراء M 162-99، 20 آب/ أغسطس، 1999، ص 1.

(104) فريد بيرغشتين، «مقدمة» في كتاب شيف وسلوتر، العولمة ومذكرات العمال الأمريكيين، ص 10.

الأمريكي يتعب ويسأم من «الامتداد الاستعماري الطويل أكثر من اللازم»<sup>(105)</sup>. ولكن الأعباء المالية لم تزد، إذ إن نفقات الدفاع والشؤون الخارجية تضاعلت حصتها من إجمالي الناتج الوطني على مدى بضعة عقود مضت. وعلاوة على ذلك فإن نقاط ضعفنا المكشوفة لا يمكن إزالتها بالانكفاء إلى الداخل. صحيح أن المواقف الأمريكية تميل إلى التسامح - بدلاً من الدعم القوي - مع محاولات القادة لتحويل مصادر قوة البلد إلى نفوذ فعال التأثير في العالم. فإذا حدث تباطؤ اقتصادي، أو تزايدت حالات التباين وعدم المساواة، أو إذا عجزنا عن مواجهة الإرهاب، فإن بعض المجموعات الهامة قد تسحب هذا التسامح، ولا سيما في ما يتعلق بالتحريض الليبرالي للتجارة والهجرة. ومع ذلك فإن الرأي العام مجموعة من القيود، كالسدود والحواجز، وليس عاملاً مباشراً يقرر السياسة الخارجية ويبت فيها<sup>(106)</sup>. وتظهر استطلاعات الرأي أن هذه القيود عريضة تماماً. فمشكلة الجبهة الداخلية ليست آفاق التفتتخ السياسي والاجتماعي المرهوب أو الركود الاقتصادي بقدر ما هي تطور رؤية كبيرة الشعبية للكيفية التي ينبغي على الولايات المتحدة أن تحدد بها مصلحتها الوطنية في عصر المعلومات العالمي. وهذا هو السؤال التالي الذي نعالجه في ما يأتي.

(105) فرانز نوشلر، «التعددية في مواجهة الأحادية»، مؤسسة التنمية والسلام، ورقة السياسة رقم 16، بون، 2001، ص 8.

(106) ريتشارد صوبل، أثر الرأي العام على سياسة أمريكا الخارجية منذ فيننام (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 2001)، ص 10.

# 5

## إعادة تحديد المصلحة الوطنية

كيف ينبغي على الولايات المتحدة أن تحدّد مصلحتها في عصر المعلومات العالمي هذا؟ وكيف نقرّر إلى أي حد ننضم إلى الآخرين ومتى؟ وما الذي ينبغي أن نفعله بقوّتنا التي لم يسبق لها مثيل؟ إن الإنعزاليين الذين يعتقدون أننا نستطيع أن نتجنّب نقاط ضعفنا المكشوفة للإرهابيين بالانكفاء إلى الداخل يفشلون في فهم حقائق عصر المعلومات العالمي. وفي الوقت نفسه، فإن دعاة التصرف الأحادي الذين يحثوننا على تعبئة هذه القوّة وحشدّها من أجل غايات عالمية نحذّدها بأنفسنا على نحو أناني بلا خجل، إنما يقدّمون وصفة لتقويض قوّتنا الناعمة الطرية ويشجعون الآخرين على تكوين تحالفات تحدّ في آخر الأمر من قوّتنا الصلبة. إن علينا أن نفعل ما هو أفضل من ذلك.

وعندما كتبت كوندوليزا رايس (التي هي الآن مستشارة الأمن القومي) أثناء الحملة الانتخابية سنة 2000 أن علينا أن «ننطلق من الأرضية الصلبة للمصلحة الوطنية وليس من مصلحة مجتمع دولي موهوم» كان الشيء الذي أقلق حلفاءنا الأوروبيين هو «افتراض وجود نزاع بالضرورة بين ملاحقة المصلحة الوطنية والالتزام بمصالح مجتمع دولي بعيد عن أن يكون

موهوماً<sup>(1)</sup>. وقد تكون الروابط التي تشد المجتمع الدولي واهنة. ولكن لها أهميتها. إن الفشل في تقديم الاحترام اللائق لرأي الآخرين وفي تضمين مصلحتنا الوطنية مفهوماً واسعاً للعدالة سوف يكون من شأنه أن يؤذينا في آخر الأمر. وكما يذكرنا حلفاؤنا بتكرار متواتر، فإنه حتى المدافعين ذوي النوايا الحسنة عن الهيمنة الحميدة الخفيفة الوطأة لا يملكون كل الأجوبة. وبينما رغب أصدقاؤنا بالنهج متعدد الأطراف لإدارة بوش بعد أيلول/ سبتمبر سنة 2001، فقد ظلوا قلقين من عودة التصرفات الأحادية الجانب.

وليس من المحتمل أن يُعاد انتخاب الزعماء الديمقراطيين الذين يفشلون في تمثيل مصلحة أمتهم، وإنه من مصلحتنا الحفاظ على مركزنا المتفوق. ولكن المصالح العالمية يمكن دمجها في مفهوم عريض بعيد النظر للمصلحة الوطنية. فالإرهاب في آخر الأمر هو تهديد للمجتمعات كلها؛ والتجارة الدولية تفيدنا كما تفيد الآخرين؛ والاحترار العالمي سوف يرفع مستوى سطح البحر على طول سواحلنا كلها كما على سواحل البلدان الأخرى؛ والأمراض المعدية تستطيع الوصول إلى كل مكان بالسفينة أو الطائرة؛ وعدم الاستقرار المالي قد يضرّ بالاقتصاد العالمي كله. وبالإضافة إلى مثل هذه المصالح المادية الملموسة، يريد كثير من الأمريكيين دمج القيم العالمية في مصلحتنا الوطنية. وهناك دلائل قوية على أن قيم أمريكا تعمل في سياق عالمي عال، وأن مجال اهتمامنا يمتد بعيداً وراء حدودنا الوطنية. وقد اتفق ثلاثة وسبعون بالمئة مع التصريح الوارد في استطلاع الرأي القائل: «إنني أعتبر نفسي مواطناً عالمياً وكذلك مواطناً أمريكياً»، بل وافق 44 بالمئة على ذلك بقوة<sup>(2)</sup>. فنحن إذن

(1) بيتر لادلو، «مطلوب: شريك عالمي»، ذي واشنطن كوارترلي، صيف 2001، ص 167.

(2) برنامج حول مواقف السياسة الدولية، «آراء أمريكية في العولمة: دراسة في المواقف العامة في الولايات المتحدة»، جامعة ميريلاند، 1999، ص 8.

بحاجة إلى تعريف عريض لمصلحتنا الوطنية يأخذ في الحسبان مصالح الآخرين، ودور قادتنا هو طرح هذا في مناقشات شعبية. ولا حاجة لأن تكون المصلحة الوطنية قصيرة النظر، كما ذكرنا بذلك أيلول/ سبتمبر سنة 2001.

ويتميز التقليديون بين سياسة خارجية مبنية على القيم وسياسة خارجية مبنية على أساس المصالح. وهم يعطون صفة الحيوية للمصالح التي من شأنها التأثير على نحو مباشر على سلامتنا، وبذلك تبرر استخدام القوة - مثل منع شن هجوم على الولايات المتحدة، ومنع بروز مهيمن معادٍ لنا في آسيا أو أوروبا، ومنع تواجد قوى معادية على حدودنا أو مسيطرة على البحار، وضمان بقاء حلفاء الولايات المتحدة<sup>(3)</sup>. أما تعزيز حقوق الإنسان، وتشجيع الديمقراطية، وتنمية قطاعات اقتصادية محدّدة، فقد أعطيت لها أولوية أقل.

إنني أعتبر هذا النهج ضيقاً أكثر من اللازم، إذ إنني أعتقد أن المصالح الإنسانية هامة أيضاً لحياتنا ولسياستنا الخارجية. فمن المؤكد أن المصالح الوطنية الاستراتيجية حيوية وتستحق الأولوية، لأننا إذا فشلنا في حمايتها، فإن بقاءنا نفسه يصبح عرضة للمخاطر. وعلى سبيل المثال فإن مواجهة الإرهاب الكارثي وقمعه اليوم سوف تستحق الأولوية التي كانت مخصصة لاحتواء القوة السوفياتية أثناء الحرب الباردة<sup>(4)</sup>. فالبقاء هو الشرط اللازم للسياسة الخارجية، ولكنه ليس كل شيء في السياسة الخارجية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الربط بين بعض الأحداث (مثل غزو العراق للكويت أو تجربة قذيفة كورية شمالية) وبين

(3) مصالح أمريكا الوطنية: تقرير من لجنة المصالح الوطنية الأمريكية (برئاسة كل من روبرت إيلوورث، وأندرو غودباستر، وريتاهاوزر، 1996)، ص 13.

(4) انظر آشتون كارتير، وجون دويتش وفيليب زاليكو، الإرهاب الكارثي: عناصر سياسة وطنية (كمريدج، ماساشوسيتس: مركز بلفر للعلوم والقضايا الدولية، جامعة هارفارد، 1998). وانظر أيضاً، حوزيف س. ناي الأصغر ور. جيمس وولزي، «منظور على الإرهاب»، لوس آنجلوس تايمز، 1 حزيران/ يونيو، 1997، القسم M، ص 5.



تهديد لبقائنا الوطني قد ينطوي على سلسلة طويلة من الأسباب. وقد يختلف الناس حول مدى احتمال حدوث أية حلقة في تلك السلسلة، وبالتالي حول درجة التهديد لبقائنا. وبناء عليه، فإن الناس العقلاء يمكن أن يختلفوا حول مقدار «التأمين» الذي يريدون أن تقدمه سياستنا الخارجية ضد التهديدات البعيدة لمصلحة حيوية قبل أن نلاحق قِيماً أخرى مثل حقوق الإنسان.

وفي رأيي أنه في الديمقراطية تكون المصلحة الوطنية هي ما يقوله عنها المواطنون، ببساطة، بعد مداولة كافية. فهي أوسع من المصالح الاستراتيجية الحيوية، رغم أن هذه هي جزء حسّاس الأهمية منها. إذ يمكن أن تشمل قِيماً مثل حقوق الإنسان والديمقراطية، وخاصة إذا كان الجمهور الأمريكي يشعر بأن تلك القِيَم لها من الأهمية بالنسبة لهويتنا أو لشعورنا بماهيتنا ما يجعل الناس مستعدين لدفع ثمن لتعزيزها ونشرها. فالقِيَم - ببساطة - هي مصلحة وطنية غير ملموسة. فإذا اعتقد الشعب الأمريكي أن مصالحنا المشتركة على المدى الطويل تشمل قِيماً معينة وضرورة نشرها في الخارج، فإن تلك القِيَم تصبح عندئذ جزءاً من المصلحة الوطنية. وقد يشير القادة والخبراء إلى تكاليف التمشي مع قِيَم معينة، ولكن إذا لم يوافق الجمهور المستنير على ذلك، فلن يستطيع الخبراء إنكار شرعية رأيهم.

إن تقرير المصلحة الوطنية والبتّ فيها يتطلب أكثر من مجرد نتائج استطلاع الرأي. إنه الرأي بعد المناقشة والمداولة العامة العلنية. ولذلك فإن من المهم أن يؤدي قادتنا عملاً أفضل في مناقشة صياغة واسعة لمصلحتنا الوطنية. وكثيراً ما يكون الجدل الديمقراطي مشوشاً ومختلطاً ولا يخرج دائماً بالأجوبة «الصحيحة». ومع ذلك فإن من الصعب أن يرى المرء طريقة أفضل للبتّ في المصلحة الوطنية في نظام ديمقراطي. إن المداولة السياسية الأفضل إطلاقاً هي الطريقة الوحيدة لشعبنا للبتّ في مدى اتساع، أو ضيق، تحديدنا لمصلحتنا.

### حدود القوة الأمريكية

وحتى عندما نتفق على أهمية القيم، فإن المهمة الصعبة هي التفكير في كيفية جعلها تسود وتؤثر في حالات معينة. فكثير من الأمريكيين يجدون حرب روسيا في الشيشان مثيرة للقلق، ولكن هناك حدوداً لما نستطيع القيام به لأن روسيا تظل قوة نووية، ونحن نسعى للحصول على مساعدتها بخصوص الإرهاب. وكما كان أبائنا يذكروننا: «لا تدعوا أعينكم تصبح أكبر من معدتكم، ولا تقضموا أكثر مما تستطيعون أن تمضغوا». وعند أخذ حجمنا في الحسبان، فإن الولايات المتحدة لديها هامش للاختيار أكثر مما لدى معظم البلدان الأخرى. ولكن كما رأينا في الفصول السابقة، فإن القوة تتغير. وليس من الواضح دائماً كم نستطيع أن نمضغ. والخطر الذي يمثلته دعاة فرض الهيمنة أن سياستهم الخارجية كلها دواسات تعجيل بلا فرامل. فتركيزهم على أحادية القطب وعلى الهيمنة تبالغ في قدرة الولايات المتحدة على الحصول على النتائج التي تريدها في عالم متغير.

لقد جادلْتُ في الفصل الأول بأن القوة في عصر المعلومات العالمي موزعة مثل لعبة شطرنج بثلاثة أبعاد. فالرقعة العسكرية العليا أحادية القطب تتفوق فيها الولايات المتحدة على جميع الدول الأخرى، ولكن لرقعة الاقتصاديات الوسطى متعددة الأقطاب، تمثل فيها الولايات المتحدة، وأوروبا، واليابان ثلثي الإنتاج العالمي. أما الرقعة السفلى للعلاقات عابرة القومية التي تعبر الحدود خارج سيطرة الحكومات فهي ذات تركيب هيكلي للقوة موزع على نطاق واسع. ورغم أن من المهم أن لا يتجاهل أحد الأهمية المستمرة للقوة العسكرية لبعض الأغراض، ولا سيما في ما يتعلق بالأجزاء الصناعية وما قبل الصناعية من العالم، فإن تركيز دعاة الهيمنة على القوة العسكرية يمكن أن يعمينا عن حدود قوتنا. فالقوة الأمريكية كما رأينا ليست لها عظمة مماثلة في البُعدين الاقتصادي وعابر القومية. ولا يقتصر الأمر على وجود عناصر فاعلة جديدة

يتعين أخذها في الحسبان، بل إن كثيراً من الأمور العابرة للقومية - سواء أكانت التدفقات المالية، أم انتشار مرض الإيدز، أم الإرهاب - لا يمكن حلها بدون تعاون الآخرين. وحيثما كان العمل الجماعي جزءاً ضرورياً لحصولنا على النتائج التي نريدها، فإن قوتنا تكون مقيدة بالتحديد والولايات المتحدة ملزمة بالانقسام والمشاطرة.

وعلىنا أن نتذكر أيضاً الدور المتنامي للقوة الناعمة الطرية في عصر المعلومات العالمي هذا. إن من المهم أن نصف مليون طالب أجنبي يريدون الدراسة في الولايات المتحدة كل سنة، وأن الأوروبيين والآسيويين يريدون أن يشاهدوا أفلاماً وبرامج تلفزيونية أمريكية، وأن الحريات الأمريكية جذابة في أنحاء كثيرة من العالم، وأن الآخرين يحترمونا، ويريدون أن يقتدوا بنا عندما لا نكون متغطرسين أكثر من اللازم. وقيماً مصادراً مهمة لقوتنا الناعمة الطرية. وكلا القوتين، الصلبة والناعمة الطرية، لها أهميتها، ولكن في عصر معلومات عالمي، كما رأينا في الفصل الثاني، فإن القوة الناعمة الطرية تزداد نعومة وطراوة عما كانت عليه حتى في الماضي. فالتدفقات الكثيفة للمعلومات الرخيصة وسعت عدد قنوات الاتصالات عابرة القومية عبر الحدود الوطنية. وكما لاحظنا من قبل أيضاً، فإن الأسواق العالمية والمجموعات غير الحكومية - بما فيها من الإرهابيين - تلعب دوراً أكبر، وكثير منها يملك مصادر قوة ناعمة طرية. والدول تُخترق بسهولة أكبر، وهي أقل شبيهاً بالنموذج العسكري التقليدي لكرات بليارد مستقلة ذات سيادة تقفز مبتعدة عن بعضها البعض.

فالولايات المتحدة، بمجتمعها الديمقراطي المفتوح، سوف تستفيد من عصر المعلومات العالمية الآخذ في التطور، إذا طورنا فهماً أفضل لطبيعة قوتنا وحدودها. وسوف تظل مؤسساتنا جذابة للكثيرين، كما أن انفتاح مجتمعنا سوف يستمر في تعزيز مصداقيتنا. وهكذا فإننا كبلد سنكون في منزلة طيبة للاستفادة من القوة الناعمة الطرية. ولكن بما أن كثيراً من هذه القوة الناعمة

الطرية هو إنتاج عرضي غير مقصود للقوى الاجتماعية، فسوف تجد الحكومة في أغلب الأحوال أن التلاعب بها صعب.

والأخبار السارة هي أن الاتجاهات الاجتماعية لعصر المعلومات العالمي تساعد على تشكيل عالم سيكون قريباً من المُثل الأمريكية في الأمد الطويل. ولكنَّ القوة الناعمة الطرية التي تأتي من كونها «مدينة مشرقة على تل» (كما وصفها زعيم طائفة المتطهرين جون وينشروپ من قبل لأول مرة) لا تعطي القدرة على الإرغام التي تعطيها القوة الصلبة. فالقوة الناعمة الطرية حساسة الأهمية، ولكنها لا تكفي وحدها. بل ستكون القوتان معاً ضروريتين لسياسة خارجية ناجحة في عصر المعلومات العالمي. وعلى قادتنا أن يتأكدوا من أنهم يمارسون قوتنا الصلبة بطريقة لا تنتقص من قوتنا الناعمة الطرية.

### الاستراتيجية الكبرى والسلع العامة العالمية

كيف ينبغي على أمريكا أن تضع أولوياتنا في عصر عولمة عالمي؟ وما هي الاستراتيجية الكبرى التي ستيح لنا أن نتوجه بين «الامتداد الإمبراطوري المبالغ في طوله» والذي من شأنه أن ينشأ من دور الشرطي العالمي، مع تجنب خطأ الظن أن البلد يمكن أن ينعزل في عصر المعلومات العالمي هذا؟ إن المكان الذي ينبغي البدء منه هو فهم العلاقة بين القوة الأمريكية وبين السلع العامة العالمية. فمن جهة - ولأسباب مذكورة أعلاه - فإن القوة الأمريكية أقل فاعلية مما قد تبدو عليه للوهلة الأولى. فنحن لا نستطيع القيام بكل شيء. ومن جهة أخرى، فإن من المحتمل أن تبقى الولايات المتحدة أقوى بلد في العالم مدة طويلة في سياق القرن الحالي. وهذا يعطينا اهتماماً ومصلحة في الحفاظ على درجة من النظام الدولي. وبصورة مادية ملموسة أكثر، فإن هناك سبباً لكون الأمريكيين ذوي مصلحة وطنية تتجاوز حدودنا. ذلك أن الأحداث الجارية بعيداً هناك قد تؤذي. ونحن نريد التأثير على حكومات ومنظمات بعيدة بخصوص شتى لقضايا، مثل انتشار أسلحة الدمار الشامل، والإرهاب،

والمخدرات، والتجارة، والموارد، والضرر البيئي. وبعد الحرب الباردة تجاهلنا أفغانستان، ولكننا اكتشفنا أنه يمكن حتى لبلد فقير ناءٍ في أقاصي الدنيا أن يؤوي قوى قادرة على إلحاق الضرر بنا.

إن النظام الدولي هو، إلى حد كبير، سلعة عامة، شيء يستطيع كل شخص أن يستهلكها دون إنقاص توفرها للآخرين<sup>(5)</sup>. ويستطيع بلد صغير أن يستفيد من السلام في منطقته، ومن حرية البحار، وقمع الإرهاب، والتجارة المفتوحة، والسيطرة على الأمراض المعدية، أو الاستقرار في الأسواق المالية، كما تفعل الولايات المتحدة في الوقت نفسه دون إنقاص الفائدة للولايات أو للآخرين. والسلع العامة النقية نادرة بالطبع. والأشياء التي تبدو في نظرنا جيدة أحياناً قد تبدو سيئة في عيون الآخرين. أما العاجزية الضيقة أكثر من اللازم للسلع العامة فقد تصبح عقيدة تخدم الذات الأنانية عند الأقوياء. ولكن هذه التحذيرات إنما هي تذكير للتشاور مع الآخرين، وليست سبباً لنبدأ استراتيجي هام يساعدنا على وضع الأولويات والتوفيق بين مصالحنا الوطنية ومنظور عالمي أوسع.

فإذا كان المستفيد الأكبر من السلعة العامة (كالولايات المتحدة) لا يتولى زمام القيادة في تقديم موارد غير متناسبة تجاه تجهيزها، فليس من المحتمل أن يكون المستفيدون الأصغر قادرين على إنتاجها بسبب صعوبات تنظيم عمل جماعي عندما يكون عدد المشتركين فيه كبيراً<sup>(6)</sup>. ورغم أن هذه المسؤولية للأكبر كثيراً ما تتيح للآخرين أن يصبحوا «مستفيدين بالمجان»، فإن البديل

(5) للاطلاع على مناقشة كاملة لتعقيد التعريف ومشاكله، انظر كتاباً من تحرير إينغ كول، وإيزابيل غرونبرغ ومارك أ. شتيرن، بعنوان: السلع العامة العالمية: التعاون الدولي في القرن الحادي والعشرين (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 1999). وبالتعريف الدقيق، فإن السلع العامة ليست تنافسية ولا احتكارية حصرية.

(6) مانكور أولسون، منطق العمل الجماعي. السلع العامة ونظرية المجموعات (كمبريدج، ماساشوسيتس، مطبعة جامعة هارفارد، 1965).

لذلك هو أن الحافلة الجماعية لا تتحرك على الإطلاق. (وتعويضنا هو أن الأكبر يميل إلى ممارسة سيطرة أكبر على عجلة القيادة).

وهذا يضفي انعطافاً تحريفياً مختلفاً على العبارة التي كانت مادلين أولبرايت - وزيرة الخارجية السابقة - كثيراً ما تستخدمها وتزعم فيها أن الولايات المتحدة هي «الأمة التي لا غنى عنها». فنحن لا نحصل على استفادة بالمجان. ومن أجل لعب دور في إنتاج السلع العامة، تحتاج الولايات المتحدة إلى الاستثمار في مصادر القوة الصلبة، وكذلك في مصادر القوة الناعمة الطرية لتقديم مثل طيب يُحتذى. وتحتاج هذه الأخيرة إلى ضبط أكبر للنفس من جانب الكونغرس، وكذلك إلى تنظيم بيتنا من الداخل في الاقتصاد، والبيئة، والعدالة الجنائية وما إلى ذلك. إذ إن بقية العالم ترغب في أن ترى الولايات المتحدة تقود عن طريق تقديم النموذج. ولكن عندما يرى الناس أمريكا تضع مصالحها المحلية الضيقة قبل الاحتياجات العلمية، كما هي الحال في مستوى الانبعاثات الغازية الضارة، فإن الاحترام قد يتحول بسهولة إلى خيبة أمل واحتقار»<sup>(7)</sup>.

وتتطلب القوة الصلبة المتزايدة استثماراً للموارد في الجوانب غير العسكرية من الشؤون الخارجية، بما في ذلك معلومات مخبرات أفضل، وهي استثمارات لم يكن الأمريكيون مؤخراً على استعداد للقيام بها. فبينما كان الكونغرس مستعداً لإنفاق 16 بالمئة من الميزانية الوطنية على الدفاع، فإن النسبة المئوية المخصصة للشؤون الدولية قد تقلصت من 4 بالمئة في ستينيات القرن العشرين إلى واحد بالمئة فقط في هذه الأيام<sup>(8)</sup>. إن قوتنا العسكرية هامة، ولكن

(7) فيليب باورينغ، «أمريكا بوش تطور مشكلة صورة»، الإنترناشنال هيرالد تريبيون، 31 أيار/ مايو، 2001، ص8.

(8) ريتشارد ن. غاردنر، «حل الواحد في المئة»، فورين أفيرز، تموز/ يوليو - آب/ أغسطس، 2000، ص3.

دبلوماسيتنا أهم منها بستة عشر ضعفاً. فهناك أكثر من ألف موظف يعملون في مقر قيادة أصغر موقع عسكري إقليمي، أي أكثر بكثير من مجموع الموظفين الأمريكيين المخصصين لوزارات الخارجية، والتجارة، والخزينة، والزراعة<sup>(9)</sup>. فالعسكريون يؤدون دوراً محقاً في دبلوماسيتنا، ولكننا نستثمر في قوتنا الصلبة وفق شروط مُعسَّكَرة أكثر مما ينبغي.

وكما ناشد وزير الخارجية كولن باول الكونغرس، فإننا بحاجة إلى أن ننضخ مزيداً من الموارد في وزارة الخارجية، بما في ذلك خدماتها المعلوماتية الإعلامية والوكالة الدولية للتنمية إذا أريد لنا أن نوصل رسالتنا. فقد حذر تقرير من الحزبين كليهما عن الحالة في وزارة الخارجية بأنه «إذا لم يتم عكس توجه اللولب النازل إلى الأسفل كالدوامه، فإن آفاق الاعتماد على القوة العسكرية لحماية المصالح الوطنية الأمريكية ستزداد اتساعاً لأن واشنطن ستكون أقل قدرة على تجنب الأزمات، أو إدارتها، أو حلها عن طريق فن السياسة»<sup>(10)</sup>. وبالإضافة إلى ذلك، فإن إلغاء وكالة الإعلام الأمريكية (التي كانت تروج لآراء الحكومة في الخارج) ككيان منفصل، وامتصاصها في وزارة الخارجية، قد انتقص من فاعلية واحدة من أدوات القوة الناعمة الطرية لحكومتنا<sup>(11)</sup>. إن من الصعب أن تكون قوة عظمى بكلفة رخيصة، أو عن طريق الوسائل العسكرية وحدها.

وبالإضافة إلى الوسائل الأفضل، فإننا بحاجة إلى استراتيجية

(9) دانا بريست، «سياسة خارجية ذات أربع نحوم؟»، الواشنطن بوست، 28 أيلول/سبتمبر، 2000، ص1.

(10) روبن رايت، «تقرير يتحدث عن سوء الإدارة في وزارة الخارجية»، لوس أنجيلوس تايمز، 30 كانون الثاني/يناير، 2001، ص10.

(11) اللجنة الاستشارية الأمريكية الخاصة بالدبلوماسية العامة، دمج وكالة الإعلام في وزارة الخارجية: تقييم بعد سنة واحدة (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: تشرين الأول/أكتوبر 2000).

لاستخدامها. ويجب أن تضمن استراتيجيتنا الكبرى بقاءنا أولاً. ولكن عليها بعد ذلك أن تركز على تقديم سلع عامة عالمية. فمكسبنا من مثل هذه الاستراتيجية مزدوج: من السلع العامة نفسها، ومن الطريقة التي تجعل بها قوتنا مشروعة في نظر الآخرين. ومعنى هذا أن علينا أن نعطي أولوية عليا لتلك الجوانب من النظام الدولي التي إذا ما تُركت بدون رعاية كافية فسوف تكون لها آثار عميقة على ذلك النظام، وبالتالي على حياة أعداد كبيرة من الأمريكيين ومن الناس الآخرين كذلك. وتستطيع الولايات المتحدة أن تتعلم من دروس بريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر، عندما كانت قوة متفوقة هي الأخرى. فقد كانت السلع العامة الثلاث التي اهتمت بها ورعتها بريطانيا هي: (1) الحفاظ على توازن للقوى بين الدول الكبرى في أوروبا، (2) الترويج لنظام اقتصادي دولي مفتوح، و(3) الحفاظ على الأشياء الدولية المشتركة مفتوحة، كحرية الملاحة في البحار وقمع القرصنة.

وهذه الأشياء الثلاثة تنطبق كلها إلى حد ما على الوضع الأمريكي الحالي. فالحفاظ على توازن إقليمي للقوى وكبح الحوافز المحلية لاستخدام القوة لتغيير الحدود يقدم سلعة عامة لكثير من البلدان (ولكن ليس لها جميعاً) فالولايات المتحدة تساعد على «تشكيل البيئة» (بعبارة تقرير البنتاغون لمراجعة السياسة الدفاعية مرة كل أربع سنوات) في أقاليم شتى، ولذلك فإننا - حتى في الأوقات الطبيعية العادية - نحفظ بنحو مئة ألف جندي في قواعد متقدمة في أوروبا، وبالعدد نفسه في آسيا، وبنحو عشرين ألفاً بالقرب من الخليج الفارسي. فالدور الأمريكي كعامل استقرار، وضمانة ضد عدوان قد يشنه طامحون إلى الهيمنة في مناطق هامة، إنما هو قضية ورقة رابحة. فينبغي علينا أن لا نتخلى عن هذه المناطق، كما اقترح البعض في الآونة الأخيرة، رغم أن وجودنا في الخليج يمكن معالجته بطريقة أكثر حنكة وبراعة.

والترويج لنظام اقتصادي دولي مفتوح هو شيء جيد للنمو الاقتصادي



الأمريكي ولبلدان أخرى كذلك. وكما رأينا في الفصل الثالث، فإن انفتاح الأسواق العالمية هو شرط ضروري (ولو أنه غير كاف) لتخفيف وطأة الفقر في البلدان الفقيرة، حتى ولو كان يفيد الولايات المتحدة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن النمو الاقتصادي على المدى الطويل يرجح احتمال تغذية مجتمعات مستقرة، ديمقراطية للطبقات الوسطى، ولو أن النطاق الزمني لذلك قد يكون طويلاً تماماً. ولإبقاء النظام منفتحاً، يتعين على الولايات المتحدة أن تقاوم النزعة الحمائية في الداخل، وأن تدعم المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل منظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، التي تقدم إطاراً لقواعد الاقتصاد العالمي.

ومثل بريطانيا القرن التاسع عشر فإن الولايات المتحدة لها مصلحة في الحفاظ على الأشياء الدولية المشتركة، كالمحيطات، مفتوحة للجميع. وسجلنا هنا مختلط، فهو جيد في ما يتعلق بحرية البحر. وعلى سبيل المثال فعندما اشتعل القلق في جنوب شرقي آسيا في سنة 1995 من مطالبة الصين بجزر سبارتلي في بحر الصين الجنوبي، تجنبت الولايات المتحدة الادعاءات المتضاربة للدول المختلفة بشأن ملكية الجزر الصغيرة والصخور هناك، ولكنها أصدرت بياناً يعيد التأكيد بأن البحر ينبغي أن يظل مفتوحاً لجميع البلدان. وعندئذ وافقت الصين على معالجة الموضوع وفق قانون معاهدة البحار. أما اليوم، فإن الأشياء الدولية المشتركة تشمل قضايا جديدة مثل تغير المناخ، والحفاظ على الأجناس المهددة بالانقراض، واستعمالات الفضاء الخارجي، وكذلك الفضاء السبيري [شبكة الحقيقة الافتراضية المشتركة، أي عالم البيئات، مثل الإنترنت، الذي يتخاطب بداخله الأشخاص بواسطة كومبيوترات مترابطة، على نحو مستقل عن المسافة المكانية: المعرب]. ولكن في بعض القضايا، مثل المناخ العالمي، أخذت الولايات المتحدة مكانة أقل مما هو ضروري. وإن وضع قواعد تحافظ على حق النفاذ والوصول للجميع بظل شيئاً تابعاً للمصلحة

العامة اليوم بالقدر الذي كان فيه كذلك في القرن التاسع عشر، رغم أن بعض القضايا أعقد وأصعب من حرية البحار.

وتتمتع هذه السلع العامة الكلاسيكية التقليدية الثلاث بتوافق مواقف الرأي العام الأمريكي، ويمكن تقديم بعض هذه الأشياء عن طريق أعمال أحادية الجانب. ولكن هناك أيضاً ثلاثة أبعاد جديدة من السلع العامة العالمية في عالم اليوم. فأولاً: ينبغي على الولايات المتحدة أن تساعد في تنمية وصيانة أنظمة عالمية من القوانين والمؤسسات التي تنظم العمل الدولي في مجالات متنوعة... لا تقتصر على التجارة والبيئة، بل تشمل أيضاً انتشار الأسلحة، وحفظ السلام، وحقوق الإنسان، والإرهاب، وغيرها من الهموم الأخرى. فالإرهاب بالنسبة للقرن الحادي والعشرين هو ما كانت عليه القرصنة بالنسبة لفترة سابقة، حيث كانت بعض الحكومات تعطي القرصنة واللصوص المفوضين من قبلها بنهب موانئ آمنة كي تكسب منهم عائدات أو تضايق بهم أعداءها. وعندما صارت بريطانيا القوة البحرية المسيطرة في القرن التاسع عشر قمعت القرصنة، فاستفادت معظم البلدان من ذلك الوضع. أما اليوم، فإن بعض الدول تؤوي إرهابيين كي تهاجم أعداءها، أو لأنها أضعف من أن تسيطر على جماعات قوية. فإذا اعتُبرت حملتنا الحالية ضد الإرهاب أحادية الجانب أو منحازة، فإن من المحتمل أنها ستفشل، ولكن إذا واصلنا الحفاظ على تحالفات واسعة لقمع الإرهاب فإن لدينا أفقاً جيداً من النجاح. وبينما لا ترى الجماعات التي تهاجمنا أن حملتنا ضد الإرهاب هي للمصلحة العامة العالمية، فإن هدفنا ينبغي أن يكون عزل هذه الجماعات وتخفيض عدد الدول القليلة التي تقدّم لها المأوى.

وعلينا كذلك أن نجعل التنمية الدولية أولوية أعلى، لأنها سلعة عالمية الأهمية للمصلحة العامة أيضاً. إذ إن كثيراً من الأغلبية الفقيرة في العالم تعيش في اضطراب، غارقة في حل حلقة مفرغة من المرض، والفقر، وعدم الاستقرار السياسي. فالمساعدة العلمية والمالية من البلدان الغنية وعلى نطاق

واسع لها أهميتها ليس لأسباب إنسانية فحسب، بل أيضاً (كما جادل جيفري ساخس، الاقتصادي من جامعة هارفارد) «لأنه حتى البلدان النائية تصبح قواعد أمامية للاضطراب بالنسبة لباقي أنحاء العالم»<sup>(12)</sup>. وسجلنا هنا أقل إثارة للإعجاب. فقد تقلّصت مساعدتنا الخارجية إلى 0,1 بالمئة من إجمالي ناتجنا الوطني، أي نحو ثلث المستويات الأوروبية. كما أن إجراءات الحماية التجارية التي نتخذها كثيراً ما تلحق أفدح الضرر بالبلدان الفقيرة. والمساعدات الخارجية على وجه العموم ليست لها شعبية في صفوف الجمهور الأمريكي. وسبب ذلك جزئياً (كما تظهر استطلاعات الرأي) هو أنهم يعتقدون أننا ننفق عليها خمسة عشر ضعفاً أو عشرين ضعفاً مما ننفقه بالفعل. ولو أن زعماءنا توجهوا بالمناشدة إلى غرائزنا الإنسانية، وإلى اهتمامنا بالاستقرار، وخطبونا بصورة مباشرة أكثر فقد يتحسن سجلنا. وكما قال الرئيس بوش في تموز/ يوليو سنة 2001: «إن هذا تحدّ أخلاقي كبير»<sup>(13)</sup>. ومن المؤكد أن المعونة ليست كافية للتنمية، إذ إن فتح أسواقنا، وتقوية المؤسسات الخاضعة للمساءلة، وتثبيط الفساد أهم حتى من ذلك<sup>(14)</sup>. فالتنمية تستغرق وقتاً طويلاً. ونحن بحاجة إلى استكشاف طرق أفضل للتأكد من أن مساعدتنا تصل إلى الفقراء فعلاً، ولكن الحكمة واهتمامنا بقوتنا الناعمة الطرية يشيران إلى أنه ينبغي علينا أن نجعل التنمية أولوية أعلى.

فالولايات المتحدة، كقوة متفوقة، تستطيع أن تقدّم سلعة عامة مهمة

(12) جيفري ساخس، «ما يصلح للفقراء يصلح لأمريكا»، الإيكونوميست، عدد 14 تموز/ يوليو، 2001، ص 32 - 33.

(13) «بوش يقترح تحويل المساعدات إلى مَنح للأمم الفقيرة»، النيويورك تايمز، 18 تموز/ يوليو، 2001، القسم 8، ص 1.

(14) وليم إسترلي، «فشل التنمية»، الفاينانشال تايمز (لندن)، 4 تموز/ يوليو 2001، ص 32؛ داني رودريك، الاقتصاد العالمي الجديد والدول النامية: إنجاح الانفتاح (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مجلس التنمية الخارجية، 1999).

بالعمل كوسيط . فباستخدام مساعينا الحميدة للتوسط في نزاعات في أماكن مثل إيرلندا الشمالية والشرق الأوسط ، أو بحر إيجه ، تستطيع الولايات المتحدة أن تساعد في تشكيل النظام الدولي بطرق مفيدة لنا ولأمم أخرى كذلك . فمن المغري أحياناً ترك الصراعات العنيدة تتقبح وتنتهب ، وهناك بعض الأوضاع التي تستطيع فيها بلدانٌ أخرى أن تلعب دور الوسيط على نحو أكثر فاعلية . وحتى عندما لا نريد أخذ زمام القيادة ، يمكن أن تكون مشاركتنا جهرية ، كما يشهد على ذلك عملنا مع أوروبا لمحاولة منع نشوب حرب أهلية في مقدونيا . ولكن كثيراً ما تكون الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة القادرة على الجمع بين أعداء ألداء ، كما هي الحال في عملية السلام في الشرق الأوسط . وعندما ننجح ، فإننا نعزز سمعتنا ونزيد قوتنا الناعمة الطرية وفي الوقت نفسه نقلص واحداً من مصادر عدم الاستقرار .

#### الجدول 5 - 1 استراتيجية قائمة على سلع عامة عالمية

- 1 - حافظ على توازن القوى في المناطق الهامة .
- 2 - روج لاقتصاد دولي مفتوح .
- 3 - حافظ على الأشياء الدولية المشتركة .
- 4 - حافظ على قواعد ومؤسسات دولية .
- 5 - ساعد في التنمية الاقتصادية .
- 6 - إعمل كجامع للائتلافات والتحالفات ووسيط في النزاعات .

#### حقوق الإنسان والديمقراطية

إن استراتيجية كبرى لحماية مصالحنا التقليدية الحيوية وترويج السلع العامة العالمية تعالج ثلثي مصلحتنا الوطنية . فحقوق الإنسان والديمقراطية هي العنصر الثالث ، ولكنها لا تندمج مع العنصرين الآخرين . فهناك بلدان وحضارات أخرى تفسر هذه القيم بصورة مختلفة ، ويغضبها تدخلنا في شؤون سيادتها بتصرف أحادي الجانب ندعي فيه الحق لأنفسنا . وكما تدمر رئيس

الوزراء الماليين مهاتير محمد من إدارة كلينتون: «لم يُسبغ أحدٌ هذا الحق على هذا الرئيس الذي يشن حملةً صليبية». أو بعبارة أخرى قالها ناقد من الجمهوريين (وهو الآن مسؤول كبير في السنتاغون): «إن أمريكا محتارة حقاً من فكرة أن إصرارها على فرض رأيها باسم المبادئ العالمية العامة يمكن أن يراها الآخرون أحياناً شكلاً من أشكال التفرد الأمريكي من جانب واحد». ومع ذلك فإن هذه التهمة توجهها إلى أمريكا بلدان كثيرة، بما فيها بعض أصدقائنا. «إن الرؤساء الويلسونيين يدفعونهم إلى الجنون، ولقد ظلوا يفعلون ذلك منذ أيام وودرو ويلسون»<sup>(15)</sup>. [إشارة إلى مبادئه الأربعة عشر التي أعلنها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى: المعزب].

لقد ظل الأمريكيون يتصارعون مع كيفية دمج قيمنا مع مصالحنا الأخرى منذ الأيام الأولى لقيام الجمهورية. والآراء الرئيسية الأربعة تتخطى الحواجز الحزبية. فالانعزاليون يعود رأيهم إلى أيام التأكيد الشهير الذي أطلقه جون كوينسي آدمز سنة 1821 بأن الولايات المتحدة «لا تذهب إلى الخارج بحثاً عن وحوش لتدمرها» بينما يركز الواقعيون على نصيحته النفعية الذرائعية بأننا ينبغي أن لا نوزع أنفسنا «بما يتجاوز القدرة على تخليص أنفسنا في جميع حروب المصالح والمؤامرات»<sup>(16)</sup>. ومنذ أيام وودرو ويلسون على الأقل، ظل الليبراليون يؤكدون على الديمقراطية وحقوق الإنسان كأهداف للسياسة الخارجية، وأعاد جيمي كارتر ترسيخها كأولوية. وحتى رونالد ريغان، الذي هو من المحافظين بالتأكيد، كان يلجأ إلى لغة حقوق الإنسان. كما أن المحافظين الجدد اليوم «يمثلون في الحقيقة النوع الريغاني من النزعة

(15) بينر رودمان، العملاق القليل: التحديات ضد التفوق الأمريكي (واشنطن: مركز نيكسون، 2000)، ص 3، 15، 44.

(16) ريتشارد بيرنشتاين، «التدخل أو عدم التدخل في حقوق الإنسان: الفجوة تضيق»، النيويورك تايمز، 4 آب/ أغسطس، 2001، ص 15.

الويلسونية»<sup>(17)</sup>. ولقد كرّر الرئيس جورج ووكر بوش إطلاق التحذير الواقعي بأن الولايات المتحدة «لا تستطيع أن تكون شرطة النجدة للعالم». ولكن دزيتين من أبرز المحافظين الجدد، ومنهم وليام بينيت ونورمان بودهورتيز، قد حثّوه على أن يجعل حقوق الإنسان، والحرية الدينية، والديمقراطية أولويات للسياسة الخارجية الأمريكية، وأن «لا يتبنى وجهة نظر ضيقة للمصالح الوطنية الأمريكية»<sup>(18)</sup>.

ويشجب الواقعيون في الجغرافيا السياسية مثالية ويلسون باعتبارها خطرة. وكما لاحظ روبرت فروست بطريقته الساخرة، فإن الأسوار الجيدة يمكنها المساعدة في صنع جيران جيدين. ورغم أن تآكل السيادة قد يساعد على دفع حقوق الإنسان إلى الأمام في الأنظمة القمعية، فإنه ينذر أيضاً باضطرابات كبيرة. فسلام ويستفاليا في القرن السابع عشر أوجد نظاماً من الدول المستقلة للحد من الحروب الأهلية الضارية حول الدين [بعد حرب الثلاثين سنة، من 1618 إلى 1648، بين الكاثوليك والبروتستانت، التي تركت ألمانيا قاعاً صفصفاً، جاء سلام ويستفاليا نتيجة معاهدتي أوزنابروك ومونزتر اللتين أدتا إلى الاعتراف بالمساواة السياسية والدينية بين الدويلات الألمانية. فمُنحت فرنسا معظم الألزاس، وتلقّت السويد جزءاً من بوميرانيا ومناطق أخرى، وأُعلن استقلال كل من سويسرا وهولندا: المعرب]. إن كون السيادة آخذة في التغير هو على وجه العموم قيدٌ على السياسة. ولكن سواء أحب أصحاب الاستراتيجيات لواقعيون ذلك أم كرهوه، فإن حالات إنسانية مثل الصومال، والبوسنة، ورواندا، وهايتي، وكوسوفو، وتيمور الشرقية، سوف تفرض نفسها

(17) رودمان، العملاق القلبي، ص 40.

(18) ستيفن موفسون، «اليمين يكرّز بوش حول الحقوق»، الإنترناشنال هيرالد تريبيون، 27 - 28 كانون الثاني / يناير 2001، ص 3؛ انظر أيضاً «القوة الأمريكية - من أجل ماذا؟ ندوة»، كومتري، عدد كانون الثاني / يناير 2000، ص 21 الحاشية.

في مقدمة مسرح الأحداث بسبب قدرتها على إثارة الاهتمام والانتباه في عصر المعلومات العالمي. وسوف تستمر مثل هذه الحالات في الانتشار بسرعة. وكما رأينا في الفصل الثالث، فإن العولمة آخذة في تمزيق طراز الحياة التقليدي. والدول الضعيفة الباقية في أعقاب انهيار الإمبراطورية السوفياتية، والإمبراطوريات الأوروبية العتيقة في إفريقيا، مكشوفة وعرضة للعطب بشكل خاص. ولئن كانت هناك صدامات للحضارات فإنها تقع بصورة متواترة أكثر ضمن البلدان أو المناطق حول ما أسماه فرويد نرجسيات الفوارق الصغيرة، وليس كصدام هائل بين «الغرب والباقيين»<sup>(19)</sup>. وهذا بدوره يؤدي إلى عنف متزايد وخرق لحقوق الإنسان، وكل ذلك بحضور عدسات التلفزيون والإنترنت. والنتيجة وضع مجموعة صعبة من القضايا على جدول أعمال سياستنا الخارجية، تشكل تحدياً لقيمتنا. وقيمتنا بالطبع مصدر هام من مصادر قوتنا الناعمة الطرية.

وإذن، فأين يأتي موقع حقوق الإنسان والديمقراطية في استراتيجيتنا؟ إن حقوق الإنسان جزء هام من سياستنا الخارجية، ولكنها ليست السياسة الخارجية بحد ذاتها، لأن السياسة الخارجية جهد لتحقيق عدة أغراض: الأمن والفوائد الاقتصادية، وكذلك النتائج الإنسانية. وأثناء الحرب الباردة كان هذا كثيراً ما يعني أننا مضطرون إلى التسامح - على مضض وبعد تمنع - مع إساءات لحقوق الإنسان على أيدي أنظمة كانت حساسة الأهمية لموازنة القوة السوفياتية، كما في حالة كوريا الجنوبية قبل تحولها إلى ديمقراطية. وهناك مشاكل مماثلة ملحة في الفترة الراهنة، ويشهد على ذلك غياب سياسة أمريكية لتعزيز الديمقراطية في

(19) ج. پاسكال زاخاري، «قوى السوق تضيف ذخيرة إلى الحروب الأهلية»، وول ستريت جورنال، 12 حزيران/ يونيو، 2000، ص 21. وبين سنتي 1989 و1998 اندلعت 108 نزاعات مسلحة في ثلاثة وسبعين مكاناً في أنحاء العالم؛ وكان 92 منها ضمن البلد نفسه، وليس بين بلدين.

المملكة العربية السعودية، أو الحاجة إلى موازنة حقوق الإنسان في روسيا مع مصلحتنا في تشكيل ائتلاف مضاد للإرهاب.

ولقد اقترح وليام بيرى وأشتون كارتر، المسؤولين السابقان في إدارة كلينتون، مخططاً لتقييم المخاطر على أمن الولايات المتحدة، وللمساعدة في إعادة تأكيد الأولويات الوطنية في حالات قد تنطوي على استخدام القوة. وكانت على قمة الهرم في مخططهما التهديدات المدرجة في القائمة ألف، بحجم ما كان التهديد السوفييتي يمثلُه على بقائنا. وهذه فئة ينطبق عليها أيضاً التهديد من الصين أو من انتشار الأسلحة النووية. أما القائمة باء للأخطار الداهمة التي تهدد مصلحتنا (ولكن لا تهتد بقاءنا) فهي تشمل أوضاعاً كذلك التي في شبه الجزيرة الكورية وفي الخليج الفارسي. وأما القائمة جيم الحاوية على «الحالات الطارئة الهامة ذات التأثير غير المباشر على أمن الولايات المتحدة ولكنها لا تشكل تهديداً مباشراً للمصالح الأمريكية» فهي تشمل «الكوسوفيين والبوسنيين، والصوماليين، والروانديين، والهايتيين»<sup>(20)</sup>.

غير أن المدهش هو أن قائمة جيم، الخاصة بحالات التدخل الإنساني، كثيراً ما تطفئ على جدول أعمال السياسة الخارجية. وقد تكهن كارتر وپيرى بأن سبب ذلك هو غياب تهديدات القائمة ألف بعد نهاية الحرب الباردة. وهذا صحيح إلى حد ما، ولكن هناك سبباً آخر هو قدرة قضايا القائمة جيم على الاستيلاء على اهتمام أجهزة الإعلام في عصر المعلومات العالمي. فالصور الحية العنيفة المليئة بالصراع الإنساني الداهم الفوري والآلام، يكون نقلها إلى الجمهور أسهل من نقل الأشياء المجردة الواردة في القائمة ألف، مثل إمكانية

(20) أشتون ب. كارتر ووليام ج. بيرى، الدفاع الوقائي: خطة استراتيجية أمنية جديدة لأمريكا (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مطبعة مؤسسة بروكينغز، 1999)، ص 11 - 15.



قيام «جمهورية فايمار في روسيا»، أو أهمية تحالفنا مع اليابان، أو الانهيار المحتمل للنظام الدولي للتجارة والاستثمار. فقليلون هم الأمريكيون الذين يستطيعون أن ينظروا إلى الصور التلفزيونية للناس الذين يقتلهم الجوع أو اللاجئين البائسين في نشرة أخبار المساء قبيل العشاء دون أن يشعروا أن علينا أن نقوم بشيء ما لمعالجة ذلك إن استطعنا. وبعض الحالات سهلة تماماً، كإمدادات الإغاثة لضحايا إعصار في أمريكا الوسطى، أو المراحل الأولى للإغاثة من المجاعة في الصومال. ولكن كما هو الوضع في الصومال، فإن بعض الحالات التي تبدو بسيطة في الظاهر، يمكن أن يتضح أنها صعبة للغاية، وهناك حالات صعبة منذ البداية كما في كوسوفو.

والمشكلة بالنسبة لهذه الحالات هي أن الاهتمام الإنساني الذي يحرض على العمل كثيراً ما يثبت أنه سطحي تماماً عندما يواجه تكاليف كبيرة في الأرواح والأموال. فالحافز الدافع إلى مساعدة الصوماليين الذين يموتون جوعاً (والذين كان زعماء الحرب الأهلية المختلفون يعترضون الإمدادات الغذائية الذاهبة إليهم) اختفى عند مواجهة صورة جثة أمريكي مقتول تُسحب عبر شوارع مقاديشو. ويعزى هذا أحياناً إلى الإحجام الشعبي عن قبول الإصابات والضحايا. ولكن في ذلك تبسيطاً للأمور أكثر من اللازم. فقد ذهب الأمريكيون إلى حرب الخليج وهم يتوقعون أكثر من عشرة آلاف إصابة. وبعبارة أنسب، فإن الأمريكيين يتمنعون عن قبول الإصابات عندما تكون مصالحهم الوحيدة هي مصالح إنسانية محضة غير متبادلة. ومن سخرية القدر أن ردة الفعل ضد مثل هذه الحالات قد لا تقتصر على صرف الانتباه، والحد من الاستعداد لدعم مصالح القائمة ألف، بل إنها قد تتدخل أيضاً في العمل في حالات إنسانية أكثر جدية وخطورة. فقد كان من بين الآثار المباشرة لكارثة الصومال العجز الأمريكي (مع بلدان أخرى) عن تقديم الدعم والتعزيز لقوة حفظ السلام التابعة

للأمم المتحدة في رواندا، مما كان يمكن أن يحد من حرب الإبادة الحقيقية التي وقعت فيها سنة 1994<sup>(21)</sup>.

وليست هناك أجوبة سهلة لمثل هذه الحالات. فنحن لا نستطيع ببساطة أن نغلق جهاز التلفزيون أو نقطع الصلة الكهربائية للكمبيوتر حتى ولو أردنا ذلك. ولا نستطيع ببساطة أن نتجاهل القائمة جيم، ولا ينبغي علينا ذلك. ولكن هناك قواعد معينة للحكمة والتعقل كي تساعدنا التدخلات الإنسانية على دمج قيمنا ومصالحنا الأمنية، وشق طريق بين أخطار الويلسونية المطلقة غير المقيّدة والواقعية الضيقة التي شرحها جورج ووكر بوش بالتفصيل في حملته الانتخابية في سنة 2000.

فأولاً هناك درجات كبيرة من القلق أو الاهتمام الإنساني ودرجات كبيرة من التدخل، مثل الشجب، والعقوبات التي تستهدف الأفراد، ثم العقوبات الواسعة، والاستخدامات المتنوعة للقوة. ويجب أن نوفر الطرف العنيف للطفيف لأفزع الحالات وأشدّها كما هو مناقش أدناه. وثانياً: عندما نستخدم القوة فعلاً، يجدر بنا أن نتذكر بعض مبادئ الحرب العادلة: أن تكون لنا قضية عادلة في عيون الآخرين، والتمييز في الوسائل كي لا نعاقب الأبرياء غير المستحقين للعقاب، والتناسب بين غاياتنا ووسائلنا، ووجود احتمال راجح (وليس تمنيات ورغبات) بأن العواقب ستكون جيدة. فمثل هذه الاعتبارات سيكون من شأنها أن تمنعنا من إرسال قوات إلى داخل الحروب الأهلية في الكونغو أو الشيشان، حيث إن الصعوبة وتكاليف تحقيق غاياتنا تتجاوز وسائلنا.

وثالثاً: (فيما عدا حالات حرب الإبادة)، ينبغي علينا أن نتجنب استخدام القوة ما لم تكن مصالحنا الإنسانية معززة بوجود مصالحنا الوطنية الأخرى، لأن

(21) ساماشا باور، «المفرجون على حرب الإبادة»، أتلانتيك مثلثي، أيلول/ سبتمبر 2001،

من غير المحتمل أن تكون لدينا القوة اللازمة للاستمرار. كانت هذه هي الحالة في حرب الخليج، حيث لم تقتصر اهتماماتنا على العدوان ضد الكويت، بل شملت أيضاً إمدادات الطاقة وحلفاءنا الإقليميين. ولم تكن هذه هي الحالة في الصومال. إذ إن غياب المصالح الأخرى - كما رأينا - قد جعل تدخلنا غير قابل للاستدامة عندما تصاعدت تكاليفه. أما في يوغسلافيا السابقة (البوسنة وكوسوفو)، فقد كانت مصالحنا تنبع من حلفائنا الأوروبيين ومن حلف شمال الأطلسي.

ورابعاً: ينبغي علينا أن نحاول إشراك عناصر إقليمية فاعلة أخرى، ونتركها تأخذ زمام القيادة حيثما يكون ذلك ممكناً. ففي تيمور الشرقية، أخذت أستراليا زمام القيادة، بينما قدمت أمريكا الدعم في التعبئة والمخابرات. وفي سيراليون أخذت بريطانيا زمام القيادة. وبعد فشلنا في رواندا عرضت الولايات المتحدة في وقت متأخر أن تساعد الدول الأفريقية في التدريب، والمخابرات، والأمور التعبوية والمواصلات إذا قدمت تلك الدول الجنود لقوات حفظ السلام، بما فيها قوات الاستجابة السريعة الأوروبية المخطط لها، والتي سيكون من شأنها أن تتمكن من التصرف في الحالات الطارئة الأقل حدة، حيث لا حاجة بنا إلى التورط. وينبغي علينا أن نشجع ازدياد الاستعداد والقدرة لدى الأوروبيين لأخذ زمام القيادة في قضايا مثل حفظ السلام في البلقان.

وخامساً: إن للشعب الأمريكي مصلحة إنسانية حقيقية في منع حدوث محرقة أخرى، كما حدث في رواندا سنة 1994. فنحن بحاجة إلى أن نعمل أكثر لتنظيم منع حروب إبادة والتصدي للحالات الحقيقية لهذه الحروب. ولسوء الحظ فإن الميثاق الخاص بحروب الإبادة مكتوب بشكل فضفاض بحيث يُساء استخدام هذه العبارة لأغراض سياسية إلى درجة ابتذالها بتطبيقها على أي جريمة كراهية. فعلى أن نتبع توصيات دراسة الأمم المتحدة التي نُصِّت سنة 1985 على أنه «لكيلا تنتقص قيمة مفهوم حرب الإبادة أو تخفف بتضخيم الحالات...»

فإن من الوارد أن يتم النظر في الحجم المناسب والأعداد الإجمالية لأنها ذات صلة<sup>(22)</sup>. وبِغَضِّ النظر عن نصِّ كلمات الميثاق، ومحاولات الأطراف في حالات معينة، فإن علينا أن نركّز ردود فعلنا العسكرية على مواجهة نوايا تدمير أعداد كبيرة من البشر.

وأخيراً: ينبغي علينا أن نتوخى الحذر الشديد بشأن التدخل في حروب أهلية حول تقرير المصير، مثل مطالبة بعض الجماعات بالانفصال في إندونيسيا، أو آسيا الوسطى، أو كثير من البلدان الإفريقية. وقد نُجِرُ إلى التدخل لأسباب أخرى، كما في الحالات المذكورة آنفاً، ولكن علينا أن نتجنب الانحياز إلى أي طرف بين المجموعات العرقية بقدر المستطاع. ذلك أن قتل الألبانيين للمدنيين الصرب بعد حرب كوسوفو ليس له تبرير أكثر من قتل الصرب للمدنيين الألبانيين قبل الحرب. وفي عالم تعيش فيه أكثر من عشرة آلاف مجموعة عرقية أو لغوية في نحو مئتي دولة فقط، فإن مبدأ تقرير المصير يشكّل تهديداً بعنف هائل. وهو غامض في السياق الأخلاقي. وكثيراً ما تُرتكَبُ الفظائع على أيدي النشطاء من الجانبين (أي الإبادة المتبادلة)، كما أن السابقة التي سنسحلها بدعم حقّ عام لتقرير المصير قد تكون لها عواقب كارثية.

ولن تحل أيّ من هذه القواعد كل مشاكل البتّ في مصلحتنا الوطنية في الحالات الصعبة. فقد كان من شأنها أن تؤدي إلى التدخل في يوغسلافيا السابقة، وإلى عمل أقوى في رواندا، ولكن إلى حذر أكبر في الصومال وكثير من الحروب الأهلية الإفريقية. وفي مكانٍ ما بين أن نكون شرطة نجدة العالم من جهة، وأن نتنحى جانباً من جهة أخرى، سنحتاج إلى مثل هذه القواعد

(22) سامنثا پاور، «مشكلة من الجحيم»، فشل أمريكا في منع حرب الإبادة (نيويورك:

بيسك بوكس، 2002)، الفصل الخامس.

الحكيمة، كي نصوغ مصالحنا الاستراتيجية، والاقتصادية، والخاصة بحقوق الإنسان، في سياسة خارجية مستدامة.

#### الجدول 5 - 2 قواعد الحكمة للتدخل الإنساني

- 1 - تميز درجات التدخل والتناسب
- 2 - قرّر أن هناك قضية عادلة ونحاحاً محتملاً.
- 3 - عزز المصالح الإنسانية بمصالح أخرى.
- 4 - أعط أولوية لعناصر إقليمية فاعلة أخرى.
- 5 - كن واضحاً في ما يتعلق بالإبادة.
- 6 - كن حذراً من الحروب الأهلية حول تقرير المصير.

إن العثور على صيغة للبت في الوقت الذي يكون فيه التدخل الإنساني مبرراً هو شيء ضروري ولكنه غير كافٍ لدمج حقوق الإنسان في سياستنا الخارجية. كما أن كيفية تصرفنا في الداخل لها أهميتها. ومنظمة العفو الدولية شديدة القسوة في إعلانها أن «الولايات المتحدة اليوم حجر عثرة أمام حقوق الإنسان بقدر ما هي مدافع عن هذه الحقوق». ولكن الولايات المتحدة، بتجاهلها معاهدات حقوق الإنسان أو رفضها المصادقة عليها (مثل تلك الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتمييز ضد النساء)، تنتقص من قوتنا الناعمة الطرية المتعلقة بهذه القضايا<sup>(23)</sup>. وفي بعض الأحيان، تكون أسباب إحجامنا عن التدخل ثانوية، ولكن التأثير على سمعتنا يكون كبيراً لا يستهان به. وعلى سبيل المثال، فقد استغرقت الولايات المتحدة ست سنوات كي توقع البروتوكول الخاص بتوريط الأطفال في النزاع المسلح، لأن البنتاغون كان يريد تجنيد فتيان في السابعة عشرة (مع موافقة الوالدين). ثم اتضح أن ذلك

(23) نورمان كيمبستر، «الولايات المتحدة تتعرض لنقد حاد بسبب قضايا حقوق الإنسان»،

الإنترناشنال هيرالد تريبيون، 31 أيار/ مايو، 2001، ص3.

لم يكن يمس سوى أقل من 3000 مجنّد من مجموع 1,4 مليون أمريكي يرتدون الزي العسكري<sup>(24)</sup>.

وتعزيز الديمقراطية ونشرها هو أيضاً مصلحة وطنية، ومصدر من مصادر القوة الناعمة الطرية، ولو أن دور القوة هنا أقل مركزية والعملية بطبيعتها ذات أمد أطول. فللولايات المتحدة مصلحة عقائدية إيديولوجية، ونفعية عملية في تعزيز الديمقراطية. ورغم أن الحجّة القائلة بأن الديمقراطيات لا تشن الحرب ضد بعضها بعضاً أبداً هي حجة مبسطة أكثر من اللازم، فإن من الصعب العثور على ديمقراطيات ليبرالية تفعل ذلك<sup>(25)</sup>. فالديمقراطيات الشعبية غير الليبرالية، مثل بيرو، أو إكوادور، أو فنزويلا، أو إيران، أو البلدان التي تمر بالمراحل المبكرة من الديمقراطية، قد تصبح خطرة. ولكن إنتاج الديمقراطيات الليبرالية لللاجئين، أو انغماسها في الإرهاب أقل احتمالاً<sup>(26)</sup>. وإن تصريح الرئيس كلينتون سنة 1995 بأن «أفضل استراتيجية، في آخر الأمر، لضمان أمننا وإقامة سلام يدوم، هو دفع الديمقراطية لإحراز تقدّم في كل مكان» فيه جوهر من

(24) برbara كروسيت، «كلينتون يوقع اتفاقيات للمساعدة على حماية الأطفال»، النيويورك تايمز، 6 تموز/ يوليو، 2000، القسم 8، ص7.

(25) جون م. أوين، «كيف تنتج الليبرالية سلاماً ديمقراطياً»، إنترناشنال سيكيوريتي، خريف 1994؛ جون ر. أوبيل وبروس راسيت، «تقييم السلام الليبرالي مع تحديدات بديلة: التجارة لا تزال تخفف الصراع»، جورنال أوف بيس ريزيرتش (أوسلو)، تموز/ يوليو 1999؛ فريد زكريا، «صعود الديمقراطية غير الليبرالية»، فورين آفيرز، تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 1997. وللاطلاع على نظرة نقدية متخصصة على مقولة «السلام الليبرالي»، انظر جوان عوا، صناديق اقتراع ورصاص: السلام الديمقراطي المروغ (برينستون: مطبعة جامعة برينستون)؛ وللاطلاع على تقييم إيجابي متخصص، انظر سبنسر ر. ويرت، لا حرب على الإطلاق: لماذا لا تفتبل الديمقراطيات (نيوهافن: مطبعة جامعة ييل، 1998).

(26) انظر إدوارد د. مانسفيلد وباك سنايدر «الدمقرطة والحرب»، فورين آفيرز، أيار/ مايو 1995.

الحقيقة إذا تَمَّت مقارنته مع التحذيرات الاحترازية التي وصفناها للتو<sup>(27)</sup>. والمفتاح هو اتباع خطوات تكتيكية يحتمل أن يكتب لها النجاح على المدى البعيد دون فرض تكاليف مبالغ فيها على أهداف أخرى للسياسة الخارجية في المدى القريب<sup>(28)</sup>.

عند بداية القرن العشرين، كانت الولايات المتحدة واحدة بين حفنة من الديمقراطيات. ومنذ ذلك الحين تنامي العدد على نحو مثير للإعجاب، وإن اعترضته كسبات. فقد بدأت موجة ثالثة للدمقرطة في أوروبا في سبعينيات القرن المذكور، وانتشرت إلى أمريكا اللاتينية وأجزاء من آسيا في ثمانينياته، ثم أصابت أوروبا الشرقية في تسعينياته. وقبل الثمانينيات لم تكن أمريكا تتابع مساعدة الديمقراطية على نطاق واسع، ولكن منذ إدارتي ريغان وكليتون، صار مثل هذه المساعدة أداة متعمدة للسياسة. وبحلول منتصف التسعينيات، كانت وكالات أمريكية كثيرة (وزارة الخارجية، ووزارة الدفاع، ووكالة التنمية الدولية، ووزارة العدل، والمنحة الوطنية للديمقراطية) تنفق أكثر من 700 مليون دولار على مثل هذا العمل<sup>(29)</sup>. فقوتنا الاقتصادية والناعمة الطرية تساعد في تعزيز القيم الديمقراطية وترويجها، وفي الوقت نفسه، فإن إيماننا بحقوق الإنسان وبالديمقراطية يساعد على زيادة قوتنا الناعمة الطرية.

### المعركة بين دعاة الأحادية والتعددية

كيف ينبغي علينا أن نتعامل مع البلدان الأخرى؟ هناك ثلاثة نهج رئيسية،

(27) توماس كارودز، مساعدة الديمقراطية في الخارج: القوس البياني للتعلم (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: وقف كارنيجي، 1999)، ص 5.

(28) صاموئيل ب. هانتينغتون، الموجة الثالثة: الديمقراطية في أواخر القرن الحادي والعشرين (نورمان: مطبعة جامعة أوكلاهوما، 1991).

(29) المصدر السابق نفسه، ص 7.

هي: الانعزالية، والأحادية، والتعددية. فالنزعة الانعزالية مستمرة في الرأي العام، ولكنها ليست من الخيارات الاستراتيجية الكبرى للسياسة الخارجية الأمريكية اليوم. فبينما كان رد فعل بعض الناس على هجمات أيلول/ سبتمبر الإرهابية هو اقتراح الحد من تدخلاتنا في الخارج، أدركت الأغلبية أن مثل هذه السياسة لن تحذ من انكشافنا وتعرضنا للعطب، بل ستزيده سوءاً. وقد ارتسمت خطوط المعركة الرئيسية في ما بين الدوليين، بين دعاة التصرف الأحادي الجانب والذين يفضلون تكتيكات متعددة الأطراف وحسب عبارة وليام سافاير فإن «الأحادية لا تعني الانعزالية. ففي غمرة إحجامنا عن الظهور بمظهر المستبد المتغطرس، قد نتنازل عن القيادة بسرعة أكثر من اللازم لاسترضاء جمهور الحاسدين»<sup>(30)</sup>. وبالطبع فإن الفوارق هي مسألة درجة. فليس هناك دعاة نزعة أحادية محضة أو تعددية محضة. فعندما أدت أوائل أعمال إدارة بوش إلى صرخات سخط حول التصرف الأحادي الجانب، تبرأ الرئيس من هذه الرخصة ووصف مسؤولو وزارة الخارجية موقف الإدارة بأنه تعددية انتقائية. ولكن طرفي الطيف ترسو فيهما وجهات نظر مختلفة بشأن درجة الاختيار الناجمة عن الموقف الأمريكي في العالم اليوم. وسأقترح أدناه بعض القواعد للموقف الوسط.

فبعض ذوي النزعة الأحادية يدعون إلى نهج توكيدي جازم مندفع لا يتراجع في ترويج القيم الأمريكية وتعزيزها. وهم يرون أن الخطر يكمن في اهتزاز إرادتنا الداخلية، والخلط والالتبس في أهدافنا التي ينبغي أن تكون تحويل لحظة أحادية القطب «إلى عصر أحادي القطب». ومن هذا المنظور، ينبغي أن يكون أحد الأهداف الرئيسية للسياسة الأمريكية الخارجية هو إحداث تغيير في النظام في البلدان غير الديمقراطية كالعراق، وكوريا الشمالية

(30) وليام سافاير، «المعاهدة المختلطة»، النيويورك تايمز، 9 نيسان/ أبريل، 2001، القسم



والصين<sup>(31)</sup>. ويعتقد الأحاديون أن نوايانا طيبة، والهيمنة الأمريكية حميدة، وأن ذلك ينبغي أن ينهي المناقشة. ذلك أن التعددية سوف تعني «إغراق الإدارة الأمريكية في عvisدة طرية فضفاضة من صنع القرار الجماعي - وبذلك تكون قد حكمت على نفسك بالاعتصار على إظهار ردود الفعل إزاء الأحداث، أو نقل المسؤولية إلى لجان متعددة اللغات ذات أسماء مزخرفة مكونة من أوائل حروف كلماتها»<sup>(32)</sup>. وهم يجادلون بأن «القضية الرئيسية في النزاع بين الولايات المتحدة والمعتبرين عن معارضة هيمنتها ليست هي «الغطرسة» الأمريكية؛ بل هي الحقيقة المحتومة التي لا مهرب منها للقوة الأمريكية بأشكالها المتعددة. وإن الذين يقترحون بأن مظاهر السخط الدولية يمكن إزالتها على نحو ما بسياسة أمريكية خارجية فيها ضبط للنفس إنما ينغمسون في أوهام يستنيمون لدغدغتها»<sup>(33)</sup>.

ولكن الأمريكيين ليسوا ذوي مناعة من العجرفة، كما أننا لا نملك كل الأجوبة. وحتى لو كانت مثل هذه الفكرة صحيحة، فإنه سيكون من الخطر أن نتصرف بموجبها. «لأننا لو كنا نتصرف حقاً وفق مصلحة الآخرين ومصلحتنا كذلك، فإن من المفروض أن نعطي الآخرين دوراً أساسياً مستقلاً، وبذلك ينتهي بنا الأمر إلى اعتناق نوع من التعددية. إذ يجب الافتراض أن الآخرين، رغم كل شيء، هم أعلم بمصلحتهم منا»<sup>(34)</sup>. وكما لاحظ مراقب أوروبي متعاطف - وكان مصيباً في ملاحظته - فإنه «من قانون البحار إلى بروتوكول

(31) روبرت كاغان ووليام كريستول، «الخطر الراهن»، ذي ناشنال إنترست، ربيع 2000، ص 58، 64، 67.

(32) تشارلس كروثامر، «التفعية الجديدة»، الواشنطن پوست، 8 حزيران/ يونيو، 2001، القسم 8، ص 29.

(33) كاغان وكريستول، «الخطر الراهن»، ص 67.

(34) روبرت و. تاكر في «القوة الأمريكية - من أجل ماذا؟ ندوة»، مجلة كونثري، عدد كانون الثاني/ يناير 2000، ص 46.

كيوتو، ومن اتفاقية التنوع الحيوي، ومن التطبيق الإقليمي الخارجي البعيد للمقاطعة التجارية المفروضة على كوبا أو إيران، ومن النداءات الفظة لإصلاح البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومحكمة الجنايات الدولية: تظهر الأحادية الأمريكية كتناذر لأعراض مترامنة متواجدة في كل مكان ومتغلغلة في السياسة العالمية<sup>(35)</sup>. فعندما شرع الكونغرس عقوبات ثقيلة على الشركات الأجنبية التي تتعامل تجارياً مع بلدان لا تحبها الولايات المتحدة، تذمر وزير الخارجية الكندي: «إن هذا تنمّر استفزازي، ولكنكم في أمريكا تسمونه «قيادة عالمية»<sup>(36)</sup>».

وبعض الأحاديث (الذين يُدعون أحياناً السيادةيين) لا يركزون على ترويج القيم الأمريكية بقدر ما يركزون على حمايتها، ويكسبون في بعض الأحيان دعماً من رأي الأقلية الهامة من الانعزاليين الذين لا يزالون موجودين في هذا البلد. وكما قال أحدهم فإن البلد الأقوى والأغنى في العالم يستطيع أن يحافظ على سيادته. «إن أمريكا إذا نأت بنفسها عن المشاريع الدولية المختلفة فلن تجد نفسها قد انقطعت بذلك عن باقي أنحاء العالم. بل بالعكس، فإن لدينا كل سبب للتوقع بأن الأمم الأخرى، في غمرة شوقها للوصول إلى الأسواق الأمريكية، وشوقها لاتفاقيات تعاون أخرى مع الولايات المتحدة، سوف تكيف نفسها في أغلب الحالات لما تفضله أمريكا<sup>(37)</sup>». ومن هذه الزاوية، فإن الأمريكيين ينبغي عليهم أن يقاوموا تجاوز القانون الدولي على سيادتهم،

(35) هارالد مولر، نقلاً عنه في فرانر نوشيلر، «التعددية في مقابل الأحادية»، مؤسسة التنمية والسلام، بون، 2001، ص5.

(36) لويد أكسورثي، نقلاً عنه في مقالة ستيوارت باتريك، «قودوا، أو اتبعوا، أو ابتعدوا عن الطريق: تراجع أمريكا عن النزعة التعددية»، مجلة كارانت هيستوري (التاريخ المعاصر)، عدد كانون الأول/ ديسمبر 2000، ص433.

(37) مقتبساً عنه في مقالة بيتر سبيرو «السيادي الجديد»، فورين أفيرز، تشرين الثاني/ نوفمبر - كانون الأول/ ديسمبر 2000، ص12 - 13.

وخصوصاً ادعاءات الصلاحية القانونية العالمية. وبدلاً من ذلك، «ينبغي على الولايات المتحدة أن تعتنق السيادة الوطنية، التي هي الصخرة الأساسية التي تقوم عليها الديمقراطية وحكم الذات، باعتبارها المبدأ الجوهري المنظم للنظام الدولي»<sup>(38)</sup>. أو كما حذر جيسي هيلمز، فإن الأمم المتحدة قد تكون أداة مفيدة لدور أمريكا العالمي، ولكن إذا كانت «تتطلع إلى ترسيخ نفسها باعتبارها السلطة الأخلاقية المركزية لنظام دولي جديد... فإنها تعرض نفسها للمجابهة مع الولايات المتحدة، بل الأهم من ذلك هو انسحاب الولايات المتحدة منها في آخر الأمر»<sup>(39)</sup>.

وهذه المعركة بين التعدديين والأحاديين، التي كثيراً ما تتمثل بصراع بين الرئيس والكونغرس، أدت إلى سياسة أمريكية مصابة بالانقسام إلى حد ما. فقد لعبت الولايات المتحدة دوراً بارزاً في ترويج مشاريع متعددة الأطراف، مثل قانون معاهدة البحار، ومعاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية. ومعاهدة حظر الألغام الأرضية، والمحكمة الجنائية الدولية، وبروتوكول كيوتو بشأن تغير المناخ، وغيرها. ولكنها عجزت عن متابعتها بتصديق الكونغرس. وفي بعض الحالات كانت النتيجة ما تسميه الإيكونوميست «التعددية المتوازنة»، أي الاستعداد للتمشي مع الاتفاقات الدولية، ولكن بقدر ملاءمتها لأمريك فقط، وبعدها تصرف أمريكا سياستها خارج قيود تلك الاتفاقات»<sup>(40)</sup>. وعلى سبيل المثال، فإن الولايات المتحدة تؤكد حدود الاختصاص القضائي لقانون معاهدة البحار الذي لم يتم تصديقه في الكونغرس عندها. وقد تعهدت بعدم استئناف

(38) ديفيد ب. ريفكين الأصغر ولي آ. كيسي، «المياه الضحلة الصخرية الوعرة للقانون الدولي»، ذي ناشنال إنترست، شتاء 2000 - 2001، ص 42.

(39) جيسي هيلمز، «السيادة الأمريكية والأمم المتحدة»، ذي ناشنال إنترست، شتاء 2000 - 2001، ص 34.

(40) «تركيب العالم»، الإيكونوميست، 31 آذار/ مارس، 2001، ص 24.

التجارب النووية. ولكن بسبب الطبيعة الأحادية للقرار، فإنه لا يحصل على ميزة التحقق، والقدرة على إلزام الآخرين. وفي حالات أخرى، مثل الألغام الأرضية المضادة للأشخاص، جادلت الولايات المتحدة بأنها تحتاج إليها للدفاع ضد الدبابات في كوريا، ولكنها اضطلعت ببحث في نوع جديد من الألغام قد يتيح لها الانضمام بحلول سنة 2006<sup>(41)</sup>. أما في حالة بروتوكول كيوتو، فقد رفض الرئيس بوش أن يناقشها، وأعلن بشكل حاسم قاطع أنها «ميتة». فكانت النتيجة رد فعل أجنبي من الإحباط والغضب قوّض قوتنا الطرية الناعمة.

وأثناء الحملة السياسية سنة 2000، وصف جورج ووكر بوش الوضع على نحو مناسب: «إن أمتنا تقف الآن وحدها في العالم من حيث القوة. ولهذا فإن علينا أن نكون متواضعين، ومع ذلك نعرض القوة بطريقة تعزز الحرية... فإذا كنا أمة متغطرسه، فسوف ينظرون إلينا على أننا كذلك، ولكن إذا كنا متواضعين، فسوف يحترمونا»<sup>(42)</sup>. ورغم ذلك فإن حلفاءنا وأممًا أجنبية أخرى اعتبروا الأعمال المبكرة لإدارته أحادية الجانب بشكل متغطرس. وفي غضون بضعة أشهر انضم حلفاء أمريكا الأوروبيون إلى بلدان أخرى في رفض انتخاب أمريكا في لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة. وهو رفض مارسوه لأول مرة. وقال وزير الدفاع، دونالد رامسفيلد إن «العرفان بالجميل قد اختفى»<sup>(43)</sup>، وأوضح كولن باول، وزير الخارجية بأن تهمة «القوة العظمى الوحيدة» موجودة

(41) جيمس غلانز، «إحدى الدراسات متفائلة بشأن صبح ألغام برية أسلم»، ولكنها تقول إن الأمر بحاجة إلى دفع»، النيويورك تايمز، 22 آذار/ مارس، القسم 8، ص 18.

(42) «المحاورة الرئاسية الثانية بين الحاكم بوش ونائب الرئيس غور»، النيويورك تايمز، 12 تشرين الأول/ أكتوبر، 2000، القسم 8، ص 20.

(43) برايان نولتون، «مساعد لوش يصف تصويت الأمم المتحدة بأنه اعتداء وحشي»، الإنترناشنال هيرالد تريبيون، عدد 7 أيار/ مايو 2001.

دائماً، ولعل ذلك قد أثر على البعض<sup>(44)</sup>. وبكلمات أقل اعتدالاً من المعلق التلفزيوني مورتون كوندراك: «إننا أقوى بلد في العالم، وهناك عدد من الطامحين الصغار التافهين مثل فرسا يغضبهم ذلك كالجحيم... . وعندما تتاح لهم فرصة إلصاق التهمة بنا، فإنهم يحاولون»<sup>(45)</sup>. ورد مجلس النواب بالتصويت على حجب الأموال عن الأمم المتحدة. ولكن الوضع كان أكثر تعقيداً مما اعترفت به أمثال تلك الاستجابات.

في مطلع القرن الماضي، عندما صعدت أمريكا إلى مكانة قوة عالمية، نصحننا تيدي [تيودور] روزفلت بأن نتكلم بصوت طري ناعم وأن نحمل مع ذلك هراوة غليظة. أما وقد أصبحنا نملك الهراوة الغليظة، فإننا الآن بحاجة إلى الجزء الأول من نصيحته. فنحن لا نحتاج إلى التكلم بطريقة ألطف فحسب، بل نحن بحاجة أيضاً إلى الاستماع بعناية أكثر. وكما أوضح كريس باتن، مفوض الاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية وأحد الزعماء المحافظين البريطانيين سابقاً، قبل عام مضى، فإن الولايات المتحدة صديق وفي فيه الكثير مما يثير الإعجاب «ولكن هناك مجالات كثيرة أعتقد أنهم فيها مخطئون مثل مواقفهم من الأمم المتحدة، والسياسة البيئية، وملاحقة الحصول على قوة تتجاوز إقليمهم، والعداوة العصبية لأية سلطة خارجة على شؤونهم الخاصة»<sup>(46)</sup>. وبكلمات أحد المراقبين، فإن الرئيس بوش في بداية إدارته «قد

(44) ديفيد سانغز، «مجلس النواب يهدد بوقف صرف مستحقات الأمم المتحدة بسبب فقدان المقعد الأمريكي»، النيويورك تايمز، عدد 9 أيار/ مايو، 2001، القسم A، ص 1.

(45) نقلاً عنه في الخط الساخن: التقرير اليومي في ناشنال جورنال عن السياسة، 8 أيار/ مايو، 2001، ص 4.

(46) باري هيمس، «وزن الاتحاد الأوروبي المقابل للنفوذ الأمريكي»، إنترناشنال هيرالد تريبيون، 16 حزيران/ يونيو، 2000، ص 4.

استنبط طريقة لإثبات نظريته نفسها بأن الغطرسة تستثير السخط والنقمة على بلد كان في الأصل، قبل وصول بوش إلى الحكم بزمان طويل، أبرز الأهداف وأنسبها للعالم»<sup>(47)</sup>.

إن على الولايات المتحدة أن تهدف إلى العمل مع الأمم الأخرى لحل المشاكل العالمية بطريقة متعددة حيثما كان ذلك ممكناً. وإنني أتفق مع اللجنة المشكّلة حديثاً من الحزبين للبحث في أمننا القومي، والتي يترأسها السناتوران السابقان غاري هارت ووارن رودمان، والتي استنتجت أن «القوى الآخذة في البروز - إمّ وحدها أو في ائتلاف - سوف تأخذ بشكل متزايد في تقييد خيارات أمريكا إقليمياً والحد من تأثيرها الاستراتيجي. ونتيجة لذلك فستظل قدرتنا على فرض إرادتنا محدودة، وسنكون مكشوفين ومعرضين لأخطار سلسلة متزايدة من التهديدات». فالحدود ستصبح أكثر مسامية. كما أن حالات التقدم في المعلومات والتكنولوجيات الحيوية ستكون نقاط ضعف جديدة، وتصح الولايات المتحدة «معرضة على نحو متزايد لهجوم معادٍ على الوطن الأمريكي،

(47) روجر كوهن، «متغطرس أم متواضع؟ بوش يواجه عداوة الأوروبيين»، إنترناشنال هيرالد تريبيون، 8 أيار/ مايو 2001، ص 1. وقد كان من بين المعاهدات والاتفاقيات التي عارضتها إدارة بوش في أشهرها الستة الأولى: محكمة الجنايات الدولية، ومعاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية، ومعاهدة الصواريخ المضادة للقذائف ذاتية الدفع، وبروتوكول كيوتو، ومعاهدة الحد من الأسلحة الصغيرة، وبروتوكول خاص بالأسلحة الحيوية، وإجراء قامت به منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية للسيطرة على ملاجئ الضرائب. «إن السيد بوش، بإلغائه عدداً من المعاهدات الهامة السارزة التي لم تعقد إلا بعد صعوبات جمة حول الحد من الأسلحة، وحول البيئة، قد عرض نفسه لسخط عنيف من بعض أقرب أصدقاء أمريكا - الذين يتساءلون عما سيحل محل عالمٍ نظمه المعاهدات - وكذلك لسخط مماثل من خصوم أمريكا الذين يرون غطرسة في أعمال السيد بوش». توم شانكر، «البيت الأبيض يقول إن الولايات المتحدة ليست متفردة وحيدة، بل انتقائية»، النيويورك تايمز، 31 تموز/ يوليو، 2001، ص 1.

ولن يفلح تفوقها العسكري في إعطائنا حماية كلية<sup>(48)</sup>. ويعني هذا أننا يجب أن نطور قوانين ومؤسسات متعددة الأطراف كي نقيّد الآخرين ونقدّم إطاراً للتعاون. وبكلمات لجنة هارت - رودمان، فإن «أمريكا لا تستطيع تأمين مصالحها وتحقيق التقدم لها بمفردها»<sup>(49)</sup>. وكما أظهرت الهجمات الإرهابية في 11 أيلول/ سبتمبر 2001، فإنه حتى القوة العظمى تحتاج إلى أصدقاء.

صحيح أن التعددية يمكن استخدامها على أيدي الدول الصغيرة كاستراتيجية لتقييد الولايات المتحدة مثل غليفر بين أقزام ليليوشيان. فلا عجب إن كانت فرنسا تفضل عالماً متعدد الأقطاب ومتعدد الأطراف، كما ترى الأقطار الأقل تقدماً أن مصلحتها في التعددية لأنها تعطيها وسيلة ضغط على الولايات المتحدة<sup>(50)</sup>. ولكن هذا لا يعني أن التعددية ليست في مصلحة أمريكا على وجه العموم كذلك. «إننا عندما نجعل أعمالنا تركز على أساس قانوني (ونقبل القيود المصاحبة لذلك)، نستطيع أن نجعل ممارستنا المستمرة لقوتنا غير المتناسبة أسهل قبولاً لدى الآخرين»<sup>(51)</sup>.

وتنطوي التعددية على تكاليف، ولكن فوائدها في الصورة الكبيرة، ترجح هذه التكاليف وزناً. فالقواعد الدولية تقيد الولايات المتحدة وتحدّ من حريتنا

(48) اللجنة الأمريكية الخاصة بالأمن الوطني في القرن الحادي والعشرين، عالم جديد قادم: الأمن الأمريكي في القرن الحادي والعشرين (واشنطن، مقاطعة كولومبيا، 1999)، ص 4.

(49) اللجنة الأمريكية الخاصة بالأمن الوطني في القرن الحادي والعشرين، خريطة طريق للأمن الوطني: ضرورة التغيير، تقرير المرحلة الثالثة (واشنطن، مقاطعة كولومبيا، 2001)، ص 2، 5.

(50) دومينيك موازي، «الحجة صحيحة، ولكن اللهجة خاطئة»، الفايانثال تايمز (لندن)، 22 تشرين الثاني/ نوفمبر، 1999، ص 13.

(51) جوشوا مورافتشيك في «القوة الأمريكية - من أجل ماذا؟ ندوة»، مجلة كونتري، كانون الثاني/ يناير 2000، ص 41.

في العمل في المدى القصير، ولكنها تخدم مصالحنا أيضاً بإلزامها للآخرين كذلك. وينبغي على الأمريكيين أن يستخدموا قوتنا الآن لتشكيل المؤسسات التي ستخدم مصالحنا الوطنية البعيدة المدى في تعزيز النظام الدولي. «وبما أنه ليس من سبب يدعو إلى الاعتقاد أن وسائل السياسة سوف تزيد، فإنه لا يبقى لنا سوى الاعتماد على تعاون الآخرين. ولكن تعاونهم الأكبر سوف يعني تضيق حريتنا في العمل»<sup>(52)</sup>. وليست المسألة قاصرة فقط على أن الأحادية يمكن أن تؤذينا؛ بل إن التعددية كثيراً ما تكون أفضل طريقة لتحقيق أهدافنا على المدى الطويل.

إن العمل على تشكيل التعددية الآن هو استثمار جيد من أجل مستقبلنا. واليوم، كما رأينا «تقوم الدول القلقة بإجراء تعديلات طفيفة، وتكوين بدائل للتحالف مع الولايات المتحدة. وقد لا تبدو هذه الخطوات الصغيرة هامة اليوم، ولكن الأرضية سوف تهتز وتتغير. وسوف يتفتت ويختفي نظام ما بعد الحرب الذي قاده الولايات المتحدة»<sup>(53)</sup>. وهذه الاتجاهات يقابلها النظام الأمريكي نفسه. كما أن الطريقة الجماعية والمنظمة التي تُصنَّعُ بها السياسة الخارجية سوف تقلل المفاجآت. وهكذا فإن الفرص المتاحة للأجانب كي يرفعوا أصواتهم ويؤثروا على النظام والحكومة الأمريكيين ليست وفيرة فحسب، بل إنها تشكل حافزاً هاماً للتحالف<sup>(54)</sup>. فمنذ أن حوّلت أثينا عصبة ديلوس إلى إمبراطورية، تمزق حلفاؤها الصغار بين ألوان من القلق حول تخليها عنهم، وحول وقوعهم في المصيدة. إن قدرة حلفاء أمريكا على التعبير عن

(52) روبرت و. تاكار في: المصدر السابق نفسه، ص 46.

(53) ح. جون إيكينري، «فهم الهيمنة بشكل صحيح»، ذي ناشنال إنترست، ربيع سنة 2001، ص 19.

(54) روبرت أونيل، «العمل مع الولايات المتحدة: وجهة نظر حليف»، محاضرة في برنامج دراسات السياسة الخارجية في مؤسسة All Souls، 10 أيار/ مايو، 2001.



همومهم تساعد على تفسير بقاء التحالفات الأمريكية طيلة هذا الوقت بعد تراجع تهديدات الحرب الباردة وانحسارها.

أما عنصر النظام الأمريكي الآخر الذي يقلل القلق حول حالات عدم التناسق في القوة فهو عضويتنا في شبكة من المؤسسات المتعددة الأطراف تراوح من الأمم المتحدة إلى حلف شمال الأطلسي. وهي شبكة يسميها البعض صفقة مؤسسية. وكان ثمن ذلك بالنسبة للولايات المتحدة هو تقليص استقلال سياسة واشنطن، بمعنى أن القواعد المؤسسية وصناعة القرار المشتركة قد أنقصت قدرات الولايات المتحدة على التصرف الأحادي الجانب. ولكن ما حصلت عليه واشنطن في المقابل كان يستحق هذا الثمن. فقد تمّ تقليص استقلالية شركاء أمريكا أيضاً، ولكنهم قادرون على العمل في عالم تقلّصت فيه قوة الولايات المتحدة وصار من الممكن الاعتماد عليها والوثوق بها أكثر<sup>(55)</sup>. ذلك أن تعددية التفوق الأمريكي، منظوراً إليها على ضوء صفقة دستورية، هي مفتاح طول عمر هذا التفوق، لأن هذه التعددية تقلل حوافز بناء التحالفات ضدنا. وبقدر ما يكون الاتحاد الأوروبي هو المتحدي المحتمل الأكبر في مجال القدرة، تكون معقولة فكرة إطار دستوري فضفاض بين الولايات المتحدة والمجتمعات التي تتشاطر معها معظم القيم<sup>(56)</sup>.

وبالطبع، ليست كل الترتيبات متعددة الأطراف جيدة أو في مصلحتنا، ويتعين على لولايات المتحدة أحياناً أن تستخدم تكتيكات أحادية الجانب في أوضاع معينة سوف أصفها في ما يأتي. فالافتراض الذي أركيه لصالح التعددية لا حاجة به لأن يكون قيداً صارماً يمنع الحركة كسترة المجانين. ذلك أن ريتشارد هاس، مدير تخطيط السياسات في وزارة الخارجية الأمريكية يقول:

(55) إيكينري، «فهم الهيمنة بشكل صحيح»، ص 21-22.

(56) كتاب من تحرير مارك آ. بولاك وغريغوري س. شافر، عنوانه: حسن الإدارة عبر الأطلسي في الاقتصاد العالمي (لأنهام، ميريلاند: راومان ولتلفيلد، 2001).

«إن ما ستحصلون عليه من هذه الإدارة هو «تعددية بالمفروق». فسوف ننظر إلى كل اتفاقية على حدة ثم نتخذ قراراً بشأنها، بدلاً من الخروج بنهج ذي قاعدة عريضة»<sup>(57)</sup>. وإذن فكيف ينبغي على الأمريكيين أن يختاروا بين التكتيك الأحادي والتكتيك التعددي؟ هنا سبعة اختبارات للنظر فيها.

أولاً، في الحالات المنظوية على مصالح بقاء حيوية، ينبغي أن نلغي العمل الأحادي الطرف، رغم أن علينا أن نبحث عن دعم دولي لهذه الأعمال عندما يكون ذلك ممكناً. وأبرز حالة كهذه في نصف القرن الأخير كانت أزمة الصواريخ الكوبية في سنة 1962. فقد شعر الزعماء الأمريكيون أنهم مرغمون على النظر في استخدام القوة من جانب واحد، رغم أن من المهم أن يلاحظ المرء أن الرئيس كيندي قد سعى للحصول على شرعية الرأي المعبر عنه في المحافل المتعددة الأطراف، كهيئة الأمم المتحدة ومنظمة الدول الأمريكية والضربات ضد معسكرات الإرهابيين وملاذاتهم الآمنة مثال راهن حالياً، ولكن - مرة أخرى - تكون الأعمال الأحادية الجانب في أفضل حالاتها عندما يحصنها دعم متعدد الأطراف.

ثانياً، علينا أن نتوخى الحذر إزاء الترتيبات المتعددة الأطراف عندما تتدخل في قدرتنا على إنتاج سلام مستقر في مناطق متفجرة أو سريعة التقلب. وبسبب دورنا العسكري العالمي، فإن الولايات المتحدة لها أحياناً مصالح ونقاط ضعف مكشوفة مختلفة عما لدى الدول الأصغر والمصالح الأكثر محدودية، ويشهد على ذلك دور الألغام البرية في منع الدبابات الكورية الشمالية من عبور المنطقة منزوعة السلاح إلى داخل كوريا الجنوبية. وهكذا فقد كان التوقيع على المعاهدة متعددة الأطراف لحظر الألغام البرية أسهل للدول الأخرى. وكما لوحظ آنفاً، فقد أعلنت الولايات المتحدة أنها ستعمل على تطوير ألغام جديدة تتيح لها أن توقع في سنة 2006. وبالمثل فإنه نظراً للدور

(57) شانكر، «البيت الأبيض يقول إن الولايات المتحدة ليست متفردة وحيدة، بل انتقائية».

العالمي للقوات العسكرية الأمريكية، وإذا كان من غير الممكن توضيح إجراءات المحكمة الجنائية الدولية بحيث تضمن حماية القوات الأمريكية من التعرّض لاتهامات غير مبرّرة بارتكاب جرائم حرب، فإن ذلك قد يردع الولايات المتحدة عن الإسهام في المصلحة العامة بحفظ السّلام. ذلك أن الإجراءات المقترحة حالياً تعطي صلاحية قانونية أولية للولايات المتحدة للنظر في جرائم الحرب المزعوم أن جنودها ارتكبوها. ولكن لا يزال هناك خطر من مدعين عامين متحمسين أكثر من اللازم تحرضهم منظمات غير حكومية معادية في حالات لا تجد فيها الولايات المتحدة أساساً لدعاوى قضائية من هذا النوع. فينبغي علينا أن نبحث عن مزيد من التطمينات مثل توضيح الإعلانات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة. وبينما توحد مشاكل حول المحكمة الجنائية الدولية، فإن المساعدة في تشكيل إجراءاتها ستكون سياسة أفضل من تشجيع الاتجاه الحالي نحو ادعاءات الصلاحية القانونية الوطنية الشاملة الآخذة في التطور لهذا الغرض بالذات على نحو خارج عن سيطرتنا<sup>(58)</sup>.

ثالثاً: إن التكتيكات الأحادية الجانب تساعد أحياناً على توجيه الآخرين

(58) إن المشاكل لا تنبع من المحاكم الأجنبية فقط، بل من اتجاه جديد في الدعاوى المرفوعة في المحاكم الأمريكية لتحدي حالات انتهاك حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم. إن المحامين الأمريكيين الذين يتباهون بتصديرهم الأحادي لمفهومنا عن القانون، والذين يجادلون بأن النموذج المثالي لما بعد الحرب الباردة هو الولايات المتحدة كمحامي عالمي إنما يفسلون في إعطاء الاهتمام الكافي لسكليف مذهب إضفاء الصلاحية القضائية العالمية على الولايات المتحدة. وليام غلابرسون، «محاكم الولايات المتحدة تصح هي الحكم على الخطأ والصواب على الصعيد العالمي»، النيويورك تايمز، 21 حزيران/ يونيو، 2001، ص 1. وانظر أيضاً هنري أ. كيسنجر، «مطبات الصلاحية القضائية العالمية»، فورين آفيرز، تموز/ يوليو - آب/ أغسطس، 2001، ص 86 - 96.

نحو تسويات تخدم تقدم المصالح متعددة الأطراف. فتعددية أطراف التجارة الحرة واعتماد الذهب مقياساً عالمياً في القرن التاسع عشر لم تحققهما وسائل متعددة الأطراف، بل التحركات البريطانية الأحادية الجانب لفتح أسواق بريطانيا والحفاظ على استقرار عملتها<sup>(59)</sup>. وبالمثل فإن انفتاح أمريكا النسبي بعد سنة 1945، والتشريع التجاري الذي تم سنه في وقت أحدث والذي هدد بفرض عقوبات من طرف واحد إذا لم يتفاوض الآخرون، قد ساعدا على تكوين ظروف حفزت البلدان الأخرى على التحرك إلى الأمام في مسألة آلية تسوية النزاعات التابعة لمهاجرة التجارة العالمية. فالولايات المتحدة تكون أحياناً كبيرة بما يكفي لوضع مستويات عالية والإفلات بها، تشهد على ذلك القيود الأكثر صرامة على الأسواق المالية. فمثل هذه الأعمال يمكن أن تؤدي إلى إيجاد مستويات دولية أعلى. والمفتاح هو ما إذا كان العمل الأحادي الجانب مصمماً لتعزيز المصلحة العامة العالمية.

أما بروتوكول كيوتو، الذي سبب للرئيس بوش مثل هذه المتاعب في بداية رئاسته، فقد كان من الممكن أن يصبح قضية في محلها لو عُولج بطريقة مختلفة. فقد كان كثيرون من المتقبلين لحقيقة الاحترار العالمي والمؤيدين لاتفاقية الإطار حول تغير المناخ (اتفاقية ريو التي وقعها الرئيس جورج هربرت بوش - الأب - وصادق عليها مجلس الشيوخ سنة 1992) يعتقدون أن اتفاقية كيوتو تعييبها ثغرة رديئة لأنها لم تشمل البلدان النامية ولأن هدفها الخاص بتقليل الانبعاثات، حسب رأي مجلة الإيكونوميست «لا يمكن تحقيقه إلاً بكلفة مدقمة، وقد لا يتحقق حتى بعد إنفاق مثل تلك الكلفة». ولو وجدت خطة على مدى أطول تقوم على تخفيضات أقل للانبعاثات في البداية، تلبها أهداف

(59) جون رغي، إقامة نظام الحكم العالمي (لندن، روتليدج، 1998)، ص 118. إن استعداد بريطانيا من جانب واحد لتحمل التكاليف (والفوائد) قد شجع المشاركة المجانية. أما الإجراءات والأعمال الأمريكية فكانت مشروطة بالمبادلة بالمثل.

أصعب فيما بعد لكان من شأنها أن تعطي وقتاً للأصول الرأسمالية المختزنة كي تتكيف، وللأدوات القائمة على أساس السوق مثل التراخيص القابلة للتداول كي تقلل تكاليف تخفيضات الانبعاث<sup>(60)</sup>. كما أن مثل هذه الخطة كانت ستقلل التخلي عن النمو الاقتصادي، الذي يفيد سلسلة واسعة من الأمم؛ بمن فيهم الفقراء<sup>(61)</sup>. ولو أن إدارة بوش، بدلاً من مقاومة العلم، واعتبار البروتوكول ميثاً بشكل مفاجئ على أساس مصلحتها المحلية، بادرت إلى القول: «إننا سنعمل على إيجاد سياسة محلية للطاقة تخفّض الانبعاثات، ونتفاوض معكم في الوقت ذاته حول معاهدة أفضل»، لكان من الممكن المجادلة بأن تصرفه الأحادي الجانب في البداية قد خدم المصالح المتعددة الأطراف<sup>(62)</sup> ودفعها إلى الأمام.

رابعاً: ينبغي على الولايات المتحدة أن ترفض المبادرات المتعددة الأطراف التي هي وصفات لعدم العمل، أو لتعزيز مصالح الآخرين الذاتية الأنانية، أو مناقضة لقيمنا<sup>(63)</sup>. فنظام المعلومات الدولي الجديد الذي اقترحته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) في سبعينيات القرن العشرين كان من شأنه أن يساعد الحكومات المستتبدة على تقييد حرية الصحافة. وبالمثل، فإن النظام الاقتصادي الدولي الجديد الذي تبنته الجمعية العامة في الوقت نفسه كان من شأنه المسّ بالمصلحة العامة للأسواق المفتوحة.

(60) «غضب بسبب الاحترار العالمي»، الإيكونوميست، 7 نيسان/ أبريل، 2001، ص 18. وللاطلاع على دراسة متأنية لعبوب كيوتو، انظر دايفيد فيكتور، انهيار بروتوكول كيوتو، والكفاح لإبطاء الاحترار العالمي (برينستون، مطبعة جامعة برينستون، 2001).

(61) روبرت ن. ستافينز، «أعطوا بوش وقتاً حول القضايا المناخية»، بوسطن غلوب، 4 نيسان/ أبريل، 2001، القسم 8، ص 21.

(62) أندرو ريفكين، «بعد رفض معاهدة المناخ، بوش يستدعي مدرسين لإعطاء دورات، والمساعدة على وضع معاهدة»، النيويورك تايمز، 28 نيسان/ أبريل، 2001، القسم 8، ص 9.

(63) إنني مدين لروبرت كيوهين بالمساعدة في هذه النقطة.

وتكون الإجراءات متعددة الأطراف معرّقةً مُعَيَّقةً أحياناً، وعلى سبيل المثال كانت هناك محاولات من روسيا والصين لمنع مجلس الأمن من الترخيص بالتدخل لوقف انتهاكات حقوق الإنسان في كوسوفو سنة 1999. وفي آخر الأمر قرّرت الولايات المتحدة أن تمضي قُدُماً بدون موافقة مجلس الأمن، ولكن حتى عندئذ فإن التدخل الأمريكي لم يكن قراراً أحادي الجانب، بل اتخذ بدعم قوي من حلفائنا في منظمة معاهدة حلف شمال الأطلسي.

خامساً: إن التعددية جوهرية في القضايا ذات الطبيعة التعاونية الأصلية التي لا تستطيع الولايات المتحدة أن تديرها بدون مساعدة البلدان الأخرى. وتغير المناخ مثال كامل على ذلك. فالاحترار العالمي سيكون باهظ الكلفة علينا. ولكن لا يمكن منع الاحترار بقيام الولايات المتحدة وحدها بخفض انبعاثات أول أكسيد الكربون، والميثان، والهباءات المتناهية الصغر. فالولايات المتحدة هي أكبر مصدر لمثل هذه العوامل المؤدية إلى الاحترار. ولكن ثلاثة أرباع الموارد تنجم أصلاً خارج حدودنا. وبدون تعاون، تبقى المشكلة خارج سيطرتنا. والشيء نفسه صحيح بالنسبة لقائمة طويلة من البنود: انتشار الأمراض المعدية، استقرار الأسواق المالية العالمية، النظام التجاري الدولي، انتشار أسلحة الدمار الشامل، الاتجار بالمخدرات، اتحادات الجريمة الدولية المنظمة، والإرهاب العابرة للقومية. فكل هذه المشاكل لها تأثيرات كبرى على الأمريكيين. والسيطرة عليها مصلحة وطنية لها مكانة هامة، ولكن لا يمكن تحقيقها إلاّ بوسائل متعددة الأطراف.

سادساً: يجب السعي للتعددية كوسيلة لجعل الآخرين يشاركون في العبء ويقتنعون بفكرة تقديم سلع عامة. فالتقاسم يساعد على تبني الالتزام بقيم مشتركة. وحتى عسكرياً، ينبغي على الولايات المتحدة أن لا تتدخل وحدها إلاّ في ما ندر. فذلك لا ينسجم مع تفضيلات الجمهور الأمريكي فحسب، ولكن له تبعات عملية. فالولايات المتحدة تدفع حصة أقل من تكاليف عمليات حفظ

السلام التابعة للأمم المتحدة ولحلف شمال الأطلسي؛ ثم إن شرعية المظلة المتعددة الأطراف تخفض التكاليف السياسية المرافقة التي تتحملها قوتنا الطرية الناعمة.

سابعاً: عند الاختيار بين التكتيكات الأحادية والمتعددة الأطراف، يجب أن ننظر في تأثيرات القرار على قوتنا الطرية الناعمة. فإذا واصلنا تحديد قوتنا بالتركيز أكثر من اللازم على النواحي العسكرية، فقد نفشل في فهم الحاجة إلى الاستثمار في أدوات أخرى. وكما رأينا، فإن أهمية القوة الناعمة الطرية آخذة في الازدياد، ولكن هذه القوة هشة، ويمكن أن تدمرها التصرفات الأحادية المفرطة والغطرسة. وعند الموازنة بين استخدام التكتيكات الأحادية والتعددية وبين التمسك بمبادرات معينة متعددة الأطراف ورفض هذه المبادرات، فإن علينا أن ننظر في كيفية شرح ذلك للآخرين، وما الذي سيكون لذلك من تأثيرات على قوتنا الناعمة الطرية.

#### الجدول 5 - 3 قائمة مقارنة بالتكتيكات التعددية مقابل الأحادية

- 1 - مصالح البقاء مهددة وفي الميزان.
- 2 - التأثير على العسكريين وعلى السلام.
- 3 - القيادة تزيد السلع العامة.
- 4 - الانسجام مع قيمنا.
- 5 - القضايا التعاونية بطبيعتها المتأصلة.
- 6 - المساعدة في تقاسم العبء.
- 7 - التأثيرات على قوتنا الناعمة الطرية.

وباختصار، فإن السياسة الخارجية الأمريكية في عصر المعلومات العالمية ينبغي أن يكون لديها تفضيل عام للتعددية، ولكن ليس كل التعددية. ففي بعض الأحيان يتعين علينا أن نتصرف وحدنا. وعندما نفعل ذلك طلباً للبضائع العامة فإن طبيعة غاياتنا قد تحل محل الوسائل في إضفاء الشرعية على قوتنا في أعين

الآخرين. ومن جهة أخرى إذا حاول الأحاديون الجدد رفع الأحادية من تكتيك مؤقت يستخدم في أوقات متفرقة إلى استراتيجية ثابتة قائمة بذاتها، فإن من المحتمل أن يفشلوا، لثلاثة أسباب: (1) الطبيعة التعددية المتأصلة لعدد من القضايا العابرة القومية في عصر عالمي، (2) التأثيرات الباهظة الكلفة على قوتنا الناعمة الطرية، (3) الطبيعة المتغيرة للسيادة.

### السيادة والديمقراطية والمؤسسات العالمية

كما رأينا في الفصل الثالث، فإن الديمقراطية في هذه المرحلة من التاريخ تعمل كأفضل ما تكون في الأمم - الدول المستقلة. ولا يحتمل أن يتغير هذا إلا بشكل بطيء. ذلك أن إعطاء سلطة أكثر من اللارم للمؤسسات الدولية قد يؤدي إلى فقدان الديمقراطية في عملية صنع القرار بالنسبة للولايات المتحدة وبلدان أخرى كذلك<sup>(64)</sup>. ولكن السيادة اصطلاح زلق متقلقل غامض. فالذين يقاومون النزعة التعددية يحددون السيادة بشكل ضيق كسلطة وسيطرة محلّيتين. ولكن كما رأينا، فقد تكون السيادة الأحادية الجانب مستحيلة في بعض القضايا العالمية. وفي الحالات التي لا نملك فيها القدرة الأحادية على إنتاج المحصلات التي نريدها، فإن سيطرتنا السيادية قد تتوسع بعضويتنا في المواقف الجيدة في الأنظمة التي تكون بمجموعها مادة الحياة الدولية<sup>(65)</sup>.

ولقد رأينا في الفصلين الثاني والثالث أن السيادة تبقى هامة، ولكن محتواها أخذ في التغير بفعل تأثير قوى المعلومات والعولمة العابرة للقومية.

(64) جون ر. بولتون، «هل سأخذ حسن الإدارة العالمية على محمل الجد؟» شيكاغو جورنال أوف إنترناشنال لو (فصلية شيكاغو للقانون الدولي)، خريف سنة 2000.

(65) للاطلاع على آراء مناقضة، انظر جيريمي رابكين، ما سبب أهمية السيادة (واشنطن، مقاطعة كولومبيا، مطبعة AEI، 1998)، وأبرام شايبز وأنطونيا هاندلر شايبز، السيادة الجديدة: الامتثال للاتفاقيات التنظيمية الدولية (كمبريدج، ماساشوسيتس، مطبعة جامعة هارفارد، 1995)، ص 27.



فالدول المستقلة كانت دائماً مسامية إلى درجة ما. أما اليوم فإن قدرتنا على حماية وطننا هي أقل من أي وقت مضى لأن الحماية لا تتم، ببساطة، بحماية حدودنا<sup>(66)</sup>. فكما اكتشفنا بعد أيلول/ سبتمبر 2001، فإن الطريقة الوحيدة للتعامل مع الحالات الكثيرة للاقتحام العابر للقومية هي إقامة دفاع متقدم ينطوي على التعاون في المخابرات وتنفيذ القانون مع بلدان أخرى فيما وراء حدودها وداخل حدودنا. فحكومات البلدان الأخرى كثيراً ما تكون في موقع أفضل لتحديد الإرهابيين واعتقالهم. فتعاونها جوهري، أما الحصول على هذا التعاون فيعتمد على قوتنا: الصلبة والناعمة الطرية.

إن العلاقات العابرة للقومية والهويات المتعددة تقوض خاصية الكتامة عندنا أيضاً. فتحديد ماهية هويتنا أصعب عندما تكون المؤسسات البابائية من كبار المستوردين من الولايات المتحدة، وتنتج المؤسسات الأمريكية في الخارج أكثر مما تصدر، وكان من بين المنظمات غير الحكومية والزعماء السياسيين الذين ضغطوا لإنجاز معاهدة حظر الألغام البرية عدد كبير من الأمريكيين، منهم أعضاء بارزون في مجلس الشيوخ ذلك أن الائتلافات المختلطة تتجاوز الحدود والحواجز، وثمان إيقاف هذه الائتلافات باهظ الوطأة على قيمنا الديمقراطية وحياتنا المدنية.

ويعتقد بعض السيايين أن أمريكا «ليست مضطرة في أدائها إلى مراعاة القواعد التي يراعيها الجميع لأنه ليس هناك من يستطيع إرغامها على ذلك. وعلاوة على ذلك فإن لديها مجموعة خاصة بها من قواعد أخرى أهم من هذه»<sup>(67)</sup>. ولكن التكاليف باهظة في انطوائها على رفض الزعامة الأمريكية من قبل دول كانت لولا ذلك ستحترم آراءنا، وكذلك عجزنا عن تحقيق كل أغراضنا وحدنا. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشركات الأمريكية مكشوفة ومعرضة

(66) ستيفن كراسنر، السيادة: النفاق المنظم (برينستون. مطبعة جامعة برينستون، 1999).

(67) سبيرو، «السياديون الجدد»، ص 14.

لردود الفعل من الأجانب والمنظمات غير الحكومية، وعندما تصاب بالأذى فإنها تضغط على الحكومة كي تغيثها على المستوى الوطني أو على صعيد الولايات. وكما لاحظ كاتب العمود الصحفي توم فريدمان، فإن النشاط الأذكى يقولون: «حسناً، أتريدون أن تمارسوا لعبة السوق. دعونا نلعب». وبعد أن أيدت شركة إكسون قيام بوش بقتل بروتوكول كيوتو، بدأ النشاط الأوروبيون بمقاطعة منتجاتها. ومن جهة أخرى فإن شركتي شل والبريطانية للنفط انسحبتا من جماعة الضغط التي كانت ترفض البحث في تغير المناخ وتقلل من شأنه<sup>(68)</sup>. وترسل الشركات الأمريكية جيوشاً من عناصر الضغط إلى بروكسل وجنيف، حيث يقوم الاتحاد الأوروبي، ومنظمة التجارة العالمية، والاتحاد الدولي للاتصالات بصياغة قواعد عالمية جديدة بشأن قضايا مثل التجارة الإلكترونية، والملكية الفكرية، والمسويات التكنولوجية. «فليست هناك حكومة، مهما بلغ من شأن قوتها، تستطيع من طرف واحد أن تفرض إرادتها أو تنفذها في هذه القضايا. فهي قضايا يشارك فيها عدد من العناصر الفاعلة، والمصالح، في عدد من البلدان أكبر من أن تجعلها قابلة لاستخدام القوة الوحشية لفرض الهيمنة»<sup>(69)</sup>. وعندما يبدو رفضنا للتعاون غطرساً وبحثاً عن المصلحة الأنانية الضيقة، فإننا نتقص من قوتنا الناعمة الطرية. وسوف يثبت أن وجهة النظر الأحادية المطردة في السياسة لها كلفة أبهظ من أن تجعلها مستدامة.

وفي الوقت نفسه، فإن مشكلة إخضاع المؤسسات متعددة الأطراف للمساءلة الديمقراطية، التي نُوقشت في الفصل الثالث، تبقى مشكلة حقيقية.

(68) توماس فريدمان، «ستعود كيوتو كهاجس لبوش» إنترناشنال هيرالد تريبيون، 2 حزيران/ يونيو، 2001، ص 8.

(69) موزيس نايم، «اقتصاد جديد، وسياسة قديمة»، فورين بوليسي، كانون الثاني/ يناير - شباط/ فبراير، 2001، ص 108.

وكما لاحظ المحامي كال روستيالا، فإن «عملية صنع القوانين المتعددة الأطراف، وليست مادتها هي التي تكون إلى حد كبير التوترات مع الديمقراطية والسيادة... والتحديات التي تتعرض لها السيادة والديمقراطية من التعاون المتعدد الأطراف ليست كبيرة، ولكنها حقيقية»<sup>(70)</sup>. وبدلاً من رفض هذه المؤسسات، كما ينصح بذلك السياديون، فإن هناك عدة أشياء ينبغي على الولايات المتحدة أن تفعلها ستجابة لهمومها حول العجز الديمقراطي ولتعزيز المساءلة والشرعية للمؤسسات والشبكات متعددة الأطراف التي تقدم حسن الإدارة الضروري للعلامة.

ولعل الشيء الأهم هو محاولة تصميم مؤسسات متعددة الأطراف تحافظ على أكبر مجال ممكن تشتغل فيه العمليات الديمقراطية المحلية. ذلك أن التحدي الحقيقي للسياسة هو جعل العالم سالماً آمناً لأنواع مختلفة من النظم الاقتصادية كي تزدهر جنباً إلى جنب. ويتضمن الجواب إجراءات متعددة الأطراف، وحوافز متواضعة، وقواعد للعبة تسمح للبلدان أن تعيد فرض القيود عندما يؤدي عدم فرضها إلى أخطار تهدد هدفاً وطنياً مشروعاً<sup>(71)</sup>. وحالة منظمة التجارة العالمية هنا توضح هذه النقطة. فإجراءاتها الخاصة بتسوية النزاعات تمسّ باسيادة المحلية، كما هو مذكور أعلاه، ومع ذلك يستطيع أي بلد أن يستجيب للعمليات الديمقراطية المحلية ويرفض حكماً من أحكام منظمة التجارة العالمية إذا كان ذلك البلد على استعداد لدفع تعويض محدود للشركاء التجاريين الذين قد تضرّهم أعمال ذلك البلد. وإذا تنصّل بلد ما من ارتباطاته التجارية، فإن الإجراء يحد من دوامة الانتقام التي دمّرت اقتصاد العالم في ثلاثينيات القرن

(70) كال روستيالا، «الاتجاهات في حسن الإدارة العالمية: هل تهدد السيادة الأمريكية؟»، شيكاغو جورنال أوف انترناشنال لو، خريف 2000، ص 418.

(71) داني رودريث، «الورطة العالمية»، نيويورك بابل، 2 تشرين الثاني / نوفمبر، 1998، ص 17.

العشرين ويجعلها تتحرك هابطة إلى الأسفل بدلاً من التصاعد حسب فلسفة «واحدة بواحدة». وبمعنى ما، فإن الإجراء المذكور يشبه امتلاك فاصم في نظام كهرباء المنزل، فانفجار هذا الفاصم أفضل من احتراق البيت بكامله. غير أن الخطر هو أن تقنن حكوماتنا عدداً أكثر من اللازم من نزاعاتها التجارية بدلاً من أن تتفاوض حول تلك النزاعات، وفي آخر الأمر تحمل أعباء لا تُطاق على كاهل مظمة تترك مجالاً للعمليات الديمقراطية المحلية (على عكس مجادلات المحتجين المعارضين لذلك).

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المساءلة الأفضل يمكن أن تبدأ في داخل الوطن في البلدان الديمقراطية. فإذا كان الشعب الأمريكي يعتقد أن المستويات والمقاييس البيئية لا تؤخذ في الحسبان على نحو مناسب وكاف في اجتماعات منظمة التجارة العالمية في جنيف، نستطيع أن نضغط على حكومتنا كي تضم إلى وفودنا موظفين من وكالة حماية البيئة. ويستطيع الكونغرس أن يعقد جلسات استماع قبل الاجتماعات وبعدها، ويستطيع المشرعون أنفسهم أن يصبحوا أعضاء في الوفود الوطنية لمختلف المنظّمات.

وعلاوة على ذلك، ينبغي على الأمريكيين أن يفهموا أن المساءلة الديمقراطية يمكن أن تكون غير مباشرة أبداً. فالمساءلة تأكد بطرق متعددة، ليس من خلال التصويت فقط، حتى في الديمقراطيات التي تعمل جيداً. ففي الولايات المتحدة مثلاً فإن المحكمة العليا ونظام الاحتياطي الاتحادي لا يستجيبان للانتخابات إلاً بطريقة غير مباشرة من خلال سلسلة طويلة من التفويض. كما أن المعايير والمقاييس المهنية تساعد على إبقاء انقضاء والسياسة خاضعين للمساءلة. فمسؤولو صندوق النقد الدولي والبنك الدولي خاضعون للمساءلة أمام المدراء التنفيذيين، الذين يخضعون بدورهم لمساءلة الحكومات. وليس هناك سبب من حيث المبدأ يجعل المساءلة غير المباشرة لا تنسجم مع الديمقراطية، أو لإلزام المؤسسات الدولية بمستويات أعلى من مستويات المؤسسات المحلية.

زيادة الشفافية - أي تقليص سرّية الإجراءات - شيء جوهري إذا أريد إخضاع المؤسسات الدولية للمساءلة. وإضافة إلى التصويت، يتواصل الناس في الديمقراطيات، ويقومون بالإنارة والتحريض حول القضايا بوسائل مختلفة تراوح من الرسائل واستطلاعات الرأي إلى الاحتجاجات. وتلعب جماعات المصالح والصحافة الحرة دوراً هاماً في تكوين الشفافية في سياساتنا الديمقراطية المحلية. فنحن نسمي الصحافة الفرع الرابع الجوهري من السلطة. وهذا دورٌ تستطيع الصحافة والمنظمات غير الحكومية أن تلعبه على الصعيد الدولي كذلك. فالمنظمات غير الحكومية تعتمد على الانتقاء الذاتي، لا على الانتخاب الديمقراطي، ولكنها تستطيع أن تؤدي دوراً إيجابياً في زيادة الشفافية. فهي تستحق أن يُسمع صوتها، لا أن تشترك في التصويت. ولكي تؤدي هذا الدور فهي بحاجة إلى أن تتلقى المعلومات، وإلى أن تشملها المشاركة في الحوار مع المؤسّس. وفي بعض الحالات، كالأجراءات القضائية أو مداخلات السوق، فإن تقديم المعلومات سلفاً أمر غير واقعي. ولكن من الممكن تقديم السجلات وحيثيات التبرير في وقت لاحق من أجل النقد والتعليق، كما تفعل المحكمة العليا ونظام النقد الاحتياطي الاتحادي في سياستنا المحلية. فعلى أن نحث المنظمات والشبكات الدولية على وضع المزيد من المعلومات على الإنترنت<sup>(72)</sup>. (ويسبغ تطبيق مقاييس الشفافية نفسها على المنظمات غير الحكومية ذاتها).

ويستطيع القطاع الخاص أن يسهم في المساءلة أيضاً. فالروابط الخاصة والرموز، كتلك التي أقامتها الصناعة الكيميائية الدولية في أعقاب انفجار معمل

(72) للاطلاع على اقتراحات مثيرة للاهتمام حول «الرؤية الافتراضية» انظر آن - ماري سلوتر، «وكالات طليقة؟ إخضاع الشبكات الحكومية للمساءلة»، في كتاب من تحرير جورج بيرمان وشركاه، بعنوان 'التعاون التنظيمي عبر الأطلسي' (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 2001)، ص 528.

يونيون كاربيد في مدينة بوفال الهندية سنة 1984، يمكن أن تمنع التسابق السلبي للوصول إلى أدنى مستويات الجودة في المواصفات. إن ممارسة تسمية المقصرين والتشهير بهم قد ساعدت الزبائن على إخضاع المؤسسات عابرة القومية للمساءلة في صناعات الدمى والملابس. كما تستطيع مؤسسات ماتل ونايكي أن تشهدا. ومع أن الناس يملكون أصواتاً غير متساوية في الأسواق، فإنه في أعقاب الأزمة المالية الآسيوية ربما تكون المساءلة عن طريق الأسواق قد أدت إلى زيادة إضافية في شفافية الحكومات الفاسدة أكثر مما فعلت أي اتفاقية رسمية. وتستطيع الأسواق المفتوحة أن تساعد على تقليص القوة غير الديمقراطية للاحتكارات المحلية، كما تستطيع أن تخفض قوة البيروقراطيات الحكومية المتمترسة الراضية للاستجابة، ولا سيما في البلدان ذات البرلمانات الضعيفة. وعلاوة على ذلك، فإن جهود المستثمرين لزيادة الشفافية وإمكانية التنبؤ القانوني يمكن أن تفيض منها على الجوانب تأثيرات مفيدة للمؤسسات السياسية.

وإذا أريد الحفاظ على المؤسسات المتعددة الأطراف، فسنحتاج إلى الانهماك في تجارب مصممة لتحسين المساءلة. ذلك أن الشفافية جوهرية. وتستطيع المنظمات الدولية أن تقدم مزيداً من النفاذ والوصول، حتى ولو تطلب ذلك تأخير إصدار السجلات بالطريقة التي تنبأت بها المحكمة العليا ونظام الاحتياطي الاتحادي. ويمكن الترحيب بالمنظمات غير الحكومية كمراقبين (كما فعل البنك الدولي) أو السماح لها بتقديم مذكرات (صديق محكمة) استشارية في قضايا تسوية المنازعات التي تنظر فيها منظمة التجارة العالمية (ولو أن هذا الامتياز قد يعطى حصراً للمنظمات ذات الشفافية بشأن عضويتها وشؤونها المالية فحسب). وفي بعض الحالات، مثل شركة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة (وهي مسجلة كمؤسسة غير هادفة للربح بموجب قوانين كاليفورنيا)، فإن التجارب الجارية على التصويت المباشر لأعضاء مجلس الإدارة قد تثبت أنها مثمرة، رغم أن خطر انتزاع الأصوات من قبل جماعات

ضغط مصلحية جيدة التنظيم يبقى مشكلة قائمة. وهناك مجالات أخرى تستحق الاستكشاف، مثل منظمات الشبكات الهجينة التي تجمع بين الممثلين الحكوميين، وغير الحكوميين وموظفي الأقسام والإدارات الحكومية مثل اللجنة العالمية الخاصة بالسدود أو الميثاق العالمي التابع لكوفي عنان.

#### الجدول 5-4: توسيع مساءلة المؤسسات العالمية

- 1 - صُمِّمَ مؤسسات تحمي العمليات المحلية (مثل منظمة التجارة العالمية).
- 2 - أشرك مشرعين في الوفود والمجموعات الاستشارية.
- 3 - إستفد من المساءلة غير المباشرة (مثل السمعة، والأسواق).
- 4 - إرفع درجة الشفافية عن طريق الصحافة، والمظلمات غير الحكومية، ومواقع الشبكات.
- 5 - شجع مساءلة القطاع الخاص.
- 6 - جرّب أشكالاً جديدة (مثل شركة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة، واللجنة العالمية الخاصة بالسدود، والميثاق العالمي).

ويستطيع أعضاء الكونغرس أن يحضروا تجمعات للبرلمانيين المرتبطين ببعض المنظمات لعقد جلسات استماع ولتلقى المعلومات، حتى ولو لم يشتركوا في التصويت (لأسباب مذكورة آنفاً).

وليس هناك جواب وحيد لمسألة كيفية التوفيق بين المؤسسات العالمية الضرورية متعددة الأطراف وبين المساءلة الديمقراطية. فلعل المنظمات الشديدة التقنية تستمد شرعيتها من كفاءتها وحدها. ولكن كلما زاد تعامل المؤسسة مع قيم عريضة واسعة، زادت الصلة بشرعية المساءلة الديمقراطية. والأمريكيون الذين تهمهم الديمقراطية سيكونون بحاجة إلى تفكير أعمق بمعايير وإجراءات تتعلق بحسن إدارة العولمة. فالمطالبات بالانسحاب، والانتخابات المباشرة أو إعطاء السيطرة لمنظمات غير حكومية غير منتخبة لن تحل المشكلة. وسيكون من الضروري إجراء تغييرات تزيد في الشفافية وتستفيد من أشكال المساءلة متعددة الأطراف الموجودة في الديمقراطيات الحديثة، وذلك للمحافظة على الخيارات المتعددة الأطراف التي سنحتاج إليها لمعالجة المشاكل العالمية.

### عولمة التحديق في المستقبل

إن نداء الإيقاظ في أيلول/ سبتمبر 2001 يعني أن الأمريكيين لن ينزلقوا إلى حالة الرضا عن الذات التي ميزت العقد الأول الذي تلا الحرب الباردة. فإذا استجبنا بشكل فعال، فلن يكون من المحتمل أن يتمكن الإرهابيون من تدمير القوة الأمريكية، ولكن الحملة ضد الإرهاب سوف تتطلب جهداً طويلاً ومستداماً. وفي الوقت نفسه، ليس من المحتمل أن تواجه الولايات المتحدة تحدياً لنفوقها ما لم تتصرف بخطرسة إلى درجة تساعد الدول الأخرى على التغلب على القيود المتأصلة في تركيبها. إن الكيان الوحيد القادر على تحدي الولايات المتحدة في المستقبل القريب هو الاتحاد الأوروبي إذا قُبِضَ له أن يصبح اتحاداً متين التماسك، وله قدرات عسكرية كبرى، وإذا سُمِحَ للعلاقات عبر الأطلسي أن تفسد وتتعكر. ومثل هذه المحصلة ممكنة ولكنها تتطلب تغيرات كبرى في أوروبا، وحماسة لا يستهان بها في السياسة الأمريكية كي تتحقق. ومع ذلك، وحتى مع عدم وصول الأمور إلى مثل هذا التحدي، فإن تناقص قابلية استبدال القوة الأمريكية العسكرية في عصر المعلومات العالمي يعني أن أوروبا في موقع يمكنها من التوازن مع الولايات المتحدة على رقعتي الشطرنج: الاقتصادية وعابرة القومية. وحتى بدون توازن عسكري للقوى، فقد تندفع بعض البلدان الأخرى إلى العمل معاً لاتخاذ إجراءات لتعقيد أهداف أمريكا. أو كما قالت الناقدة الفرنسية دومينيك مَوَازي: «إن العصر العالمي لم يغير حقيقة أنه لا يمكن عمل أي شيء في العالم بدون الولايات المتحدة. وإن تكاثر العناصر الفاعلة الجديدة يعني أنه ليس هناك شيء تستطيع الولايات المتحدة أن تحققه وحدها»<sup>(73)</sup>.

وتستطيع الولايات المتحدة أن تتعلم دروساً مفيدة عن استراتيجية تقديم

(73) دومينيك موازي، «الأزمة الحقيقية حول الأطلسي»، فورين آفيرز، تموز/ يوليو -

آب/ أغسطس، 2001، ص153.



البضائع العامة من تاريخ السّلام المفروض على الطريقة البريطانية. ولعل محلّلة أسترالية كانت محقّة في رأيها بأن الولايات المتحدة إذا لعبت أوراقها جيداً، ولم تتصرّف كعازف منفرد، بل كقائد لمجموعة متناسقة من الأمم، «فالسّلام على الطريقة الأمريكيّة قد... يصبح كالسّلام على طريقة روما أكثر منه على طريقة بريطانيا»<sup>(74)</sup>. فإن كان الوضع كذلك، فإن قوتنا الناعمة الطرية ستلعب أحد الأدوار الكبرى. وكما جادل هنري كيسنجر، فإن اختبار التاريخ للولايات المتحدة سيكون في ما إذا كنا نستطيع أن نحول قوتنا المتفوّقة حالياً إلى توافق دولي في الرأي، ومبادئنا إلى معايير دولية مقبولة على نطاق واسع. لقد كانت تلك هي العظمة التي حققتها روما وبريطانيا، كل في زمانها<sup>(75)</sup>.

وعلى عكس بريطانيا، فإن روما لم تستسلم لصعود إمبراطورية جديدة، بل للتآكل الداخلي، ولميّة من ألف جرح أصابتها بها مجموعات همجية شتى. وقد رأينا في الفصل الرابع أنه مع كون التآكل الداخلي ممكناً دائماً، فإنه لم يكن أيّ من الاتجاهات المألوف ذكرها يشير بقوة إلى ذلك الاتجاه في ذلك الوقت. فعند بداية القرن، ورغم التهديدات الإرهابية، فإن المواقف الأمريكيّة إيجابية وواقعية على حد سواء. فقد كان الرد المبدئي على أيلول/ سبتمبر 2001 مشجعاً. فلم يتجه الجمهور إلى النزعة الانعزالية. وقام الكونغرس والإدارة بكبح ميولهما الأحادية المتفردة. كما أن الجمهور واقعي في تفهمه لحدود القوة الأمريكيّة، ويعتبر عن استعداده للمشاركة. «وبينما يقول 28 بالمئة إن أمريكا ستظل القوة العالمية الكبرى على امتداد المئة سنة المقبلة، يعتقد 61 بالمئة أن الولايات المتحدة سوف تتقاسم هذه المكانة مع عدد قليل من البلدان، كما أن

(74) كورال بيل، «الصعود الأمريكي - والتظاهر بالاسجام المتناغم»، ذي ناشنال إنترست (المصلحة الوطنية) خريف 1999، ص 60.

(75) هنري كيسنجر، رؤيتنا العالمية القصيرة النظر، الواشنطن بوست، 10 كانون الثاني/ يناير، 2000، القسم 8، ص 19.

أقل من واحد من عشرة يعتقدون أن الولايات المتحدة لن تظل قوة كبرى»<sup>(76)</sup>. وهناك أكثر من ثلثي الجمهور يعارضون من حيث المبدأ قيام الولايات المتحدة بالتصرف وحدها في الخارج بدون دعم بلدان أخرى»<sup>(77)</sup>. ويبدو أن الجمهور الأمريكي لديه إحساس عفوي الحذر والبدئية بالقوة الناعمة الطرية حتى ولو لم يكن هذا الاصطلاح معروفاً.

ومن جهة أخرى، فإن من الأصعب استبعاد البرابرة، ذلك أن التناقص الكبير المفاجئ في كلفة الاتصال، وبروز المجالات عبرة القومية (بما في ذلك الإنترنت) التي تتجاوز الحدود، ودمقرطة التكنولوجيا التي تضع قوة التدمير الشامل (التي كانت ذات يوم حكراً على الحكومات وحدها) في أيدي مجموعات وأفراد، كل ذلك يشير إلى أبعاد هي حديثة تاريخياً. ففي القرن العشرين كان رجال مثل هتلر، وستالين، وماو بحاجة إلى قوة الدولة كي يحدثوا شراً عظيماً. «إن مثل هؤلاء الرجال والنساء في القرن الحادي والعشرين سيكونون أقل من أهل القرن العشرين تقيداً بحدود الدولة، وأقل اضطراراً لكسب القدرات الصناعية من أجل إحداث الفوضى والخراب... ومن الواضح أن العتبة آخذة بالانخفاض بشكل مثير وكبير أمام المجموعات الصغيرة، وحتى الأفراد، لإيقاع ضرر شامل كثيف في صفوف من يعترونهم أعداءهم»<sup>(78)</sup>. ويجب أن تكون مواجهة مثل هذه المجموعات الإرهابية أولوية عليا. فالدفاع عن الوطن يكتسب أهمية جديدة ومعنى جديداً، وسوف يتطلب

(76) ألبرت ر. هنت، «الأمريكيون يتطلعون إلى القرن الحادي والعشرين بتفاؤل وثقة»،

وول ستريت جورنال، عدد 16 أيلول/ سبتمبر 1999، القسم 8، ص 9.

(77) وزارة الخارجية، تحليل الآراء، «أغلبية كبيرة من الجمهور الأمريكي تؤيد تدخلاً فعالاً

ومتعاوناً في الخارج»، واشنطن، مقاطعة كولومبيا، 29 تشرين الأول/ أكتوبر، 1999.

(78) اللجنة الأمريكية الخاصة بالأمن الوطني في القرن الحادي والعشرين، عالم جديد

مقبل، ص 4.

جمعاً ذكياً بين القوتين الصلبة والناعمة الطرية. فإذا قُيِّض لمثل هذه المجموعات أن تنتج سلسلة من الحوادث المنظوية على دمار وفوضى تمزق المجتمع أكثر حتى مما حدث في أيلول/ سبتمبر سنة 2001، فإن المواقف الأمريكية قد تتغير بشكل مثير ومفاجئ، رغم أن من الصعب التنبؤ باتجاه التغير. فقد تعود النزعة الانعزالية إلى الظهور، ولكن المشاركة الأكبر في أحداث العالم معقولة بطريقة مساوية لذلك الاحتمال.

فإذا كانت الأشياء الأخرى متساوية، فإن الولايات المتحدة تظل في منزلة جيدة تمكّنها من أن تكون القوة القائدة في السياسة العالمية فترة لا يُستهان بها طيلة القرن الحادي والعشرين وما وراءه. ويعتمد هذا التشخيص المستقبلي على افتراضات يمكن ذكرها بتفصيل صريح. فهو يفترض مثلاً أن إنتاجية الاقتصاد الأمريكي سيتم الحفاظ عليها على المدى الطويل، وأن المجتمع الأمريكي لن يتفسخ أو يتآكل، وأن الولايات المتحدة سوف تحافظ على قوتها العسكرية، ولكنها لن تصبح متعسكرة أكثر مما ينبغي، وأن الأمريكيين في قوتهم لن يصبحوا أحاديين متفردين ومتغطرسين إلى درجة التبذير وتضييع رصيد أمتهم الكبير من القوة الطرية الناعمة، وأنه لن تقع سلسلة ما من الأحداث الكارثية تغير المواقف الأمريكية تغيراً عميقاً في اتجاه انعزالي، وأن الأمريكيين سوف يحددون مصلحتهم الوطنية بطريقة واسعة وبعيدة لنظر تتضمن مصالح عالمية. ويمكن التشكيك في كل واحد من هذه الافتراضات، ولكنها تبدو في الوقت الراهن معقولة وقابلة للفهم أكثر من بدائلها. فإذا صمدت هذه الافتراضات، فسوف تبقى أمريكا هي الرقم واحد. ولكن مع ذلك، فإنه في عصر المعلومات العالمي هذا، لن يبقى الرقم واحد على ما كان عليه. فمن أجل النجاح في مثل هذا العالم، يجب على أمريكا أن لا تقتصر على المحافظة على قوتها الصلبة فحسب، بل أن تتفهم أيضاً قوتها الناعمة الطرية، وكيف تجمع القوتين معاً، طلباً لتحقيق المصالح الوطنية والعالمية.

## فهرس

- الأثار العالمية قوية 185  
أدامز (جون كوينسي) 262  
أركنساس 224  
آسيا 18، 47، 53، 55، 61، 64، 70، 79،  
150، 152، 154، 158، 159، 170،  
177، 213، 249، 257، 272  
آسيا الجنوبية 71  
آسيا الشرقية 35، 53، 59، 64، 108،  
188  
آسيا الوسطى 175، 269  
الآسيويون 212، 218، 252  
أطلنطا 135  
أكتون (اللورد) 17  
آلة التعاون الفرنسي - الألماني 75  
إبراز الثقافة الفرنسية في  
الخارج... 137  
الأبعاد الثلاثة للمعلومات 132  
أبعد وأشرق وأرخص وأعمق 163  
إبقاء الروس في الخارج 78  
ابن لادن (اسامة) 139، 141  
الابيض المتوسط 78  
الاتجار بالمخدرات 287  
الاتحاد الأوروبي 15، 72، 73، 74،  
139، 192، 193، 201، 216، 282،  
291، 297  
الاتحاد الأوروبي للاتصالات 291  
الاتحاد السوفياتي 33، 40، 47، 65،  
66، 68، 99، 101، 102، 160  
الاتحاد السوفياتي سوف يسبق  
أمريكا 67  
اتحادات الجريمة الدولية المنظمة  
287  
الاتحادات النقابية 238  
الاتصالات الجماعية 109  
الاتصالات العالمية 184  
اتصالات غير رسمية 195  
اتفاقية ريو 285  
الاتفاقية العامة للتعرفات والتجارة  
(GAT) غات 172  
أثينا 35  
الإجراءات القمعية أبهظ كلفة 106  
الاجناس المهدة بالإنقراض 258  
الإجهاض 242  
الأحادية 273  
الأحادية الأمريكية 275  
أحادية القطب وأهميته 112، 147  
الأحادية لا تعني الانعزالية 273  
الأحاديون 274  
الأحاديون الذين يُدْعَوْنَ أحياناً  
الساديين 275  
الأحاديون الجدد 289  
الإحباط 111  
الاحترار العالمي 160  
احترام نزيه لأراء الإنسانية 17،  
144  
الاحتكار (الاحتكارات) 80، 96  
احتكار البيروقراطية التقليدية 112  
احتكارات المخدرات 106  
الاحتكارات المحتومة 80  
احتمال تفكك أمريكا 206  
الأخبار السارة هي... 253  
الأخبار السيئة 208  
الاختراقات الثقافية 117  
إدارتا ريغان وكلينتون 272  
إدارة بوش الجديدة 222، 273، 286  
إدارة روزفلت 137  
الادحار والاستثمار 231  
الادخارات الشخصية 231  
إذا أعطيتك ضوءاً فإن ذلك... 128  
إذا تركنا الحكم على القيمة  
جانباً... 225  
إذا كنا أمة متفحسة... 13  
الارجنتين 37، 142  
إرشادات 23  
الإرهاب (الإرهابيون) 11، 15، 81،

- إطلاق قمر صناعي إلى الفضاء 67  
الاطلسي 77، 297  
إعادة تحديد المصلحة الوطنية 247  
الاعتماد المتبادل 164  
إعلان كلينتون - هاشيموتو سنة (1996) 60  
الاغذية المعدلة 182  
أفريقيا 33، 43، 143، 152، 167، 170، 174، 187، 264  
إفساد الثقافة العليا 206  
أفضل استراتيجية في آخر الامر... 271  
أفغانستان 11، 33، 34، 186، 254  
الاعلام الأمريكية 12، 155  
أفلام التهديد المهرجة والعسروقة 139  
أفلام هوليوود 141  
اقتحام الجحيم في سلة يدوية 208  
الاقتصاد الأمريكي 71، 227، 238  
الاقتصاد الأمريكي يقف على قمة العالم... 238  
الاقتصاد الحديد 227، 228  
الاقتصاد الحر 191  
الاقتصاد السنثالي 100  
الاقتصاد السوفياتي مشوش جداً 67  
الاقتصاد الصيني 56، 57  
الاقتصاد القائم على المعرفة 164  
اقتصاد المعلومات 129  
اقتصاد معلوم 34  
الاقتصادات الزراعية والصناعية 126  
الاقتصادات الوطنية 1.6  
أقرب شيء إلى الندى... 72  
أقزام ليببوشيان 280  
الاقليات تدعن لإرادة الأكثرية 200  
الإقناع (الجَزَر) وإلى التهديدات
- سلع عامة عالمية 253، 261  
الاستطلاع المركزي ممكن 111  
استعمال القوة مألوف 34  
الاستعمار الجديد 52  
استعمالات الفضاء الخارجي 258  
الاستقرار الديمقراطي 206  
الاستقرار السياسي 32  
الاستقرار في الأسواق المالية 254  
الاستقرار المالي الدولي 18  
الاستقلال 136  
استقلال تايوان 61  
استنجاز الجواسيس 133  
الأسر أو المجموعات العلمية الإدراكية 124  
أسطورة يوغني بير 30  
إسكندنافيا 75، 185، 191  
الإسكندنافيون 226  
الإسلام 161، 186  
أسلحة دمار شامل 118، 174  
الأسلحة البكية 59  
الأسلحة الكيميائية والبيولوجية 240  
الأسلحة النووية 33، 61  
أسلحة نووية عابرة للقارات 87  
أسماك وأسرع 163  
الاسواق الأمريكية 275  
اسواق بريطانيا 285  
الاسواق الحرة 184  
الاسواق المالية مثال جيد على تأثير النظام 164  
أصبنا بالرضا عن الدات 9  
الأصدقاء والأعداء على حد سواء سوف... 46  
الأصنام والايقونات الأمريكية... 26  
الاصوليون (الإسلاميون) 12، 157، 186  
الاضطهاد 209
- 91، 117، 118، 122، 147، 149، 165، 166، 183، 197، 213، 246، 248، 252، 253، 259، 271، 297  
الإرهاب تهديد حقيقي 114  
الإرهاب العابر للقومية 202، 287  
الإرهاب العالمي 90  
الإرهاب الكارثي 10  
الإرهاب يعتبر التهديد رقم واحد... 240  
إرهابيو القاعدة 186  
الإرهابيون المنهمكون في حرب غير منتظرة 131  
أريد أوروبا ولكنني... 75  
إزالة القيود 229  
الازدهار 207  
ازدواجية إزاء الثقافة الأمريكية 138  
ازدواجية أمريكا 216  
الازدواجية تضع قيوداً على الثقافة الشعبية 142  
الازدواجية الثقافية 152  
الازمات المالية 190، 197  
أزمة الصواريخ الكوبية هي سنة (1962) 283  
أزمة الكساد الكبير 209  
الازمة المالية الآسيوية في سنة (1997) 164، 165، 175، 295  
إسبارطة 35  
إسبانيا 44، 69، 139، 182  
الاستثمار (الاستثمارات) 231، 232  
الاستثمار الاجنبي المباشر 244  
استخدام القوة يتطلب تبريراً أخلاقياً 34  
استخدام الكمبيوتر 236  
إسترادا (جوزيف) 106  
أستراليا 83، 158، 167، 200، 236، 268  
استراتيجية قائمة (الكبرى) على

- الإنتاجية 229  
الإنترنت 12، 13، 61، 105، 116  
انتشار إدارة الحكم في القرن  
الحادي والعشرين 100  
انتشار أسلحة (النووية) الدمار  
الشامل 90، 240، 253، 259، 263،  
287  
انتشار التكنولوجيا 183  
انتشار تكنولوجيا الدمار  
الشامل يفتح قرصاً للإرهابيين  
144  
انتشار جرائم القتل 210  
الانتشار العالمي للإسلام 152  
انتشار مرض الإيدز 252  
انتشار المسيحية عبر القارات 152  
الإنجيل 152  
الانحطاطيون الأمريكيون 29  
الاندماج 74  
الاندماج الاقتصادي 190، 202  
اندماج سياستي الدفاع  
والخارجية 76  
الاندماج القانوني 76  
إندونيسيا 269  
الإنصات إلى الآخرين 42  
الإنصاف 156  
الانصهار 214  
الانطواء 10  
الأنظمة القمعية 263  
انعدام الأمن 238  
انعدام الرفاهية 77  
انعدام المساواة 186، 187، 238  
الانعزال (الانعزالية) (الانعزاليون)  
11، 17، 244، 247، 262، 273، 275  
إنغلز (فردريك) 150  
الانفتاح 41، 144  
انفتاح أمريكا 140  
الانفتاح الجنسي 12
- أمريكا لديها واحدة من أكثر  
ثقافات العالم انفتاحاً 140  
أمريكا مغناطيس 217  
أمريكا مكتئبة دائماً، وراكدة  
دائماً... 208  
أمريكا هي الرقم واحد 300  
أمريكا وأوروبا تسيران على  
طريق النزاع السياسي 73  
أمريكا الوسطى 266  
أمريكيان يتماخران بانتصار 25  
الأمريكيون 9، 17، 38، 115، 262،  
296  
الأمريكيون سيكونون مخطئين إذا  
رفضوا الهجرة 217  
الأمريكيون ليسوا ذوي مناعة من  
العجرفة 274  
الأمريكيون مدينون للأجانب... 231  
الإمسك بالأوراق الراحبة 32  
الأمم الصناعية التسع والعشرين  
235  
الأمم المتحدة 18، 69، 114، 120،  
189، 241، 276، 278، 284  
الأمم المركزية 113  
أمن أمريكا يعتمد على... 137  
الأمن الشخصي 207  
الأمن العسكري 118  
الأمن القومي 10، 118، 119  
الأمة التي لا غنى عنها 255  
الأمة رقم (1) 61  
أمة واحدة 210  
الأمومة خارج نطاق الزوجية 211  
إن علينا أن نعيد اختراع أنفسنا  
103  
إن هذا تحدٍّ أخلاقي كبير 260  
أن يحطموا نسيج الولايات  
المتحدة... 12  
الأنانية 254، 286
- (العصبي) 38  
كتشاف أمريكا والطرق إلى جزر  
الهند الشرقية... 151  
الإكوادور 106، 271  
الألبانيون 269  
الأنغام الأرضية (البرية) المضادة  
للأشخاص 91، 277  
ألمانيا 32، 53، 54، 72، 75، 78، 82،  
86، 137، 179، 210، 227، 232، 233،  
234، 238، 263  
ألمانيا القيصرية 35، 53، 57  
ألمانيا النازية 137، 206  
إلى متى يستمر هذا الوضع 26  
أم أس أن بي سي (MSNBC) 9  
الإمبراطوريات الأوروبية 264  
الإمبراطوريات المنهارة 34، 35  
الإمبراطورية (الرومانية) 13، 20،  
42  
الامتداد الاستعماري الطويل أكثر  
من اللازم 246  
الامتداد الإمبراطوري المبالغ في  
طوله 253  
الأمراض المعدية 16، 248  
أمركة (العالم) 154، 179  
أمريكا 11، 12، 13، 18، 28، 31، 36،  
41، 46، 50، 51، 55، 58، 65، 66،  
70، 71، 73، 78، 84، 115، 128،  
132، 151، 154، 179، 202، 206،  
215، 223، 227، 233، 238، 239،  
244، 253، 262، 268، 297  
أمريكا تنقصها إمبراطورية إقليمية  
50  
أمريكا ستظل القوة العالمية  
الكبرى... 298  
أمريكا الشمالية 34، 94، 157، 159  
أمريكا اللاتينية 118، 152، 170، 213،  
272

- انفجار معمل يوتيون كاربيد في مدينة بوفال الهندية 294
- الانفراد الأمريكي 81
- الانفراد بالتصوف الاحادي 1.4
- الانقسام بين الاغنياء والفقراء في الصين 104
- إنكم عميان... 11
- إننا أقوى بلد في العالم... 278
- إنني اعتبر نفسي مواطناً عالمياً... 248
- إنه الاقتصاد، أيها الغبي! 226
- انهارت الإمبراطورية السوفياتية 33
- انهيار الاتحاد السوفياتي سنة (1991) 9، 26، 65، 68، 87
- انهيار الأسرة 206
- انهيار الإمبراطورية السوفياتية 264
- انهيار الرويل الروسي 149
- انهيار المبادئ والعادات الاخلاقية 206
- انهيار مصرف كريدت آنستالت في النمسا سنة (1930) 164
- انهيار المؤسسات (المؤسسي) 203، 205
- اهتمام الأمريكيين بالأخبار 242
- أوراسيا 45
- الأوراق الاربعة 183
- أوروبا 14، 18، 29، 30، 32، 34، 47، 49، 53، 55، 67، 69، 72، 73، 74، 75، 78، 79، 80، 81، 87، 94، 107، 143، 150، 153، 158، 159، 162، 174، 181، 185، 229، 238، 243، 249، 251، 257، 261، 272، 297
- أوروبا الشرقية 73، 107، 135، 185، 225، 272
- أوروبا العربية 29، 36
- أوروبا الوسطى 72، 75
- الأوروبيون 73، 158، 252، 268
- الأوروبيون الغربيون 89
- أورويل (جورج) 46، 110
- أوسومورا 171
- أوغيبين (وليام) 98
- أوقيانيا 45
- أول أكسيد الكربون 287
- أول وباء للجدي 158
- أولبرايت (مادلين) 255
- أولئك الذين يملكون شبكة، سوف يأتي المطاء 128
- ائتلاف روسي - صيني - هندي 14
- الائتلاف لمحاربة الإرهاب 79
- الإيدز (مرض) 117، 152، 167، 196، 202
- إيران (الاصولية) 14، 47، 74، 139، 142، 186، 271، 275
- إيرلندا 182، 235
- إيرلندا الشمالية 261
- الإيرلنديون 212
- إيستاشيا 45
- إيسماي (اللورد) 78
- إيطاليا 40، 137، 139
- الإيكونوميست = مجلة الإيكونوميست
- باتن (كريس) 278
- ماتتام (روبرت) 223، 225
- ماويس 113، 120، 121، 175، 190
- باول (كولن) 256، 277
- البحارة الأوروبيون 179
- بحر إيجة 261
- بحر الصين الجنوبي 59
- براءات اختراع الأدوية 196
- البرابرة (الإرهابيون) 203، 299
- البرازيل 43، 149، 179، 188
- مراغ 150، 191
- برايملو (بيتر) 214
- البرتغال 69
- برلمان الإنسان 201
- البرلمان الأوروبي 76
- برنامج فولبرايت 137
- بروتوكول كيوتو 274، 276، 277، 285، 291
- بروتوكول مونتريال حول نضوب الأوزون 124
- النروز 165
- بروسيا 62
- بروكسل 73، 113، 121، 291
- برومثيوس العملاق 27
- بريجنيف (ليونيد) 67
- بريطانيا 9، 19، 29، 32، 33، 36، 41، 45، 50، 53، 54، 57، 75، 82، 83، 86، 113، 120، 121، 128، 135، 152، 153، 164، 178، 179، 182، 210، 222، 234، 257، 258، 268، 297
- بريطانيا إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس أبداً 29
- البطالة 78، 238
- بعداد 135
- بقاف (وليام) 29
- بلاكويل 80
- بلجيكا 182
- بلدان آسيا الشرقية 36، 84
- البلدان الأفقر 126
- بلدان أمريكا اللاتينية 193
- بلدان أوروبا الشرقية 40، 181
- البلدان الديمقراطية 109
- البلدان الصغيرة 37
- البلدان الصناعية الأنفلو - أمريكية 185
- البلدان الغنية 157، 159
- البلدان الفقيرة 84، 127، 258
- البلدان النامية 85

- تجارة المخدرات 117  
التجارة المفتوحة 254  
التجاسس 179  
التجاسس الأمريكي 180  
التجاسس الثقافي 191  
تجاوز القانون الدولي 275  
تجربة قذيفة كورية شمالية 249  
التجزعاج 122  
التجزة العرقية 68  
التجسس 133  
التحالف 51، 65  
التحالف الأمريكي - الياباني 60  
تحالف صيني - روسي - هندي 72  
التحالف ضد (مضاد) الإرهاب 47، 52  
التحدث باسم المواطنين ككل 201  
الحديث الفعلية 13  
التحركات البريطانية الاحادية الجانب 285  
التحركات السريعة كومض البرق 121  
التحكيم التجاري الدولي 195  
التحول الكبير 189  
تحويل القوة 204  
تخزين الجيفابات 94  
التخطيط المركزي 99  
التخوف الجماعي من الولايات المتحدة 77  
التدفقات المالية 117  
التدمير الخلاق 237  
الترتبات متعددة الاطراف 282  
تركيا 73  
الترويج لنظام اقتصادي دولي مفتوح 257  
التسامح 34  
التشاؤم الثقافي 208
- بيجينغ 171  
بيركلي 151  
بيركينز (دوايت) 57  
بيرل هاربور 10، 18، 32، 60، 131  
بيرو 271  
بيروت 171  
البيروقراطية (الروسية) 101، 111  
بيري (وليام) 265  
بيكون (فرانسيس) 92  
بينما تقدم الثورة 108  
بينوشيه (اوغستو) 120  
بينيت (وليام) 263  
تآكل تفوقا 20  
التآكل الداخلي ممكناً دائماً 298  
تآكل طبقة الاوزون 124  
تاتشر (مارغريت) 45، 46  
تأثير حفلة الكوكيتل 129  
تأثيرات الشبكة 163  
تأديب السيد الكبير 244  
تأسست الولايات المتحدة جزئياً على عدم الثقة بالحكومة 218  
تأنيث الفقر ليست قاصرة على أمريكا 211  
تايلند 37، 149  
تايبوان 59، 60، 61، 106، 236  
التبادل الدولي 163  
التباين بين قوتاً 82  
التبرع لجماعات الدم الاجتماعي 225  
تبييض الاموال 18  
تجار العصور الوسطى 114  
تجار المفقوت 169  
تجارب الهند النووية 72  
التجارة الإلكترونية (الامريكية) 82، 291  
التجارة الحرة 41، 157  
التجارة الدولية 248
- البلدان النائية تصمم قواعد امامية للاضطراب... 260  
بلغراد 171  
البلقان 78، 268  
بلير (طوني) 139  
بلين، بلين جيمس ح. بلين، الكذاب القاري من ولاية مين 218  
البنثاغون 18، 19، 91، 118، 262، 270  
بنك آسيا (الآسيوي) للتنمية 55، 56  
البنك الدولي 172، 191، 275، 293  
البنية التحتية 127  
بوتين (فلاديمير) 51، 68  
بوجومبورا 171  
بودهورتيز (نورمان) 263  
البوذية 161  
بورتو آليغري (بالبرازيل) 124، 185  
بورك (روبرت) 206  
بوروندي 171  
يوسطن 171  
البوسنة 165، 186، 263، 268  
البوسنيون 265  
يوش 14، 18، 19، 205، 260، 278، 279، 291  
يوش - لاب (جورج هيربرت) 285  
يوش (جورج ووكر) 13، 51، 89، 160، 263، 267، 277  
يوفال 295  
وفيه (جوزيه) 151  
بوكيمون 180  
بولتون (جون) 198  
بوليورد الهندية 83  
بومباي 171  
بوميرانيا 263  
بونس آيريس 171  
البيت الأبيض 18، 219



- تشجيع الديمقراطية 249  
تشكيل البيئة 36  
تشيكوسلوفاكيا 40  
تشيلي 120  
التصوير الخاطئ للانحطاط الأمريكي 31  
التطهير العرقي في كوسوفو 31  
تظل القوة العسكرية هامة... 37  
تعاطي المخدرات 207  
التعاون 120، 194  
التعاون الدولي 118  
التعاون الصحي مع أوروبا 81  
التعاون في المخابرات 290  
الدعاون المتعدد الاطراف 292  
التعدد الثقافي 213  
التعددية 136، 273، 280، 282، 287  
تعددية بالفرق 283  
التعددية المتوازنة 276  
التعددية هي الادق 169  
تعزيز حقوق الإنسان 249  
تعزيز الديمقراطية ونشرها 271  
التعلم الاساسي 127  
التعليم 233  
التعليم الأمريكي، رغم قوته... 234  
التعليم العالي 41  
تعيد اليابان اكتشاف نفسها 63  
التغير الاجتماعي داحل القوى لعظمى 33  
التغير (المناخي) المناخ (العالمي) 117، 124، 159، 160، 197  
التعيرات السياسية 85  
التفسيخ الاخلاقي والانقسام الثقافي 205  
تفوق أمريكا الراهن شيء زائل ومؤقت 27  
تقارير أن اتش كي NHK 138  
تقرير الرئيس الاقتصادي 229
- التقليد بالافتداء 39  
التكتيكات الاحادية الحانب 284  
التكتيكات الاحادية والمتعددة الاطراف 288  
تكنولوجيا الاتصالات 184  
تكنولوجيا التشفير 110  
التكنولوجيا تنتشر مع مرور الزمن 127  
التكنولوجيا الجديدة 97، 98  
التكنولوجيا المستوردة من روسيا 58  
تكنولوجيا المعلومات 131، 229  
تكنولوجيات الحرية 110  
تكنولوجيات العسكرية 130  
التلاعب بالمفاهيم 137  
تماماً مثلما أيقظت بيرل هاربور 18  
التمتع بالحياة الطبية على الطراز الأمريكي 141  
تمثال الحرية 155  
التنافس 229  
التنبؤ بالمستقبل 30  
التنبؤ بصعود الأمم وسقوطها صعب 28  
التنوعات بأزمة مؤسسية 222  
التنمية الدولية 259  
التنوع بحسب المسافة 171  
التنوع الثقافي 182  
التهديد السوقياتي 265  
التهديدات الإرهابية 298  
تهريب المجلات 18، 166، 197  
التوازن 47  
توازن الأسلحة 132  
التوازن بين الدول والأسواق 107  
توازن القوى 46  
التوازن مع القوة الأمريكية 52  
توحيد الكوريتين الشمالية والجنوبية 47
- تورنتو 157  
توزيع القوة في عصر المعلومات العالمي 82  
توسيع مساءلة المؤسسات العالمية 296  
توفلر (ألفين) 112  
توكوفيل (أليكسيس دي) 223  
توكيد النزعة المتعددة الاطراف 14  
تونغ (غون شوك) 103  
تيمر الشرقية 263، 268  
ثاني أكسيد الكربون 160، 174  
الثقافات الأوروبية 73  
الثقافة 39، 203  
الثقافة (أمريكا) الأمريكية 137، 139، 140، 181، 213  
الثقافة الأمريكية منتجة... 154  
الثقافة التقليدية 206  
الثقافة الثانية لكل شخص 140  
ثقافة روسيا السوقياتية 42  
ثقافة روما 42  
الثقافة السعودية لا تبدو مشابهة للثقافة الأمريكية 183  
الثقافة الشعبية (الأمريكية) 12، 4، 42، 142، 171  
الثقافة الكونفوشيوسية 55  
الثقافة المحلية 178  
ثقافة النزعة الاستهلاكية 232  
الثقة بالحكومة 223  
الثقة بمؤسساتنا 217  
الثورة الأمريكية 92  
ثورة تانشر - ريغان 108  
الثورة التقنية في المعلومات والاتصال 11  
الثورة الثقافية 209  
الثورة الخضراء في التكنولوجيا الزراعية 159  
الثورة الصناعية 96، 178، 189

- الثورة الصناعية الاولى 95  
الثورة الصناعية الثالثة 29، 95، 97، 100، 112  
الثورة الصناعية الثانية 109  
الثورة الصناعية المقبلة 29  
الثورة الفرنسية 92  
الثورة في الشؤون العسكرية 59، 82  
ثورة المعلومات الثانية 110  
ثورة (من) المعلومات 15، 88، 89، 91، 92، 94، 99، 106، 107، 108، 110، 112، 125، 127، 147، 179، 182، 228، 230  
ثورو (ليستر) 28  
ثيوديديس 35، 55  
جامايكا 145  
الجامعات الامريكية 143، 234  
جامعة هارفارد 57  
الجبهة الداخلية 203  
الجدران النارية 119  
جرائم الحرب 284  
الجريمة 207  
جزر سبارتلي 258  
جزر الهند الشرقية 151  
الجزرات والعصي 41  
جزيرة صغيرة تعيسة بائسة 29  
الحزيرة (محطة البث التلفزيوني) 139  
حزيرة المسرات 200  
جزيرة منعزلة 23  
جعل الآخرين يريدون ما تريده أنت 38، 88  
الجغرافيا الاقتصادية 36  
الجماعات المحافظة تقاوم العولمة بقوة 186  
جماعة السلام الاخضر 135  
الجمعية العامة 286  
جمهورية فاليمار في روسيا 266  
الجمهوريون 14، 262  
الجنس 12، 141  
الجنسية 21  
جنوب آسيا 156  
جنوب أفريقيا 106، 120، 181، 196  
جنوب شرقي آسيا (الإسلامية) 78، 258  
جنوى 150، 191  
جنيف 291، 293  
جهود الأمم المتحدة لتحقيق السلام 14  
جوسبان (ليونيل) 75  
جوف (جوزيف) 41، 46، 140  
جوهانسبرغ 170  
حبنز (أنطوني) 197  
جيف (جوزيف) 88  
جيفرسون (توماس) 128، 218  
جيفرسون 218  
جيلبين (روبرت) 48  
الجيش الخاصة من المرفقة 106  
الحاجة إلى أسواق 60  
الحادي عشر من أيلول / سبتمبر = الهجمات الإرهابية في أيلول / سبتمبر سنة (2001)  
حالات عدم كفاءة مفيدة 190  
الحالة الراهنة للسياسة الدولية غير طبيعية 46  
حتى الآن، كل شيء جيد 241  
حجب المصروف 38  
حد السرعة 231  
حدود القوة الأمريكية 251  
حرب (حروب) الإبادة 267، 268  
الحرب الإعلامية 166  
الحرب (الحروب) الأهلية 35، 206  
الحرب الأهلية الأمريكية 223  
الحرب الأهلية في كولومبيا 49  
الحرب الباردة 11، 17، 33، 60، 70، 81، 135، 137، 160، 165، 172، 181، 221، 243، 249، 254، 264، 282، 297  
حرب باردة في شرق آسيا 61  
حرب الخليج سنة (1991) 9، 34، 58، 131، 139، 266، 268  
حرب روسيا في الشيشان 49، 251  
الحرب الروسية اليابانية 63  
الحرب العادلة 267  
الحرب العالمية الأولى 32، 35، 53، 84، 122، 137، 161، 186، 201، 204، 240، 243، 262  
الحرب العالمية الثانية 18، 35، 49، 62، 63، 66، 67، 84، 137، 161، 201، 204، 209، 219، 227  
الحرب غير المتناظرة 165  
الحرب الفرنسية - الروسية 136  
الحرب في آسيا محتملة عاجلاً أم آجلاً 33  
الحرب القيتنامية 42، 207  
الحرب الكورية 60  
حرب كوسوفو 269  
الحرب لا تزال ممكنة ولكن... 34  
الحرب المالية 166  
حرب المعلومات 132  
حرب نووية 45  
الحرب هي اللعبة النهائية التي... 32  
الحركات الاشتراكية 190  
الحركات السلمية 122  
حركة الإصلاح الديني 92  
الحركة الاولى 129  
حركة المرور على الإنترنت 93  
الحروب الأهلية الإفريقية 269  
حروب أهلية حول تقرير المصير 269

- الحروب الأهلية الصاربية حول الدين 263
- الحروب الأهلية في الكونغو أو الشيشان 267
- الحروب الهيلوبونيزية في اليونان القديمة 35
- حروب ثقافية 206
- حروب الشيشان 69
- الحروب العالمية في القرن العشرين 160
- الحرية 20، 141
- حرية البحار 254
- حرية التعبير 68
- الحرية الدينية 263
- الحرية الشخصية 41
- حرية الصحافة 286
- حرية العمل التجاري 162
- الحزب الجمهوري 241
- حزب عدم معرفة أي شيء 212
- حسن إدارة العولمة 191
- حسين (صدام) 37، 49، 132، 135
- حصّة الأسد 183
- الحضارة الغربية 139
- حفظ السلام 259
- حفظ السلام في البلقان 268
- حقوق الإنسان 15، 80، 81، 120، 121، 143، 144، 184، 250، 259، 262، 263، 264
- حقوق الإنسان والديمقراطية 261
- الحقوق المدنية 209
- حكم الذات 276
- حكمت بريطانيا الهند بقوة استعمارية 33
- الحكومة ذات النمسة الخفيفة 224
- حلقب شمال الأطلسي 19، 76، 78، 120، 268، 282، 287، 288
- الحلفاء 18
- الحماية الأمريكية 50
- حماية وظائف العمال الأمريكيين 245
- حمل الأسلحة 156
- حمل المرافقات سفاحاً 207
- الحملات الصليبية الكبرى في العصور الوسطى 157
- الحملة ضد الإرهاب... 297
- حملة على الحكومة لطردها 221
- حواجز الدول 128
- الخدمة البريدية 221
- خدمة الحكومة 221
- خروشيف (نيكيتا) 67
- الخصخصة 11، 107
- خصخصة الحرب 11
- خطا دبلوماسياً 64
- خطر الحرب إنما ينشأ... 44
- الخلافاث العرقية 243
- الخليج 47
- الخليج الفارسي 36، 257، 265
- خنق المعارضة 68
- خوزيه بوفيه 185
- خيبة الأمل 111
- دارنتون (روبرت) 92
- دافوس بسويسرا 124
- الدامرك 29
- دايسون (إيستر) 112
- الدبابات الكورية الشمالية 283
- الدبلوماسية الأمريكية أحادية الجانب ومنغطسة 50
- الدبلوماسية الأمريكية ثقيلة الوطاء 47
- دبلوماسية الشرق الأوسط 9
- دحر الإرهاب 20
- دراكر (بيتر) 112
- الدرشة 104
- دروس من الماضي 95
- الدستور العالمي 52
- الدعاية عابرة القومية 122
- دفع الضرائب 213
- دمج نظام للأنظمة 132
- الدمقرطة 146، 168، 272
- دمقرطة محتمعات رأسمالية 185
- دهورة البيئة 166
- دور الكنائس التبشيرية الأمريكية... 226
- دورنا العسكري جوهري... 17
- الدول الإسكندنافية 41
- الدول الإيطالية 116
- الدول الصغيرة 30، 131
- الدول الغنية 85، 131
- الدول الفقيرة (الضعيفة) 34، 183، 189، 192، 197
- الدول القيادية ومصادر قوتها (1500 - 2000) 44
- الدول الكبيرة 144
- دول ككرات البليارد 116
- الدول المستقلة 289
- الدولارات 74
- دولارات الضرائب 221
- دولة الرفاهية 162
- الدولة الوطنية 121
- ديب (بول) 59
- ديكنز (تشارلس) 208
- ديانا (الأميرة) 124
- الديمقراطيات لا تشن الحرب ضد بعضها بعضاً أبداً 271
- الديمقراطية 20، 68، 80، 143، 144، 184، 198، 199، 200، 250، 261، 262، 263، 264، 289
- الديمقراطية الليبرالية 105، 271
- الديمقراطيون 14
- الدين 113، 121

- ذو القطب الواحد 65  
 رابطة القانون الدولي 122  
 رامسفيلد (دونالد) 19، 118، 277  
 رايس (كودوليزا) 247  
 ردمان (وارن) 10، 279  
 ردود الافعال السياسية على  
 العولمة 185  
 رغم الخطابات الطنائة 65  
 الرفاه الاجتماعي 33  
 رفاه كوكب الأرض 196  
 رفع سن تشغيل الاطفال 197  
 ريفيون 155  
 الرف 122، 209  
 ركوب الموجة 47  
 الركود (الاقتصادي) 61، 190، 203،  
 226، 238، 246  
 رواندا 263، 267، 268، 269  
 الروانديون 265  
 روبن هود 139  
 الروح الامريكية 16  
 روح المقاومة التجارية 79  
 روزفلت 109  
 روزفلت (تيدي تيودور) 278  
 روزكرانس (ريتشارد) 34  
 روزينو (جيمس) 122  
 روستيال (كال) 292  
 روسيا 27، 28، 32، 48، 50، 53، 58،  
 65، 66، 68، 69، 70، 78، 79، 86،  
 89، 101، 128، 236، 265، 287  
 روسيا تظل قوة نووية 251  
 روما 13، 25، 28، 17، 203  
 الرياضيات 234، 235، 236  
 ريتشارد (جان - فرانسوا) 196  
 ريفان (رونالد) 143، 262  
 ديفانتيون 16  
 زاباتا (إميليانو) 122  
 الزمن الوحيد الذي... 44  
 زيمين (جيانغ) 91  
 زيادة الشفافية 294  
 ساخس (جيفري) 260  
 ساحة تيانانمين 155  
 الساخسون على قوة أمريكا... 151  
 سافاير (وليام) 51، 273  
 الساموراي 180  
 سان فرانسيسكو 127، 129  
 ساوث داكوتا 224  
 ستالين (جوزيف) 40، 99، 101،  
 229  
 سراويل ليفين الامريكية 140  
 سرايفو 168  
 سردينيا 29  
 سرعة الاتصالات 94  
 سوق أسرار من البنتاغون 119  
 سرية المعلومات 74  
 السعوديون 183  
 سعى المسؤولون الفرنسيون إلى  
 منع الكوكاكولا 151  
 سكك الحديد 96  
 السلام الأخضر 169  
 السلام الأمريكي 48، 51  
 السلام البريطاني 48، 50  
 سلام روما 48  
 سلطة اتخاذ القرارات 76  
 السلطة السياسية 95  
 السلع العامة العالمية 253، 257  
 السلع العامة النقية نادرة بالطبع  
 254  
 السلام على الطريقة الامريكية  
 قدم... 298  
 سميت (آدم) 151  
 سُمك العولمة المتزايدة 166  
 السندات المالية 155  
 سنغافورة 103، 107، 236
- سهولة الوصول إلى القروض 232  
 السواحل التي لا ولاء لها 205  
 السودان 186  
 سوف تبقى أمريكا هي الرقم  
 واحد 300  
 سوف يستمر تفوق أمريكا... 28  
 السوق 37، 101  
 السوق الآسيوية 15  
 السوق الامريكية 15  
 السوق العالمية المعولمة 157  
 سولابول (إيثيل دي) 110  
 السويد 107، 222، 235، 263  
 سويسرا 235، 263  
 سي أن أن CNN 139  
 سياتل 91، 157، 191، 198  
 السيادة 113، 289  
 السيادة المطبخية 152  
 السيادة والديمقراطية  
 والمؤسسات العالمية 289  
 السيادة 113، 275، 290، 292  
 السياسات الاستبدادية 41  
 السياسة الامريكية تجاه كوريا  
 الشمالية مثيرة للفرع 130  
 سياسة أوروبا الزراعية 185  
 السياسة تصبح مباراة في  
 المصادقية 135  
 سياسة التوازن في الهوى 65  
 السياسة الحزبية 218  
 السياسة الخارجية 10، 241  
 السياسة الخارجية الامريكية  
 بسيطة ومباشرة 147  
 سياسة الضمان الاجتماعية 76  
 سياسة عالمية (جديدة) 97، 112  
 سياسة عصور ما بعد الحداثة 75  
 سياسة الفصل العنصري 120  
 سياسة القوارب المسلحة 53  
 السياسة المحلية 178

- السيد الإقطاعي 114  
السيد الكبير 244  
سَيِّد (وليام توماس) 154  
سيراليون 106، 141، 268  
سيسش (طوني) 103  
السيطرة 49، 204  
السيطرة على الأمراض المعدية 254
- شباب من الغلبين 91  
شباب آسيا المراهقين 138  
الشباب الغاضبين 187  
شبكات الإرهابيون 160  
شبكات الأمان 162  
الشبكات غير الرسمية 111  
شبكات القضايا العالمية 196  
شبكة أن أتش كي NHK 138  
شبكة الضمان الاجتماعي 57  
شبكة العنكبوت 172  
شبكة من المؤسسات المتعددة الأطراف 52  
شبه الجزيرة الكورية 265  
شراكة استراتيجية 65  
شراكة بناء 65  
شرق آسيا 55، 60، 62، 174  
الشرق الأقصى 65  
الشرق الأوسط 43، 48، 70، 78، 138، 139، 187، 261  
شركات الأدوية عابرة القومية 196  
الشركات الأمريكية 12، 15، 142  
الشركات الأمريكية عابرة القومية 115  
شركات البرمجيات 127  
الشركات عابرة القومية 79، 115، 144، 183، 196، 197  
شركات عابرة القومية لا تغير عادات الشراء 142  
شركات العولمة الليبرالية الجديدة 191
- الشركات (شركة) متعددة الجنسيات 15، 113، 123، 183  
شركات النفط متعددة الجنسيات 183  
شركة إكسون 291  
شركة MCA أم سي إيه 138  
شركة الإنترنت للأسماء والأرقام المخصصة 295  
الشركة البريطانية للنفط 291  
شركة جنرال إلكتريك 74  
شركة شل (الهولندية الملكية) 135، 291  
شركة مائل 196  
شركة نايكي 196  
شركة هانيويل 74  
الشعب العراقي 37  
الشعور بالمقت 120  
شلل الأطفال (مرض) 197  
شليسينجر (جيمس) 205  
شمال ألمانيا 116  
شن حملة صليبية 262  
شنغهاي 51  
شهدت إيران صراعات بين... 186  
شواغولدشتاين (حو) 48  
شومتر (جوزيف) 237  
الشيء المختلف الآن هو أن... 159  
شيباس 122  
الشيخوخة 63  
الشيشان 49، 251، 267  
الديكتاتور الأكبر 157  
شيفارد نادره (إدوارد) 67  
الشيفرة الرمزية للإنترنت 110  
الشيوعية (الشيوعيون) 30، 54، 67، 104  
الصحافة الفرع الرابع الجوهري من السلطة 294  
صحيفة الفار إيست إيكونوميك ريفيو 127
- صحيفة الفاياناشال تايمز 82، 83  
صحيفة لوموند الفرنسية 81  
صحيفة الواشنطن بوست 215  
الصراع الثقافي 205  
الصراعات السياسية المحلية 54  
الصرب 9، 140، 269  
صربيا 31، 135  
صرخة إيقاظ الأمريكيين 20  
الصدقة والشراكة 81  
صدقة وتعاون 65  
صدام حضاري عالمي 186  
صديق محكمة 295  
صفود الصين اسم على غير مسمى 55، 64  
صفر حجم العائلات 211  
الصلب الأحمر 122  
الصناديق الأجنبية المتبادلة 168  
الصناديق السوداء 146  
صناعة الاتصالات الأمريكية 229  
صناعة الفيلم الدعائي 137  
الصناعة الكيميائية 170  
صندوق أسود 125  
صندوق النقد الدولي 41، 49، 74، 172، 191، 199، 228، 258، 275، 293  
صنع جيران جيديين 263  
صنع في الولايات المتحدة 26  
صنع القرار الجماعي 274  
صوت أمريكا 137، 144  
الصور الحية العنيفة 265  
صورة جثة أمريكي مقتول تُسحب عبر شوارع مقاديشو 266  
الصومال 165، 266، 268، 269  
الصوماليون 265، 266  
الصين 14، 27، 28، 34، 36، 43، 47، 48، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 59

- العصر المعلومات المعولم 11  
العصور الوسطى 113، 114، 116، 146، 150  
عقبة بيرل هاربر 10  
العقوبات الاقتصادية الأمريكية 37  
العقوبات التجارية على إيران وكوبا 14  
العقوبات الكاسحة 37  
عقوبة الإعدام في الولايات المتحدة 77  
العقيدة 39، 88  
العقيدة الشيوعية 67  
عقيدة فرنسا الثورية 46  
علاقات التعاون الرسمية بين الدول 194  
العلاقات عابرة القومية 88، 251، 290  
العلوم 234، 236  
على عكس القرون الماضية... 88  
على مبعدة من الساحل 64  
عليك بالتهديدات والمكافآت 39  
العمالة المستوردة 237  
العمل الأحادي الجانب 194  
العمل الجماعي 222، 225، 252  
العمل الجماعي في السياسة الخارجية 209  
العلاقات الأمريكية الضخم 25  
علاق المحيط الهادي 61  
عملية السلام في الشرق الأوسط 261  
عنان (كوفي) 171، 296  
العنف 12  
العولمة 16، 63، 89، 149، 182، 229  
العولمة آخذة في تمزيق طراز الحياة... 264  
العولمة الاجتماعية 161، 190  
العولمة الاقتصادية 30، 37، 61، 62، 143، 144، 146، 247، 248
- العالم الصناعي 162  
العالم العربي 138  
عالم القطب الواحد 27  
عالم القوة العظمى الوحيدة لن يستمر 28  
عبد الله (ملك الأردن) 12  
العجز الديمقراطي (في الاقتصاد العالمي) 198، 201  
العدالة 156  
عدد الأمريكيين المشتكين من الهجرة يبلغ... 212  
عدم الاستقرار السياسي 259  
عدم التساوي في المداخل 236  
عدم المبالاة بأراء الآخرين 43  
عدم معرفة أي شيء 212  
العدو رقم (1) 54  
عدو الهند المحتمل رقم واحد 72  
العراق 35، 47، 134، 249، 273  
العراق وإيران يكرهان لولايات المتحدة 47  
العربية السعودية (المملكة) 67، 183، 265  
العرفان بالجميل قد اختفى 277  
عزو حيوي 149  
العسكريون يؤدون دوراً محقاً في دبلوماسية 256  
العشيرة 121  
عصابة هانسيا 116  
عصر أحادي القطب 273  
عصر (العصور) الإقطاع (الإقطاعية) 114، 125  
عصر الإنترنت 116  
عصر الضحيج الأبيض 135  
عصر عولمة عالمي 253  
عصر فكتوريا 9  
عصر المعلومات العالمي 21، 119، 126، 143، 144، 246، 247
- 61، 64، 65، 66، 70، 71، 72، 78، 86، 88، 103، 104، 126، 141، 142، 155، 158، 160، 162، 177، 179، 188، 189، 200، 216، 240، 258، 265، 274، 287  
الصين تريد أن تقيد اليابان 64  
الصين المساعدة 57  
الصين العاجزة 57  
الصين تد منافس للولايات المتحدة 60  
صينيّ المهاجر 177  
الضبط الدزيه للمخدرات 153  
ضبط النفس الاستراتيجي 51  
لضجيج الأبيض 134  
الصراخ 32، 76  
الضرب 38  
الضربات ضد معسكرات الإرهابيين 283  
الضرر البيئي 254  
ضغوط العولمة 73  
ضمير عالمي 123  
طائرة مدنية مخلوطة 118  
الطباعة 92  
طبيعة الوحش 156  
طريق الحرير القديم 150  
الطفاة 12  
الطلاق 207، 211  
الطلاق الاقتصادي غير وارد 79  
طلاق حاد 81  
طوكيو 175  
طول حياة الإنسان 210  
العالم الإسلامي 11  
عالم تعيش فيه أكثر من عشرة آلاف عرقية أو لغوية 269  
العالم الثالث 67  
عالم الحرب الباردة 133

- العملة التجارية 150  
 عملة التحديق في المستقبل 297  
 العملة تعادل الأمركة شائعة 151  
 العملة لرفيقة 150  
 العملة سيف ذو حدين 181  
 العملة شبكات الاعتماد المتبادل 156  
 العملة طراز شائع الآن 191  
 عودة الظهور 55  
 العملة العادرة للقمية 289  
 العملة عدد من الأبعاد 157  
 العملة العسكرية 160، 165  
 العملة في أصلها ليست أمريكية 153  
 العملة قد لا تكون قابلة للاستدامة 167  
 عملة القرن الحادي والعشرين: ما الجديد؟ 163  
 العملة الكثيفة 171  
 العملة لا تعني التجانس بالضرورة 179  
 العملة لها تأثيرات هامة على حياتنا اليومية 157  
 العملة ليست فقط سيطرة الغرب... 153  
 العملة المعاصرة 163، 172  
 العملة هي أكثر من مجرد الأمركة 156  
 العملة هي - ببساطة - قناع الاستعمار الأمريكي 26  
 العملة هي سبب إحياء الثقافة المحلية 182  
 العملة هي نتاج التقدم التكنولوجي... 163  
 العملة والثقافات المحلية 178  
 العملة والقوة الأمريكية 172  
 العملة اليوم أمريكية المركز 155
- غابات الامارون في البرازيل 174  
 غابة برازيلية 168  
 غاز ثاني أكسيد الكربون 175  
 غرامسكي (أنطونيو) 39  
 الغرب والماقين 264  
 غروب اللطف والقياسة 206  
 غوينسبان (آلان) 165، 231  
 غزو العراق للكويت 249  
 غزو الكويت له ما يبزره 135  
 غشاوة وطنية... 9  
 القطرسة 10، 19، 20، 42، 144، 279، 288  
 القطرسة الأمريكية 274  
 غليفر بين أقزام ليليوشيان 280  
 غوتيل 110  
 غوا 135  
 غواتيمالا 145، 170  
 غوتنبيرغ 92  
 غورباتشوف (ميخائيل) 67  
 غولدمان (مارشال) 101  
 غياب أخلاقيات المجاريين في الديمقراطيات الحديثة 34  
 غيدنز (انطوني) 153  
 الغيلية 182  
 غينغريتش (نيوت) 131  
 الغاتيكان 40  
 فارغاس لوزا (البيروفي ماريو) 181  
 الفاشية 30  
 فانكوفر 157  
 الفانينانشال تايمز = صحيفة الفانينانشال تايمز  
 فتح البوابات الحقيقية 127  
 فجوة تجربة 220  
 فرانكفورت 175  
 فرانكلين (بنيامين) 212  
 الفردية الأمريكية 223
- فرنسا 32، 44، 46، 48، 53، 75، 82، 86، 92، 107، 128، 136، 139، 151، 210، 222، 263، 278، 280  
 الفرنسيون 77  
 فروست (روبرت) 129، 263  
 فريدياند (جوناثان) 182  
 فريدمان (توم) 291  
 فريدمان (توماس) 34، 163  
 فريق مانشستر يونايتد 153  
 فريين 110  
 الفساد 197  
 الفضاء السيبري 131، 258  
 فضح الاسماء والتشهير بأصحابها 184  
 فقدان الثقة بالحكومة 219  
 فقدان الثقة في المؤسسات 218، 222  
 فقر مدقع 71  
 فقراء آسيا 127  
 الفلبين 106  
 فن الحرب الصيني 166  
 فنزويلا 271  
 فنلندا 236  
 الفوارق الثقافية 171  
 الفوارق الصغيرة 264  
 الفوارق العرقية 213  
 الفوائد الاقتصادية من الهجرة 215  
 فوائد الهجرة لقوة أمريكا الناعمة الطرية 216  
 فور (هنري) 108  
 فوغل (روبرت) 226  
 فويغت (كارستن) 80  
 فيبر (ماكس) 144  
 فيتنام 28، 33، 145، 209  
 فيدرين (هيوبير) 25، 39، 151  
 فيرمونت 91  
 فيروس الحب 167

- فيروس غرب النيل 149  
 الفيروسات الآتية من الخارج 118  
 الفيروسات المستوردة 150  
 القادة الصينيون 105  
 فارن الاب ريتشارد نيوهارس  
 امريكا بالمانيا النازية 206  
 القارة الأوروبية 234  
 القادون الإنساني الدولي 120  
 القانون التجاري 114  
 قانون تقييد الهجرة في سنة  
 (1924) 212  
 نانوت معاهدة البحار 276  
 تائمة مقارنة التكتيكات التعددية  
 مقابل الأحادية 288  
 قانون مور 229  
 نانوت الهجرة لسنة (1965) 213  
 القاهرة 26  
 القبيلة 121  
 قد يكون المهاجمون اليوم  
 حكومات 119  
 تدرات الهند العسكرية 71  
 تذايف عابرة للقارات 33، 160  
 القراصنة (القرصة) 50، 259  
 القرب من مصدر التهديد 47  
 القرن الأمريكي 28  
 قضايا وفيات الاطفال 210  
 القطاع الثالث 99  
 القطاع الخاص 195  
 قطر 138  
 قطيع إلكتروني 34  
 القلب الداخلي الذي... 205  
 قلة الرقابة على البنادق 211  
 قمع الإرهاب 18، 254  
 قنبلة هيدروجينية 67  
 قوات حفظ السلام 240  
 قواعد الحكمة للتدخل الإنساني 270  
 قوانين الإنفلاس 238  
 القومية 121  
 القوة الاقتصادية 144  
 قوة أمريكا الاقتصادية الناعمة  
 والطرية 172  
 قوة أمريكا الطرية الناعمة تحكم  
 إمبراطورية لا تغيب عنها  
 الشمس 42  
 قوة أمريكا هي من الضخامة  
 بحيث... 26  
 القوة الأمريكية 15  
 القوة الأمريكية ليست أبدية 20  
 القوة بين الدول 125  
 قوة حفظ السلام 266  
 القوة الصلبة 255  
 قوة الصين الناعمة الطرية 55  
 القوة العسكرية لا تزال لها  
 أهميتها... 130  
 القوة العظمى الوحيدة 277  
 القوة هي عصر المعلومات المعلوم 43  
 القوة الكمبيوترية 93  
 القوة الناعمة الطرية (الصلبة)  
 (الأمريكية) 20، 38، 39، 40، 42،  
 44، 48، 64، 67، 68، 70، 73، 83،  
 89، 95، 128، 134، 135، 142، 143،  
 145، 146، 155، 156، 184، 196،  
 210، 222، 225، 226، 231، 238،  
 251، 255، 271، 288، 299، 300  
 القوة الناعمة الطرية تزداد نعومة  
 وطراوة 252  
 القوة الناعمة الطرية في عصر  
 المعلومات العالمي 136  
 القوة الناعمة الطرية ليست جديدة  
 تماماً 136  
 القوى الأخذ في البروز... 279  
 القيادة التكنولوجية 45  
 قيادة عالمية 275  
 القيصر 54  
 القيم 207  
 القيم الأمريكية 212، 248  
 قيم الديمقراطية 41  
 كاتماندو 26  
 الكاثوليك 212  
 كارتر (أشتون) 265  
 كارتر (جيمي) 143، 262  
 كاليفورنيا 63، 213، 295  
 كانت الأمة تعيش أزمة نمو... 229  
 كاغان (روبرت) 53، 59  
 كاهن (هيرمان) 62  
 كايذر (كارل) 77  
 كرات بليارد 252  
 كراكاس 26  
 كروثامر (شارلس) 27  
 الكساد 219، 226  
 كعب أخيل 244  
 كل عصر هو عصر معلومات 92  
 كليفلاند (غروفر) 219  
 كليفتون 14، 37، 60، 143، 271  
 كن حذراً من الحروب الأهلية 270  
 الكنائس 207  
 الكنائس الأوروبية 226  
 الكنائس التبشيرية الأمريكية 226  
 كندا 41، 117، 124، 139، 210، 222،  
 236  
 كندليبرغر (شارلي) 98  
 الكنيسة الكاثوليكية 123  
 الكهرباء 108  
 كوبا 14، 74، 275  
 كوبر (روبرت) 34  
 كوريا 55، 277  
 كوريا الجنوبية 106، 185، 235، 264،  
 283  
 كوريا الشمالية 122، 130، 273  
 كرسوثر 120، 135، 140، 165، 263،  
 266، 268، 287



- الكوسوفيون 265  
الكوكاكولا 142، 151  
انكوكلوكس كلان 223  
كولومبيا 49، 106  
كوندراك (فورتون) 278  
الكونغرس 14، 18، 19، 24، 208، 219، 231، 242، 244، 255، 268، 275، 276، 293  
الكونغزو 267  
الكويت 35، 135، 249، 268  
كيسنجر (هنري) 120، 241، 244، 298  
كيف ينظر الأمريكيون إلى العالم؟ 239  
كيندليبيرغر (شارلز) 48  
كيندي (الرئيس) 283  
كينشاسا 26  
كيوتو 124  
لا تذهب إلى الخارج بحثاً عن وحوش لتدمرها 262  
لا تزال روسيا وحدها تشكل خطراً... 66  
لا تستطيع أن تكون شرمة الفجدة للعالم 263  
لا يبدو أن روسيا ستلحق بأمريكا... 68  
لا يزال للحجم أهميته 128  
لا يستطيع الإرهابيون دحرنا 147  
الاجئون 117  
لافير (والتر) 142  
الامبالاة 20، 241، 242، 244  
لانغ جاك 155  
لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة 277  
اللجنة العالمية للسود 197  
لجه هارت - ريمان 280  
لحظة القطب الواحد 26  
لدى الصين أسلحة نووية 61  
اللموصية (الاصوص) 69، 259  
لعبة شطرنج بثلاثة أبعاد 251  
لعب ورقة الصين 51  
اللغة الإنكليزية 127، 129، 192  
اللغة الإنكليزية التي يتكلمها نحو 5 مائة من سكان العالم 152  
اللغة الوليزية في بريطانيا 182  
لقد تعمرت الحياة المدنية... 224  
لقد فكر العراق بطريقة معاكسة للحقائق 134  
لقد قلنا لكم إن هذا سيحدث 226  
للقة مخاطرها 13  
لليابان سحل مثير للإعجاب... 63  
لماذا استمرت روما ألف سنة 28  
لندن 96، 175  
لوبيك 116، 150  
لودنيسون (الفريد) 201  
لوس (هنري) 28  
الليبراليون (الليبرالية) 17، 27، 136، 262  
ليس هناك مستقبل وحيد 30  
ليس هناك من المهتمين بالأخبار... 242  
ليست جميع أثار العولمة الميثية ضارة 158  
ليست هناك مصلحة وطنية وحيدة... 243  
ليكسينغتون 121  
ما وراء حدود الأمة 192  
مائة غزو اتفاقية لاهاي 19  
ماركس (كارل) 150  
ماساشوسيتس 121  
ماساة أيلول / سبتمبر (2001) 85، 9  
ماليزيا 126  
ماما، أين بابا؟ ذهب إلى البيت الأبيض، ها، ها، ها 218  
ماو 299  
مايكروسوفت 91  
المبادرات المتعددة الأطراف 286  
مبيدات الآفات الزراعية 193  
مبيعات سيمز 145  
مبيعات شل 145  
مبيعات ميسوبيشي 145  
مُتحدون جند؟ 52  
المحسسون بواجبهم 205  
مترخية أكثر من اللازم 12  
مثلث يربط بين روسيا والهند والصين 27  
المجانسة 156  
المجانسة لا تنفع العولمة بالضرورة 157  
المجانين الثلاثة 169  
المجتمع الدولي 248  
المجتمع المدني 185  
مجتمعات ما بعد الثورة الصناعية 169، 37، 33  
مجتمعات متخيلة 21.  
مجلس الاستخبارات القومي 69  
مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة 64، 284، 287  
مجلس البيت الأبيض للمستشارين الاقتصاديين 231، 237  
مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية 240  
مجلة الإيكونوميست (البريطانية) 25، 27، 78، 177، 228، 231، 238، 276، 285  
مجلة ديرشبيغل 26  
مجلة الناشنال ريفيو 73  
مجلة نيوزويك 61  
المجموعات غير الحكومية الأمريكية 42

- مجموعة الثمانية الكبار 191  
المحافظون 27  
محبو باني كيشور 153  
المحرك الكهربائي اخترع سنة (1881) 108  
محطة الأخبار التلفزيونية الأمريكية (CNN) سي أن أن 135  
محطة سي أن أن (CNN) 12، 168  
محكمة (الجنايات) الجنائية الدولية 275، 276، 284  
المحكمة العليا 293، 294  
محكمة لاهاي 31  
محمد (مهاجرين) 262  
محو اللامبالاة 244  
المحيط الأطلسي 77  
المحيط الهادي 61  
المحيط الهندي 27  
المخدرات 16، 254  
المخربون الصينيون والأمريكيون 131  
المخطوطات الندية 92  
المداخل الأمريكية 239  
المداخل غير المتساوية 238  
مدرسة جون ف. كيندي 23  
مدينة مشرفة على تل 253  
المرتزة 32  
المركزية ام الانتشار 98  
المساعدة الاقتصادية 41  
المساواة 141، 186  
المساواة بين الجنسين 12  
المستعمرات الثلاث عشرة 192  
المستفيدون الأصغر 254  
مستفيدون بالمجان 254  
مستقبل أمريكا 21  
مستقبل أوروبي كل من... 45  
المستهلكون 100  
المستهلكون الأمريكيون 80
- المسلمون 139  
المسيحية 161  
المسيحيين 224  
مشاريع متعددة الاطراف 276  
المشايغون المحتجون على العولمة 150  
المشاكل الاقتصادية 205  
المشاكل الصغرى 98  
المشاكل الكبرى 98  
المشكلة ليست مسألة عدالة فحسب... 237  
المشكلة هي اللامبالاة 241  
مصادر القوة الأمريكية 31  
مصادر القوة حوالي العام (2000) 86  
المصارف الأوروبية 152  
المصانع الأمريكية 13  
المصادقية L34، L35، L36، 146  
مصر 158  
مصرف التسويات الدولي في بال بسويسرا 99  
مصرف نيويورك الاحتياطي الاتحادي 149  
المصلحة الأنانية الضيقة 291  
مصلحة الصرائب الداخلية 221  
المصلحة الوطنية 247  
مصنوع في أمريكا (الولايات المتحدة) 150، 152  
مطاعم (مطعم) ماك دونالد 80، 142، 152  
معاناة الأطفال من الفقر 210  
معاهدة الأمن الأمريكية - اليابانية سنة (1996) 65  
معاهدة (حظر) الألغام الأرضية (البرية) 49، 124، 276، 290  
معاهدة حظر شامل للتجارب النووية 276  
معاهدة سلام وبستفاليا 113
- معدل ادخارات عال 232  
المعدل الهندي للنمو الاقتصادي 70  
معدلات الطلاق المتزايدة 211  
المعركة بين دعاة الأحادية والتعددية 272  
معركة سياتل 185، 190  
معظم الأمريكيين ليسوا انعزاليين 241  
المعلومات الاستراتيجية 133  
المعلومات التنافسية 133  
المعلومات الرقمية المخزونة مغناطيسياً 95  
المعلومات قوة 92  
المعاجات التاريخية 85  
مقارنة القوة الأمريكية 90  
المفارقة، هي أن تفوق أمريكا... 241  
مقارنة الوفرة 133، 135  
مفتاح النمو الاقتصادي 232  
مقاديشو 266  
مقاومة الهجرة 63  
مقدونيا 261  
مكارثي (جيمس) 159  
مكافحة الاحتكار 15  
مكافحة الإرهاب 12  
مكتب التحقيقات الاتحادي 195  
مكدونالد = مطعم مكدونالد المكسيك 117  
ملابس الساموراي 180  
ملزمون بالقيادة 13  
الملكية العسكرية 291  
ممارسة لعبة البولونج منفردين 223  
المملكة الوسطى 55  
من القسر إلى الاجتذاب 40  
المنافسة العسكرية أيام الحرب الباردة 130

- المناقشة 39
- المنارات الدبلوماسية 51
- منح فولبرايت الدراسية 144
- منصات إطلاق الصواريخ الكورية الشمالية 130
- منصة برينتسبار للتفقيب عن المتورل 135
- المنظمات الإرهابية 36
- منظمات حق الاقتراع للنساء 122
- المنظمات الحكومية المشتركة 134
- المنظمات الخاصة تعبر الحدود الوطنية 122
- المنظمات الدولية 199
- المنظمات الدينية العابرة القومية المعارضة للرق 122
- منظمات الشبكات الهجينة 296
- المنظمات الطوعية جيدة للمجتمع 223
- منظمات عابرة القومية 195
- المنظمات غير الحكومية 106، 122، 124، 134، 143، 145، 169، 190، 199، 290، 291، 294، 296
- المنظمات غير الحكومية قوة هائلة وهامة... 15
- منظمة التجارة العالمية 41، 49، 74، 114، 189، 190، 197، 198، 199، 258، 291، 292، 293، 295
- منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي 85، 232، 258
- منظمة حلف شمالي الأطلسي 18، 135
- منظمة الدول الأمريكية 283
- منظمة الشفافية الدولية 197
- منظمة الصحة العالمية 197، 199
- منظمة العفو الدولية 169
- منظمة اليوبيل 197
- منع الخمر 209
- متغلقو العقول 155
- مهاجرة التجارة العالمية 285
- المهاجرون 184، 214
- المهاجرون الألمان 212
- المهاجرون الجدد 213
- المهاجرون غير الشرعيين 213
- المهاجرون يندمجون بسرعة 215
- المهتمون جداً بالأخبار 242
- مهربو المخدرات 118
- موازي (دوميتيك) 297
- المواطن الدولي المطواع... 27
- المواطن العالمي 121
- المواطنة ككل 201
- الموت الأسود 158
- موتسوفيتو (الإمبراطور) (ميجاي) 179، 180
- مؤتمر قمة نيس سنة (2000) 76
- موجات من المهاجرين الجدد 214
- مورافسك (أندرو) 75
- المؤسسات النزوية الأكاديمية 113
- المؤسسات ذات الجاذبية 39
- المؤسسات عابرة القومية 295
- المؤسسات المتعددة الأطراف 22، 241، 280، 291، 295
- المؤسسات المحلية 183
- مؤسسة راند Rand 58، 71
- المؤسسة العسكرية 221
- مؤسسة مانتوشيتا 138
- مؤسسة مائل 295
- مؤسسة نايكي 115، 295
- موسكو 65، 170، 175
- الموسكوفيون 46
- موسوليني 47
- مؤشر التنمية البشرية 188
- موليير 193
- ميانمار بورما (المنعزلة) 37، 125
- ميتسوبيشي 145
- الميثان 287
- ميجاي = موتسو هيتو
- الإمبراطور
- ميلوسوفيتش (سلوبودان) 31
- مين 218
- مينارد كينز (جون) 169
- مينيسوتا 223
- الميونتيخيون 46
- نابليون 46
- الناطقون بالإسبانية 214
- ناوورو 200
- نحن الشعب 200، 202
- نحن - ضد - هم 242
- النذ المنافس 53
- نداء الاستيقاظ... 244
- نداء الإيقاظ في أيلول / سبتمبر (2000) 297
- نرجسيات (فرويد) 264
- النزاع المسلح 270
- نزع صفة الوسيط عن الحكومة 112
- النزعات القومية 47
- النزعة الأصولية 186
- النزعة الانعزالية 273، 298، 300
- نزعة انعزالية طرية ناعمة 242
- نزعة الانفراد باتخاذ قرارات 19
- نزعة دولية أممية مخففة 242
- نزعة الهيمنة الأمريكية 54
- النزعة الويلسونية 262
- نشر فيروسات الكمبيوتر 166
- نظام التعليم العالي الأمريكي قوي جداً 234
- النظام الدولي هو... 254
- النظام العالمي الجديد والعولمة التي... 152
- النظام متعفن ويجب إسقاطه 218
- نظام (النقد) الاحتياطي الاتحادي 293، 294

- نظرية النشوء والارتقاء 209  
نقص السكان 215  
النكلزة 178  
النمو التنافسي 227  
نمو الصين المثير 87  
نهاية الإمبراطوريات الأوروبية 30  
النهج الضيق 43  
نويات من سفك الدماء 209  
نورد هاوس (وليام) 230  
نيكسون (ريتشارد) 44، 46، 51، 65  
نيودلهي 105  
نيوزيلندا 107  
نيوهاوس (ريتشارد الأب) 206  
نيويورك 30، 149، 168، 170، 175  
النيويورك تايمز 104، 150، 191  
هاجس عدوة أمريكا إلى نزعة  
العزلة 17  
هارت (غاري) 10، 279  
هارفارد 75  
هاس (ريتشارد) 89، 282  
هاشيموتو 60  
هامبورغ 116  
هانتفتون (صاموئيل) 73، 81  
هايتي 106، 263  
الهايتيون 265  
الهباءات المتناهية الصغر 287  
هبوط روسيا العسكري  
والاقتصادي 65  
هنتز 32، 40، 47، 67، 135، 299  
الهجرة 197، 209، 246  
الهجرة توسع قوتنا 217  
الهجرة والقيم الأمريكية 212  
الهجمات الإرهابية (في أيلول /  
سبتمبر 2000) 11، 174، 212،  
217، 239، 241، 244، 245، 273،  
280، 300  
الهجمات النووية 134
- الهجوم الإرهابي 10  
الهجوم الياباني على بيرل هاربور  
32  
هرّ الكلب 141  
هناك جيشان هائل للروح  
المجتمعية... 225  
الهند 27، 33، 34، 43، 55، 70، 71،  
86، 119، 126، 127، 135، 179، 197،  
216  
هنغاريا 40  
هواء المدن يجلب الحرية 114  
هوارس 29  
هولندا 41، 44، 185، 263  
هوليود 12، 70، 128، 137، 140،  
152  
هوتغ كونغ 17  
الهويات المتعددة 290  
هيلمز (جيسي) 19، 242، 276  
هيملفارب (غيرتروند) 206، 209،  
211  
الهيئة 48، 49  
الهيئة الأمريكية (الحميدة  
اللطيفة) 16، 26  
الهيئة العسكرية 87  
هيئة الإذاعة البريطانية 135  
هيئة الأمم المتحدة (خطر على  
السيادة الوطنية...) 242، 283  
واحد بواحدة 293  
واندي (وديان) السيلميكون 127،  
143، 152  
واشنطن 119، 121، 149، 150، 175،  
191، 192، 221، 256، 282  
الواقعيون 14  
الواقعيون المحافظون 17  
الواقعيون يفرطون 44  
والاثن (لودي) 198  
والت (ستيفن) 77
- والترز (كينيث) 46  
والدرون (آرثر) 53  
ويبري (كارتر) 265  
وجبات مك دونالد الأمريكية 140، 154  
وزارة الخزانة 18  
وسائط إعلام الظل آخذ في  
التنامي... 104  
الوصي على الكرة الأرضية 121  
الوطنية الناضجة 207  
وفيات الأطفال 210  
الوكالات الاتحادية 221  
وكالة الفضاء الوطنية الأمريكية  
91  
الولايات خارج فراش الزوجية 210  
الولايات المتحدة 11، 16، 25، 32،  
33، 36، 38، 39، 45، 47، 50، 54،  
59، 60، 61، 62، 65، 70، 73، 79،  
81، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89،  
93، 99، 107، 116، 117، 121، 126،  
129، 130، 136، 143، 144، 145،  
151، 153، 154، 160، 172، 174،  
177، 185، 188، 193، 202، 203،  
208، 210، 216، 228، 232، 233،  
249، 254، 257، 259، 279، 284،  
287  
الولايات المتحدة إذا لعبت أوراقها  
جيداً... 298  
الولايات المتحدة تتخطى العالم...  
25  
الولايات المتحدة سمكة كبيرة  
تسبح بسهولة... 151  
الولايات المتحدة صديق وفي...  
278  
الولايات المتحدة، كقوة متفوقة  
260  
الولايات المتحدة ليست وحدها...  
210

الولايات المتحدة مثيرة غريبة	الويلسونية 267	اليساريون القدامى 191
وغتية... 141	وينثروب (جون) 253	اليهودية 161
الولايات المتحدة اليوم حجر		يو (لي كوان) 105
عشرة... 270	اليابان 13، 34، 35، 36، 47، 49، 53،	اليورو 74
وليامز (جودي) 91	55، 58، 60، 61، 62، 64، 65، 82،	يوغسلافيا السابقة 268، 269
ول ستريت 152، 165	86، 87، 89، 107، 137، 138، 152،	يوم الاثنين الأسود قسي وول
ولزي (جيحي) 10	153، 170، 174، 179، 180، 185،	ستريت سنة (1929) 164
ولف (آلان) 206، 215، 224	210، 215، 222، 227، 232، 233،	اليونان القديمة 35
ولفورت (وليام) 50	234، 239، 251	اليونيسكو 286
ويلسون (وودرو) 262، 263	بتسلل الإرهابيون بسهولة 117	



نصوير  
أحمد ياسين  
نوينر  
[@Ahmedyassin90](https://twitter.com/Ahmedyassin90)

---

